



ديوان صقر الشيب

جمعه وقدم له

أحمد البشر الرومي



الطبعة الثانية

أعدّها وأضاف إليها وقدم لها

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

جس برومي WWW.ALROUMI.INFO



ديوان صقر الشيب

جمعه وقدم له
أحمد البشر الرومي

الطبعة الثانية
أعدّها وأضاف إليها وقدم لها
الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الكويت

2008

WWW.ALROUMI.INFO جيس برومي

الصف والتفند
قسم الكمبيوتر والأمانة العامة للمؤسسة

تصميم الفلاف
محمد عبدالوهاب

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

811.9538 الشيب، صقر.

صقر الشيب: الديوان/ أعده وقدم له يعقوب يوسف الغنيم. - ط2. - الكويت: مؤسسة جائزة

عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2008

736 ص؛ 24 سم

ردمك: 1 - 24 - 72 - 99906 - 978

1 - الشعر العربي - دواوين وقصائد - الكويت - العصر الحديث. أ. الغنيم، يعقوب يوسف.

ب. العنوان.

ردمك: 1- 54 - 72 - 99906 - 978 ISBN

رقم الإيداع: 2008 / 250 Depository Number

حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصدير

كان صقر الشبيب ثالث ثلاثة اختارهم مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ليتم الاحتفاء بهم في الدورة الحادية عشرة للمؤسسة، دورة «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» من خلال إصدار كل ما تصل إليه اليد من إنتاجهم الشعري ضمن ديوان كامل، أما الشاعران الآخران فهما عبدالغفار الأخرس وإيليا أبي ماضي، وثلاثتهم واردون في المعجم بإيجاز كغيرهم من شعراء القرنين، ورأى مجلس أمناء المؤسسة نشر إبداعهم كاملاً كممثلين لشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين.

ولئن كان شعر صقر الشبيب موضع اهتمام عدد من أبناء الكويت البررة الذين تابعوا تراثها الشعري والأدبي، وأولوا اهتماماً خاصاً لإبداع هذا الشاعر، وفي المقدمة منهم المرحوم أحمد البشر الرومي والمرحوم عبدالله زكريا الأنصاري، والأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم أطل الله عمره، فإن المؤسسة سعت بجهد خاص من الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم لجمع شتات شعر الشبيب من مخطوطاته ومصادره ليكون بكلية بين أيدي الباحثين والقراء وذوي الاهتمام.

ومع كل هذا فإننا نرى أن المرحوم الشاعر صقر الشبيب لم ينل حظه من الاهتمام الكافي والملائم الذي يناسب قامته الشعرية في بلده وإقليمه ووطنه الكبير، ولعل جمع الديوان كاملاً سيكون حافزاً لمن شاء من الباحثين لإجراء الدراسات والأبحاث عن إبداعه واستجلاء أغراضه وفنونه الشعرية، التي تمثل - دون شك - سجلاً ثميناً للفترة التي عاشها الشبيب مبدعاً بين طهرانينا، ولنا أن نقدر فترة عطاءه الأشمل، فشاعرنا ولد عام ١٨٩٦ والقرن التاسع عشر يودع تقويم الزمن والقرن

العشرون يطل على العالم، وتوفي عام ١٩٦٣، فكانت فترة عطائه الرئيسية ممتدة منذ فجر ثلاثينيات القرن الماضي وحتى بدايات العقد السادس منه وهي فترة تقارب ثلث القرن، وقد شهدت من التطورات والأحداث ما لم تشهده فترة أخرى من القرن المشار إليه، إذ حدثت فيها الحرب الكونية الثانية واكتوى العالم - ومنطقتنا في الصميم منه - بويلات هذه الحرب، كما أن الفترة نفسها شهدت موران حركات الاستقلال والتحرر العربي وزخمها، فلم يكن الشبيب رحمه الله متفوقاً على الاهتمام بأحداث بلده أو إقليمه وإنما تعدى اهتمامه إلى وطنه العربي الكبير، ويؤكد ذلك اهتمامه المتواصل من خلال إبداعه، فكتب قصائد في قضية فلسطين وثورة ٢٣ يوليو في مصر عام ١٩٥٢ والوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ وحرب التحرير الجزائرية التي اندلعت عام ١٩٥٤، ومتابعته ضيوف الكويت من رواد النهضة العرب والترحيب بهم من خلال قصائده كالزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي وغيره. هذا فضلاً عن مواكبة التطورات الحاصلة في الكويت على مستوى الفرد والمجتمع وحتى الاقتصاد والدولة.

لقد كان شاعرنا بحكم العاهة التي ابتلي بها منطوياً على نفسه يميل إلى الوحدة والانفراد - حتى لا نقول إنهما كانتا مفروضتين عليه - فلزم بيته وجعله محبباً آخر له بعد محبسه بعاهة كف البصر، فرقت أحاسيسه وتنوعت، فعاتب من خلال شعره وتشاءم، وتشكك وتحير ويأس وأمل وسعد وشقي وآمن، وكره البخل والنفاق والسباب لأنه يراه سلاح العاجزين، وأحب الصراحة والنصح والحكمة، وألجأته ظروفه إلى تقدير القناعة حق قدرها.

لقد تلامس صقر الشبيب برغم عاهته مع شؤون الحياة اليومية فكتب عن بائع الغاز وإزعاجه للناس وخرق هدوتهم وتحدث عن مشكلة ندرة الماء في الكويت ورسوم البلدية والجابي والغلاء، وتأذى لمشهد تعذيب الطير والحيوان فأعاد إلى الأذهان سيرة رهين المحبسين الأول ونزيل معرة النعمان (أبو العلاء المعري).

عزيزي القارئ

وإذ نثمن جهد الباحث والأديب الكبير المرحوم أحمد البشر الرومي في جمع تراث الشاعر والحرص على نشر ديوانه، فإنه مما يسرنا أن ننشر هنا ولأول مرة الديوان الكامل للشاعر صقر الشبيب بعناية الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم، حيث راجع وأعد القسم الرئيسي وأضاف إضافاته في القسم الثاني وأفرد في القسم الثالث مساحة لإضافات الأستاذ سيف مرزوق الشمالان. فلكل من أسهم في هذا الجمع جزيل الشكر وعظيم التقدير، والشكر الخاص لكل أفراد أسرة الشاعر الذين أذنوا - ممثلين بالأستاذ خالد الدينين - للمؤسسة بنشر هذا الديوان بصورته الكاملة تخليداً لذكرى الشاعر الكبير.

القارئ الكريم..

هذا كل ما وصلنا من شعر الشبيب أمامك بين دفتين وهو بهذا يجتمع لأول مرة، فنرجو لك الإبحار المثمر في إبداعات هذا الشاعر الإنسان الذي مثل - إلى جانب كوكبة أخرى من المبدعين عاشت الفترة ذاتها - وطنه الكويت إبداعاً وبيئة وحياة وتطوراً.

والله ولي التوفيق...

عبدالعزیز سعود البابطين

الكويت في 18 رجب 1429هـ

الموافق 21 يوليو 2008م

التقديم

كان مما أسعدني اتصال مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، بي، لتبلغني برغبتها في إعادة طبع أشعار شاعر الكويت صقر بن سالم الشبيب، وأن اختيارهم وقع عليّ من أجل الإشراف على طبعها.

وكان مصدر سعادتي بهذا الاتصال، بالإضافة إلى إحساسي بموقعي لدى القائمين على الجائزة، هو ارتباطي العميق بهذا الشاعر وإن لم أتمكن من لقياءه، ذلك لأن المرحوم أحمد البشر الرومي كان بالنسبة لي هو المرأة التي أرى شاعرنا من خلالها، فمنه أسمع أشعاره، وأتبع أخباره، وأعرف عنه كل ما أريد معرفته، وقد ازدادت معرفتي بصقر الشبيب حين أقدم الأستاذ أحمد البشر على إعداد الديوان للنشر، وكان ذلك في سنة ١٩٦٨م حين كنت أقوم بدور الناشر.

وأذكر أن صاحبي قد أصيب بمرض خطير ونقل إلى لندن من أجل العلاج، فكنت أرسل له كل (ملزمة) تطبع من ملازم الديوان، لأنه كان حريصاً على المتابعة، ولأنني كنت أشعر أنه يسعد بذلك. ولذا تراه قد كتب في أوراقه الخاصة عن تسلمه لتلك الملازم كلما جاءه شيء منها.

لقد كان أحمد البشر الرومي محبباً لصقر الشبيب مداوماً على الالتقاء به وقضاء ما يحتاج إليه من حوائج، وكان يجمع شعره من عدة مصادر منها ما أخذ منه شفاهةً ومنها ما كان مكتوباً في عدد من الصحف التي كانت تصدر في تلك الأيام في الكويت وفي ما جاورها، وقد اجتهد كثيراً في جمع تلك الأشعار حتى أوشك أن يكون الديوان الذي طبع في سنة ١٩٦٨م كاملاً..

أورد أحمد البشر الرومي طرفاً مما يتعلق بمشكلة نشر الديوان في طبعه الأولى، ذكرته في كتابي الذي تضمن أوراقه الخاصة ومما جاء في تلك الأوراق: «أكدت محكمة الاستئناف ما جاء في حكم محكمة أول درجة من ثناء على ما

قمنا به، كلٌّ من جانبه فيما يتعلق بنشر هذا الديوان، فكان ذلك تعبيراً عن موقف العدالة في الكويت تجاه العمل الأدبي، فجاء في الحكم (الدعوى رقم ٥٤ و٥٦ / ١٩٧٢ مدني): «ومن حيث إن هذه المحكمة تقرر محكمة (درجة أولى) على ما جاء في أسباب حكمها لمجهود الجامع لقصائد الديوان ونشره، فإنهما قد أسديا خدمات جليلة إلى الشاعر، وإلى أسرته، وإلى دولة الكويت، وإلى رجال الثقافة والشعر والفكر والأدب في كل بلد ناطق بالضاد - أما بالنسبة للشاعر فقد نشر شعره على الناس وأطلعاهم على فنه الرائع، وقصائده التي تشيع فيها موسيقى الشعر الحلو السهل المحبب للناس، والتي تدل على دقة حس الشاعر، ورقة نفسه، وصفاء روحه، وفي ذلك إحياء لذكرى الشاعر، وإكبار لفنه وأدبه.

وقد جلى جامع القصائد حياة الشاعر في مقدمة يلمس القارئ فيها صدق الوفاء له، والتقدير لفنه، والإعجاب بخلقه ودينه وعطفه على الناس، ولعله لولا جهد الجامع والناشر لبقيت قصائد الشاعر مهملة، لا تمتد إليها يد، ولا يعرف بقدرها إنسان، وأما أسرته فحسبها أن نبتَ فيها شاعرٌ ذاع شعره، وقرأه الداني والقاصي، وما تآتى ذلك إلا بطبع الديوان، وأما دولة الكويت، فقد عرف الناس أنها أنجبت شاعراً فحلاً يزاحم الشعراء في الدول الأخرى، ويركض معهم في حلبة الأدب والشعر، وأما رجال الثقافة والفكر فقد قرؤوا الديوان وأفادوا منه، وكان فيه منفعة لهم وفائدة فنية عظيمة.

وأكبر الظن أنه لولا أن المستأنفين يقدران الشاعر، ويعجبان بشعره وأدبه لما قاما بعملهما المشكور، وسواء أفادا كسباً مادياً أم لم يفيدا، فإن ما عاد على أسرة الشاعر أكبر من الكسب المادي وأحسن».

أما عن وفاة صقر الشبيب التي كانت في اليوم العاشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٦٣م، فكتب أحمد البشر ما يلي: «الساعة الخامسة والربع، ومنذ الساعة الثالثة والنصف وأنا أحاول أن أنام كالعادة غير أن النوم لم يسعفني، ولم أسترح دون نوم، وبقيت مستيقظاً أحاول أن أتسلى بأي شيء غير أنني لم أجد أي شيء يزيل من صدري الضجر من جراء تذكري وفاة صقر، والذي يحز في نفسي أنني لم أكن حاضراً ساعة وفاته لأودعه الوداع الأخير، ذلك أن آخر لقاء التقيته فيه منذ شهرين ونصف على وجه التقريب، ثم إنني حاولت أن أتصل به وقد قرعت عليه الباب مرتين إحداها قبل وفاته بشهرين والأخرى قبلها بتاريخ ١٠/٧/٥٣ وكان في كل عام يعلن ابتداءً من الشهر السابع إلى نصف الشهر التاسع أنه مريض من شدة الحر وأنه لا يستطيع

مقابلة أي إنسان حتى أعز أصدقائه، ولعلمي بهذا القانون الذي سنه منذ خمس سنوات لم أود أن أفرض نفسي عليه رغمًا عنه، لهذا سافرت ولم أودعه ولست أدري متى أسلوه وتتصرف النفس عن ذكراه.

إنه شخصية لا يمكن أن تُتسى فهو مزيج من الوفاء والكرم والشهامة والحفاظ على ما للصدّاقة من حقوق حتى أبسطها وأدقّها، ويتفانى في ذلك تفانيًا يقلق راحته ويكدر صفوه.

إذا بدرت منه كلمة واعتقد أنها ربما فيها إشارة إلى ما يسيء (وعادة لا تكون هذه الكلمة ذات أهمية) بقيت هذه الكلمة تقلق راحته حتى يلقاك فيشرح لك شرحًا طويلًا وافيًا ما قصد في هذه الكلمة، ثم لا يكتفي بذلك فلا يلبث أن يعيد الموضوع مرة أخرى ثم الثالثة ثم رابعة حتى تزهد نفسك من التكرار.

وفي الساعة السادسة نزلت في الصالون التابع للفندق وجلست على أحد الكراسي أفكر في وفاة صقر».



حرص أحمد البشر الرومي على أن يقدم للديوان بمقدمة وافية تناول فيها حياة الشاعر، ودراسته، وعلاقاته بالأدباء والشعراء. ولم يترك شيئًا يتعلق به إلا وقد ذكره في هذه المقدمة. وعندما صار من واجبي القيام بما طلبت مني هذه المؤسسة الكريمة، وجدت أن من غير المعقول أن أعيد بقلمني ما سبق أن كتبه الرومي ولكنني استحسنت الكتابة عن شعر الشاعر، وعن بعض الملحوظات التي يجدر بواحد مثلي أن يقدمها، كما أنني أضفت إليه بعض القصائد والمقطوعات التي عثرت عليها أو أمدني بها بعض الإخوان.

أمل أن يكون في ما سوف يراه القارئ فائدة إضافية تضم إلى الفوائد الكبيرة التي جنيناها من عمل الأستاذ أحمد البشر الرومي.

والله ولي التوفيق،،

د. يعقوب يوسف الغنيم



المدخل

الفرع الأول

كتبه: الأستاذ أحمد البشر الرومي

صقر الشبيب

نسبه:

سألته ذات يومٍ - وكنا نتناول شتى الأحاديث - عن نسبه، وذلك عام ١٣٥٥هـ الموافق ١٩٣٦م، فقال: إنه صقر بن سالم بن شبيب بن مزعل بن دهيرب بن رومي الشمري، ومن المعروف أن قبيلة شمر التي ينتسب إليها قبيلة كبيرة، مقرها مدينة حائل والأطراف المجاورة لها، وفي موسم الربيع ينبت الكلاً في قسم كبير منها في شمال الجزيرة حتى نجد.

وكانت حائل قبل خمسين عاماً تستمد أكثر حاجاتها من الكويت بواسطة القوافل.

وأول من اتخذ الكويت موطناً له من أجداد شاعرنا هو دهيرب، أما مزعل وشبيب وسالم فقد ولدوا في الكويت.

ولد شاعرنا في مدينة الكويت في الحي الشرقي منها، وذلك حوالي عام ١٣١٢هـ الموافق ١٨٩٦م، وأصيب بالعمى إثر إصابة عينيه بمرض لم يفلح العلاج فيه، وكانت سنه آنذاك تسع سنوات، وكان يتصور الألوان وبعض ملامح أقرابه وجيرانه.

الوليد والوالد:

عاش شاعرنا مع والده وأخته، بعد أن توفيت والدته التي كانت تعطف عليه، وكان يواصل الذهاب إلى الكتاب الذي كان يُحفظه القرآن الكريم، ولم يكن «الملا» الذي يحفظه القرآن يجيد شيئاً غير قراءة القرآن، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ بعد ذلك يطالع بعض دواوين الشعر الميسورة لديه بواسطة بعض الأصدقاء، وكان والده لا ترضيه هذه المطالعة، وكثيراً ما يردد على مسامع ابنه (الشعراء يتبعهم الغاؤون) ويلح على ابنه في الانضمام إلى قرأء الموالد والذكر، غير أن الابن لم يرض لنفسه أن ينزل إلى ذلك المستوى الذي كان والده يتمنى أن يصله ابنه، لهذا نشأت بينه وبين والده وحشة، اضطرتة إلى أن يتحاشى

وجوده مع والده في البيت في آن واحد، فكان يتغيب عن البيت في الوقت الذي يظن أن والده موجود فيه، متفادياً لوم والده وتأنيبه.

عاش مع والده على هذه الصورة حتى عام ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م، فرأى أنه لا يستطيع الإقامة في الكويت للأسباب المتقدم ذكرها، فعزم على السفر إلى الأحساء، ومن المعروف أن في الأحساء آنذاك زمرة من الفقهاء المشتغلين بتدريس علوم الدين واللغة، ويضيفون الطلبة على حساب ما يتقاضونه من ريع الأوقاف المكونة من النخيل والعقارات الموقوفة لهذه الغاية، لكنهم أئمة في المساجد التي لها مثل هذه الأوقاف، ويسكن الطلبة في بيوت معدة لهذه الغاية، لأن من يدرس في الأحساء لا يحتاج إلى مصاريف، أما مصاريف السفر من الكويت إلى الأحساء فإنها لا تتجاوز الدينارين ذهاباً وإياباً في ذلك الوقت، وقد دفع هذا المبلغ شاعرنا من جيبه كما أخبرني بذلك. وصادف أن أحد أصدقائه، وهو المرحوم محمد بن حمد الرومي، الذي كان يسافر إلى الأحساء كل عام، وذلك في فصل الشتاء، لوجود زوجة له في الأحساء، تم الاتفاق بينه وبين صديقه على السفر معاً، وسافر الإثنين على ظهر الباخرة إلى البحرين، ومنها في سفينة شرعية إلى العجير، ثم إلى الأحساء على ظهور الحمير. وأقام شاعرنا عند الشيخ عبدالعزيز العلجي، نسيب صديقه، وكانت له معرفة به وصحبه في أثناء زيارات الشيخ المذكور للكويت في كل عام، والشيخ عبدالعزيز العلجي فقيه، وله إلمام واسع بعلم النحو والصرف.

أقام شاعرنا في الأحساء ما يقارب السنة والنصف، وأصيب في الأشهر الستة الأخيرة من إقامته في الأحساء بملاريا الأحساء المشهورة، التي كادت تقضي على حياته، فقفل راجعاً زاهداً في الأحساء أشد الزهد، لما عاناه من المرض، والتعصب الشديد الذي كان عليه رجال الدين هناك.

وفي أحد الأيام كنت أتحدث معه عن الأحساء ومياهها وزراعتها وطقسها، فقال في أثناء حديثه عنها: عندما كنت في الأحساء كنت أحس بأني في بيئة غريبة، وبين سكان أنا غريب فيهم، فتفكيرهم يختلف عن تفكيري، واتجاهاتهم تختلف عن اتجاهي، ويوم كنت في الأحساء كنت تلميذاً لا يصح لي - حسب العادة هناك - أن أناقش الشيخ في مسألة ما،

فعليّ أن أسمع وأحفظ فقط، وكثيراً ما يقرّر الشيخ في أثناء دروسه مسائل أرى أن لي اعتراضاً عليها، غير أنني لا أستطيع أن أتفوه بذلك أو أبدي بعض الملاحظات، لأن ذلك يعد في عرف التعليم هناك اعتراضاً على الشيخ المدرس، ووراء ذلك ما وراءه من غضب الشيخ ونقمة.

ثم قال: ومما يزهّد المرء في الأحساء تعصب رجال الدين، وتطرفهم في التعصب إلى حد يكاد يخرجهم عما درج عليه السلف من علماء المسلمين، فهناك كل شيء حرام أو مكروه، وليس في قاموس الحياة عندهم شيء اسمه التسامح، وسأقص عليك مشهداً من المشاهد الكثيرة التي عاصرتها هناك. قال:

نمى إلى هؤلاء الفقهاء أن هناك امرأة في حيهم بانّت عليها أعراض الحمل، وهي غير متزوجة، فعمدوا اجتماعاً تداولوا فيه أمرها، فاستقر رأيهم على عرض قضيتها على القاضي ليحكم بإقامة الحد عليها - وهم فرحون بذلك - إذ إنهم لا يستطيعون تنفيذ ذلك إلا بحكم يصدر عنه، وكان يتولى القضاء أحد الفقهاء، ممن أودع الله في قلوبهم شيئاً من الرحمة، وعندما بلغ القاضي أمر هذه المرأة أرسل إليها إحدى نساءه لتخبرها بما سيتم في أمرها، وأن توصيها بأنها إذا حضرت عنده وأمام من ينوب عن هؤلاء الفقهاء أن تقول: إنني مغصوبة من قبل رجل لا أعرفه، وذلك في مكان الإحتطاب، فلما حضرت المرأة وسئلت قالت نفس العبارة، فحكم القاضي بإعفائها من إقامة الحد عليها، وعندما علم الفقهاء بذلك نعموا على القاضي. ثم قال: وبعد هذه القضية وما قاسيته من الحمى لم أستطع البقاء في الأحساء، فغادرتها والحرب العالمية الأولى على أشدها، وقلت أحياناً لا أذكر منها الآن إلا هذا البيت:

لئن عدت للأحساء يوماً فإنني

لألام خلق الله طراً وأفجراً

وصل الكويت في غضون عام ١٩١٦ تقريباً، وكان هدفه أن يصبح في يوم من الأيام واعظاً في أحد المساجد، وفعلاً طلبه أهل المحلة ليعظهم في شهر رمضان. ورضي عنه

والده بعض الرضى، غير أنه لا يزال يؤاخذة على مطالعته الشعر وحفظه، وانبرى منافسوه لمنافسته على المكانة التي نالها، فأخذوا يكيدون له عند أبيه مرة ثانية، فتأزمت الحال على أشد ما يكون بينه وبين والده، فترك بيت أبيه إلا من إمامة لزيارة أخته والاطمئنان عليهما، وذلك على غرة، عندما يغيب والده عن البيت.

في هذه الفترة ترك الوعظ في المسجد وأكب على إتمام حفظ متن الألفية ودراستها على شرح ابن عقيل، وذلك على يد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان وبعض من يزور الكويت ممن لهم يد في النحو، حتى أتم دراستها وفهمها فهماً جيداً، وكان الشيخ عبدالله الخلف الدحيان يوليه العناية التامة، ويقدمه في مجلسه، ويصوره إذا هو تأخر عن عادته في زيارة الشيخ المذكور.

وكان الشيخ عبدالله الخلف يدعو في بعض الأحيان للغداء معه، وأذكر أنه دعاه يوماً على الغداء، وذلك في يوم شديد الحرارة، فأرسل شاعرنا هذه الأبيات يعتذر فيها عن عدم الحضور، قال:

إذا وصلت خمساً ولم أت نحوكم
فلا تنتظرنى للغداء فيفسدا
وكله هنيئاً غير معقب تخمة
مريئاً وقم بين الأخلاء منشدا
تعوّد خُلف الوعد صقرو وإنما
(لكل امرئٍ من دهره ما تعودا)

وامتدت الصّلات الوثيقة بين الاثنيّن حتى وفاة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان عام ١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م، فرثاه الشاعر بقصيدتين هما من أجود شعره.

وفي سنة ١٩١٨ توفي والده، وترك له ولأخته البيت، ذلك البيت الحرب المتداعي، والذي لا يحجب من بداخله عن الشارع - إن صح أن تسمى تلك الخربة بيتاً - ترك تلك الدار الخربة، ولم يترك معها قوت يومٍ واحد.

كان والده يزاول مهنة الغوص في أيام شبابه وقوته، ثم تقدمت به السن فامتحن صيد السمك، ثم عجز عن الإبحار مع الصيادين إلى مناطق الصيد، فأخذ يحترف مهنة الصيد بقرب الساحل، وهذا يعني أنه لا يصيد من الأسماك إلا الشيء الطفيف الذي لا يقيت عائلته، فباع القارب الذي يملكه ليعيش بئمنه، ثم وافته المنية عن عمر يناهز الثمانين.

كان والده - إلى جانب شيخوخته - مصاباً بالشلل في وجهه، مما ترك فمه يميل إلى جهة الشمال قليلاً.

وعندما وجد شاعرنا نفسه بعد وفاة والده رب أسرة، عليه أن يقوم بإعاشتها، وأن يقوم قبل كل شيء بإصلاح البيت وبنائه من جديد، ليصبح صالحاً للسكن وليس لديه ما يمكنه من ذلك، رأى أن يلجأ إلى من يستطيع إنقاذه.

كان حاكم الكويت في تلك الأيام المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح، وكانت للشاعر معرفة به أيام كان الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت، وكان الشيخ سالم يقطن قرية الفنتاس، لما بينه وبين والده من خلاف هينٍ، من ناحية، ولصلة المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح الوثيقة بالشيخ أحمد الفارسي، الذي كان له بستان في قرية الفنتاس، والشيخ المرحوم أحمد الفارسي أحد علماء الدين، فقد أتم دراسته، ونال شهادة العالمية بالأزهر، فكان الشيخ سالم يدرس على يديه الفقه على مذهب الإمام مالك، وكان شاعرنا - وذلك قبل سفره إلى الأحساء - وهو صغير السن يحضر مثل هذه الدروس التي كانت تلقى تحت ظل الأشجار في ساعات الصباح الأولى وبعد صلاة العصر.

وكان قد سبق للشاعر بعد وصوله من الأحساء أن قدم قصيدة للشيخ سالم يشكو فيها من كثرة إراقة الماء في الشوارع، مما يسبب المضايقة للعميان في أثناء سيرهم، وقد صاغ تلك القصيدة بأسلوب قصصي، مدارها أن أرملة لم يخلف لها زوجها إلا دجاجة، كانت تجمع بيضها وتبيعه لتطعم بئمنه أيتامها، وأنها عثرت بهذه المياه وتكسّر ما تحمله من بيض، فظلت تبكي، وقد مرّ بها الشاعر وهي على هذه الحال، ومطلع القصيدة:

ومحزونة في الدرب تبكي وتلطم
وتعول عن عظم المصاب وترزُم

ومنها:

فأخرجت من جيبي دراهم خمسة
ولم يك عندي غير هاتيك درهم
فناولتها ما يسر الله قائلأ
خذي واعذري إني لمثلك معدم
دعت لي إذناولتها ثم أنشأت
تسبُ الذي ألقى المياه وتشتم
فقلت أظن الشيخ لو كان عالمأ
بما منه نشقى في الطريق ونسام
لشدد في نهى الرعايا عن الأذى
وهدهم حتى يكفوا ويحجموا

وعلى أثر هذه القصيدة أمر الشيخ بمنع إراقة المياه في الشوارع، ووكل من يقوم بتنفيذ ذلك.

فرأى أن يتقدم للشيخ سالم بأبيات يلوح له فيها بورطته، لعله ينقذه من هذه الورطة التي وقع فيها بعد وفاة والده، فبعث إليه بأبيات جاء فيها:

فيا فرحتي إن نلت عندك حاجتي
ويا حسرتي إن لم أنلها ويا خسرتي

ولما قدم الأبيات مكتوبة للشيخ قال له: ما حاجتك، فإننا على استعداد لقضائها، فشرح له شاعرنا قضية بيته المتداعي، فقال الشيخ: إنني أملك بيوتأ كثيرة، في كثير من أحياء المدينة، فاختر لك منها بيتأ صالحأ أسجله باسمك. فأجابه: إنني لا أحب أن أغير المحلة التي نشأت بها، فأمر الشيخ بأن يهدم البيت من أساسه، وأن يبني من جديد، وعلى

الكيفية التي يريدها الشاعر. وفعلاً بوشر في هدم البيت وإعادة بنائه، غير أن الوكيل تباطأ في العمل، فتوجه الشاعر بهذين البيتين إلى الشيخ سالم:

أبا الشهم عبدالله لو أنهم مشَوْوا
إليه بجدً لابتنؤوه وتمموا
بعشرة أيام ولكنهم مشَوْوا
إليه كما يمشي إلى السجن مجرم

فاستدعى الشيخ وكيله، وأنبه على هذا التباطؤ، وفي اليوم الثاني حشر الوكيل أكثر من ثلاثين عاملاً، ووقف معهم أياماً حتى أنهى البيت، فبيت الشاعر هو أول بيت قامت الحكومة بعمارته، وذلك قبل اكتشاف آبار النفط بزمانٍ طويل.

فكونت الحادثتان، - حادثة إراقة المياه وحادثة بناء البيت - ألفةً متينةً بين الشيخ سالم، رحمه الله، والشاعر، وأخذ يتردد على مجلس الشيخ سالم بعد ذلك، وكان الشيخ يعتبر عليه إذا تأخر عن حضور مجلسه عدة أيام، وكان يحثه على الاستزادة من علم اللغة العربية، ولم ينس الشاعر ذلك، فقد ذكره في إحدى قصائده، قال:

جئت للرفد وحده فإذا بي
منك أحظى بمُرفدٍ وبهاد
منذ حرّضتني على بذل جِدِّي
في تلقّي الفصحى وبذل اجتهادي
كان شغلي جميعه في نهاري
بل وليلي تطلُّبُها للخُداد
ولقد ذقتُ طعمها الحلوَ حتى
ليس إلا منالها من مرادي
ولك الفضلُ ليس لي أن تأتي
لي ما رمتُ من لغى الأجداد

الخ... والقصيدة في الديوان.

وكان يبرُهُ في كل مناسبة، مما سهل عليه الحياة، ويسرُّ عيشه، وعندما توفي الشيخ سالم عام ١٣٣٩هـ، ١٩٢١م كان جزع الشاعر عليه جزعاً شديداً، وكان يتذكره في كل مناسبة بعد ذلك.

بعد وفاة الشيخ سالم توثقت صلته بالمرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت الراحل. وكان يجل الشاعر ويقدره، فكان يستزيره ويود أن يكون الشاعر في مجلسه كل يوم، يناقشه بشرح بعض الأبيات وتفسير بعض الألفاظ اللغوية، فكان الشاعر يزوره مرتين في الشهر.

وكان شاعرنا في هذه الفترة قد توظف بإدارة المعارف آنذاك، فعينت له غرفة يجلس فيها لتدريس من يحب أن يدرس القواعد، أو من يود أن يستفسر عما غمض عليه من الأدب العربي، فكانت غرفته تعج بالشباب الناشئين، للتحدث معه في الأدب على اختلاف أنواعه شعراً أو نثراً.

بقي يداوم في هذه الغرفة ما يقارب العام، ثم حدثت أمور انقطع بسببها عن الدوام، ولزم بيته، وانقطع كذلك عن زيارة الشيخ عبدالله السالم، متعللاً بكترة السيارات في الطريق، فكان المرحوم الشيخ عبدالله السالم يرسل له سيارته لتنقله أحياناً إلى قصر الشعب للاجتماع به، ثم رفض أن يخرج من بيته حتى بواسطة سيارة الشيخ، وأرسل للشيخ قصيدة يعتذر فيها عن تلبية طلبه مطالعها:

لئن لم أرز في كل يومٍ حلٌّ من
عليّ له فضلٌ يجِلُّ عن الشكر

ومنها:

فليس لصقورٍ أن يُبَارح وكرهه
إذا سَدَّتْ العينين منه يدُ الضُرِّ
فما طار مكفوفُ الصقور فسالمت
جناحيه قبل اليوم عادية الكسر

إلى أن قال:

لهاتيكم الأسبابِ قلتُ زيارتي

وإن كنتُ من شوقي إليكم على جمر

فوافقه الشيخ عبدالله السالم على طلبه، وأعفاه من زيارته، وقد طلب سموه إلى إدارة المعارف آنذاك أن تُجري له راتباً دون أن تكلفه القيام بعمل ما، وبعد مدة أحالت دائرة المعارف راتبه على إدارة المالية التي أخذت تدفعه له كل شهر حتى توفاه الله.

سكن بيته الجديد وكانت أختاه قد تزوجتا وانضمتا إلى زوجيهما. وبقي في هذا البيت وحيداً، فانصرف للمطالعة، ونشر أول قصيدة له في مجلة «المرأة الجديدة» التي كانت تصدر في بيروت، فثار عليه الغوغاء بتحريض من بعض من يدعون أنهم من رجال الدين، متخذين من هذه القصيدة ومن تركه المسجد سبيلاً لمعاداته وإيذائه، وإليك ما قاله الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه «تاريخ الكويت» بهذا الصدد: «قامت قيامة بعض الجهلة على شاعر الكويت، عندما نشرت له مجلة المرأة الجديدة قصيدة بعنوان «يضر النصح» قال فيها:

وخلّوا في الديانات افتراقاً

يؤول بكم إلى الحرب العوان

ودينوا من تكاتفكم بدين

لكم يلقى التقدّم بالعنان

قامت قيامة بعض الفقهاء على الشاعر الفاضل، إذ فهم من قوله هذا أنه لا يرى فرقاً بين المسلم والكافر، حتى قال بعضهم: كنت شاكاً في كفره وتدهُّره، أما الآن فقد اتضح لي ذلك.

وقد ضويق مضايقةً شديدةً، حتى أنه أعلن بيع بيته والرحيل إلى حي آخر، وقال في هذا الصدد من قصيدة:

أضلتني بشـرقـي الكـويـت

خطوبُ الزمـتني بـيـع بيـتني

وما بيّعيك يا بيتي بسهل
ولكن فيك خفت اليوم موتي

كما أفتى أحد الفقهاء بهجره، فقال صقر:

تقول لقد أفتى بهجرك شيخنا
أناسٌ بشـرقِي الكـويت تُقيم
فقلت جزاه الله خيرًا فهجركم
لنفسـي به لو تعلمون نعيم
على راحتـي قد حنـكم ومراده
شقائي وربـي بالضعيف رحيم

ولقد وجد الشاعر من يقف إلى صفة مثل الشيخ الجليل يوسف بن عيسى القناعي
الذي بعث له بقصيدة غراء، أذكر منها هذا البيت:

وكفـاك أنـك في بُـويـتـك لـابـدُ
وسنأء شـعـرك في الكـويت أضـاء

والمرحوم عيسى القطامي، والشيخ عبدالعزيز الرشيد، وعبدالمك بن صالح المبيض،
والسيد عبدالرحمن السيد خلف النقيب، والسيد مساعد، والسيد يوسف السيد خلف،
وأحمد المشاري، وحجي بن قاسم، وسليمان العدساني، وكثير غيرهم من الأفاضل ممن لم
أذكر أسماءهم.

وكنـت أخرج معه في ذلك الوقت للاتصال بهؤلاء الأصدقاء، وكانوا يجتمعون بديوان
السيد خلف بعد العشاء، وكان السيد مساعد يشن حملاته بقصائده التي كان يرتجلها
في ذلك المجلس، فتنـتشر في صباح اليوم الثاني وكلها كانت ردًا قاسيًّا على أولئك
المتعصبين، فيرد هؤلاء المتعصبون بقصائدهم الركيكة، والمضحكة أحيانًا، على قصائد
السيد مساعد، فيكيل لهم الصاع صاعين، والسيد مساعد، رحمه الله يجيد الهجاء إجادة
منقطعة النظير، ويستطيع أن يرتجل القصيدة الكاملة وكأنه يقرؤها عن ظهر قلب في

موضوع الهجاء فقط، فكفى شاعرنا مؤونة الرد عليهم، وترك أمرهم للسيد مساعد، اللهم
إلا عندما أفتى أحمد المعممين بكفر شاعرنا وحرمانه من الجنة، فإن شاعرنا قال فيه هذه
الآبيات:

إن كان لا ينعم في الجنة
إلا امرؤ مـثلك نوجنة
ممن يصـبـون عطاياهم
في جيبك الفارغ ذي الفسحة
فليس لي في جنة مـأرب
فأعط من شئت بها حصتي

هذه الحرب الكلامية دامت خمس سنوات تقريباً، انهزم فيها المتعصبون هزيمة
نكراء، فلم يسمع لهم صوت بعد ذلك إلا ما يسرون به في الخفاء لأتباعهم، فتحول ذلك
المجلس^(١) فلزم الشاعر بيته لا يخرج منه إلا يوماً واحداً في الأسبوع، وذلك هو يوم
الخميس الذي كان يقضيه عند صديقه الحميم عبد الملك بن صالح المبيض، وكان المرحوم
عبد الملك يرسل ابنه صالح عبد الملك (وزير التربية الأسبق) ليصطحبه إلى بيته ويرجعه بعد
العشاء.

وفي هذه الفترة، وفي أوائل فصل الصيف تحديداً، قال لي: ما رأيك لو أخذنا سفينة
وذهبنا إلى الغوص، فرحبت بالفكرة وقلت: ربما يتيح لنا الحظ أن نعثر على لؤلؤة فنصبح
من الأثرياء، فقال اشرح الفكرة للأخ سالم بن محمد البشر والأخ علي المجرن وهما ممن
لهم صلة صداقة بالشاعر، ولما عرضت الفكرة عليهما رحباً بها، وفي الحال ذهبنا للبحث
عن سفينة، فوجدنا سفينة صغيرة، وأخذنا نعدّها للسفر، وقد كان لدى الشاعر بعض
النقود سلمها لنا لشراء زاد السفر، وبعد أن جهزنا كل شيء قررنا السفر، وأغلقتنا بيته،
وحملنا فراشه إلى السفينة، ورفعنا الشراع، وفي أثناء الطريق هبت علينا عاصفة شديدة،
وذلك قبل أن نصل إلى المكان الأمين، وهو الجليعة، وفي أثناء دخولنا للميناء الصغير

(١) المجلس المذكور ديوان عبدالرحمن النقيب وموضعه الآن (سنة ١٩٦٨) المقر العام لتدريب الموظفين.

غرقت سفينتنا أو كادت، إذ إنها امتلأت ماء إلى أكثر من نصفها، وابتل كل ما فيها، فساعدنا من في الميناء الصغير على نشر كل ما في السفينة ليجف، ثم واصلنا العمل لمدة عشرين يوماً، لم نحصل في خلالها على شيء ما، حتى مصاريفنا لم نسددها، فعدنا إلى البلد بخفي حنين وقد رجع سيرته الأولى في زيارة صديقه عبدالملك بن صالح.

دام ذلك قرابة عامين تقريباً على ما أذكر، ثم امتنع عن الذهاب إلى بيت صديقه، لوجود مسافة طويلة بين البيتين، فأخذ صديقه يزوره في بيته في كل يوم خميس بعد الظهر، وكنت أعد الشاي في بيت الشاعر لهذه المناسبة، وكان المرحوم عبدالملك يصطحب معه حصيلة ما قرأه في الأسبوع، وعلى الأخص في الفلسفة، فيقرأ هذه الحصيلة، ويدور حولها النقاش بين الاثنين، وكان موقفي من هذا النقاش موقف المستمع لا غير. فإذا انفضت الجلسة، وخلا المجلس، أخذت استوضح الشاعر عما غمض علي من النقاش، فيوضح لي ذلك بكل رحابة صدر.

وفي يناير عام ١٩٤٦ سافرت إلى «بمباي» وبعد وصولي بشهر تلقيت من الشاعر كتاباً ينمى إلي فيه صديقه الحميم الذي توفي في فبراير من العام نفسه، ولا أنسى تأثير ذلك الكتاب في نفسي، فقد كان شظية من الألم تطايرت من قلب شاعرنا، ولم أتمالك نفسي من البكاء، لأنني ألفت المرحوم عبدالملك، ولأنني استفدت منه الكثير، فعبداً الملك معروف لدى الكويتيين قاطبة، لما أداه من خدمات لهذا البلد لا يمكن أن تُنسى، كما أن الذي أعرفه عن المرحوم عبدالملك فوق ذلك، أنه كان عالماً جليلاً كثير الاطلاع، وعلى الأخص الفلسفة والأدب، غير أن الرجل يمقت الإعلان عن نفسه أو حب الظهور والتهاك على الشهرة.

عدت إلى الكويت في أوائل شهر إبريل عام ١٩٤٦ ويممت بيت الشاعر فور نزولي من الباخرة للسلام عليه، ولتعزيتته في أخلص أصدقائه، فلاحظت دمعتين نزلتا من عينيه حاول أن يخفيهما عني بمسحهما.

لزم الشاعر بيته منذ أن امتنع عن زيارة عبدالملك حتى وفاته لم يخرج ولا مرة واحدة ولم يدخل عليه أحد لم يألّفه اللهم إلا لجنة التثمين يوم جاءت لتثمين بيته الذي قررت البلدية

استملاكه وإعطاءه قسيمة مساحتها ألف متر بقرب بيوتنا، والتي لم يشأ القدر أن يسكنها، فقد توفي قبل إتمام بنائها.

فضل هذه العزلة على الحياة التي اعتادها الناس، لأنه يبغض ويمقت أكثر ما تعارف عليه الناس وما اتفقوا عليه من العادات التي أصبحت بمثابة دين يعتبرون الخروج عليها من الأمور التي لا يمكن السكوت عنها، فهم يريدون أن يأكل كما يشتهون، وأن يلبس كما يهون، وأن يتكلم بما يشاؤون، وهو يريد أن يأكل ما أحب، وأن يلبس ما يهوى، وأن يتكلم بما يشاء، فلزم البيت.

والشاعر المترجم له لم يدخل مدرسة ولم يحمل شهادة، ولم يتلق معلوماته من منظمة كما يتلقاها الناشئون في المدارس والجامعات اليوم، بل كل ما هنالك أنه عكف على المطالعة مع حفظ الشيء الكثير من شعر فحول الشعراء، سواء المتقدمون منهم والمتأخرون، وقد يستغرب القارئ إذا قلت له - وذلك دون مبالغة - إنه كان يحفظ ما يربو على ثلاثين ألف بيت من الشعر، فقد كان يحفظ ثلثي ديوان أبي تمام، وقسمًا من ديوان البحتري، وأكثر لزوميات المعري، ونصف ديوان المتنبي، وكل ما طبع لابن الرومي، وكان يفضل على جميع الشعراء باستثناء المعري الذي يرى أن له نهجًا خاصًا بشعره حيث يجنح فيه إلى الفلسفة، هذا عدا ما كان يحفظه لشعراء الجاهلية والعصر الأموي والعصر العباسي والشعراء المعاصرين أمثال شوقي، والزهاوي الذي كان يحبه، والرصافي، وحافظ إبراهيم، وإسماعيل صبري.

وكان حريصًا على تتبع ما ينتجه المؤلفون في هذا العصر، من كتب في الأدب أو في الفلسفة أو في الاجتماع أو في العلوم الأخرى، لكنه لم يكن يميل إلى قراءة المسرحيات.

أفاده حفظه لهذه الكمية من الشعر علمًا باللغة العربية وأسرارها، فلا أذكر أنني سألته في يوم من الأيام عن معنى لفظة من ألفاظ اللغة العربية إلا وجدت الشاهد على شفثته سواء أكان ذلك الشاهد نظمًا أم نثرًا.

كانت حافظته قوية جداً، ويعرف ذلك عنه كل من قرأ له، فلا تكاد تقرأ له عشرين بيتاً من الشعر فيتابعك في ترديدها بيتاً بيتاً حتي يعيد إليك أوائل الأبيات التي سمعها وردّها، ثم تتركه فتجده بعد مدة وجيزة يعيد قراءتها عليك كما سمعها منك.

وهو بعد ذلك حريصٌ أشد الحرص على إبقاء ما يحفظه في ذاكرته، ولذلك خصص له وقتاً لقراءة محفوظاته وترديدها والتفكير في حل عويصها.

إن هذا الشاعر مجهول من قراء الأدب العربي خارج الكويت، وذلك لميل الشاعر نفسه إلى الخمول، ولأنه يهتم بما يقال لا بما يقول، وإلا فلديه من القدرة ما يجعل شعره على كل لسان.

فهناك شعراء تهالكوا على الشهرة فملؤوا الصحف والمجلات من شعرهم الغث، الذي لو تُركت الورقة التي دوّن عليها بيضاء لكان خيراً من تسويدها بشعره، ولذلك فقد أصبحت لهم أسماء معروفة لدى أكثر القراء، لكنها شهرة مؤقتة تزول بزوال الشاعر من هذه الدنيا التي ملأها صراحاً وعويلاً «فأما الزيد فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس قيمكت في الأرض». ولم يكن شاعرنا من هذا الفريق، ولا نود نحن أن يكون من هذا الفريق، وإن كنا لا نوافق على إثارة هذا الخمول الذي اختاره لنفسه طائعاً، وإن كان يدعي أن هناك ما يببر ذلك.

شعره:

ليس هناك داعٍ لتحليل شعره، وعرض نماذج مختارة منه في هذه المقدمة، ما دام الديوان بين يدي القارئ، غير أن الشيء الذي أود أن أقوله هو أن شعره ينقسم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى ما نظمه في صباه وفي بدء تمرّسه على النظم، ولا بد أن يشوب شعره في هذه المرحلة شيء من الضعف، ككل شاعر في بدء محاولته للنظم، وإجادة بناء القصيدة دريةً وتمرسٌ وإلمامٌ واسعٌ بعلم اللغة، لهذا فإن شاعرنا لا يعتدّ بما نظمه في صباه وقد أثلّف أكثره.

أما شعره الذي يعتد به فهو ما نظمه في المرحلة الثانية من حياته، وما نشرته له المجلات العراقية، كالسجل، ومجلة اليقين التي كان يصدرها محمد الهاشمي ببغداد،

ومجلة المرأة الجديدة التي كانت تصدر في بيروت، ومجلة الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، وغير ذلك من المجلات والجرائد، والشاعر نفسه يعترف بذلك في كتاب أرسله إلى الأستاذ الأخ فاضل خلف يقول فيه:

عزيزي، إن ما نشر لي في تاريخ الكويت، وما نظمته قبل ضعيف، لأنني نظمته صغيراً، أما ما نشر لي بعد تاريخ الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، وفي مجلة الكويت الغراء التي لا يكاد يخلو منها شيء من أشعار أخيك أو نشر في غيرها فكله مما لا بأس فيه.

وأنت حين تقرأ ديوانه تجد فيه ثورةً جامحةً على الذين وقفوا في سبيل الإصلاح، وحرّموا التعليم، وأثاروا الفتن بين طبقات الشعب باسم الدين، وجعلوا من أنفسهم بوابةً بين الله وبين الناس، فلا تصل إلى رضاه وطاعته إلا عن طريقهم ورضاهم، فأنت من أهل الخير ومن المبشرين بالجنة إذا رضوا عنك، وأنت عكس ذلك إذا هم غضبوا عليك، كل ذلك من أجل أن يتسنى لهم ما يتوقون إليه من الكسب الحرام.

وإليك أيها القارئ نموذجين من هذه الثورة: من قصيدة:

كلما زارنا مَعْمُ سَوْع
رَدُّ منظومٍ شَمَلنا منثورا
وثنانا إلى شقاء مبيدٍ
باسم دين الإله مـيناً وزورا
ليسوق الشقاق منا إليه
ما رجاه من رقدنا موفورا
مستعمياً بالجهل منا على ما
نحن نلقى عقباه شرّاً كبيراً

في ذكرى المولد:

رفع الله مجد بيت الضاد
ونويها منه بخير عماد

فعلية مع الصلاة سلاماً
فيه يُمليهما جميلُ اعتقادي
سيد الرسل كلما رمتُ مدحاً
لك أرجو به صلاح معادي
صفتني يدا قصوري عنه
فأنا عنه منهما في صِفاد

ومنها:

فإذا ما أذنت لي بالتشكي
من همومٍ عليّ ذات احتشاد
فشكاتي إليك من كلِّ مُغو
ومضلاً باغي المقالة عاد
قد أضلّوا باسم الديانة ممن
جـهلوا كل رائجٍ أو غاد
كم أماتوا لكي يعيشوا نفوساً
لم تزل بعد حية الأجساد
فادع يا خير منقذينا عليهم
بزوالٍ يعمُّهم ونفاد

أخلاقه وطباعه:

كان عاطفياً حاد الشعور رقيق الحساسية، يتأثر لأقل شيء، وكان ينفّر أشدّ النفور من أن يبقى في ذمته حق لأحد، حتى أننا كنا نقع في مشكلة عندما كان يوصينا بشراء حاجة له، مثل كيس أرز أو غير ذلك من الحاجات الثقيلة الوزن، فأول ما يسأل عن أجرة الحمال، فإذا قلت له تم الاتفاق بيني وبينه على مبلغ كذا أوقف الحمال، ثم ذهب الى الحاجة يحاول رفعها عن الأرض، فيرجع ويقول إن الحمال مغبون، ضاعف له الأجر، فإذا ضاعفت للحمال الأجر استدعى الحمال وأخذ يسأله، هل يحس بالألم في الصدر بعد

حملها، فإذا أجابه بأنه لا يحس بشيء أبداً التفت إلى من أتى بالحاجة إليه وقال: زده ضعفاً، فإذا ذهب الحمال بعد ذلك أخذ يوسوس: هل يا ترى لم يصب الحمال بأذى من جراء هذا الحمل الثقيل؟ وهكذا في كل مرة، وقد يسألك في اليوم الثاني: هل رأيت الحمال؟ وهل هو معافى؟ وهل تعرفه؟

وكان يحرص على جميع النقود المشكوك في سلامتها، والتي تصل إلى يديه، فإذا اجتمعت لديه كمية من هذه النقود ألقاها في البئر خوفاً من أن تصل هذه النقود إلى يدي أرملة أو بائس عن طريق أصحاب البقالات أو الباعة الآخرين، فيصبح كما يقول هو المسؤول عن ذلك، أما كيف يتحقق من وجود مثل هذه النقود لديه فإنه يعرض كل ما لديه على من اعتادوا زيارته، ويطلب منه فرز المطموس والمشكوك فيه من بين نقوده، ثم لا يكتفي بذلك فيعرض السليم على زائر آخر، ويقول له إن من بين هذه النقود نقوداً غير سليمة، أرجوك إبرازها، وفي العادة لا يجد الزائر بها نقوداً غير سليمة، لأنها منتقاة، عند ذلك يطمئن.

وكان إيمانه بالله وخوفه منه منقطع النظير، فلا يلقي ورقة على الأرض وفيها كتابة، خوفاً من أن يكون اسم الله من بينها، ولا يجروء أن يمزقها، ولهذا فهو يحتفظ بمثل هذه الأوراق في صندوق خاص، وعلى طول صحبتي له لم أسمع له أقسم بالله، حتى إنه ليتحاشى الكلام بالقرب من دورة المياه مخافة أن ينطق باسمه عز وجل سهواً، وينقطع عن الكلام، ويمنع المتكلم عند سماع المؤذن حتى ينتهي من الأذان، وله في هذا الموضوع غرائب يطول شرحها.

وكان رحمه الله لا يطيق الحر، وينسب إليه جميع ما يصيبه من مرض، أما البرد فإنه لا يهتم له كثيراً، ولا يتوقع أن يصيبه من جرائه أثر.

لم يعرض نفسه طول حياته على طبيب مهما يُصَب بمرض، وهو يعالج نفسه بنفسه، ولا يستعمل في العلاج نوعاً من الأدوية المعروفة، وربما يغير نوع غذائه بنوع آخر، ويزعم أن الأخير بارد أو أنه حار، أو أنه مرطب وأنه مناسب لإزالة ما به من مرض، وهو ينفر من

الأدوية الحديثة، كالحبوب والكبسولات، والإسبرين وغير ذلك من هذه الأنواع، ولم يتناول منها شيئاً طول الفترة التي صحبته فيها.

ومن الغريب أنني عندما أشكو من حمى يلح عليّ بمراجعة الطبيب، وأذكر أنني قلت له في أحد الأيام: وأنت لماذا لم تذهب إلى الطبيب الذي تنصحنى بالذهاب إليه؟ فقال: إنني أعرف بأمراضي وبطبيعتي من الطبيب.

كان يدخن، ثم ترك التدخين قبل وفاته بخمسة وعشرين عاماً، وأذكر أنه يوم كان يدخن كان في أثناء تدخينه السيجارة لا يتكلم أبداً، وكان ينبه عليّ أن لا أكلمه حتى ينتهي من التدخين، وكان يدخن السيجارة بكل سرعة حتى ينتهي منها في أقصر مدة.

وهو يقوم بطبخ غذائه بنفسه وذلك بعد أن يعد له الخادم كل شيء، كغسيل الأواني وغير ذلك، ثم يذهب الخادم فيقوم هو بالطبخ، ويستعمل الطباخ الكهربائي، ويعتمد على معرفة نضج الطعام الذي يطبخه بواسطة رائحته، ولا يأكل إلا وجبة واحدة في اليوم والليله وذلك بعد العشاء.

أما في باقي يومه فإنه يتناول الشاي فقط، ويصنعه بنفسه ويعتبر الغذاء إبقاء على الحياة فقط، وليس للتلذذ، ومن المستحيل في آخر أيامه أن يأكل وجبة جلبت من الخارج، زاعماً أنها لا تخلو من الأفاويه الحارة التي تضر بصحته أو غير ذلك مما يرى أنه لا يناسبه.

بيته وأثاثه:

يحتوي بيته على ثلاث غرف في الدور الأول، وغرفة واحدة في الدور الثاني يحيط بها سطح الغرف الأخرى.

فإحدى الغرف في الدور الأرضي معدة للجلوس، وليس فيها غير أريكة واحدة تسع ثلاثة أشخاص، يجلس عليها من يطالع له أو من يكتب له قصائده، وهم إما أنا، أو سالم محمد البشر الرومي، أو سلمان أحمد الرومي، أو علي حسين المجرن، والجهة الثانية من هذه الغرفة معدة لجلوسه، وهو يجلس على الأرض وليس تحته غير حصير.

والغرفة الثانية في الدور الأرضي معدة للطبخ وللأكل، فإذا أراد أن يأكل جلس القرفصاء على كرسي، ووضع إناء الأكل أمامه على نفس الكرسي، وأنهى وجبته بكل سرعة، والوجبة دائماً من الأرز وأحياناً يضيف السمك إليه، أما اللحم فلم يأكله في سني حياته الأخيرة.

والغرفة الثالثة في الطابق الأرضي مهجورة منذ أكثر من عشرين عاماً، لم يدخلها ولا مرة واحدة، وليس فيها شيء يحتاج إليه.

والغرفة التي في الدور الثاني ومساحتها أربعة أمتار في ثلاثة أمتار يستعملها للنوم، ولا يستعمل نوعاً من أنواع المراتب (الدوشق) وإنما ينام فوق الحصير المصنوع من خوص النخيل، وفي فصل الصيف يضع هذا الحصير على سرير من الحديد، ومن النوع الرخيص، موضوع في السطح بجانب الغرفة وينام عليه.

الأصوات والغناء:

تؤذيه الأصوات حتى أنه لا يستطيع مواصلة حديثه إذا كان في الشارع أحد الباعة يرفع صوته للإعلان عن بضاعته أو كان في الشارع أطفال يلعبون ويحدثون ضجة ولو يسيرة، وهو لا يستطيع مواصلة حديثه أيضاً ما دام الراديو مفتوحاً حتى لو كان صوته منخفضاً جداً.

أما الغناء فإنه لا يسمع إلا الغناء العراقي، وهو مفتون به، وله قصيدة في هذا الصدد، أما الغناء غير العراقي فهو لا يسمعه بتاتاً، فإذا فتح الراديو على غير الإذاعة العراقية فإنه يبحث عن حديث أدبي أو أخبار فقط.

زواجه:

تزوج في حياته ثلاث مرات، ولم يفلح في الحصول على زوجة تلائمها، وأطول مدة بقيت فيها زوجة في ذمته لم تتجاوز ثلاثة أشهر، ثم يتطرق إليه السأم من وجودها بجانبه فيطلقها، ويعزو أسباب الطلاق إلى مضايقتها له في كثير من الأحيان.

صلاته بأصدقائه:

له أصدقاء، ولكنهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد، هؤلاء الأصدقاء وهب لهم كل قلبه، فلا يكاد يغيب أحدهم عنه في سفر أو يتأخر عن عادته في زيارته إلا بعث إليه برسالة أو أبيات يستفسر فيها عن صحته إن كان غائباً، أو عن سبب تأخره إن كان حاضراً.

فمن هؤلاء عبداللطيف إبراهيم النصف، وكان يزوره بعد العشاء من كل يوم، فتغيب أربعة أيام على التوالي، فأرسل له أبياتاً أذكر منها:

مغيبك عنا في الليالي يسوؤنا
لأنك يا عبداللطيف بها بدر
يجوب ظلامهم عنا طلوعه
فأشرق علينا في الدجى ولك الشكر
ولا تعتذر إما تأخرت ليلة
فليس يرى عندي مكاناً له العذر

فأجابه عبداللطيف بهذه المقطوعة:

لقد هيج الأشجان شعرك يا صقر
وزدت همومي بالعتاب وهمم كثر
فأقسم ما همت بما قد ظننت بي
من الهجر نفسي والحفيضة والصدر
لئن بُعد الجثمان فالقلب لم يزل
لديك أسيراً حبذا ذلك الأسر
فديتك من خل صفا صدق وده
على حين قل الصدق أو كثر الخثر
وشبهتني بالبدر لطفاً وإنني
كذاك وأنت الشمس من نورها البدر

وانت لوردي إن أمضني الظما
نمير زكا عن أن يمازجه مُرُ
وانت لروحي إن تمادى ظلامها
سراج أضاعته خلائقه الغُرُ
وانت أخي حقاً وصارمي الذي
أذود به عني إذا نابني أمـر
لعمرك إن الشعر حين تصوغه
يدب بأعضائي كما دبت الخمر

ومنهم المرحوم خالد الفرج، وقد انقطعت رسائله عن شاعرنا يوم كان المرحوم خالد الفرج في البحرين، فأملى عليّ الشاعر أبياتاً لم يشأ القدر أن أسجلها آنذاك، فأجابه المرحوم خالد الفرج بقصيدة غراء نشرت بتاريخ الكويت، ومطلعها:

مَعْرِي الكويت وبشارها
هززت من النفس أوتارها
والمستها من دقيق الخيا
لِ ما كان يُعجز أفكارها
بآيات سحر هتكن القلوب
أزحن عن النفس أستارها
ولو كان (رَبْتِجِنُ) من قبل ذا
ك رأى هذه الروح لاخترارها
هي السهل للسامع المستصيح
ولكن من الصعب إحصارها^(١)
هي الشمس تسطع فوق الجبا
ل وترمي إلى القوس أنوارها

(١) هكذا وردت في ديوانه، وهو ما يسمى في العروض: الإقواء.

ومنها:

أتاني شعرك مثل الحياة
فجدد للنفس تذكاراتها
وما كنت سأل ولكنما
ألقت الخطوب وأكسدارها

الخ...

ومن أطرف ما حدث بينه وبين المرحوم خالد الفرج يوم كان الأخير في القطيف، وقد اقتنى له هناك أرضاً زراعية، وحدث خلاف على حدودها بينه وبين جاره الذي رفع دعوى ضده لدى قاضي المنطقة، فخسر الجار الدعوى، فراح يطعن في الحكم، متهماً القاضي بالتحيز في حكمه لخالد الفرج، فذهب هذا الخصم إلى الرياض ليشكو القاضي عند المرحوم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود، فدخل على الملك، وكانت القاعة التي يجلس فيها الملك مكتظة بالزائرين من جميع أطراف الجزيرة العربية، فوقف يشرح قضيته أمام الملك، ويتهم القاضي بالتحيز، فرأى الملك أن يتخلص منه بطريقة مناسبة فقال له: «وصلتنا برقية قبل ساعة تفيد أن خالد الفرج مات، رحمه الله، وترك أطفالاً بدون معيل فمن الدين والرحمة في هذه الحالة أن تتنازل عن دعواك» سمع الحاضرون من الملك ما قاله، وانفض المجلس، وفي اليوم الثاني وصل الكويت بعض من حضر ذلك المجلس، فأشاعوا وفاة خالد الفرج، وعلم الخبر صديقه، فرثاه بقصيدة غراء.

ومرت الأيام وإذا خالد الفرج يصل الكويت، والتقيتُ به في السوق صدفه وأخبرته بمرثيته، واتفقت معه على زيارة شاعرنا في بيته قبل أن يعلم، وفعلاً دخلنا عليه، فإذا به يبته ويتلثم في كلامه، ويقص خالد الفرج على الشاعر سبب إشاعة وفاته.

وفي اليوم الثاني أملى عليّ هذه القصيدة:

يا خالد الفضل في أشعاره العُزْرِ
رغم الأوتاي من الأحداث والغير
وباقِي الذُّكُورَةِ المثلَى بكلِّ فمٍ
إذا التَّقادم أبلَى جِدَّةَ الذُّكُورِ

لما سمعت بمنعك الذي كَرَبْتُ
تأتي مرارته مني على العمُر
طفقت بين زفيرٍ لا تنههه
قوى اصطباري ودمعٍ غير منزجر
أصوغ فيك رثاء كل ضامنةٍ
إشجاء أفئدة الأفراد والرؤمر

ومنها:

وقد لقيتك حياً والحياة لما
قد صغفته فيك موتٌ غيرٌ منتظر
ففرحتي منك بالمحيا يساورها
حزني لموت اللواتي أنجبت فِكْرِي

ومنها:

مصيبة طاردها نعمة عظمتُ
ونعمة لو نجت من صولة الكدر
وليس يمكن في العيش اشتراككما
فهل تخلي لشعري ظلمة الحُقر
والرأي عندك فاختر ما يلائمني
وإن تبرقع وجه الحزم فاستشر

ومن أعز أصدقائه أحمد المشاري، وكان في بمباي، وذلك عام ١٣٣٩هـ فأرسل إليه
شاعرنا قصيدة في بمباي يعاتبه فيها، ويشكو جفاه، فأجابه أحمد المشاري:

سلام كوصل الحب للواله الصبِّ
وإلا كرشف من لمي ثغره العذب
تحية مشتاق إلى خير صاحب
خلائقه تذكو على المندل الرطب
أيا صقر أشجيت الفؤاد وزدت في
تباريح شوقٍ أنكت النار في قلبي

فما أنا من يجفو على البعد خله
ويومقه إن كان منه على قرب

الخ....

صلاته بالخارج:

كانت له صلة بالسيد الأستاذ محمد الهاشمي محرر مجلة اليقين التي كانت تصدر ببغداد، وكان يرأسه، وقد نشر عدداً من قصائده بمجلته اليقين.

وكانت له صلة بالأستاذ أحمد حامد الصراف، وقد اتصل بالشاعر يوم زار الكويت.

وكانت له صلة بالشاعر العراقي عبدالرحمن البناء، وقد زار الشاعر في بيته عند قدومه إلى الكويت، وأذكر أن الشاعر حياه ببيتين هما:

تفضّل بناءً القوافي بزورق

عليّ فلن أنسى عليها له الشكرا

أثاني وصدري من سروري مقفراً

وعاد ومنه الأنس قد ملأ الصدر

فأجابه الشاعر عبدالرحمن البناء:

نعم زرتُ صقر الشعر يوماً بداره

فالفيتُ منه الشعر طال على الشّعري

فزاد سروري عند لقياس سروره

فطرنا وأثى لي بأن الحق الصقرا

ومن أصدقائه المرحوم طه الفياض العاني محرر جريدة السجل، التي كان شاعرنا ينشر بها أكثر قصائده.

وفاته:

في السنوات السبع الأخيرة من حياته ملأ الدنيا، وسئم تكاليف الحياة، وأصبح وجوده عبئاً عليه لا يطيق حمله، وكان فصل الصيف من كل سنة من السنوات السبع

يخيفه أشد الخوف - هذا مع وجود مكيف في غرفته - وكان ينبه على من اعتادوا زيارته أن ينقطعوا عن زيارته في الأشهر الثلاثة التي تبتدئ بشهر يوليو إلا عند الضرورة القصوى، فإذا مرت هذه الأشهر الثلاثة تنفس الصعداء، ومن الغريب أنه حتى لو ارتفعت درجة الحرارة بعد هذه الأشهر الثلاثة فإنها لا تهمة.

وفي مطلع عام ١٩٦٣م وما تلاه من أشهر لاحظت أن الهزال باد عليه فنبهته إلى ذلك، غير أنه قال: إن مصدر ذلك الشيخوخة.

وكان يتلهم على الموت ويتمناه، ويردد دائماً قول المعري:

موت يسير معه رحمة

خير من اليسر وطول البقاء

وهو لا يرى أن في الحياة متعة من المتع، ويتطلع إلى ما ورائها، ويستعجل الرحيل عنها، ومن قوله في هذا الصدد من قصيدة:

يا قدرة سجننت بجسمي روحه

ضاق الخناق على السجين المضطهد

إن لم تفكي الروح من جنمائه

فتداركي منزور صبري بالمدد

أرجوك لا أرجو سواك فأنعمي

عجلى علي بما ترين من الرشيد

ثقل الحياة ضعفت عن حملي له

ضعفًا به لي الشيب أعدل من شهد

مات ولكن كيف مات؟

حاولت زيارته بتاريخ ١٤/٧/١٩٦٣ فقرعت عليه الباب فلم يجبني، فعزوت عدم إجابته لي أنني بالأشهر الممنوع زيارته فيها، وفي مساء ٢٤/٧/١٩٦٣ تقرر سفري إلى اليمن، فذهبت صباح ذلك اليوم إلى بيته لوداعه، غير أنه لم يجبني عندما قرعت بابه، وفي المساء سافرت إلى القاهرة ومنها إلى صنعاء عن طريق عدن، وعدت من اليمن إلى القاهرة

يوم الأحد ١٨/٨/١٩٦٣ وذهبت فوراً إلى سفارة الكويت، فإذا بالمعزين يستقبلونني بالتعزية بوفاته، وكان أول من تلقاني المرحوم سعود الزيد، ولا تسل عما أصابني من الدهول حتى أنني لم أستطع النوم ثلاث ليال حزناً عليه.

أما كيف مات فإنه مرض خمسة أيام، ولم يستعن بطبيب، وفي اليوم السابق لوفاته طلب من الخادم أن يستدعيني، ولما علم أنني غير موجود في الكويت سكت، ولما طلب منه الخادم أن يستدعي له أحداً من الإخوان أو الأصدقاء قال ليس هناك من داع لذلك، ولم يكن الخادم معه في البيت، بل كان يمر عليه ساعة واحدة في اليوم، ولما أراد الخادم أن يخرج من عنده، وذلك صباح يوم الثلاثاء ١٩٦٣/٨/٦ طلب منه أن يضع بقربه إناء الماء، وكان على سريره، وأوصاه وشدد عليه في أن لا يخبر أحداً بمرضه، وأن يقفل عليه باب البيت ويأخذ المفتاح معه، فخرج الخادم من عنده، وفي صباح يوم الأربعاء ١٩٦٣/٨/٧ فتح الخادم الباب، ودخل عليه فوجده على الأرض نائماً على ظهره، وإحدى رجليه مثنية إلى أعلى، وقد فارق الحياة، وفي الحال أخبر الإخوان، فشيعت جنازته من قبل أهل المحلة، ولم يتجاوز عدد مشيعيه العشرين، وهكذا انتهت حياة الشاعر.

فرحمك الله يا صقر، فقد قنعت بما تيسر لك من شظف العيش في دنيا تعج بالترف، والرفاهية، خادمك يداك، ومطيتك رجلاك، تركت لهم النعيم والنعم، والراحة في شقاء الخدم، جمعوا باسم الدين الدنانير، وأكلوا باسم الحق حق البائس الفقير، سرقوا وطالبوا بقطع يد السارق، وشتموا باسم الدين من ليس بالسارق، فلا غيرهم سرق، ولا غيرهم فجر ومرق.

اعتمدت على الله باري النسم لا على إنسان، وكفروا بالله واعتمدوا على الشيطان، جعلوا من الله جلته قدرته غافلاً لا يفقه ما يصنعون، فأكبرت الله عما يدعون، فأنت المؤمن وهم الكافرون، لك من نفسك عالم، ومن انفرادك دنيا، ومن عزلتك دين، ولهم في عالمهم وحشة، ومن اجتماعهم موت، ومن ضجيجهم كفر.

فأنت الناطق وهم الخرس، وأنت العاقل وهم المجانين، وأنت المحق وهم المبطلون، سماؤهم الأرض وأرضك السماء، وأموالهم الفقر، وفقرك الثراء، سموت وانحطوا، واهتديت وشطوا، لم تأبه بمن تركتهم فلم يتركوك.

الكويت ٢٣/٣/١٩٦٨

الفرع الثاني

كتبه: الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الشعر والشاعر

هذا خيال امرئ قد شب ما اشتملت
على المسرة حتى شاب أضلُّهُ
ما إن تناول من أماله سبباً
إلا رأى مديدة الأيام تقطُّهُ
وأي صادٍ من الأحرار ما وقفت
دنياه عن كل ما يُرويه تدفُّهُ

هذه أبيات قالها صقر الشبيب حين قيل له هذه صورتك فماذا يمكنك أن تكتب تحتها من شعر، ولقد اختزل كل ما مر به من معاناة في حياته لكي يصوغه في هذه الأبيات الثلاثة. فهي تدل على أن حياته كلها لم تشتمل على المسرة في يوم من الأيام، وأنه كلما أحس بقرب تحقيق أمل من أماله قطعت مديدة الأيام هذا الأمل، وهو يرى أن شأنه هو شأن الأحرار الذين تمنع عنهم ديناهم كل ما يرويهم ويبل عطشهم.

وهو شاعر غزير الشعر، تطرق في نظمه إلى أغراض عدة، وبدت في كل قصيدة من قصائده ملامح تدل عليه، أولها أسلوبه الجزل، وثانيها شكواه المستمرة لما يلاقى من بؤس في حياته، إضافة إلى ضيقه بما حل به حين كف بصره فانقطع عن الناس. وقد تكالبت عليه الأمور السيئة حتى أدخلته إلى داره، فظل فيها حبيساً لا يرى أحداً ولا يراه أحد إلا أقرب الناس إلى قلبه وهم لا يزيدون على ثلاثة بمن فيهم الخادم وأولهم أحمد البشر الرومي الذي رعاه طيلة فترة محبسه.

وكان قبل هذه الفترة متصلاً بالناس له علاقات طيبة مع عدد من الأدباء والشعراء في الكويت وما جاورها، منهم الشيخ عبدالعزيز الرشيد صاحب كتاب تاريخ الكويت، وكان هذا الرجل مهتماً جداً بشاعر الكويت، يسعى إلى نشر شعره في كل مكان،

وبخاصة في مجلته (الكويت) وفي كتابه (تاريخ الكويت). وقد دلت على العلاقة بين الرجلين دعوة الشاعر للشيخ الرشيد لتناول الشاي في بيته، وتقديم قصيدة له بهذه المناسبة مطلعها:

أقدم لابن أحمد كأس شاي
وودّي أن أممّد له خُوانا
يضم من الماكل كل صنّف
به الطاهي قد افتنّ افتنانا

ومنها:

فأهلاً يا ابن أحمد ثم أهلاً
وسهلاً يا عزّ أخ غشانا

ومن ذوي العلاقة بالشاعر الأستاذ عبدالمك الصالح وهو رجل عالم أديب محبوب من الناس لما يتميز به من أخلاق عالية. وكانت له صلة متينة بصقر الشبيب حتى كانت له زيارة أسبوعية كل يوم خميس، وكان المرحوم صالح عبدالمك الصالح يذهب مع أبيه إلى هذه الزيارة في موعدها المقرر، وكان الشاعر في البداية هو الذي يذهب إلى منزل الأستاذ عبدالمك الصالح، ولكنه فيما بعد صار لا يستطيع الذهاب إلى صاحبه فأصبح الأستاذ هو الذي يأتيه في بيته مصطحباً ابنه.

ومما يدل على حسن العلاقة بينهما أن الأستاذ تأخر في أحد أيام الخميس عن زيارة صديقه، فكتب هذا إليه قصيدة طويلة خاطب في مطلعها يوم الخميس قائلاً:

يوم الخميس لبست ثوب خدوع
حتى حسبتك غرّة الأسبوع
ما زلت يكسوك التواصل بيننا
ثوب المسرة رائق التوشيع
إذ تلبس الأيام - غيرك - حلّة
من نسجها يدُ شملنا المصدوع

ومن الذين ارتبط بهم صقر الشبيب الشيخ عبدالله الخلف الدحيان الذي كان يقوم بتعليمه والعناية به، وللشاعر قصائد كثيرة في هذا الرجل في أغراض عدة، وله بكائيات نظمها بعد وفاة الشيخ تدل على محبته له، وعلى التقدير الذي يحمله في قلبه له. ومنهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وله فيه قصائد متنوعة.

ومن الشعراء فهد العسكر وخالد الفرج اللذان ذكرهما في شعره كما سوف نرى في هذه الأعمال الشعرية التي يضمها هذا الكتاب.

ومن علاقاته ذلك الرباط الودي الذي ارتبط به مع الزعيم التونسي الأستاذ عبدالعزيز الثعالبي، وهو عالم قدير ومجاهد مخلص لوطنه ولدينه. جاء إلى الكويت في شهر أغسطس لسنة ١٩٢٤م، وقد استقبل من الهيئات الشعبية استقبالاً باهراً، وأقيمت على شرفه احتفالات كثيرة أقيمت فيها الخطب والأشعار ترحيباً بمقدمه، وألقى هو عدداً من الأحاديث وحضر شيئاً من الأنشطة الثقافية التي أقيمت آنذاك.

وفي سنة لاحقة زار الثعالبي الكويت مرة أخرى وأقيمت له حفلة في مدرسة السعادة ألقى فيها الشاعر عبداللطيف إبراهيم النصف قصيدة كتبها صقر الشبيب، وفي مطلعها:

بالرغم مني كنت أمس مقصراً

في واجبي نحو الزعيم التونسي

وهي قصيدة طويلة اعتذر فيها له عن عدم مبادرته إليه في الزيارة الأولى، وقد أعجب الثعالبي بشاعر الكويت وزاره في منزله. كما أعجب الشبيب بتواضع الزعيم التونسي وقال فيه قصيدة بهذه المناسبة مطلعها:

أكذا يكون تواضع الكبراء

وتلطّف العلماء بالشعراء

وقد تعانقا عند اللقاء، فهم الشاعر بتقبيل يد الزعيم لكنه لم يمكنه من ذلك، وهذا هو ما أشار إليه صقر الشبيب بقوله:

إني هممت بأن أقبل أنملاً

رُكّبت في يمني الزعيم التونسي

واستمرت العلاقة بين الرجلين حتى بعد أن سافر الثعالبي فكان يكتب لشاعر الكويت، وقد وردت في شعره قصيدة يرد بها على رسالة تضمنت تهنئة بعيد الفطر كان قد أرسل بها الزعيم التونسي من بلاده.



المحنا فيما سبق إلى بعض دواعي اعتزال صقر الشيبب للناس، وإقامته الدائمة في منزله لا يبرحه حتى شبَّهه البعض بالمعريِّ رهين المحبسين، ولكن ما ذكرناه يحتاج إلى مزيد من الإيضاح لأن المشكلات تكالبت على هذا الرجل حتى أُلجأته إلى الموضوع الذي وضع نفسه فيه ومن ذلك:

١ - الفقر، ومن المعروف أن هذا الشاعر الكبير الذي أطلق عليه المعجبون بشعره لقب شاعر الكويت، لم يكن له مورد يقات منه. وقد حاول مراراً الحصول على عمل يناسبه فلم يتمكن من ذلك إلا بشق النفس ولفترة محدودة، ولذلك كتب إلى أعضاء مجلس دائرة معارف الكويت قصيدة يطلب بها زيادة المرتب الذي حدد له وهو ٥٠ روبية شهرياً، وكانت قصيدته هذه تحت عنوان: «حق شيخوختي على وطني» ومطلعها:

لا يدفع الجوع والعري اللذين هما
شرُّ النوائب إيلاًماً وإيجاعاً
خمسون في الشهر عن مثلي فهل لكم
في رد هذين إليّ إلباساً وإشباعاً

ومنها:

قد كان فيما مضى الخمسون ترضعني
درأً به مُسكة الحوباء إرضاعاً
ومن غلا القوت والملبوس لم أر لي
فيها لما يمك الحوباء إقناعاً

وعندما رد على تهنئة الثعالبي بالعيد قال:

أزعيم تونس والكويت فسيحة
قد ضاق بي منها الفسيح الأرحب

إن يُردني بؤسي فلوموا موطني
بَعدي على تفريطه بي واعتَبوا
حاولت إدراك الوظيفة جاهداً
بالقوت من قومي فعز المطلب

٢ - العمى، وصقر الشبيب شديد الإحساس بهذه العاهة التي ألت به وهو ابن التاسعة، وإحساسه بهذا الوضع نجده بارزاً في شعره، وهو يرى أن هذه العاهة هي التي حرمته من العمل.

في قصيدة له بعنوان «من أعمى إلى عميان» تخيل أن العميان يتساءلون، وأنه يرد على تساؤلهم وهذا مطلعها:

الأعمى بمحييا سرور
وهل يا صقر فيه له حبور
فقلت لهم عمى العميان أسر
وهل في الأسر يبتهج الأسير

ثم يستنهض همم العميان قائلاً:

عليكم معشر العميان ألا
يمسككم عن العلياً فتور
فقد يبني ضرير القوم مجداً
يقصّر أن يفوز به البصير

وهذه القصيدة من القصائد التي تدل على سعة اطلاع هذا الشاعر وفيها حث على إدراك العلوم لما فيها من تمهيد السبل إلى رقي الأمم وسعادة الأفراد.

ثم يستطرد في وصف الحال إلى أن يقول إن العميان قد تخلفوا عن غيرهم بسبب بعدهم عن العلم، وإن هذا التخلف الذي يشعر به عند أمثاله يمزقه حزناً، وبخاصة وهو

يعلم أنهم قادرون على الوصول إلى العلياء، ويضرب المثل بعدد من العميان الذين بلغوا مراتب عالية في الآداب مثل هوميروس وطه حسين.

وفي قصيدته «في بيتي الراحة» إشارة إلى انزعاجه من أصواتٍ حول بيته، وعدم تمكنه من السير إذ لا يجد من يعتمد عليه، كما أن العصا لا تفيده في ذلك شيئاً. وهذا كله رمز منه لحالته مع العمى الذي أوصد أمامه الأبواب.



لقد كان هذان الأمران من أهم أسباب عزلته، وقد يظن البعض أنه كان يشقى بهذه العزلة، ولكن الواقع الذي يدل عليه شعره غير ذلك، فهو يقول موجهاً حديثه إلى أحد لائميته:

فإن تسعدُ بمجتمع البرايا
فإني بانفرادي قد سعدتُ

وعلى الرغم من بؤسه وحاجته، واعتقاده بأن الدنيا تناصبه العدا، ولا تتيح له شيئاً مما تتيحه لغيره فإنه كان شديد الاعتزاز بنفسه، وكان صريحاً في توجيه حديثه إلى الناس جريئاً في قول الحق، وقد اكتسب شيئاً من عدا بعض الناس لهذه الأسباب، ولكنه لا يبالي بذلك، بل هو يدعو المنون إلى زيارته بعد أن نبذ الناس وراء ظهره، وعبر عن ذلك بقوله:

أخاف إذا بقيت تذللُ نفسي
على طمعٍ لذي مالٍ كثير
فتمنحه مدائحها اللواتي
تعز على الفرزدق أو جرير
ولكني - كما سُميتُ - صقراً
وهل أبصرت ذلاً في الصقور

هذه هي عزة النفس التي أبعدته عن الكثيرين.

أسلوبه الشعري

لصقر الشيبب أسلوب متميز في شعره، حتى لتكاد تعرف قصيدته منذ بداية قراءتها، فشعره ذو صفات واضحة، له لغة خاصة يُعرف بها، وهي نتيجة دراسته التي واصل من خلالها التحصيل اللغوي والنحوي بخاصة، وكان قد أكب على الدراسة واغترف من عدة منابع، ومن أهمها ما حصل عليه من الشيخ عبدالله الخلف الدحيان الذي كان يهتم به كثيراً، وتعلم على يده النحو مبتدئاً بحفظ ألفية ابن مالك المشهورة بين النحاة، ثم دراسة شرحها لابن عقيل، وكان ينتهز الفرصة للتزود من علم من يزور الكويت من العلماء مما مكنه من فهم هذه المادة وحفظها.

وضمن مطالعاته اهتم بقراءة الشعر وحفظه، وقد مر بنا قول الأستاذ أحمد البشر الرومي عنه في هذا المجال حين قال: «وكان حريصاً على تتبع ما ينتجه المؤلفون في هذا العصر، من كتب في الأدب أو في الفلسفة أو في الاجتماع أو في العلوم الأخرى، لكنه لم يكن يميل إلى قراءة المسرحيات.

أفاده حفظه لهذه الكمية من الشعر علماً باللغة العربية وأسرارها، فلا أذكر أنني سألته في يوم من الأيام عن معنى لفظة من ألفاظ اللغة العربية إلا وجدت الشاهد على شفتيه سواء أكان ذلك الشاهد نظماً أم نثراً».

وكان محباً للغة الفصحى حريصاً عليها، وله في ذلك قصيدة طويلة جداً نظمها عندما زار المدرسة المباركية واستمع إلى أحد المدرسين وهو يلحن في أثناء إلقائه للدرس. وقد عبر صقر الشيبب عن حبه للغة بقوله:

يا أيها اللغة الجميلة إنني
مُغرى الفؤاد بحسبك الفتان

وقوله:

لقى جَنَانِي حُبَ غَيْرِكَ مَذْرَأَتِ
سِرِّ الْجَمَالِ لَدَيْكَ عَيْنُ جَنَانِي
مَا كَانَ مِنِّي الْقَلْبُ لَوْلَا خَوْفُهُ
مَنْ أَنْ تُسَائِي دَائِمَ الْخَفْقَانِ

وهذه الدراية باللغة والحب الشديد لها قد انطبعا في شعره إتقاناً وجودةً وجزالةً، وتمكنه من ناصية اللغة لا يخفى على قارئ شعره دون شك.



وكان يملأ قصائده بالغيرب من الألفاظ، ويستطيع القارئ أن يستخلص من هذه القصائد عدداً كبيراً من الألفاظ الغريبة التي يصعب الوصول إلى معناها إلا عن طريق المعاجم. ولا تكاد تمر بك قصيدة إلا وجاء فيها شيئٌ من ذلك. كاستعماله كلمة (السَّبُّ) للقماش الرقيق من الكتان، و(الشوب) للعسل، و(الانقباع) لإدخال الرأس في التراب، و(الهنايث) للمصائب، و(الروابث) للموانع، و(ماغث) بمعنى يخاصم، و(لحز) بمعنى شحيح، وهكذا.. وهو في شعره كثير الاستطراد، ويكفي الاطلاع على إحدى قصائده لكي يرى القارئ ما يلي:

يعتذر في قصيدته التي وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح عن عدم تمكنه من القيام بزيارة الشيخ كما تعود من قبل. وقد بدأ قصيدته بذكر ذلك، ثم بين السبب الذي دفعه إلى عدم القيام بالزيارة وقد استغرق ذلك ما يقرب من ثمانية أبيات ولكنه استطراد كثيرا - بعد ذلك - في وصف ما يحدث له في أثناء سيره، وما يتعرض له من مصاعب، وصعوبة الحصول على قائد يقوده إلى حيث يريد، لأن طبائع الناس مختلفة، وبعد أن أنهى ما يقرب من سبعين بيتاً على هذا المنوال عاد إلى حديثه إلى الشيخ قائلاً:

لهاتيكم الأسباب قلْتُ زيارتي

وإن كنتُ من شوقي إليكم على جمر

فلم يستغرق الاعتذار أكثر من سبعة عشر بيتاً بينما كان الاستطراد كبيراً، ولم يكن له داعٍ أبداً، بل إن المعاني نفسها مكررة في عدد من قصائده.

ومن الجمل المعترضة ما جاء في قوله:

سأبقى - مثل ما أتي قديماً

بجبل الصبر معتصم - حديثاً

وتكثر في أبيات شعره الجمل المعترضة، حتى لتؤثر على صياغته، وتجعل قارئه يعيد النظر مرات في تلك الأبيات رغبة في الوصول إلى ما يعنيه الشاعر فيها. وذلك مثل قوله:

فمن حربٍ تبرح - عن فنونٍ

من الإفناء بينهم - الخفاء

فصل بين قوله تبرح الخفاء بجملة طويلة معترضة وقوله:

قدومك سرنا حتى أقلنا

- به مما جنى قبل - الزمانا

يريد أقلنا الزمان ففصل بين الكلمتين بجملة معترضة، كما يكثر في أبياته التداخل مثل قوله:

كم قلت إن السيف ليس بغمده

بل إنما هو حده والمضرب

لكن إلى البابهم ما قلته

ما كان من أسماعهم يتسرب

يريد أن يقول إن الذي أقوله لهم يتسرب من أسماعهم دون أن يستفيدوا منه، إنما قصد توجيهه إلى قلوبهم.

كما يكثر من التقديم والتأخير مثل قوله:

وخص بالتحطيم أقلام الألى

عقولهم حب الصراحات سببا

ومما دخله الاختلاط من أبياته قوله:

بني يعرب من فاته أمس سلّه

حساماً به من قوته يُحسن الذبا

وهو من مطلع قصيدة له عن فلسطين، ومن غرائبه قوله للشيخ عبدالعزيز الرشيد:

فأصبحنا نقول وقد رأينا
جنى غرس المتاعب إذ سرّيتنا
لوائنا، ليــــتنا، لولا، وهاتا
نقول هوازناً هيهات هيتا

ومن ذلك قوله:

وكيف تخيّرنا نفرًا تُنافي
سياستهم لجنسهم البقاء
رجاء زيادة الأملاك حتى
لأشبهه سائسيه الكُل داء

فانظر الشطر الأخير من البيت الثاني وما فيه من صعوبة السبك.

وصقر الشبيب يعرف كل ذلك في شعره، ولذا فهو يأبى أن يقترح عليه أحد قصيدة في موضوع معيّن، وهو يرى أن الشعر ليس طوع يديه، على الرغم من أنه يجد سلوته الوحيدة في نظمه لما فيه من تعبير عن دخيلة نفسه، ثم هو يقول:

أرى الشعر نجوى النفس والنفس حُرّة
تخيّر ما تهوى من الوقت للنجوى
أناديه أحياناً فيأبى إجابتي
وما لي من مُغدرٍ عليه ولا عدوى

أغراض شعره

المطلع على ديوان صقر الشبيب يعرف مقدرته الشعرية من تنوع الأغراض التي تطرّق إليها في شعره ومن إسهابه في عدد كبير من قصائده حتى لنرى أنه يلم بموضوعات متعددة في القصيدة الواحدة.

وكان الناس يطلقون على شاعرنا صقر الشبيب لقب رهين المحبسين أسوة بالمعري. وذلك لأنه كان كفيفاً مثله، وكان في أواخر حياته قابلاً في بيته لا يتعداه. ولأنه كان ضليعاً في اللغة أكثرًا من شعر الحكمة. ولكنني حين قرأت قصيدة الشاعر محمد مهدي الجواهري عن أبي العلاء، وجدت صفة جديدة تصل صاحبنا بذلك الشاعر الكبير، ألا وهي الاهتمام بالحيوان، والحرص على رعايته، والنهي عن تعذيب الطيور، فالجواهري يقول من تلك القصيدة:

إن الذي ألهث الأفلاك مِقْوَةٌ

والدهر، لا رغبًا يرجو ولا رهبا

لم ينس أن تشمل الأنعامَ رحمته

ولا الطيور.. ولا أفراخها الرُّغبا

وفي مثل هذا يقول معري الكويت من قصيدة له طويلة تحت عنوان «انقذوا الحيوان من أذى الصبيان» يدعو أولياء الأمور إلى منع أبنائهم من إيذاء الطيور التي يقومون باصطيادها وقت الربيع وهو الوقت التي تتكاثر فيه، حيث تحط وهي في مهاجرها إلى الأماكن البعيدة لترتاح في الكويت، ولكنها تجد التعب بعد ذلك لترصد الأولاد لها:

كل طفل يكفه عصفور

من أذاها يكاد فيهما يبور

وفيهما يقول:

أيها الطفل أنت عندي على ما
سُمِّتَه الطيرَ من أذى معذور
ما لأمرٍ تمرُّ عقباه أو تحـ
لو لدى ذي طفولة تقدير
لست أنت الذي جنيت على الطير
ر ولكن جنى أبوك الكبير
أنت لولا وليُّ أمـرك لم تَقُ
رُبُّ إلى الطير من يديك سُـرور

وتطرَّق في قصيدة له من الطوال إلى الحديث عن عنزٍ أكلت بعض كتب أحد
أصدقائه، وقد كان في البداية شديدًا على العنز، ولكنه عاد بحكم طبعه إلى الاعتذار لها
والدفاع عنها إلى أن قال في آخر القصيدة:

فلا تهملوا حق البهائم واسلكوا
بهن سهول السُّبُل والمرتع الخصب

ولا حاجة هنا إلى عرض كافة الأغراض التي تناولها في شعره فهي واضحة في
الديوان ولكننا نشير إلى بعضها مما تنبغي الإشارة إليه لخروجه عن الأغراض التي اعتاد
الشعراء صياغة أشعارهم حولها، بل سنختار أمورًا مثل الذي قدمناه هنا عن لقبه. ومثل
الذي نشير إليه هنا:

كان صقر الشبيب محبا للخير، ولكنه يسير في تعبيره عنه وفي تقديمه للمحتاجين
على طريقته الخاصة، فهو لا يملك من المال ما يمكن أن يدفعه لمحتاج، ولكنه لا يتأخر عن
عمل يجد فيه مصلحة للناس:

لكم بالذي أخفيه وجهي ينطقُ
صريحًا ووجهي ما ترون فحدِّقوا

أجـيلوا به الأنظار بضع دقائق
لـكم يـنفتح من سـرِّ نـفسي مـُغلق
فـمن كان منكم في التفرُّس حازقًا
فـوجهي له عن طبع نفسي يصدق
فإن كان حب الخير في سـجـية
فـقولوا ليسلمَ ذا الضـريرُ وصـفـقوا
وإن كان حب الشـرف في غـريزة
فـصبّوا على وجهي الشتائم وابصقوا

ومن أعمال الخير حرصه على عدم إيذاء الحيوان، كما بيئنا قبل قليل، وقصيدته التي قدمها إلى بلدية الكويت شاكياً أصوات باعة الكيروسين الذين يمرّون بين البيوت فيزعجون الناس بنداءاتهم، وبأصوات أجراسهم، بينما يكون ذلك في وقت الظهيرة حين يهجع الناس في قيلولتهم، فيندُّ عنهم النوم بسبب هذا الإزعاج المتواتر.

ولما علم بالمخاطر التي تحدث بالناس بسبب تناولهم بعض أنواع من المعلبات تكون قد تلفت أو انتهت مدة صلاحيتها كتب قصيدة في هذا المعنى داعياً إلى الاهتمام بغذاء الناس، والحذر من المعلبات الفاسدة.

وعن الغلاء كتب قصيدته التي مطلعها:

غـلاءٌ أهـلك الفـقراء جـوعاً
وـغـرياً، أهـلك اللـة الغـلاء

وقد دعا إلى مراعاة المحتاجين، والحد من موجة الغلاء التي يبدو أنها كانت قد داهمت الناس في وقت إنشاده لهذه القصيدة.

هكذا نراه يقدم الخير للناس بحسب إمكانه ويسعى إلى التخفيف عن المحتاجين، ويدعو إلى إزالة كل ما يتسبب في الأذى للناس، وهذا كله من أعمال الخير المطلوبة.



يحبس قارئ شعر صقر الشبيب بمدى حرص هذا الشاعر على تقديم النصح لقومه، فهو ينصح بالاهتمام بطلب العلم، وينصح بالقناعة التي يراها هي الغنى الحقيقي، وهو - أيضاً - ينصح قومه بالحرص على التكاتف، وينصح أمتة العربية بالحرص على وحدة الصف وعلى دحر المعتدين، وينوه في شعره كثيراً بمأساة فلسطين وبثورة الجزائر وبأحداث مصر في سنة ١٩٥٦م بخاصة. وهكذا فهو لا يدع مجالاً فيه فائدة للأمة إلا طرقه منادياً حائماً مخبراً بشعوره الحقيقي تجاه ما يراه من أمور.

الشكوى

أمضى صقر الشبيب حياته شاكيًا متذمرًا لما مر به من مآسي منذ نشأ إلى أن انتهى به العمر. كان كثير الحديث في شعره عن فقدته لبصره، والإعلان عما يتحملة من أجل هذه العاهة التي ألمت به منذ صغره، وقد ذكر ذلك في قصيدة وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح يعتذر له فيها عن عدم تمكنه من زيارته، فيؤكد له أن عماه هو السبب في ذلك، وبين أنه عرضة للإصابة إذا خرج من بيته بمفرده:

ولو أنني أسطيعُ وحدي ازديارَهُ
لكنت إليه الدهرَ متصلَ السير
ولكنني ما سرت وحدي مرّةً
فعدت ولم تجرح جبيني يدُ الجُدُر
كان لجدران الكويت جميعها
عليّ تراتٌ غير منسيّة الذكر

وشكى فقره، وقلة موارده المالية التي لم تزد على خمسين ربية في الشهر، فقال:

لا يدفع الجوع والعريّ اللذين هُما
شرُّ النوائب إيلاًماً وإجاعاً
خمسون في الشهر عن مثلي فهل لكم
في ردّ هذين الباساً وإشباعاً

وهو من أجل ذلك يهاجم البخلاء من الأغنياء ويكثر في شعره من ذمهم، وينعى عليهم عدم اهتمامهم بالمحتاجين الذين يحس هو بحاجتهم أكثر من غيره لطول معاناته فرط الحاجة والفاقة.

سبحان مُغني الألى تأبى غرائزهم
أن يذخروا نفعَ ما أوتوه سبحانا
كأنما استودعوا أموالهم فغدوا
على الودائع حراسا وخزانا

ولا يكتفي بشكواه العامة، بل هو يبسط شكواه في القصائد التي يوجهها لزواره أو مراسليه من غير الكويتيين، ويتحدث عن الكويت وكأنه يتحدث عن وطن غير وطنه، وذلك بسبب معاناته وعدم وجود من ينتبه إليه، وحين زاره الأديب عبدالهادي الجواهري في بيته قدم له أبياتا جاء فيها:

إن الكويت أديبها في شقوةٍ
ممتدّةٍ ليست بذاتِ نَفادٍ

وفي قصيدة وجهها إلى حافظ وهبة يقول:

كأنني في الكويت على زواها
سكنتُ مفازةً حُفّتْ ببِيدٍ
ولو أنني حصلت على بلاغي
لما عملتُ بالشكوى قصيدي

أما قصيدته التي وجهها إلى الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي، فقد تحدث فيها عن نفسه وعن الكويت قائلاً:

أنى يرى وجوه المسرّة بارزاً
من لم يزل من أبأس البؤساء
يشكو طواه معلناً لكن إلى
أذنٍ - عن الشاكي الطوى - صماء
قلب الكويت من الشراسة مفعم
لكن على مثلي من الأدباء

وهكذا نراه لا يتوقف عن الشكوى في جميع الحالات إلى أن قال:

جهدتني صروفاً دهرى حتى
غير شكوى صروفه لا أجيدُ

بل بلغ به الأمر أن تمنى أن يغادر الكويت إلى بلد آخر لعله يجد فيه ما يزيل عنه
بعض ما يجد من بلاء، فها هو ذا يوجه قصيدة إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد وهو -
آنذاك - في البحرين، فيقول له فيها:

فليفتك إذ رحلت إلى «أوال»
جذبت إليك من صقر زمامة
فمُنِيَتْهُ الترحُّلُ عن بلادٍ
بها مَشَقَاةٌ لم يُغْمِدْ حُسَامَةَ

ومع كل ذلك فإننا نجد له العذر كله في كل ما قال لأنه كابد ما فيه الكفاية، لقد عانى
الفقر والإهمال، ولقي تهماً شديداً من كثيرين ناصبوه العداوة دون وجه حق، وما كان
أمامه إلا أن يعبر عن أحاسيسه بما أنشده من أشعار كانت كلها صورته صادقة لما كان
يتحملة من شقاء طوال حياته.

ومن أدلّ أشعاره على رغبته في مغادرة وطنه قوله:
لم يحلُ في قومي مقامي ساعةً
لو أنني أسطيع منهم هرباً
فإن أقمْتُ في الكويت مرغماً
مضطهداً من أهلها مكتئباً

وقوله:

فإن تضيق الكويت اليوم عني
وما ضاقت بأمثالي الديارُ
فكم بلد لقومي العُربِ فيه
سيحلو لي من السُّعة القرار

الهجوم عليه

تعرض الشاعر صقر الشبيب لما يتعرض له المتتورون عادةً، فأولئك الذين نشؤوا على طريق التعصب دون أن يحصلوا على قسط وافر من العلم تتفتح به أذهانهم، لا يمتنعون عن التهجم على كل من يظنون - مجرد ظن - أنه مخالف لما يرونه من آراء، وبخاصة فيما يتعلق بالدين. لقد فهم هذا الشخص أن صقر الشبيب قد اتخذ مبدأً لا يرى فيه أي فرق بين المسلم والكافر حين قال:

وخلّوا في الديانات افتراقاً

يؤول بكم إلى الحرب العوان

ومن ثم أفتى بمقاطعة الشاعر مقاطعة تامة، وكما يقول الشيخ: عبدالعزيز الرشيد «ثم تمالأ هو وأساقفة مثله على قتله، ولكن الشاعر وقد علم بما يببئ له حاول مغادرة الحي الذي كان مقيماً فيه».

وهذا نموذج من معاناة شاعرنا الذي لم يقل في هذا البيت غير النهي عن التفرق في الدين، والأمر بالتكاتف معه.

ومن هنا نمضي في حديث عن موقف الشاعر الديني الذي لا يشك من يقرأ شعره في إيمانه بالله وبقينه بربوبيته، ومن ذلك قوله:

فيا من به أمنت غير مقلد

أدم بك إيماني بعيداً عن الخطر

فكم شبهة دكناء جُبتُ ظلامها

فكدت أضل الخرق فيه إذ اعتكر

ولو لم تنر سُرْجُ العناية ليلها
لأفنيته فيه العمرَ أسري على غَرَزُ

ويعبر عن حزنه للهجوم الذي لقيه من الذين يناصرونه العداً دون سبب جوهري، بل
دون أن يفهموا مقاصده في كثير من شعره فيقول:

ومما يزيد الحزنَ في القلب ضِعْفُهُ
ويُلْهَبُهُ بين الضلوع فيلتهبُ
صدود بني قومي إذا قام مرشداً
يذكّرهم بالشعر طوراً وبالخطبِ
وفي الصّدِّ ما يثني عزيمة من غدا
لنصحهم تقريبه الدهرَ والخببِ
فكيف إذا ما زندقوه وأسبّلت
على رأسه من مزن غيظهم سُحْبِ

وهذا الذي (يُزَنِّقُ) على حد قوله هو الذي يقول:

تأملت أديان البرية كلها
فما ركنت إلا لإسلامها نفسي

وعلى الرغم مما تعرض له فإنه كان يتفادى الهجاء، أو الإقذاع على الرد على من
أساء إليه. بل إن له من الهجاء موقفاً عرضه في قصيدة كاملة تحت عنوان «التمويه جبن»
تحدث فيها عن الذين يتهمون على الناس باسم النقد فقال في مطلعها:

إذا ما كاتب أضناه حقدُ
على قُرَّائه بين الأنام
هجاهم ثم سمى الهجو نقداً
ليبقى خافياً سوء المرام

ولا نستطيع أن نشك في عقيدة الشبيب بسبب ما نراه في شعره من تأكيد صدق
عاطفته الدينية فهو يحتفل مع الناس بذكرى المولد النبوي الشريف يشاركهم شعراً غزيراً
معبراً، وهو يتضرع إلى الله في عدة قصائد منها قصيدته «أمع الحياة سعادة؟».

يا رب فاعفُ فليس لي إلا إلى
تأميل عفوك عن ذنوبي من مرّة
يا من يؤمّلُ عفوه الجاني وإن
فاتت لكثرتها الجناياتُ العَدَدُ
خوف الحساب على ذنوبي هدني
وعليك في التأمين منه المعتمد

وهو يحب مادة الفلسفة، ويتأمل الأفكار الفلسفية التي يتبادلها مع الأستاذ عبدالمك
الصالح الذي يشهد الجميع له بالاستقامة وصحة العقيدة، ولكن حبه للفلسفة لا يعني ما
يفهمه البعيدون عنها من أنها السبيل إلى الخروج عن الدين، وفي قصيدة طويلة عنوانها
«يوم الخميس» تحدث عن لقائه مع صاحبه، وهو موعد متفق عليه بينهما يتدارسان فيه
الكثير من الأمور، يأتي الأستاذ عبدالمك وقد حضر لصاحبه ما يعتقد أن الشاعر يحب أن
يستمتع إليه ولا سيما في موضوع الفلسفة الذي يُمضيان وقتًا في تدارسها. وقد ضمت
هذه القصيدة الكثير من الأمور التي كان تداولها يتم بين الصديقين في أمسية يوم
الخميس. وفيها نرى تمكن صقر الشبيب من هذه المادة، ويقينه من أن الأستاذ قد أسدى
إليه جميلًا لا ينسى حين فتح له هذا الباب. ولكن ما يتدارسانه - بالتأكيد - ليس له أثر
سلبي على معتقدهما الديني فالفلسفة أداة لشحن الفكر لا لتغييره.

ومن أبرز نظراته الفلسفية ما جاء في قصيدة له بعنوان «نظرة في السر الإلهي»
تحدث فيها عن حكمة الله سبحانه وتعالى في إدارته لشؤون الخلق جميعًا، دون أن يعلموا
شيئًا عن هذه الحكمة الإلهية، وهم يرون أن الناس أمثالهم على نوعين، أحدهما يعوم في
بحار الرزق، والآخر يشكو الفاقة والجوع، فهناك من هو متنع في جنان اليسر ومن هو
يصطلي بنار العُسر. ومع ذلك فهم راضون في عيشتهم هذه، ولا يبحثون في هذا الأمر،
ولو دخل الحسد إلى نفوس المحتاجين في مواجهة الأغنياء لكانوا كما قال:

وإلا جرّدوا حسدًا وغيظًا
على المثيرين للحرب الحساما

فلم يدعوا براحتة غنيًا
ولم يذروا على أرضٍ سلامًا
ولكن جَلُّ من أجرى فأرضي
براياه بحكمته النظاما

هذا النظام الذي عجز الحكماء عن معرفة أقصاه، وعن كشف لثامه، بل إن كل ما يقولون عنه لا يخرج عن دائرة الظن:

يقول بكنهها الحكماء ظنًا
وعلم الكنه عنهم قـد تـرامى
إن النظمُ قد استعصت على الدراية.

ثم يتأمل في حكمة الحياة في قصيدته «لحكمة أتينا الدنيا» بيدوها بنعي السعادة قائلاً:

ليس في الأرض من طريقٍ يؤدى
سالكيه أو بعضهم للسعادة
فلها اسمٌ بين الأنام شهيدٌ
ومسماهُ مستحيلُ الشهاده

يعلن في هذه القصيدة أننا لا نحس في هذه الدنيا إلا بالشقاء، ومع ذلك فإننا حريصون على زيادة نسلنا وكان الواحد منا يقبل على أولاده بالشقاء الذي يتلقاه في دنياه. إنه يشبه في ذلك الحاقد الذي يريد أن يحل بهؤلاء ما حل به، على الرغم من أنهم لم يكونوا ضداً له، بل كانوا في عالم الغيب لم يسؤهم منه شيء... إذاً فإن هذا التدفق البشري إنما جاء لحكمة أرادها الله سبحانه فهو الذي:

أوجَدَ الوالدَ القديمَ لأمرٍ
سابعِ الكثمِ يقتضي إيجاده
فاتى الوالدَ القديمَ إلى الدُّنْ
يا اضطراراً كما أتتها الجرادة

ثم ينثني إلى موضوع آخر بينيه على ما تقدم، مؤكداً أن كل إنسان يسير في حياته وفق الطباع المركبة فيه.

وفي قصيدته «يا عقل» نداءً إلى عقله الذي وجد أنه لا يتعارض مع صحيح النقل، وهو لا يرى أن النقل فيه مخالفة للعقل إذا عرض عليه، فالله سبحانه وتعالى هو خالق العقول:

قالوا انصرفت إلى المعقول متتركاً
ما لم يكن وفقاً من كل منقول
فقلت لو لم يُرد هذا مكوئنا
مني ومن كل معروف ومجهول
لما حشا الهام بالألباب قائمة
بالفرق ما بين مسموم ومعسول

ثم يقول:

يا عقل أنت سماوي الهدى فأين
ما غاب من وجه تحريم وتحليل
وسد أذني عما القوم قد أخذوا
فيه يخوضون من قال ومن قيل

والاعتماد على العقل بالصورة التي طرحها هنا لا يؤثر على عقيدته بل هو بحسب ما يرى يُمحصّ المعقول ويعرضه على المنقول فيأخذ بما توصل إليه، ولا شك في أنه إنما يقصد بالمنقول هنا أقوال العلماء الذين يدلون برأيهم في بعض المسائل التي لم يرد بها نص صريح في الكتاب والسنة، وهؤلاء هم الذين قيل فيهم «كل يؤخذ من كلامه ويُرد» ما لم يعتمد على أصلي التشريع الإسلامي، وإذا كان هذا جائزاً للسابقين فلا غرابة أن يجوز لصقر الشبيب الذي لم يكن شاعراً فحسب بل كان عالماً قرأ الشريعة بكل فروعها واطلع على العربية وأجادها وحفظ غريبها وأشعارها وأحاديث ماضيها.

ثم انظر في أبيات قصيدته «ظن جميلاً بالله» وتأمل كيف صاغ مبدأه في النظر إلى حكمة الله في الكون، وقد رافت هذه الأبيات للأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري فأوردها في صدر كتابه «صقر الشبيب» وفلسفته في الحياة الذي نشره في سنة ١٩٧٥م، وفيها يرى

صقر أن أهداف القدر كثيرة ولكن المرء لا يستطيع الوصول إلى معرفة أي منها، حيث إن من رفع رأسه بتعليل ما صنع الله في خلقه سرعان ما يطأطئ رأسه عجزاً.

وهو يرى أن هاتيك مفاوز يصعب على المرء ارتيادها مهما أوتي من عقل، وفي مطلع الأبيات:

ولله فيما يفعل الله حكمة

يفوت بها كتمائها العقل والجسنا

فمن حكمة فوق العقول سما بها

أطاف بنا خُشْنُ الحوادثِ والمُلسا

يُطيف بنا سَعْدُ الخطوبِ ونحسها

ويمنَعنا تعليلنا السُعْدَ والنحسا

أما كتاب الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري الذي أشرنا إليه فهو كتاب يضم ٣٣٠ صفحة من الحجم المتوسط. يستعرض فيها الكاتب ديوان الشاعر، ويحدد النقاط التي تدل على فلسفته في الحياة، ممثلاً لكل ذلك بما ورد من شعر ضمه الديوان الضخم الذي جمعه واعتنى به الأستاذ أحمد البشر الرومي، وقد كانت دراسة الأنصاري واسعة، تفي بالغرض، وتقرب الكثير من الأشعار إلى فهم القارئ وبخاصة تلك القصائد ذات النزعة الفلسفية ومنها القصيدة التي عنوانها «ماذا اعتقد» فقد شرحها شرحاً وافياً، وقرب معانيها إلى القارئ بحيث تنجلي دلالاتها دون أي لبس.

هذا وسوف يجد قارئ ديوان هذا الشاعر الكثير مما يتعلق بحرصه على دينه على الرغم مما أرجف به المرجفون، وسوف يجد الكثير من فلسفته التي لا تخرج عن مجرى الدين ولا تسيء إلى العقيدة الصادقة بأي حال من الأحوال، وفيما تقدم عن كل ذلك الكفاية.

هذا ولا يفوتنا في ختام ما ذكرناه عن الهجوم عليه، وعن ديانته وحرصه عليها، الإشارة إلى هذه القصيدة التي صرح فيها بكمال اليقين والإيمان بالله تعالى أتم تصريح.

كان الشيخ عبدالعزيز الرشيد قد بعث إلى صقر الشبيب بقصيدة من قصائده، ويبدو أن صقراً قد أعجب بها غاية الإعجاب، وأنها أثارت في نفسه الكثير من الإحساسات التي كان يكتُمها، فلما جاءت قصيدة الرشيد وجد أنها قد فتحت له مجال التعبير.

عنوان القصيدة هو: «أفي الصحيفة در؟» ومطلعها:

إن شجـاكـم مني الأنيـن المديـدُ
فـعـذابـي بالفـقر جـداً شـديـدُ
كـلـمـا قـلـتُ ذـات يـوم سـيـمـضـي
مـنـه عـنـي اشـتـدأهـُ أو يـبـيـدُ
عـنْ خـطـبُ يـقـول إنـي كـفـيـلُ
أـن سـتـبـلـي يا صـقـرُ و هو جـديـد

والقصيدة طويلة جدا كعادته حين يتحدث في مثل هذا الموضوع، أو يخاطب شخصاً عزيزاً عليه، وقد فعل ذلك في كثير من قصائده. وفي القصيدة التي نتحدث عنها أبيات مهمة عبّرت أصدق تعبير عن إحساسه الشديد بالظلم وبالفقر والعزلة في وقت واحد:

أنا مـا زلت في الكـويـت أـغـنـي
كـل صـوت يـشـجـى بـه الجـلـمـودُ
وهـي تـزـداد قـسـوـةً فـغـنـائـي
لـشـقـائـي تـتـمـمـةً و مـزـيـد
فـكـأن الكـويـت مـا دـمـتُ فـيـهـا
قـفـصـنُ فـيـهـ بـلـبـلُ غـرـيـدُ

وهو يرى أنه بين كيد مناوئيه وقوتهم يقع في مواجهة الثعالب والأسود الذين يترصدون به الدوائر ويريدون تشويه سمعته ثم الإيقاع به، ثم إنه يرى أن زمرة أعدائه قد وصفته بما ليس فيه:

و صـمـتـنـي حـتـى بـجـحـد إـلـه
مـا تـمـشـى لـه بـبـالـي الجـحـودُ
ويـقـيـنـي بـأن رـبـي - مُـدـيـلـي
مـن ذـوي الظـلم - عُـدـتـي و العـديـد^(١)

وفيما ذكر نجد أصدق الرد على أولئك المناوئين، فلا قول أوضح من ذلك يؤكد إيمانه العميق.

(١) مديلي: ناصري.

القسم الأول

ما ورد في الديوان الذي أصدره
الأستاذ أحمد البشر الرومي

الإهداء

إلى روح سمو حاكم الكويت المعظم المرجوم الشيخ سالم بن الشيخ مبارك الصباح.

نماذجٌ هذي من قـريضي أرفـها

هديةً من لم يقن شيئاً سوى الشـعرِ

ومن لم يجد غير القوافي هديّةً

فأهدى القوافي كان من بالغي العذر

إلى روح من لو عاش ما بتُ شاكيّاً

من العسر ما قد كاد يأتي على عمري

إلى سالم الأخلاق والعذر كاسمِه

ومسلم ما تحوي يده من الوفر

فلم نشك في أخلاقه قطُّ علّةً

سوى فتكه في المال بالنائل الغمر

فما زال حتى مات يُحيي عُفائه

بإرداء صنفيّ ماله البيضِ والصُّفر^(١)

فأمـواله تشكو تسلطُ كـفـه

وسؤاله تقفو الشكـية بالشكر

فما فرقت ما بين جزل نواله

وقصّاده شكوى اللجـين ولا التبر^(٢)

وما كان عن شكوى سوى المال وحده

إذا ما شكا الشاكي إليه بذي وقر^(٣)

(١) العفاة: طلاب المعروف، جمع العافي، والبيض والصفـر: كناية عن الذهب والفضة.

(٢) اللجين: الفضة. والتبر: الذهب. وقيل هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض.

(٣) الوقر: ثقل في الأذن.

كأن قد حمت سَمَعِيهِ شَكْوَى ثَرَائِهِ
عُفَاةً أَيَادِيهِ بِشُكْرِهِمُ الْكُفْرُ
فذاك الذي لو لم يَغَيَّبْهُ قَبْرُهُ
لما عدتُ من بؤسِي أجنُّ إلى قَبْرِي
فقد خُبْتُت من داء عَسْرِي بَعْدَهُ
حياتي التي طابت بأيامه الغُرُّ
ولو لم يزلْ حَيًّا لَاتَّبَع عِلَّتِي
من العسر يشفيها دواءً من اليُسْر

الإيمان عون لتخفيف الأعباء^(١)

عطفت عليّ البصرةُ الفيحاءُ
والساكنون ربوعها الكرماءُ
من كلِّ ذي كرمٍ يحلُّ بنفسه
قَمَمَ الثناءَ المجدَّ والعلياءُ
جُبلوا على حب المكارم والورى
- لولا المكارم - والوحوشُ سواء
وجلائلُ الأفعال السنة لها
عن حسن ما جُبلوا عليه جلاء
تلك التي لولا إبانته استوت
في قدرها الكرماءُ واللؤماءُ
والدُرُّ لولم يبدُ سرُّ جماله
ما كان دون مقامه الحصباءُ
الكل يهوى أن يكون لباسه
مما يحوِّك الحممُ والإطراء
وببيت يشغلُ مدخه السُمراءُ ما
باتت تُسامر بعضها السُمراءُ
ومن الصعوبة في مكانٍ نيلُ ما
مالت إليه بأهلها الأهواءُ

(١) قالها بمناسبة مقال كتبه صديقه محمد طه الفياض العاني صاحب مجلة الشبان المسلمين التي كانت تصدر بالبصرة، ناصره فيه على ما كان يشكو منه.

والصعبُ مهما شاقٌ دون مناله
 يمني اللئيم من الورى شِالاءً
 أنى يفوز به لئيمٌ عِرْضُهُ
 لحطامه من سائليه فِداء
 يهوى اقتناء الحمد ثم يعوقُهُ
 عنه من البُخلِ الذمِيمِ إباء
 فالمقتنون جمال ما نسجَ الثنا
 قومٌ لهم بالمنفِساتِ سخاءٌ (١)
 لهمُ على فقرِ الفقيرِ إذا غدا
 مستعدياً جدواهمُ إعداءٌ (٢)
 يجد الرجاء من المقلِّ حياتَه
 بهمُ إذا ألوت به البِخلاءُ (٣)
 لهمُ إذا سُرَّ الشحيحُ بمنعَه
 حاجُ الفقيرِ ببذلهم سِراءُ
 متسابقي بذلِ المعونةِ ما أتت
 ترجو المعونة منهمُ الفقراءُ
 ومتى يضق ميسورٌ وجدهمُ بما
 منها لأميلِ رفدهمُ قد شاعوا (٤)
 عمدوا إلى استخدامِ جاههمُ له
 حتى يرى ما ضاق وهو فضاء
 هذا هو الفضل الذي بسلوكه
 منها جأه تنافسُ النَّبِلاءِ

(١) المنفسات: الأشياء النفيسة.

(٢) استعداد: استنصره واستعانه، والمستعدي الطالب النصرة، وأعداه إعداء نصره. والجدوى: العطية.

(٣) ألوى بالشيء: ذهب به.

(٤) الوجد: اليسار والسعة، والرفد: العطاء والصلة.

(كـ مـ مـ دـ طـ هـ) الذي بلغت به
 خَيْرَ الأَنَامِ النِّسْبَةَ الغُرَّاءِ
 من لو شككنا أنه ممن جـ لـ لـ
 من دينه ظَلَمَ الضلال ضيَاء
 عَنَّتْ تُبَدِّلُ شَكَّنَا بِيَقِينِنَا
 في ذاك منه السَّيْرَةَ الحَسَنَاءِ (١)
 والسُّحْبُ تَوْقِينٌ أن مصدرها إذا
 غمرتكَ منها بالحيا الدُّمَاءِ (٢)
 لله (طه) من طـ بـ يـ بـ طـ بـ هـ
 للعقل والجثمان فيه شفاء
 إرشادُهُ يشفي النُّهي ويعُرفه
 تلقى شفاءً جسومها البؤساء
 داوى بخير النصح عقلي وانبرى
 منه لجسـمي بالجميل دواء
 هذا هو الطِّبُّ المفيد لمن به
 من فقـرـه أو جـهـله أدواء
 ما كان للداءَيْنِ في أهليهما
 - لو شاع - ذاك الفتكُ والإبلاء
 لكنه طِبُّ يَعْرِزُ وجـ وده
 في بيئته نَدَرَتْ بها الفُخْلاء
 ويقِلُّ أهلُ الفـخـل في الوسط الذي
 للجهل والإمساك فيه ثَوَاء (٣)

(١) عن لك الشيء: ظهر أمامك.

(٢) الحيا: المطر. والدماء: البحر.

(٣) ثواء: طول إقامة.

فالجهلُ والإمساكُ إن عكفا على
 وسطٍ فما للفضل فيه بقاء
 وأرى محيطي منها لَمَّا يَزَلُ
 فَيَهِيهِ بِلَاءٌ فَادِحٌ وَوِيَاءٌ
 فإذا على قومي جرى من مقلتي
 - طوغ الشجون المجرىات - الماء
 فلأن ذلك كُلُّ ما أسطيعه
 جهد المقصِّر في الخطوب بكاء
 من لي بكالفياض يشهَرُ فيهمُ
 قلمًا جناه حكمةٌ وَحِجَاءٌ^(١)
 فعساه يُبْلَغُ منهم الأسماعُ ما
 في العالمين لهم به إحياء
 فَلَذَاكَ أَحْرَى أن تعود قلوبهمُ
 منه لغالي النصحِ وهي وعاء
 حُرٌّ يَخِفُّ عليه من إرشاده
 ما لا تُقِلُّ الهضبةُ الشَّمَاءَ^(٢)
 وإذا تولى المرءُ من إيمانه
 عونٌ عليه خفَّت الأعباء
 ما انفك يُتْبِعُ بالنصيحة مثأها
 كأجلُّ ما تأتي به النُصَحَاءُ
 إقرأ «صدي الشبان» تعرفُ فضلةُ
 فلفضله إضمارها إبداء
 والزهرُ لا تخفى حقيقة طبعه
 ما مرَّ بالأناف منه شذاء

(١) الحجا: العقل.

(٢) السماء: المرتفعة.

في كل أسبوعٍ تُعيد رنينها
 بالخير من ذاك الصّدق أصداء
 إني لأصفي نحوها فيزيديني
 مِقَّةً (لطفه) ذلك الإصفاء^(١)
 ولحسبنا منه نصائحُ التي
 للخير منها في النفوس نماء
 لكن «طه» ما أكتفى حتى انثني
 ولعُرفه مع نصحه إسداء
 منه تداركني ومن إخوانه
 في الفضل سعي نافع وجبَاء^(٢)
 حين الميضُ من الخصاصة أهدقتُ
 بي منه - أوقد كادت - الأسواء^(٣)
 فلهم على معرفتهم شكري وهل
 للعُرف من شكر الشُكور كِفَاء
 كلاً ولكن من حقوق جَميالهم
 أن لا يكون لشكرهم إلغَاء
 فلذا سابقى شاكرًا ما لم يَعُقْ
 بالصمت جائل مِقْوَلِي الأرداء

(١) المقة: الحب.

(٢) الجبَاء: العطاء.

(٣) الخصاصة: الفقر وسوء الحال.

دموع على عبد الله الخلف الدحيان^(١)

ما بعد فقدك للكويت عزاءً
أنتى وأنت بجسمها الحوباء^(٢)
ما ميت أنت وإن حوتك حفيرةً
لفظتك فيهما الآلة الحدياء
كـلاً ولكن الكويت هي التي
ماتت وماتت ضمنها الأحياء
ما كان موتك غير سلم جنةٍ
فيها تدوم لمثلك النعماء
عَجَلَتْ فمدته لي فضي مسرعاً
بك نحـوها من ربك الآلاء
أصبحت للفردوس عنا راحلاً
عجلان مذ منها أتك نداء
فغدا رحيلك للكويت وأهلها
موتاً زواماً ما به إبقاء
كنت القـوام المعنوي لموطن
فدحت عليه ببينك الأرزاء^(٣)
إن فزت بالمحيا المؤيد بعده
فالبُعدُ منك أتاه وهو فناء

(١) كان المرحوم الشيخ عبد الله الخلف الدحيان من أخلص أصدقاء الشاعر وصادف أنه هطلت أمطار غزيرة يوم وفاة الشيخ عبد الله. وقد قيلت هذه القصيدة بعد مرور أربعين يوماً على الوفاة.

(٢) الحوباء: النفس.

(٣) البين: الفراق.

وإقامة العلماء محيا شعوبهم
 وجمامه أن ترحل العلماء
 فإذا عن الأقوام من علمائهم
 غربت بجئات الخلود ذكاء^(١)
 فأبسط إلى الأقوام كف مؤدع
 فلقد تنبئه فيهم الإرداء
 غادرت أمواه العيون جواريا
 أسفا عليك ثم دهن دماء
 فاعجب لأموات أسال دموعهم
 حي أتاه من الإله دعاء
 ولقد بكتك وقد أحست قبلنا
 منك الفراق الديمة الوطفاء
 قد غاض ماء جفونها حتى إذا
 أذف الترحل منك ففاض الماء
 أحشاؤها ذابت بنار تنهد
 تدعى البروق فسالت الأحشاء
 حتى أخفنا أن يعم بسيلها
 دور الكويت الهدم والإبلاء
 وغدا يرى الغيث الذي هو رحمة
 كل من السكان وهو بلاء
 وكذا لفرط مزيدها أو نقصها
 عن حالها تتحول الأشياء
 لبيثت تنوح وتكتم السر الذي
 ناحت له من فوقنا الأنواء

(١) ذكاء: اسم الشمس.

حتى رحلت فعاد سرُّ نواحيها
 يوم الرحيل وما عليه خفاء
 فثنى رحيلاً كل مقلة مسلمٍ
 بالدمع وهي سحابة غرّاء
 حتى انثنت طوع الشجون عيوننا
 هي والسحائب في البكاء سواء
 إن كان وصفي أمس عندك شاعراً
 فاليوم وصفي النائح البكاء
 أو كنت قبل نواك بُلْبُلَ معشرٍ
 فيهم قريضي سار وهو غناء
 فالبعد منك أعادني بنياحتي
 وأنا حمامة أيكّة ورقاء
 لو كان شعبي بالتناسخ مؤمناً
 يا (صخر) أيقن أنني (الخنساء)^(١)
 ما عن أبي خلفٍ لنفسي سلوةٌ
 ما لم يتح لي من عُلاه لقاء
 ما زلت أخشى من صروف منيَّتي
 أيام أدنو منك حين أشاء
 واليوم قد أصبحتُ أستشفى الردى
 والموت في بعض الظروف شفاء
 إن كان داء الخِلِّ نهجٌ لحاقه
 بالخل فالداء المميت دواء
 شقيت بك الغبراء يوم هجرتها
 ولطالما سعدت بك الغبراء

(١) الخنساء الشاعرة الصحابية المشهورة كانت دائمة البكاء على أخيها صخر.

جئتُ عليها بَعْدُ بَعْدَكَ لَيْلَةً
مُرَبَّدَةٌ أَرْجَاؤُهَا لِيْلَاءٌ (١)
ضَلَّتْ بِجِنْدِسِهَا سَبِيلَ عَزَائِهَا
إِنْ كَانَ بَعْدَكَ لِلْعَزَاءِ بَقَاءٌ (٢)
لَمَّا نَعَوَّكَ إِلَيَّ أَحْيَا قَوْلَهُمْ
فِي الشَّجُونِ فَمَاتَتِ الْأَعْضَاءُ
وَإِذَا بِرُحْبِ الْأَرْضِ دَائِرَةٌ عَلَيَّ
جَسَدِي تَضُمُ إِطَارَهَا الْأَسَاءُ
فَسَجَدْتُ فَوْقَ التُّرْبِ لِأَلْتَعَبُدُ
لَكِنْ لِأَمْرِ شِئَاءِ الْإِغْمَاءِ
فَلَبِثْتُ فِي الْإِغْمَاءِ بَضْعَ دَقَائِقٍ
فِيهِنَّ مِنْ حَسِيٍّ أَسْتَتَبُّ جَفَاءً
ثُمَّ انْتَبَهْتُ بِحَالَةٍ مَرهُوبَةٍ
مِنْهَا غَدَتِ تَرْتِي لِي الْأَعْدَاءُ
مَتَمَنِّيَا أَنْ لَمْ أَفِئَّ مِنْ صَعْقَةٍ
مَرَّتْ وَزَعَزَعَهَا عَلَيَّ رِخَاءٌ (٣)
نَبَأُ أَمَاتِ الصَّبْرِ إِذْ أَحْيَا الْأَسَى
فَاعْجَبْ لِمَوْتِ طَيْئَةٍ إِحْيَاءً
فَكَأَنَّهُ دَمْعُ الْغَمِّ إِذْ أَتَتْ
وَلَهَا عَلَيْكَ تَلْهُفٌ وَبِكَاءُ
شَقِ الثُّرَى عَنْ كُلِّ رَوْضٍ مَيِّتٍ
مِنْهُ بِجَوْفِ التُّرْبِ طَالَ ثَوَاءُ

(١) جئتُ: اظلمت. مرَبَّدَةٌ: مظلمة.

(٢) الحنْدِسُ: الظلمة.

(٣) رِيحُ زَعَزَعٍ: شديدة. وَرِيحُ رِخَاءٍ: لينة.

وثنى المباني وهي صرعى لم تكد
 من جُلّها تتماسك الأجزاء
 حتى كأن قُوى مَشِيدٍ بنائنا
 سأمُ عراها منه أو بغضاء
 فتجرّدت منه لسكنى غيره
 فإذا النبات يدبُّ فيه ذمّاء^(١)
 فأتته أويّةً إليه فانتنى
 نشأً بسكناها له ونمّاء^(٢)
 فالنبت يعلو والمباني تنحني
 بنّواك فهي الخفضُ والإعلاء
 فمن المباني في البلاء شكّيّة
 ومن المنابت في النماء ثناء
 فهما لفقْدك ينظمان مرثياً
 فالشكو يصحبه الثناء رثاء
 ما إن رأينا قبل فقْدك عالمًا
 ترثيته قط منابتٍ وبناء
 وإذا غسدت ترثي المنابتُ والبُنى
 عادت كأخرسٍ ما ترى الشُعراء
 وإذا عييتُ عن الرثاء ولم تكن
 بالعبيّ تُعرفُ مقولِي اللاواء^(٣)
 فكذا غريب الفضل يأتي نأيه
 وبه لكل غريبٍ ريباً إدناء

(١) الذمّاء: الحركة وبقية النفس.

(٢) النشأ: الصغير الذي ينشأ.

(٣) اللاواء: الشدة وضيق المعيشة.

إليه أعبد الله قل لي هل أتت
 عنا تصافح سمعك الأنبياء^(١)
 فعلمت أني من نواك بحالة
 من مثلها تتمثل الأسواء
 ما بين أحزان إذا أخفيتها
 أضحي لنا بدموعنا إبداء
 تبدو وتخفي بالدموع وبالأسى
 هذا لنا ستر وتلك جلاء
 فكأننا سفن لنا من حالنا
 موج مضت بسكونه نكباء^(٢)
 جزع تمشي موعلاً بنفوسنا
 وبها تمهد سبلها البرحاء^(٣)
 حتى غدا ولأعلى أعماقها
 بوطائها وغطائها استيلاء
 مهما أرادت كبتة أو طردة
 عن الأسى وأعانهن حجاء
 غضيب الوفاء عليهما مستبقياً
 جزعاً له بصوابنا إواء^(٤)
 إن كان حظك من نواك سعادة
 فنصيب قومك من نواك شقاء
 فها هنا أبا خلف بمنزلك الذي
 أبداً يجلل جانبيه صفاء

(١) إليه: كلمة استزادة واستنطاق أي زدني وأخبرني.

(٢) النكباء: كل ريح انحرقت ووقعت بين ريحين وهي تهلك المال وتحبس القطر.

(٣) البرحاء: الشدة والمشقة. وخص بها بعضهم شدة الحمى.

(٤) إواء بالشياء إواء: ذهب به.

فهناك لا حسدٌ ولا حقدٌ ولا
 مكرٌ ولا غدرٌ ولا شحنا
 وهناك لا كذبٌ ولا غشٌ ولا
 زورٌ ولا كِبْرٌ ولا خِيلاء
 وهناك لا شحٌ ولا ذونعممةٍ
 عنها تُذاد بجوعها البؤساء
 وهناك لا تلقى وداً صَحْبُهُ
 يتلونون فكلهم حِرْباء
 وهناك لا كيدٌ ولا ذوحيلةٍ
 بشباكها بُلَّةُ الوري أُسْرَاء^(١)
 وهناك لا جبنٌ ولا ذوصولةٍ
 وَجْلاً تُحِيبُ أَبِي رَأْيَةَ الْأَرَاءِ
 وهناك لا ظلمٌ ولا ذوقموةٍ
 منه تخاف السطوة الضُّعفاء
 وهناك لا طمعٌ ولا ذوثروةٍ
 تعنولوجه ثرائه البُسْطَاءِ
 وهناك لا أغراضَ تمنعُ أهلها
 أن ينصروا حقاً ولا أهواء
 وهناك لا نسبٌ به يعلو الفتي
 إن خِسانه حَسِبَ ولا أزياء
 وهناك لا استهزاء ينسج ثوبه
 الْمَأْمُومِ حَادِثَةً وَلَا إِزَاء
 وهناك لا بؤسٌ تثير رباحه
 تُهْمًا عَلَى الْعَافِي وَلَا ضَرَاءً^(٢)

(١) البُلَّة: جمع الأبله، وهو الذي لا عقل له.

(٢) العافي: طالب المعروف.

وهناك لا حشرات في صور الوري
 منهن يؤذى منطلق ورواء^(١)
 وهناك لا تقضي الخيانة أن ترى
 نمماً تداس كأنهن حذاء
 وهناك لا ملق ولا مذك ولا
 أشر ولا بطر ولا فحشاء^(٢)
 تلك التي قد كنت تمقتها ومن
 مرأى ذويها في الأنام تُساء
 أصبحت تأمن أن تراها مرة
 أخرى فمنهن الخلود خلاء
 ما ثم من كدر ولا عكر ولا
 عيش تمر بصفوه الأقداء^(٣)
 فاهداً وطب نفساً فقد نلت التي
 فيها يحف الساكنين هناء
 مضت الليالي الأربعون وكلها
 منها الدقيقة حجة شهباء^(٤)
 طالت فما ندري أضلت قصدها
 ففدت تدور كأنها أرحاء
 أم أنها افتقدت غلاك فعاقها
 عن سيرها في بحثها استقصاء
 أم أنها علمت ببيتك فاعتري
 أعضائها من حزنها استرخاء



(١) الرواء: المنظر الحسن.

(٢) المذق: عدم الإخلاص وهو المداهنة. والأشر: البطر أو اشد البطر.

(٣) ثم: هناك. والأقداء جمع قذى وهو ما يرعى به.

(٤) الحجة: السنة.

يا من على جزعي أتاني لائمًا
إن شئت بي أن تجدي اللوماء
فمُر الشجون يدعُن قلبي إن يكن
منها إلى قول امرئٍ إصغاء
فلقد غدا ما بينها وكأنه
كُرة تناوب قذفها اللُعباء
أولا فدعني جازعًا متلهفًا
واذهب فَمَا لِللُومِ بي إجداء
فلقأ ما انتفعت بكحلٍ - نرؤه
فيها الطبيب - المقلَّة العمياء
يا من إلى الجنات سارع إننا
مذ سمرت في نار الأسي حلفاء
أغررت بنا نار الأسي منك النوى
فلها بنا طوع النوى إبراء^(١)
خُطبًا وأشعارًا يخال كلامنا
في مثل هذي الحفلة الجُهلاء
وكلامنا هذا العمرُ فقيدنا
من حرَّ نار شجوننا ضوضاء
يا من بمناء التظُّت أشجاننا
أيتاح يومًا مالها إطفاء
أم هكذا نبقى فتبقى تشتكي
لفحاتها الشعراء والخطباء
إني عهدتك لا تجيءُ بغير ما
منه لثلي في الوردى سراء

(١) أورت إبراء: انقذت.

فعلام جئت من الرحيل بما به
 عمّ القلوب من الغليل عفاء
 ماذا أرابك والقلوب جميعها
 لوداك المحض الصريح وعفاء
 فرميت عن قوس الفراق صميمها
 بسهام حزن شأنها الإصماء
 ما كنت أحسب أن تحول لحادث
 فتحول منك الغادة الحسناء
 هذي الكويت بمن بها قد أصبحت
 نشوى تميد وما بها الصهباء^(١)
 عكست بنا العاد الجميل يد النوى
 فمن الدواء بها أتانا الداء^(٢)
 لولم تئز شمس الضحى سبل الوري
 لم تشكهم بأفولها الظلماء^(٣)
 لولم تك الدماء محيا حوتها
 ما ضارهُ أن تنضب الدماء^(٤)
 فاذهب عليك تحية من راحل
 بكت الكويت رحيله جمعاء
 فبكاك مصلحها ابن عيسى عالماً
 أن البكاء على غلاك وفاء^(٥)
 وبكاك مَبْكِي يوسف أهل النهى
 فغدت تعيد صداهم الدهماء

(١) الصهباء: الخمر.

(٢) العاد: جمع العادة.

(٣) لم تشكهم: لم تزل شكواهم ولم تعجبهم.

(٤) الدماء: البحر.

(٥) ابن عيسى يريد به الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.

فالقوم عن تقليدهم أو علمهم
مما به يبكون حُلٌّ وكاء^(١)
فالدمعُ تنثر نظمَهُ أجفانهم
والشعرُ تنظم نثرَهُ الفصحاء
فكأنك استودعت السنة الورى
وعيونهم نُرّاً فحان أداء

(١) الوكاء: كل سير أو خيط يشد به قم السقاء أو الوعاء.

الحر من يابى الهوان

أُحِبُّ أَنْ تَلْقَى الْإِيمَانَةَ مَرَّةً
أُخْرَى كَمَا حَقَّقَ الْمَدِيرُ يَشَاءُ
لَا خَيْرَ فِي رِزْقٍ تُصَادَفُ دُونَهُ
مَا لَا تَطِيقُ مِنَ الْأَذَى وَتُسَاءُ
حَتَّى الْحَيَاةِ إِذَا خَلَّتْ مِنْ عِرَّةٍ
دَاءٌ لِمِثْلِكَ وَالْحَرَامُ دَوَاءُ
مَا الْحُرُّ إِلَّا مَنْ تَابَتْ نَفْسُهُ
سَوَمَ الْهَوَانَ فَهَلْ لَدَيْكَ إِبَاءُ
وَلَأَعْذَرُ الْعُقْلَاءَ يَوْسُفَ هُمْ إِذَا
وَأَفَاهُ عَذْرَكَ وَالتَّوَرَدُ دَاءُ (١)
أَتَخَافُ غَيْرَ قَبُولِ عَذْرِكَ إِنْ قَضَى
بِقَبُولِهِ مِنْهُ عَلَيْهِ حِجَابُ
أَيُّدِ عَذْرِكَ عَاتِبًا أَوْ لَائِمًا
وَكَمَا عَلِمْتَ تُقَاهُ وَالْآرَاءُ

(١) يوسف بن عيسى القناعي.

إلى الزعيم عبدالعزيز الثعالبي^(١)

أكذا يكون تواضعُ الكُـبـرَاءِ
وتلطفُ العلماء بالشعراء
كلأ ولكن التواضع شيمَةٌ
لزعيم تونس نُدرّةُ الزعماء
وافيتَ بالتبريك في العيد امرءًا
خلعَ القضاء عليه ثوبَ شقاء
فأريته وجّة السُرورِ وطالما
سَنَـرَنتُهُ عنه سـوَاتِرُ اللأواءِ^(٢)
أنى يرى وجّة المَسـرِّرةِ بارزًا
من لم يزل من أبأسِ البِؤساءِ^(٣)
يشكو طواه مـعلنًا لكن إلى
أُذُنٍ - عن الشاكي الطوى - صَمَاءِ^(٤)
قلبُ الكويت من الشراسة مفعمٌ
لكن على مـثلي من الأدباء
الناصحين المخلصين بنصحهم
النابذين خداعها الصُّرَحَاءِ

(١) قيلت في صفر سنة ١٣٤٧ عندما زار الزعيم التونسي المرحوم عبدالعزيز الثعالبي ورأى من تواضعه ما أعجبه.

(٢) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

(٣) أنى يرى: كيف يرى.

(٤) الطوى: الجوع.

كم أرسلُ الصيحاتِ فيها منذراً
 من قسوةِ طالوتِ على النُصحاءِ
 فتعيرُ سَمْعَها صياحي علَّها
 تُلفي بذاك مبرراً إقصائي
 أما الألى اتخذوا الدهانَ شعارَهمُ
 فيها فما زالوا من السُّعداءِ (١)
 تحنوُّ حُنُوَّ الأمِّهاتِ عليهمُ
 وهُمُ إليها طَرِقُ كلِّ بلاءِ
 وترى تقدُّمَها - وهذا شأنُها
 مع أهلها - من ممكن الأشياءِ
 فأظلمُ فيها ضاحكاً من رأيها
 ضحكاً يقطُّعه مَريرُ بكائي
 قد عزَّني فيها البلاغُ لأنني
 ما شربتُ إخلاصي لها برياءِ (٢)
 من لي بها بلداً إذا استوطنتُها
 أحرزتُ فيه مُسكَةَ الحَوْباءِ (٣)
 ما الرأيُ يا «عبدالعزیز» ففاقتي
 في ليلها عني اختلفت آرائي
 أرني طريقاً للتخلصِ مفضيًّا
 من حالَةٍ في موطني نكراءِ
 ماذا ترى غيرَ الرَّحيلِ فقد أبى
 هذا عليَّ ثَقيلٌ قييدِ عمائي

(١) الدهان: بمعنى المداينة وقد ورد داهني مداينة وهي اظهار خلاف ما يضمن، هذا ومصدر فاعل الفاعل والمفاعلة.

(٢) عزني: غلبني وقهرني.

(٣) المسكة: ما يمسك الأبدان من الطعام والشراب. والحوباء: النفس.

كن لي برأيك منقذاً فالرأي قد
يكفي لتخليص من البُرحاء^(١)
أو لا فسسلٌ وعزٌّ مني أرملاً
فجعنهُ شِقْوَتُهُ بكلِّ عزاء
فلقد تكونُ التعزياتُ مريحةً
من لم يجدْ في العيش غيرَ عزاء
لا سيَّما وزعيمُ تونسِ ناظمٌ
منها النثيرَ بحكمةٍ ودهاء

(١) البرحاء: الشدة والمشقة أو شدة الحمى.

العلم أصل الخير

الجهلُ داءُ الشُّعْرِ عِنْدِي وَحَدَهُ
وَالْعِلْمُ فِي رَأْيِي أَجْلٌ دَوَائِهِ
فَالشُّعْبُ مِنْ مَالٍ وَعَقْلٌ لَمْ يَكُنْ
خَلُوقًا وَلَا مِنْ حَزْمِهِ وَذِكَائِهِ
لَكِنْ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ نُورُهُ
فِي سُؤْلِ مَحْيَاهُ إِلَى عِلْيَانِهِ
وَإِذَا الْبَصِيرُ عَدَاهُ نُورٌ فِي الدُّجَى
حَاكِيَ الْبَصِيرُ الْعُمِّيَّ فِي ظِلْمَانِهِ
فَأَهْبُ بِشُّعْبِكَ لِلْعُلُومِ فَإِنَّهُ
يَحْظِي عَلَى مَا أُرْتَبِي بِشُفَانِهِ
الشُّعْبُ عِلْتُهُ أَفْتِرَاقٌ مَهْلِكٌ
وَإِلْتِحَادٌ لَدِي خَيْرٌ دَوَائِهِ
لَكِنْ إِذَا بَنَتِ الْوَنَامَ يَدُ الْجِجَا
وَبَنَى الْحِجَاءُ الْعِلْمَ مِنْ عِلْمَانِهِ
فَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّبِّ يَزْكُو وَالنُّهْيُ
كُلُّ اتِّحَادٍ رَاقٍ مِنْ إِنْشَائِهِ^(١)
فَالْعِلْمُ أَصْلُ الْخَيْرِ فِي أَصْحَابِهِ
وَالْجَهْلُ أَصْلُ الشَّرِّ فِي أَسْرَائِهِ

(١) النهي: العقول، جمع نهية.

ألجؤوني إلى نظمه دفاعاً لا هجوماً

ليأمننْ لَذَعُ هجوي كلُّ قاصٍ
ودانٍ في الوري مهما أساء
فإني قد رأيت أحقُّ شيءٍ
بالغناء من الشعر الهجاء
لعقلي راضٍ طبعي الشيبُ حتى
إلى إذعانه رداً الإباء
فطبعي طوع عقلي منذ أبدأتُ
بظهوري بسطة العمر انحاء
وشيبكُ نعمة إن فيه لبي
لعقلك جامعُ الطبع النداء
فمنذ كبرتُ داعي الهجوم ألقى
سراع قاصائدني عنه بطاء
وكان العقل ينهى عنه قبلاً
وليس يرى من الطبع انتهاء
فهل قوى المشيبُ العقل أم هل
به لبست قُوى الطبع انحاء

وأما ما نطقت به قديماً
لأجزني من تمنى لي الشقاء

فمنه أمتٌ ما مَحياهُ يُثني
 من المهجورُ للكدر الصَّفَاء
 فأبقيت الذي لا بأس فيه
 عليه حَسَبٌ مالي قد تراءى
 وإن يوجع فأيجاعٌ خفيفٌ
 كما استذكرتَ بعد البُراءِ داء
 وإتلاف الجَميعِ علي أشهى
 فليت جَميعَه ولى جُفاء (١)
 فلست أحب ذكراً — راه ولكن
 سوى ما شئتُه التاريخ شاء
 ولم أنظِمة حتى الجِؤوني
 إلى نظميهِ ظلمًا واعتداء
 وسُقم المرء يُلزمه أنينًا
 على حسب التَأذي واشتكاء
 وقد يهذي المريض وأيُّ حُرٌّ
 تراه منكرًا منه الهُذاء
 أساءوا في معامليتي إلى أن
 عصيت به ضميري والحجاء
 ولم أنطقه مفتحًا — ولكن
 هُما كرهاهُ صدقًا وافتراء
 ولم أفحش على أحدٍ بهجوي
 ولو أدنت يداه لي التواء (٢)
 فهُجِرُ القول ينكره ويولي
 إليه الهُجِرَ طبعي والصفاء

(١) جفاء: السيل ما يقذفه من الزبد والوسخ ونحوهما.

(٢) التواء: طول الإقامة ويريد به هنا الموت.

أينسج منطقي منه غشاً
لهجوا الأعادي أو رداء
ونفسي منه تألم ما أحسنت
لأيسره إلى سمعي ارتقاء
ولم تُولِ التفاتتَها احتقاراً
فتئى يهذي بفحشٍ وازدراء
أأنطقُ ما أضيق بناطقيهِه
كمن جمع الجهالة والغباء
يعدُّ سَماعَه سمعي بغيضاً
لما يلقى إذا سمع الغناء
فلو خيِّرتُ في صممي وفيهِه
رأيت عليه للصمم اصطفاء
فشعري منذ قلتُ الشعر طفلاً
بريئاً كان من فحشي خلاء
ويوجع من هجوت على اجتنابي
به الإفحاش صوتاً واعتلاء
ولم أصدمُ به يوماً سوى من
أبوا إلا مصادمتي التواء
دفاعاً لا هجوماً كان كي ما
أعيدُ به التواءهُمُ استواء
أبت لي غير قول الهجوفِها
أناسٌ أوسعوا نفسي عناء
ومن تُخرِجُهُ تُخرِجُهُ ولو لم
يرُقُّهُ أن يناصر بك العداء
لزمت رجاء كف الشرِّ حتى
تُنوَّ مني إلى اليأس الرجاء

فليت الكلّ منهم من مُثيـري
عليه من مساعيه ثناء
فكان الكل منا مستريحاً
مدى الحيا ختاماً وابتداء
بلاء حياتنا يكفي فما لي
أرى المؤذنين زادوها بلاء
صواب الرأي في أن لا يضيـقوا
لنار بلائها إلا انطفاء
وقد خفي الصواب على نـهاهم
فبـرح عنه يا ربي الخفاء
وصيـر عـفوك المرجو عنهم
على ماضي أذيتهم جـزاء
فأكـره ما كرهت عذاب غيري
لأجلي ما أتى ضدي وجاء



عجبت لعاشقٍ تنغيصَ عيشي
ولم أعـشـق له إلا الهناء
فكم رجلٍ - ولم أذنب - أرتني
مساعيه مساءاتي ولاء
كأنهم رأوا في مُسـخـطاتي
إذا كثرتْ لأنفسهم رضاء
وأعرف سير ما يأتيه مؤذ
فيأبى عنصري عنه انتماء
فخلف العنصرين اليوم داء
تخيب إذا طلبت له دواء

وأجهلُ سِرِّ مَقتٍ، عنه كانت
 أذاعة لا أطيق لها لقاء
 رمت عن قوسها قلبي بنبلٍ
 جروح شبيهها تأبى الشفاء
 مساعي معشرٍ والكل منا
 بنسبته إلى قحطان فاء
 وأقتلُ من رماك أخُ تمنى
 له أنت السعادة والبقاء
 فلم أرك الأذية من قريبٍ
 رعيت له قرابته وفاء
 فمزودجٌ بقلبي كل جرحٍ
 به من يعرِّي الأصل باء
 لأن السهم منه إليّ فييه
 له شريكٌ في قتالنا سواء
 فإن أبكى أذاه عليّ عيني
 رأيت لها عليه معي بكاء

الكويت وبغداد^(١)

حَسَدت بك الزوراءَ غيرَ ملومةٍ
أرضٌ بثثت العلم في أبنائها^(٢)
عَجَلُ مآبِك للكويت مبادراً
أَنْ يفتك التحسيدُ في أحشائها
حَسَدت وقد علمت بأنك زائرٌ
دارَ السلام اليوم من جرائها
وتحاسدُ البلدان داءً معضلاً
مذ كانت الدنيا على علمائها
يا من به ارتقت الكويتُ إلى العلاء
حَتَّامَ أَنْت تكدُّ في إعلائها
استبق مهجتك الكريمة إننا
في حاجة كبرى إلى استبقائها
إن كنت تكدح للمعمالي فائتدُ
فلقد سكنت اليوم في حوبائها^(٣)
أبرزت تاريخ الكويت يמים في
حل الصراحة حالياً بحلائها
لم تخش لومة لائميك مصرحاً
فظفرت من أحرارها بثنائها
أبدت كل حقيقة فيه كما
كانت وما دكست في إبدائها

(١) سافر المرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد إلى العراق في زيارة له واطلع الشاعر على نموذج من الجزء الأول من كتاب تاريخ الكويت فأرسل هذه القصيدة إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد ببغداد.
(٢) الزوراء: اسم لعدة أماكن، وهنا يراد بها بغداد.
(٣) الحوباء: النفس.

فأثبُتْ على نشر الحقائق عالماً
أنَّ الحقائقَ أنت من أمنائها

أما نَوَاكَ فأشعلت في أضلعي
ناراً إليك الرأْيُ في إطفائها
أشوتَ نجيثَ البينِ أسهمُ سلوةٍ
لولا نَوَاكَ عَجبتُ من إشوائها^(١)
مذ أسهمُ الجَزَعِ المميتاتِ انثنت
مفترَّةً بحشاي من إصمائها
إحياءُ نفسي عن لقائك ناشيءُ
قل لي أتسلو النفسُ عن إحيائها
تُصبي إليك النفسَ فيك خلائقُ
لم تنجُ حتى العمي من إصبائها
فالشمس تسبح في السماء مضيئةً
رأد الضحى بالتمِّ من أضوائها^(٢)
كلاً ولا تصفو قريحةُ شاعرٍ
هَبْ أنه «حسان» مثل صفائها^(٣)
عِشْ وابقْ محمود الخلائق أمناً
أن تنثُرَ الأيامُ نظمَ بهائها^(٤)

(١) الثبوت: اليقظة والرجلان وجماعة الأطراف مما ليس بمقتل، ورماء فاشواء، إشواء: أصاب شواء ولم يصب مقتله. والنجيث: الأمر والسر.

(٢) رأد الضحى: رونق الضحى أو ارتفاعه حين يعلو النهار.

(٣) حسان: هو حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي تاريخ الكويت روي عجز البيت هكذا: هبه أبا تمام مثل صفائها.

(٤) نشر الرشيد هذه القصيدة ناقصة البيت الأخير.. ولكنه وضع مكانه كلمة الخ.. الخ.. الخ.. ثلاث مرات مما يدل على أن للقصيدة بقية لم يثبتها ولم تات في الديوان.

دنيانا سراب

يَجِدُ خِصَامُهُمْ فِيهَا سَفَاهًا
وتسمع كالذئاب لهم عُسواء
وما أنفِكتُ لِيَالِيَهُمْ تَرِيهِم
مكاره صُنْعِهَا بِهِمْ ولاء
فما جفَّتْ جفون الحيِّ منهم
على موتي أحبُّتِه بكاء
وينسى أنه لا بُدَّ مـَاضٍ
على الأثار صببًا أو مساء
فتلقى صُنْعَه فِيهَا نَهَارًا
وليلاً صنَع من أَمِنَ الفناء
يواصل للتكثُّر من جَنَاهَا
توارث من نوى فِيهَا التَّوَاء
فينعكس المرام عليه حتى
يرى مُنْسَاغَ أَنْعُمِهَا شَجَاء
ويقتل نفسه من حيث يبغى
زيادتها من المحيا عناء
ولم تبـرح مطامعُ كلِّ نفسٍ
تزيد بلاءَ مـَحْيَاهَا بلاء
وهل غيـرُ المطامع للبرايا
مناهلُ وِردِهَا يُردي الظمـماء

فلو هجروا المطامع لم تُشاهد
 لبعضهم على البعض اعتداء
 ولم يعرف بنو الإنسان هزأً
 لرمحٍ أو لصارمٍ انتضاء
 فلا طعنٌ ولا ضربٌ عليهم
 يجزان الإبادة والعفواء
 وعاشوا إخوةً لا سعي إلا
 إلى محضِ المبررةِ أصدقاء
 مُجافين الخيانة والتعادي
 مُصافين المودة والوفاء
 ولو كانوا كذلك لاستطابوا
 ضُحى الحيا ولا ذموا العشاء
 فلم تُفجع براحتها نفوسُ
 تمنى من متاعها الثواء
 ولا أخذت ما أخذها شجونُ
 وأكدارٌ طوت عنها الصفاء
 ولكن لم تدع لهم صواباً
 مطامع قد أبت إلا النماء
 قوئهم على ذي الضعف يرجو
 لحيلته المدمرة انطلاء
 فإن تمت فذلك ما رجاه
 وإن فشلت يكاشفه العداء
 فتذكو نار حريقهم لتلقى
 بها أنوار عيشهم انطفاء

يدوس الناس هام الناس سعياً
وراء فـضول دنياهم غباء
أجرصهم على الدنيا ليمضوا
به عنها سرّاً لا يطاء
يخيل حرصهم إن لم يجنّوا
لها حبّاً شديداً بل قبلاء
كأن الناس منها قد أرادوا
تخلصهم مالا واجتواء
أما علموا بأن الحرص داءٌ
وليس سوى القنوع له دواء
فمالي لا أرى لهم إليه
- وقد وضحت معالمه - اهتداء
ولو قنعوا استراح الكل منهم
وفاتوا ما يسوؤهم وساء
تخاصمهم على الدنيا شديداً
مديداً لا أظن له انتهاء
إلى أن تُنهي الحيا وغاهم
كما منهم لعين الحرص شاء
قد افتنوا بها إذ لم يشيموا
لها كنهاً كما شاموا الرؤاء^(١)
ولو سألو الحجا عنها وأجلى
لهم عن كنهها الخافي الغشاء
لعزك أن ترى أحداً يبالي
لها هدماً يتساح ولا بناء

(١) الرؤاء: المنظر الحسن.

فلم تسمع خصامًا قطُ فيما
يراه العَقلُ إلا أو هباءً (١)
وأصبح زهدُهم فيها بديلاً
لعشقِ بينهم يُجري الدماء



تري زيداً كعمرو عن غرامٍ
بها يبدي احتفالاً واحتفاءً
يودُّ بها انفراداً عنك حتى
أخوك الشُّقُّ ناسياً الإخاء
يظل الكل منها مستزيداً
ولو فوات الثرى عدداً ثراءً
ويمضي صبُّها عنها ولما
يُصبُّ إلا كسواءً أو غداءً
ويتترك كلُّ ما منها تائياً
لديه سواهما قسراً وراء
ولو بهما اكتفى كلُّ لأضحى
وأمسى الكلُّ يحمداً الاكتفاءً
فليس إلى السلام سواه دربٌ
به السُّبُلُكُ يلقون الإواء (٢)



جحيم الحرب، لو عمَّ البرايا
فُنوعٌ ما شكَّوا منها التظاء
ونال الكل ما يحتاج مما
عليه تشكر الأرضُ السماء

(١) الال: السراب أو هو الذي يكون ضحى كالماء.

(٢) أوى: ياوي، أويأ، واوآء، عاذ ولجا.

فخير الأرض يكفيهم ويثني
 إذا قنعوا تَعَادِيهِمْ وَوَلَاءِ
 وَلَكِنْ أَغْرَتِ الْأَطْمَاعُ بَعْضًا
 تُجَاهَ الْبَعْضِ فَاحْتَكَرُوا الرِّخَاءَ
 وَكَانَتْ مِنْذُ أَرْمَانٍ كَمَا قَدْ
 عَلِمْنَا يَقِينًا لَا افْتِرَاءَ
 تَصِيحُ - أَنْ اقْنَعُوا بِهِمْ - فَهَاهُمْ
 لِتَسْتَبِقُوا مَعَ الْحَيَاةِ الْحَيَاءِ
 فَمَا غَيْرَ الْقُنُوعِ بِهِ تَلَاقِي
 حَرُوبِكُمْ - إِذَا عَمَّ - انْقِضَاءَ
 وَتَدَعَوْهُمْ ضَمَائِرَهُمْ إِلَيْهِ
 فَمَا سَمِعُوا الصِّيَاحَ وَلَا الدَّعَاءَ
 فَمَنْ حَرَبٍ تُبْرِحُ - عَنِ فَنُونِ
 مِنَ الْإِفْنَاءِ بَيْنَهُمْ - الْخِيفَاءِ
 إِلَى أُخْرَى أَشَدُّ كَمَا اقْتَضَاهُ
 لَهُمْ حَرَصٌ أَضَاهُهُمْ سَوَاءً
 أَمِنْ حَيْثُ السَّقَامُ يُمِيتُ تَغْدُو
 مَرَاضُ الْحَرَصِ تَلْتَمِسُ الشَّقَاءَ
 هُمْ مِنْ دَهْرِهِمْ أَبَدًا بِحَرَبِ
 تَعْذِرُ أَنْ يَرَوْا مِنْهَا احْتِمَاءَ
 فَلَيْمَ زَادُوا عَلَيْهِمْ كُلَّ مَفْنٍ
 نَفُوسَهُمْ اخْتِيَارًا وَاشْتِهَاءَ
 تَأْمَلُ سَاسَةَ الدُّنْيَا أَرْضَتُ
 سِيَاسَتَهُمْ ضَمِيرًا أَوْ حِجَاءَ
 وَغَيْرَ النَّفْيِ لَا يُلْقَى جَوَابًا
 لِسَانَكَ حَسْبَ مَا لِي قَدْ تَرَاءَى

فَمِلْ عَنْهُمْ وَخَبِّرْ عَنْ شُعُوبِ
أَنَالُوا السَّاسَةَ الحُمُقَ احْتِفَاءً
وَكَيْفَ تَخَيَّرُوا نَفَرًا تَنَافِي
سِيَّاسَتَهُمْ لَجَنَسِهِمُ البَقَاءُ
رَجَاءُ زِيَادَةِ الأَمْلَاقِ حَتَّى
لَأَشْبَهَةَ سَائِسِيهِ الكَلْدَاءُ
وَهَلْ يَسْوَى ازْدِيَادُ المَلِكِ بِشَرِي
بَصْرَعِي تَمَلُّ الأَرْضِ الفِضَاءُ
أَعْنَهُمُ تَفْتِدِي الأَسْلَابُ مَهْمَا
عَلَّتْ ثَمَنًا لِسَالِبِهَا عِزَاءُ
وَتَطْمَعُ نَفْسُهُ فِي أَنْ تَلَاقِي
- وَقَدْ نَهَبْتَ أَعِزَّتَهُ - هِنَاءُ
تَسْوَمُهُمُ المَطَامِعُ كُلَّ شَرِّ
وَلَمْ يَرِ مَطْمَعٌ مِنْهُمْ إِبَاءُ
بَنِي الدُّنْيَا القِنَاعَةُ لَأَسْوَاهَا
لَعِينِ حَيَاتِكُمْ تَغْدُو جِلَاءُ
وَأَقْذَارُ المَطَامِعِ مَعْمِيَّاتُ
وَكَمْ مِنْهُمْ قَدْ لَقِيَتْ قَنَاءُ
وَإِنْ لَمْ تَقْنَعُوا طُرًّا أَعْدَتُمْ
عَلَيْكُمْ ظَالِمَةٌ مِنْهَا الضِّيَاءُ



سَرَابٌ مَا عَلَيْهِ غَدَا التَّفَانِي
يَزِيدُ سَيُوفِهِ فَيَكُم مَضَاءُ
كَذَلِكَ رَأَتْ حَقِيقَتَهَا أَنَاسُ
لَهُمْ عَنْهَا الحُجَا كَشَفَ الغَطَاءُ

أجل والله دنيانا سـراباً
ومخدوعون من حسبه ماء
محال أن ترى منه الصوادي
- وإن خالته يُرويهها - ارتواء
سواءً من به غاصوا ومن هم
على أطرافه وقفوا اجتزاء

إنها الدنيا^(١)

أبا عيسى أراك أجَلٌ من أن
يسوقَ إليك أمثالِي العزَاءِ
وكيف أسوقَ تعزيتي إلى من
لأدواءِ العقولِ غدا شفاءِ
يُرِينَا أَوْجُهُ الحِكْمِ اللواتي
سناها قد هدى القومَ السناءِ
متى استعرضتُ سيرتَهُ أَجِدُهَا
كتاباً يجمع الحِكْمَ الوِضَاءِ
ولم أبرح أراه خَيْرَ حُرٍّ^(٢)
يرى الدنيا ويزجرُها هباءِ
لذا لم تلقه إلا مُجِدًّا
لما لله فيه يرى رضاءِ
وهل يفتُرُ شرواهُ بدنيا
أبتِ إلا مع الكدرِ الصفاءِ^(٢)
ولم تُضجْ بِنِيهَا قَطُّ إلا
أَعَادَتِ بَعْدَ ضَحْكَهِمُ البكاءِ
يَفْتَتِشُ عَنْ سَعَادَتِهَا ذُوها
وقد خبأتَ لهم فيها الشقاءِ
كما خبأتَ للامسها الأفاعي
خلالَ لِيانِها الداءِ العيَاءِ

(١) قالها معزياً الشيخ يوسف بن عيسى القناعي بوفاة أخيه أحمد بن عيسى.

(٢) شروى الشيء: مقله.

نَهْرُؤُلْ خَلْفَ رَاحَتِهَا وَنَجْرِي
وَرَا حَتُّهَا لَنَا تَلِيدُ الْعَنَاءِ
وَمَنْ يَنْظُرُ بَعِينَ الْعَقْلِ مَنْ
حَقِيقَتَهَا وَيَجْتَنِبُ الطَّلَاءِ
فَيَبْصُرُ مَا طَلَّتْهُ لَهُ جَلِيًّا
بِهَا يَرُدُّ إِلَى الرَّحْصِ الْغَلَاءِ
وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا عَمَلًا سِوَى مَا
بِهِ يَرْجُو لَدَى اللَّهِ الْجَزَاءِ
فَإِنْ يَكُ أَحْمَدَ الْمُحْمُودِ أَوْدَى
فَمُؤَدِّ كُلِّ مَنْ فِيهَا سَوَاءِ
فِيَا رَحِمَاتِ خَالِقِنَا سَعِيهِ
وَزَيْدِي يَوْسُفًا فَيُنَا بَقَاءِ
فَإِنْ بَقَاءَهُ فَيُنَا بَقَاءِ
لَمَّا يُرْضِي الْمَهِيْمْنَ وَالْحِجَاءِ
مِثَالُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَيُنَا
وَهَادِينَا إِلَيْهِنَّ احْتِذَاءِ
مَوْسِسُ كُلِّ مَا تَأْوِي إِلَيْهِ
مَعَارِفُنَا وَرَافِعُهُ بِنَاءِ
وَعَارِسُ كُلِّ مَا يَجْنِي نُهَانَا
مِنَ الثَّمَرَاتِ أَنْفَعَهَا غَدَاءِ
وَرُبُّ خُصُومَةٍ خَشِنَتْ مَجَسًّا
ثَنَاهَا لَطْفُ حَكْمَتِهِ إِخَاءِ
مِزَايَا بَعْضُهَا تَلِكُ اللُّوَاتِي
تَحْلُ بِذَاتِ صَاحِبِهَا السَّمَاءِ
إِذَا نَكَّرَتْ عَلَيْهِ الْكَلُّ أَثْنِي
وَإِنْ هَوَّلَمَ يُرِدُّ مِنَّا الثَّنَاءِ



أيوسفُ إنها الدنيا وإنني
 كغيري قد شُغِفْتُ بها ابتداءً
 فلما أن سبِرتُ الغورَ منها
 وبرَّحَ لي تأمُّها الخفاء^(١)
 رجعتُ وكل ما شاهدتُ يُثني
 إلى النقصان من شغفي النماء
 إلى أن مَحَّ في قلبي هواها
 ولاقت نارُ فتنتها انطفاء^(٢)
 وصرتُ ككلِّ حُرٍّ لا يبالي
 تقلُّبها صدوداً أو لقاءً
 ولم يُفرِّجْهُ أو يُحزِّنْهُ فيها
 مُلِمُّ الخُطْبِ أحسنَ أو أساء
 وأنتَ بِكُنْهِ ما أخفَّتْ وأبْدتْ
 أتمُّ القومِ حُبُّراً واجتلاءً
 لذا في وصفها أوجزتُ قولاً
 إلى سمعِيكَ قد رامَ ارتقاءً
 ولولا جارياتُ العارِ عُدتُّ
 مخاطبتي لشرواك اجترأ
 وكيف يزيد شمس الظهر مثلي
 ضياءً أو يزيد البحر ماءً

(١) سبِره: استخرج كنهه: وسبر الجرح نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره.
 (٢) مح: أخلق ويلي. وفي أحد الدفاتر روي صدر البيت (إلى أن مات في قلبي هواها).

غلاء وعلاجه^(١)

غَلَاءُ أَهْلِكَ الْفَقْرَاءَ جَوْعًا
وَعُزْرِيًّا، أَهْلَكَ اللَّهُ الْغَلَاءَ
وزاد الأَغْنِيَاءُ غَنَى وَيُبْسِيًّا
كما زدتَ الحَصَى المنقوعَ ماءً
فَلَسْتَ تَرَى غَنِيًّا عَنْ فُقَيْرٍ
يَخْفُقُ مُحَسِّنًا هَذَا الْبِلَاءَ
وَكَانَ الْحَظُّ لِلْمُثْرَيْنِ فِي أَنْ
يُؤَاسُوا الْيَوْمَ مِنْ حُرْمُوا الثَّرَاءِ
ولكن الطَّبَاعَ دَعَتْ فَاصْغَوْا
إِلَيْهَا مُسْتَجِيبِينَ الدَّعَاءِ
وطبِعُ المرءِ يَدْعُوهُ إِلَى مَا
يَزِيدُ عَمَاءَهُ الْمُؤْرِدِي عَمَاءَ
وَنَادَتْهُمُ إِلَى مَا الْخَيْرِ فِيهِ
عَقُولُهُمْ فَمَا لَبُّوا نِدَاءَ
وَلَوْلَبُّوا عَقُولُهُمْ لَفَازُوا
وَحَازُوا - كُلُّ مَا يَجْنِي - الْهِنَاءِ
أَبُوا إِلَّا اقْتَفَاءَ الطَّبَعِ حَبًّا
لِفَانِي الْمَالِ وَاجْتَنَبُوا الْحِجَابَ
وَقَلْبُ المرءِ إِنْ يَتَّبِعْ هَوَاهُ
يَصِيرُهُ الْهَوَى قَلْبًا هَوَاءَ

(١) قالها سنة ١٣٦٢ هجرية بمناسبة ارتفاع الأسعار.

ولو تَبِعُوا العَقْوَلَ أُنزِلْنَ عَمَّنْ
لَوَاهُ هَوَاهُ ذَاكَ الِاتِّهَامِ
فَمَا خَلَقَ العَقْوَلَ اللهُ إِلَّا
لِيَهْدِيَنَ الْأَلْمِيَّ شَاعُوا اهْتِدَاءَ
فَمَنْ جَعَلَ الجِجَاءَ لَهُ دَلِيلًا
فَذَاكَ هُوَ الَّذِي فَاتَ الشَّقَاءَ
فَقُلْ لِلأَغْنِيَاءِ إِلَى نُهَاكُمْ
عَنِ الأَهْوَاءِ وَادْكُرُوا التُّهْمَاءَ
فَكُلُّكُمْ عَمَّا قَلِيلٌ
سَيُتْرَكُ مَالُهُ مَئِيَّتًا وَرَاءَ
وَلَيْسَ بِمَفْلُحٍ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ
مِنَ الأَعْمَالِ أَحْسَنَهَا جِزَاءَ
وَمَا كَالْبِرِّ مَنْ عَمِلَ فِطْوِي
لَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ حَتَّى يَبْطَأَ
وَهَلْ غَسَرَ الفِتَى أَجْدَى وَأَزْكَى
وَأَطْيَبَ مِنْ مَبْرُوتِهِ اجْتِنَاءَ
جَمَالِ البِرِّ إِنْ أَخْفَاهُ طَبْعُ
فَعَنهُ بَرَّحَ العَقْلُ الخِفَاءَ
فَمَالَهُمْ بِشَحٍّ قَدْ تَوَاصَوْا
وَقَدْ مَدَحَتْ عَقُولُهُمُ السِّخَاءَ
وَأَبْدَيْنَ المَزَايَا مِنْهُ حَسْبِي
لَفَاتَ جَمَالُهَا البَادِي المِرَاءَ
أَيْقُضِي البَائِسُونَ طَوِي وَعَرِيًّا
وَيَأْبَى البِرُّ مُثْرَتَهُمْ إِبَاءَ (١)

(١) الطوى: الجوع.

ولم يَتَفَشْ داءُ البوس لو لم
 يكُ المُثرون قد منعوا الدواء
 ولم يصعبُ شفاءُ الداءِ لكن
 أرى المُثرين قد كرهوا الشفاء
 وليس بناقصِ الأموالِ لا بل
 يجرُّ لها الزيادة والنماء
 وكم أقصى الأسي عن باذليهِ
 وأدنى من قلوبهم الصفاء
 فَيُمنُّ البرُّ محسوسٌ جليٌّ
 لعيني متبعِ البرِّ اجتلاء
 وإن تصعب نوافله عليهم
 فبذل الفرض يكفيهم حياء
 زكاة المال كافيةٌ هَلاً
 رأى المتممِّم لوكون لها أداء
 فما فُرضت على ذي المال إلا
 لتُحقَّ بؤسَ ذي البؤس انتفاء
 وتُنني من معيشته سهولاً
 مصاعبها، وزَعَرَعَهَا رُخاء
 ففارضُها أراد بكل شخصٍ
 من الفقراء رفقاً واحتفاء
 فلو بُذِلتْ لما ألفتِنا فينا
 مطيلاً من خصاصته اشتكاء
 وأصبح كلُّ عاري الجسم طوي
 ينال بها الملابس والغذاء
 وكان أنينُ بئسنا دعاءً
 لثـرنا وشكواهُ ثناء

كَمَا مَنَعُ الزَّكَاةَ أَعَادَ كُفْلًا
 مِنَ الْبُؤْسَاءِ فَائِضًا اسْتِيَاءَ
 فَأَشْجَانَا صَبْرُهُمْ زَفِيرًا
 وَأَوْجَعَنَا جَزوعُهُمْ بَكَاءَ
 فَمَنْ لِي بِالْفِرَارِ الْيَوْمَ مِنْ لِي
 فَإِنَّ الْأَرْضَ أَسْخَطَتِ السَّمَاءَ
 فَصَبْرًا أَيُّهَا الْفُقَرَاءُ صَبْرًا
 فَإِنَّ الْأَمْرَ حَائِلٌ أَنْتَهَاءَ
 فَغَيْبُ الْأَمْرِ حَسْبَ الظَّنِّ يَأْتِي
 مُغَايِرَ مَا أَتَى مِنْهُ ابْتِدَاءَ
 أَظُنُّ اللَّهَ عَكْسَ الْحَالِ عَمَّا
 قَلِيلٍ مِنْ جَمِيعِ الْقَوْمِ شَاءَ
 فَمَمْتَلِ الْيَمِينَ الْيَوْمَ مَالًا
 غَدًا مِنْ مَالِهِ يَشْكُو الْجَفَاءَ
 وَيُثْرِي بَعْدُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلًا
 ثَرَاءُ الْمَالِ عَنْ يَدِهِ تَنَاءِي
 وَإِنْ تَضَيَّقِ الدُّنْيَا عَنْ كِـ____ونِ هَذَا
 لِسُرْعَةِ رَدِّهَا الْمَحْيَا فَنَاءَ
 فَمَا الْآخِرَى بَضِيئَةً لِأَنَّا
 مَتَى مَا نَأْتِيهَا نَنْزِلُ الْبِقَاءَ
 فَلَا يَسْتَبْطِئُ الْبُؤْسَاءُ يَوْمًا
 يَرُونَ بِهِ انْعِكَاسَ الْحَالِ جَاءَ
 فَعَدْلُ اللَّهِ يَبْقَى بَعْدَ هَذَا
 وَيَكْفِيهِمْ تَوْفُؤُهُ عَزَاءَ

صن قوافي القريض^(١)

كسَّوَتْ أَخْصَاكَ ثِيَابَ الثُّنَا
فَجَازَ فِخَارًا بِهِنَّ السَّمَا
وَأَصْبَحَ يَسْتَحِبُّ أَذْيَالَهُنَّ
عَلَى ذِرْوَتَيْ نَسْرِهَا وَالسُّهَا^(٢)
وَلَكِنْ أَطْلَتَ ذِيوَلَ الْمَدِيحِ
وَالْبِسْتَانِ هُنَّ فَتَى ذَا عَمَى
وَطَوَّلَ الذِّيُولَ عِثَارُهُ
وَأَنْتَ بَسَطْتَ لَهُ فِي الْكِسَا
فَإِنْ لَمْ يَصِلْ لِلْمَدَى فِي الْجَزَاءِ
فَمَا وَضَحْ عِذْرُهُ قَدْ بَدَا
نَظَمْتَ الْقَوَافِي بِمَدْحِ امْرِئٍ
كَسَاهَ الزَّمَانَ كَسَاءِي هَجَا
فَلَيْتَكَ جَارِيَتَ فِيهِ الزَّمَانَ
فَإِنْ الزَّمَانَ عَلَيْهِ أَفْتَرَى
وَنَهَجُ سَبِيلِ الْهَجَا وَاضِحٌ
إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ عَنْكَ اخْتَفَى
فَحُبُّ الْفَتَى لِلْفَتَى مَسْبِلٌ
عَلَى مَا بِهِ مِنْ عِيُوبٍ غِطَا

(١) بعث بها إلى صديقه الأديب حجي بن قاسم جوابًا لقصيدة بعث بها إليه.

(٢) نسر والسها: من نجوم السماء.

فلا تُسِرَّجَنُ من خِـيـوطِ الثُّنَا
كـسـاءٍ لـثـلـيَ في ذا الـوـرَى
وَصُنُّ ما اسـتـطـعـت قـوـافي القـرـيـضِ
فـيـفـي صـوـنـهـنُ لـهـنُ اعـتـيـلا

لا راحة بلا تعب^(١)

يقولون لي يا «صقر» مالك عاطلاً
وقد وظّفوا من لم يقاربك في الأدب
فقلت لهم في رثّة الثوب مانع
رُقِيِّي إلى تلك المناصب والرُّبب
يُوَلِّي هنا المرءَ الوظيفةَ جاهلاً
على شرطٍ أن تُلفى ملابسُهُ قُشْبُ^(٢)
ويُحرّمُ منها المرءَ والمرءَ عالمٌ
إذا لم تكن منه الملابسُ بالنُّخب^(٣)
ولو عَقَلوا كان التقدّمُ عندهم
على حَسَبِ ما تقضي الفضيلةُ والحَسَبُ
فما كل ما راق العيونَ بَرِيْقُهُ
وأعجبها منه ملاحظتُهُ نَهَبُ
فإن تننّبهُ من ذا السباتِ معاشري
تَنَلْ خَيْرَ دَارِيْهَا وتَسَلِّمْ من العطبِ
وإن طال في ليلِ الجهالةِ نومُهم
فما شئتُ فيهم فافعلي أيُّها النوبُ
فما نام في ليلِ الجهالةِ معشرُ
فأيقظهم منها قديماً سوى الشُّجَبِ

(١) نشرت بمجلة (اليقين) التي كان يصدرها محمد الهاشمي ببغداد.

(٢) القشيب: الجديد وجمعه قشب.

(٣) النخب: الخيال.

ومما يزيد الحزنَ في القلبِ ضعفُهُ
ويُلهِبُهُ بين الضلوعِ فيلتهب
صدودُ بني قومي إذا قام مرشدُ
يذكُرُهُم بالشُّعرِ طورًا وبالخطبِ
وفي الصَّدِّ ما يثني عزيمةً من غدا
لنصحهم تقريبه الدهرَ والخَبَبِ (١)
فكيف إذا ما زندقوه وأسبَلتُ
على رأسه من مُزنٍ غيظهم سُحْبِ
تَسَنَّمَتِ العلياً معاشِرُ لم تزلُ
تجدُ لها والجِدُّ من سُبُلِ الغَلَبِ
وحلّوا من المجدِّ المؤتَلِّ في ذُرَى
تكاد سواميها تنوف على الشُّهَبِ (٢)
ونحن قعدنا قانعين بجهلنا
وجهل الورى فيه لهم شرُّ منقلبِ
ففي صَعَدِ ظَلُّوا بفضلِ نشاطهم
وقد حَطَّنَا مُردِي النكاسلِ في صَبَبِ (٣)
وتَمَّ بفضلِ العلمِ فيهم ونائمهم
ونحن كما شاءت جهالتنا شُعَبِ
ومن غرست يمانه يوماً فسيلاً
فبشَّرُهُ من بعد المشقَّةِ بالرُّطَبِ
فما لذَّةُ نيلت بغيرِ مشقَّةِ
ولا راحةٌ يوماً تَأَتَتْ بلا تعبِ

(١) التقريب والخبب: نوعان من السير.

(٢) تنوف: ترتفع. سواميها: أعاليها.

(٣) الصبب: الطريق يكون في حدور.

وهل وهب الله الوهوبُ لأمةٍ
 رقيّاً ولم تَمُدُّهُ إلى ذاك من سَبَبِ
 وهل سَبَبُ كالعالم يوصلُ أمةً
 من المجد ما حَبَّتْ وفوق الذي يُحَبِّبُ
 فإن سَرَّكُمْ أن تبلغوا أوجَ مجدكم
 وتعلوا ذرى العلياء فالأهَبِ الأَهَبِ
 ألا وانزعوا ثوب التكاثر عنكم
 فما فاز كسلانُ البرية بالأزبِ
 ولا تجمُدوا يا قوم إن جمودكم
 مؤديكم للويل إن دام والحَرْبُ (١)
 ودونكم أهلُ الجمود وضدَّهم
 ويكفي بهذين اعتباراً لمن أربِ
 نهوضاً إلى المجد الأثيل إلى العُلا
 كما نهضت من قبلُ أبائنا العرب
 فهم نهضوا بالعلم والعلم سُلْمٌ
 يؤدي إلى إدراك مستصعب الطَلَبِ
 فأشرق في أفقِ التقدُّمِ بدرهم
 منيراً ولمَّا لم نسير سائرهم غَرَبِ
 وأثمر في أرض الأمانِ غرسهم
 وعاد إلينا بعد إثماره حَطَبِ
 وكان منالُ الحقِّ بالسيفِ وحدهُ
 فصار منالُ الحقِّ بالسيفِ والكُتُبِ
 وفي وسعنا أن ننشر العلم بيننا
 إذا لم يكن في الوسع أن نُصلِّتَ القُضْبِ (٢)

(١) الحرب: فقدان الملك والحرب أيضاً الغضب وكلاهما بفتح الراء.

(٢) نصلت القضب: نجرد السيف.

فما بالنّا عن نشره في تكاسلٍ
 على أنه أمرٌ على الكلِّ قد وجب
 أنكسلُ في عصر النشاط ونشيتكي
 إذا أنشبت فينا مخالِبها الكُرب
 ونبرح في ليلٍ من الجهل دامسٍ
 وقد عمَّ صبحُ العلم من شطأ أو قُرب^(١)
 فوا عجبِي يا قوم إن نَبَقَ هكذا
 ولم تُرَمَ بالموت الزوام ولم تُصَب
 ومن يَرَم في غاب الهزيرِ بنفسه
 فيفرسُهُ فيه الهزيرُ فلا عَجَب^(٢)

(١) دامس شديد الظلام. وشطأ بعد.

(٢) الهزير: من أسماء الأسد. وفرسه: اقتربه.

لِحَظِّي لَا لِحَظَّكَ (١)

أراك لحبل الوصل أصبحت قاطعاً
بلا موجب يدعو إلى القطع أو سَبَبُ
وغادرتني من قطععه في تألمٍ
فهل لك في تأليم خيلك من أرب
أبا صالح إن لم تُسُرِّكَ زورتي
ففيها سرورُ النفس منِّي والطرب
فَرَزْنِي لِحَظِّي لَا لِحَظَّكَ حِسْبَةَ
فبعض زيارات الأُحِبَّةِ تُحْتَسَبُ
وحافظ على ما بيننا من مودةٍ
فإني أُعِدُّ الوُدَّ ما بيننا نَسَبُ
وأنقذ بوصلٍ منك معتلَّ عهدها
فطولُ النوى يرمي المودةَ بالشَّجَبِ (٢)
ولا شيء يخلو من سقامٍ يُبِيدُهُ
ولِلوُدِّ طولُ البين من أقتلِ الوَصَبِ (٣)
فإن تك عن هُلكِ المودةِ راضيًّا
فإني من مَرَضَاكَ ممتليءُ الغَضَبِ (٤)
وإن تك مستلوجَ الجوانح بالذي
أُتيتَ فمنه اليومَ في أضلعي لَهَبُ

(١) بعث بها إلى صديقه المرحوم الأستاذ الفاضل عبد الملك الصالح.

(٢) الشجب: الهلاك.

(٣) الوصب: الوجع والمرض.

(٤) مرضاك: هنا مصدر ميمي بمعنى رضاك.

وإن تَرَ عَنِّي وَجْهَ سلواك سافراً
فوجّههُ سُلُوي عن لقاك قد احتجب
وهذي ليالي الصوم إن لم تَزُرْ بها
فقل لي متى منك الزيارة تُرتَقب

شفاؤك يشفيني^(١)

قالوا سقامك كاد يذهبُ أو ذهبُ
فشعرتُ باستخذاء ما بي من وصَبِ
ألنُّ بُرئي أن وقتُ مجيئه
أم جاعني قبل الأوان من الطرب
لم أدر إلا أن شكوي راعه
قولُ البشير فكاد عني ينسحب
وإذا شفى سقم السقيم سروره
بشفاء شيق النفس منه فلا عجب
ما زلتُ منذ زائلتني ذا علة
كان اشتكاؤك في زيادتها السبب
وأنت تُجدُّ مزيدها منك النوى
حتى أرتني علتني وجبة العطب
حتى إذا بُشَّرتُ أنك أخذتُ
تدنو إلى خير الشفاء وتقرب
عمادت تَلاشى علة قد أدنتُ
نفسي بما نفسي تخاف من الشَّجب^(٢)



يا نجل الصالح الذي لولاه لم
أعلم بأنَّ الودَّ يرجحُ بالنسب

(١) بعث بهذه الأبيات إلى صديقه الأستاذ الفاضل عبد الملك الصالح.

(٢) الشجب: الهلاك أو الحزن.

لا يحرم الله الكويت وعِلمَها
من شخصك المحبوب، حُسْنُ الْمُتَقَلَّبِ
فالعالمُ فيها لم يزلْ وفؤادُهُ
منذ اشتكيتَ عليك خوفاً يضطرب
وأحقُّ من يخشى عليه عِلمُها
مَنْ غيـرُهُ لم يكفِ عنه أو يئب

قيمة الكلام

رُبُّ بَيْتٍ وَحَدَّهُ فِي أُمَّةٍ
قَلْبَ الْحَالَةِ رَأْسًا لِعَقِبِ
وَلَكُمْ مِنْ خُطْبَةٍ قَدْ أَبْدَلَتْ
شَعْبَ مُلْقِيهَا حَيَاةً بِشَجَبٍ (١)

(١) الشجب: الهلاك.

على العلم عولوا^(١)

أَسِئَّةَ أَعْوَامٍ تَدُومِينَ يَا حَرْبُ
وَأَكْلُكَ أَجْسَادَ الْبَرِيَّةِ وَالشُّرْبُ
وَفِي بَعْضِ عَامٍ مِنْكَ مَا يورث الفتى
سَامَتَهُ مَا دَامَ فِي رَأْسِهِ لُبُّ
وَلَسْتُ أَرَى أَنْ الْوَرَى كُلُّهُمْ غَدَا
مَجَانِينَ لَكِنْ شَاءَ بَسَطْتَكَ الرَّبُّ
أَتَوْا مِنْ شَنِيعِ الظلمِ مَا مَدَّ بَيْنَهُمْ
مِنَ الْحَرْبِ مَا يَلْقَى بِهِ وَقْفَةَ الذنْبِ
إِذَا ظَلَمَ الْإِنْسَانُ يَوْمًا فَقَلَّ لَهُ
تَوَقُّعُ جَزَاءٍ سِيْفُهُ عَنْكَ لَا يَنْبُو
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الظلمِ سَاءَ مَغِيبَةً
فَحَرِيهُمُ هَذَا لظلمهم غِبُّ^(٢)
بَنُو آدَمٍ إِخْوَانُهُمْ، وَبِنَاتُهُ
لَهُمْ أَخْوَاتُ يُشْهَدُ الْمَاءُ وَالتُّرْبُ
فَلَمْ يَقْنَعُوا إِلَّا بِكَوْنِ جَمِيعِنَا
مَمَالِكَ إِنْ يَدْعُوا إِلَى خِدْمَةِ لَبَّوْا^(٣)
وَكَلَّ ثَرَاءٍ عِنْدَنَا وَهُوَ حَسْبُ مَا
يَشَاءُ تَعَدِّيهِمْ لِأَيْدِيهِمْ نَهَبُ

(١) قالها في الحرب العالمية الثانية.

(٢) المغيبة: العاقبة. والغيب: العقب.

(٣) تصريحها لبوا: أي أجابوا وضرورة القافية جعلته يقول لبوا.

ولا ذنب إلا الضعف والشاة لم تكن
 ليأكلها لو خاف سطوتها الذنب
 تستنى لهم من قوّة ما بمثله
 يُلمُّ بغير المؤمن التية والعُجْب
 فأطغتهم قوّاتهم فاندثت على
 طغاتهم منها جهنم تنصبُ
 طغت حربهم طغيانهم فرمتهم
 بنار أبادت جُلهم وهي لا تخبو
 وأودت بما قعد أثلوا من ثرائهم
 فلم يبق منه يابسٌ لا ولا رطب^(١)
 كذلك يلقي من من الناس قصده
 بقوّته استعباده الناس والسلب
 ويُسفر عدلُ الله في مثل هذه
 لذي اللب أو عنه تشفُّ له الحُجْب
 مصائب هذي الحرب للغربِ عبرة
 سماوية إن كان يعتبر الغُرب
 لإحيائكم جننا يقول كذوبهم
 وليس له إلا إمامنا إرب
 فأفعلهم فينا يُنافين قولهم
 كما يتنافى البغضُ للشيء والحُب
 عذابٌ لنا ما يصنعون وإن غدا
 يَموّه ذاك الصنع قولهم العذب
 لنا قولهم يُبدي الودادَ وفعلهم
 يُنبئُ أن القولَ أجمعه كذب

(١) أثلوا: بنوا، واطلوا وهيأوا.

وَيَأْبُونَ إِلَّا أَنْ نُصَافِقَهُمْ
 أَصَادِقُ مَا إِنْ فِي صِدَاقَتِهِمْ رَيْبٌ
 يَجُوزُ عَلَيْنَا الْخَبُّ فِي ظَنِّكُمْ فَهَلْ
 يَجُوزُ عَلَيَّ عَالَمٌ سِرِّكُمْ الْخَبُّ
 وَهِيهَاتَ أَنْ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مَبْتَلِي
 سِرَائِرِكُمْ شَخَّتْ الْمَقَاصِدُ وَالْجَابُ (١)
 وَهَا هُوَ يَجِيءُ زِيكُمُ عَنِ الْأُمَمِ الَّتِي
 لِمَا سُمَّتْ مَوَاهِبُهَا مِنْ أَدْنَى عَزَاهَا الدُّأْبُ (٢)
 فَإِنْ تَجَزَعُوا أَوْ تَصَبَرُوا فَعَقَابِكُمْ
 شَهَدَانَاهُ فِي الْأُولَى وَأَخْرَاكُمْ غَيْبٌ
 وَإِنْ تَرَمِكُمْ أَخْرَاكُمْ بِمَثَلِيهِ
 فَمَا كُلُّ صَدْعٍ عَنْهُ لَا يَبْعُدُ الرَّأْبُ (٣)
 عَلَى الظَّالِمَاتِ الْجَائِرَاتِ نَفْسِكُمْ
 إِذَا كَانَ عَنُوبٌ فَلْيَبْقَعْ ذَلِكَ الْعَنُوبُ
 فَلَمْ يَدْهَكُمْ إِلَّا أَنْتَاجُ صَنِيعِكُمْ
 فَهَذَا لِمَا أَلْقَحْتُمْ مَوَهُهُ هُوَ الْعَقْبُ
 وَمَنْ أَسْعَرُوا نَارًا لَتُحْرِقَ غَيْرَهُمْ
 بِهَا أَحْرَقَ اللَّهُ الَّذِينَ لَهَا شَبَبُوا
 وَثَبَّتُمْ عَلَيْنَا ظَالِمِينَ لَضَعُوفِنَا
 فَمَاذَا عَلَيْكُمْ جَرُّهُ ذَلِكَ الْوَتْبُ
 لِمَنْ بَعْدَكُمْ يَأْتِي سَتَبَقُونَ عِبْرَةً
 تُجَدِّدُ ذِكْرَهَا الْأَحَادِيثُ وَالْكَتُبُ

(١) الشخت: الدقيق النحيف. والجاب: الغليظ.

(٢) عزها: غلبها.

(٣) الرأب: الإصلاح.

لئلا يناموا في ليالي غرورهم
كما نمتُم حتى رداكُم دَعَا: هُبُّوا
فقمتم ولكن بعدما أهدقت بكم
متالف ما منها إلى موئلِ نَرَبِ

بني يعرُب الغُر الميامين دهرُكم
لجُهَّاله سهلُ الأمور به صَعَبِ
وكم مَسَّكُم كَرَبٌ فكَاد يُمَيِّتُكُم
ولولا فُشُوُ الجَهْلِ ما مَسَّكُم كَرَبِ
لقد طال في ليل الجَهالة نومُكم
وئومُ هذا الليل أجمِعُهم تَبَّوا (١)
فلا تلهكم أحلامُكم في منامكم
فتأويلها موتُ يعمُّ به خَطَبِ
وهبُّوا سراعًا من عميق منامكم
فحسبُكُم ما مرَّ منه بكم حَسَبِ
فقد أخذت عن شُهْبِ علمِ بليكم
تَشِفُّ لستهدي طريقِ العُلا السُّحْبِ
فقد طال ما كانت دليلاً لحائرِ
إلى قصده في ليله المظلمِ الشُّهْبِ
وأفضلُ شيءٍ تقصدون هو الذي
لمظلمِ هذا الجهلِ عنكم به جَوْبِ (٢)
فميلوا إلى إطلاعِ فجرِ معارفِ
تَعُمُّكُم أنوارُ طلعتِه واصبُّوا (٣)

(١) نبوا: خسروا وهلكوا.

(٢) الجوب: القطع والخرق.

(٣) صبا: مال شوقاً.

ولا تبخلوا بالمال عند شرائكم
 من العلم ما خصباً يعودُ به الجَدْبُ
 فإنفاق هذا المال في السُّبُل التي
 تؤدِّي إلى نشر العلوم هو الكَسْب
 على نشر أنوار المعارف بينكم
 وفي النُشء منكم فليكن ذلك الدَّاب
 لتحيوا حياةً صَفُوها ما به قذَى
 ويصيحَ أمناً من أَعاديكم الرُّعب
 على العلم يا قومي على العلم عَوَّلُوا
 فذاك هو الدَّرْعُ الحَصِينُ والعَضْبُ (١)
 فلو صنتم بالعلم حوزةً مجدكم
 لَكَفَّ أَكْفًا نحوها امتدَّت الرُّهْبُ (٢)
 ولكنكم فرطتُم زماناً به
 ومن لم يجد عن نهج تفریطه يَكْبُ
 فإن عَوَّقَ استعدادكم ضيقُ ما مضى
 فمستقبل الأيام متسعٌ رحب
 خذوا العُدَّةَ المثلى من العلم تُصبحوا
 ويُعدُّ العُلا عنكم بها منكم قُرْب
 وظنُّوا جميلاً بالعلوم وإن جَنَّتْ
 على الغرب ما منه به انقصم الصُّب
 فلم تَنكِبِ الغَربَ العلومُ وإنما
 نواكبُهُ الطغيان والتَّيْه والشُّغْبُ (٣)

(١) سيف عضب: قاطع.

(٢) الرهب: الخوف.

(٣) الشغب: التهيج.

حياة له كانت فصارت بظلمه
له حَيَّةٌ منها عليه قضى اللسب^(١)
ولا خيّر إلا وهو مُدرِكُهُ إذا
طغى أهله العكس السماوي والقلب
فإن بالمني فزتم فلا تظلموا الوري
كما ظلّم الغرب الوري أيها العرب
فلا قيد مثل العدل للنعم التي
يأتين من شابوا من الناس أو شبّوا
وهل لبست أثواب نعماء أمة
فدام لها منها إذا ظلّمت ثوب
وما نزعها أخشى فحسب وإنما
أخاف انقلاباً كل أسيفه قُضب^(٢)
كما نعمة الغرب انثنت وهي نعمة
بها منه هيل اللب وانزع القلب

(١) اللسب: اللدغ.

(٢) قُضب: جمع قضيب وهو السيف القاطع. يريد أن كل سيوفه قاطعة.

فلي في الصبر ما هو أرحب

لقد طال مني المُكثُّ في مظلمِ الأسي
إذا انجاب عني غيهبٌ جاء غيهبٌ
وما زالت الأيامُ ترمي صروفُها
فـؤادي بما منه أخاف وأرهبُ
إلى كم وقلبي للشوائبِ مسرَحُ
إلى كم وقلبي للنوائبِ ملعَبُ
إلى كم سروري وجهه متجهٌ
إلى كم مُحَايَا راحتي متقطَّبُ^(١)
إلى كم جهامٌ من رجائي سَحَابُ
وحتى متى برقُ الأمانِي خُلبُ^(٢)
لماذا يعاديني الزمان ويعتدي
عليّ بما منه التـصـبُّرُ يُسَلَبُ
كأنَّ زمانِي عاشِقٌ وكانني
له عاذلٌ والعدلُ للصَّبِّ مُغْضِبُ
أقاسي من الأحزان ما لو أقلُّهُ
يمسُّ نجومَ الأفقِ ما لاح كوكبُ

(١) المحيا: الوجه.

(٢) الجهام: السحاب لا ماء فيه. والخب: الخادع والذي لا مطر فيه.

ولو حَلَّ بِالْبَحْرِ الْمَحِيطِ أَقْلُ مَا
 يعانيه قلبي ما جرى فيه مَرَكَبُ
 أُبَيْتُ إِذَا مَآ بَتُّ مِمَّا أُجِنُّهُ
 على مثل مشبوبِ الغَضَى أَتَقَلَّبُ (١)
 وتُصَبِّحُ إِن أَصْبَحْتُ نَشْوَى مَحَاجِرِي
 وليس لها إلا من السُّهُدِ مَشْرَبُ
 أما للليالي الصائلات بهدنةٍ
 فقد أوشكت نفسي النفيسة تَعَطَّبُ
 تحاربني حتى كَأَنِّي مَجْرَمُ
 إليهن جرماً أو كَأَنِّي مُذْنِبُ
 ولم أجترم جرماً سوى أَنِّي فَتَى
 أريد الذي تَزْوِيهِ عَنِّي وَأَطْلُبُ (٢)
 تريدُ الليالي الجَرِّيَ مِنِّي كَمَا جَرَّتْ
 وذلك ما عنه أَحْيِيدُ وَأَهْرُبُ
 تَجَنَّبْتُ مَا تَرْضَى اللَّيَالِي وَتَشْتَهِي
 ومثلي لما ترضاه قد يتجَنَّبُ
 ظمئتُ وحاولت الورود فلم أجد
 من الورود ما يصفو فمن أين أشرب
 ألا ليت صَدَرَ الْغَيْبِ مَا زَالَ كَاتِمِي
 كما يكتُم الأسرار حُرُّ مَهْدَبُ
 فَمَا لِي إِلا اللَّهُ فِي الدَّهْرِ مَطْمَعُ
 ولا لي إِلا اللَّهُ فِي الدَّهْرِ مَأْرَبُ

(١) أجنه: ستره. والغضا: نوع من النبات يوقد به.

(٢) تزويه: تقبضه وتطويه.

هو الدهرُ أمّا يومُهُ فهو أرَقَمُ
يصول وأما ليله فهو عَقْرَبُ
وإني وإن ضاق الزمانُ بوُسْعِهِ
عَلَيَّ فلي في الصبر ما هو أرْحَبُ

للحق عاقبة الأمور^(١)

ما دمت في أبناء يعربٍ سالمًا
مما عليك من الحوادث نرهبُ
فالدهرُ أعيادٌ لهم أيامُهُ
طُرّاً وجَدَي جَدُهُمْ إذا أُنسَبُ
فَلِذَاكَ لَمَّا أَنْ بَعَثْتُ مَهْنُؤًا
بالفطر طِرُسَكَ ظَلْتُ مِنْهُ أَعْجَبُ^(٢)
الدَّهْرُ عِيدِي كُلُّهُ مَا لَمْ يَزَلْ
يفترُّ عن مَحْيَاكَ قُوهُ الْأَشْنَبِ^(٣)
الفطرُ والأضحى كِلا عِيدَيْهِمَا
إِنْ عُدَّ عِيدُكَ لَيْسَ شَيْئًا يُحْسَبُ
إِنِّي لِأَصْدُقُّ وَالْقَرِيضُ أَجْلُهُ
ما كان من أخلافِ صِدْقٍ يُحَلَّبُ^(٤)
هذي مساعيكِ النفيسةُ شُهْدُ
إِنْ قَامَ لِي فِيهِمَا أَقْوَلُ مَكْذَبُ
حَسْبِي بِهِنْ مَصْدَقًا وَبِكُلِّ مَنْ
يَنْمِيهِ فِي هَذِي الْبَرِيَّةِ يَعْرُبُ
مَا زَلْتَ تَمَحُّضُ كُلِّ قَوْمٍ مِنْهُمْ
نُصْحًا يَرُدُّ إِلَى الْهَدْيِ مَنْ نَكَبُوا^(٥)

(١) قالها ربنا على تهنئة بعيد الفطر بعث بها إليه الزعيم التونسي المرحوم عبدالعزيز الثعالبي.

(٢) الطرس: الصحيفة.

(٣) يفتتر: يضحك ضحكا حسنا.

(٤) الأخلاف: جمع خلف وهو الضرع لكل ذات خف وظلف.

(٥) نكبوا عن الطريق: عدلوا عنه.

تُغري بتَطالِبِ المعالي زاهداً
 فيها فيُضحى وهو فيها أشعب^(١)
 وإلى أثيلِ المجد تُدني نائياً
 عنه فيفدو طَوْعَ نُصْحِكَ يَقْرُبُ
 وَلَكَمْ حَوَيْتَ فِضَائِلًا لو جُسِّمَتْ
 أَلْفَيْتَ شَمْسَ الظهرِ فيها تغربُ
 ومناقبًا أوتيتَها عن حصرها
 بالعدِّ يَرْجِعُ خَائِبًا من يطبُ
 وخلائقًا كالروضِ إلا أنه
 بسوى شهورِ ربيعِهِ لا يُخصِبُ
 يزهو بأذارٍ وخِدْنِيهِ فإن
 ولئِن جَفَّ وهذه لا تَشْتَسِبُ^(٢)



أزعيمَ تونسَ والكويتَ فسيحةً
 قد ضاق بي منها الفسيح الأرحب
 إن يُردني بوُسي فلوموا موطني
 بعدي على تفريطه بيَ واعتَبوا
 حاولتُ إدراكَ الوظيفةِ جاهداً
 بالقوتِ من قومي فعَزَّ المطلبُ
 منحوا الوظائفَ كل من ضاقت بهم
 ذرعًا لجهلهم فباتت تُندُبُ
 وأنا وشكلي في بلادي مَعوزٌ
 أبداً بكل وظيفةٍ مُتَجَنِّبُ

(١) أشعب بن جبير اشتهر بالطمع وله في ذلك أخبار.

(٢) تشسب: تهزل وتخف.

ما كنت لو أني ارتديتُ ملابسًا
 حسنتُ على نيلِ الوظيفةِ أُغلبُ
 يرقى بِبِرِّهِ الفتي لا علمِ به
 أسمى الوظائفِ في الكويتِ ويكسبُ
 وأجلُّ أثوابي الحسانِ يفوتهُ
 ثمنًا لعسري ما يحوكُ العنكبُ
 كم قلتُ إن السيفَ ليس بغمده
 بل إنما هو حدهُ والمضربُ
 لكنْ إلى البائِبهم ما قلتُ
 ما كان من أسماعهم يتسرَّبُ
 شحوا عليَّ بنزْرهم وطفيفهم
 حتى وفاتي من حياتي أطيَّبُ
 لا تتركوا بعدي ملامَ معاشري
 فعسى الملامُ يُقيمُهم ويهدَّبُ
 ودعوا مقال: السيفُ أضحى سابقًا
 للعذلِ إذ جدتني لشخصي يحجبُ (١)
 إن فاتني تَمَرُ الملامِ فلم يفتُ
 من قد يجيء به القضاةُ الأغلبُ
 فلربما يَنشأ أديبٌ بانسُ
 فيهم فيُعوزُهُ البلاغُ فيعطِبُ
 وكذا إلى أن لا يظل بموطني
 أدبٌ به يسمو ولا متأدَّبُ
 فَيَشُقُّ مَشَقاهُ على نفسي وإن
 رَفَتَتْ عظامي في الترابِ ويصنَعُ

(١) يشير إلى المثل القائل «سبق السيف العذل».

قلبي يهيمُ بكلِّ وادٍ من هوى
 وطني وفيه نارٌ بوُسي تُلَهَّبُ
 من لي بماء اليُسرى يطفئ ما نكأ
 منها فففيها ما برحتُ أَعَذَّبُ
 إن كان تخليدي بنارٍ مَفاقِري
 عدلاً فأين الفضلُ عني يذهب
 أمنت بالقصاصي عليّ بما به
 مني التبصُّرُ بعد صبري يُسَلِّبُ
 عن حكمةٍ لله فينا حكمُه
 يمضي وعنا وجهُها مُتَغَيِّبُ
 ليت اعتقادي أنها موجودةٌ
 لسُفور صفحتها الجميلة مُوجِبُ
 فلعل رؤية ذى المَفاقِري وجهُها
 لعزائه من حيثُ ولَّى تجلَّبُ
 عبد العزيز وأنتَ أعلمُ عالمِ
 وأجلُّ من خَبَرُوا الأمورَ وجربُوا
 هل للقُنوطِ إذا تمكَّنَ داوُدُ
 فغدا بصاحبه يعيثُ ويلعبُ
 غيِّرُ المنيةَ من دواءٍ ناجعِ
 فأشْهُمُّ الأذيالَ عنه أنْقَبُ
 أم أن داءَ اليأسِ لم يُخلَقْ له
 طبُّ به يُلوي ولا مَـ تَطَبُّبُ
 إن يذو نبتُ قريحتي فلأنه
 من ماء دمعي وهو ملحٌ يشربُ

مَن ذَا يُفَرِّقُ بَيْنَ عَيْنِي وَالْبُكَاءِ
 وَصَدُوقُ مَخْمَصَتِي يَقُولُ سَتَشَجِبُ^(١)
 يَا مَن بِهِ غَصَّتْ مَطَامِعُ مَنْ نَمَتِ
 بَارِيسُ إِذْ جَاءَتْ لِتَوُؤَسَ تَغْصِبُ
 إِنْ غَرَّبُوكَ فَسَعِدُ مِصْرٍ أَسْوَةٌ
 فِيهِ لِمَجْدِكَ وَالْمَهْيَبُ مُقَرَّبُ^(٢)
 وَالْحَقُّ مَهْمَا تَضَنَّهُدَهُ قُوَّةُ
 يَظْهَرُ فِي يَمْنَاكَ مِنْهُ مُشْطَبُ^(٣)
 فَاهْدَأْ فَحَقُّكَ غَالِبٌ قُوَاتِهِمْ
 إِنْ عَاجَلَا أَوْ أَجَلَا يُتَرَقَّبُ
 لِلْحَقِّ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَإِنْ أَبَوَا
 وَبَسِيفِهِ سَبَبُ الْقُوَى مُتَقَضَّبُ

(١) تشجب: تهلك.

(٢) سعد مصر يريد به سعد باشا زغلول كان زعيماً مجاهداً ضد الانجليز وقد نفاه الانجليز مدة.

(٣) المشطب: السيف.

مصيبة الحرمان وعظ

لقد كان الحليبُ لنا إليه
طريقٌ واضحٌ سهلٌ رحيبٌ
ومذْ أصبحت لا فُلْسٌ ولا ما
دُوِّينَ الفُلْسِ ناكَرَني الحليب
فلستُ أرى إليه اليومُ دربًا
وكانت حسب ميسرتي الدروب
وأَي اليسر في شروى بلادي
رأى استمرازة حُرًّا أديب
فيا نفسي عن اللبن اصطبارًا
وإن أصبأك منه إليه طيب^(١)
فإن أضحي ومَدعاهُ بعيدُ
فكم أضحي ومَدعاهُ قريب
وهاتا عادةُ الأيامِ فينا
تُرَدُّها الحوادثُ والخطوب
ولا تنسى زمانًا كان فيه
يواتيك الحُبُّ ويَلِيبُ والحَلوب
فكم لبنٍ مزجنا الشاي منه
وياقِ يهـ تركناه يروب
فأصبح بين إبريقي وبينني
يسير مسارعًا كوابٍ رَغيب

(١) أصباك: شاكك.

وَإِذْ شَمْسُ الضُّحَىٰ أَذْكَتْ لَهَا
وَصَارَ لِعَابُهَا فَوْقِي يَذُوبُ
أَهْبَتْ بِرَائِبٍ مَّا هَالِ إِلَّا
وَهَانَ لَدَىٰ تَحَسُّبِهِ الْهَيْبُ
فَكَانَتْ شَرِبَتَانِ بِكُلِّ يَوْمٍ
أَصَابُهُمَا يَلْذُمُهُمَا الشُّرُوبُ

لَعَلَّ مَصِيبَةَ الْحَرَمَانِ وَعِظُ
بِهِ وَافَتْ تُنَبِّئُهُنَا الذُّنُوبُ
فَكَمْ شِيقَاقٍ حَلَبْنَاهَا وَعَنْزِ
وَلَمْ تُشْبِعِ صَفَارَهُمَا الشُّخُوبُ
حَلِيبِ الْأُمِّ لِلْمَوْلُودِ قَوْتُ
وَأَخْذِي مِنْهُ غَيْرَ الْفَضْلِ حُوبُ
وَإِنِّي الْيَوْمَ مِنْ مَاضِي صَنِيعِي
إِلَىٰ رَبِّي لِيَغْفِرَ لِي فِرَّةَ أَتُوبُ

لَوْ أَنْعَكْتَ أُمُورَ الْخَلْقِ حَيِّنًا
وَزَحَّزَحَ نَائِبَ الْعَكْسِ الْمُنِيبُ
لَرَقَّتْ لِلْبَهَائِمِ مِنْ ذَوِيهَا
وَلَانَتْ بَعْدَ قَسْوَتِهَا الْقُلُوبُ
وَطَالَ مِنَ الْقُسْسَاةِ مَا جَنُوءُ
عَلَىٰ الْحَيَّوَانِ مِنْ قَبْلِ النَّحِيبِ
وَلَمْ نَسْمَعْ خَوَارًا أَوْ ثَغَاءً
يُرْدُدُهُ كَمَا تَقْضِي الْكَرُوبُ (١)

(١) الخوار للبقرة. والثغاء للغنم.

فليس صياحُهُ إلا دعاءً
 به يمضي التَّألُّمُ أو يثوب^(١)
 على من قلبه منا عليه
 كما لا يشتهي قاسٍ صليب
 فمما الحيوانُ للإنسان إلا
 شبيهةٌ في مشاعره ضريب^(٢)
 نُحِسُّ كما نُحِسُّ الأمرِ يأتي
 به العيش البغيضُ أو الصليب
 حقوقُك أيها الحيوانُ عنها
 أطل منامي المرعى الخصب
 وإذ زال انتبـهتُ فنال شكري
 على التنبية مرعائي الجديب
 وهاتا نعمةٌ كبرى يراها
 منافسرها لو انجالت الغيوب
 إحالةً لين عيش المرء يُبَسِّأ
 إذا وعظته حياها اللبيب
 ففيضُ معينٍ يُسرُّ المرءَ مهما
 به نُسيَ الحقوقُ هو النُضوب
 لأن عليه من أعطاه يسرّاً
 رقيبٌ ليس يُهمُّه حسيب
 تذكر يا أخوا النسيان ربّاً
 كما تأتي يُعاقبُ أو يُثيب
 وطالعٌ عدله في كلِّ شيءٍ
 به تلقاك سِلمٌ أو حُروب

(١) يثوب: يرجع.

(٢) الضريب: النظير والمثل.

بعين من حجاجك فهي عين
إذا انفتحت تكشف ما يُريب
فإن تنظر بها يظهـر جلياً
لك المأمول منه والرهيب
فلم نُعط الحجاج إلا دليلاً
إلى ما الخير فيه بنا يهيب
فإن تستهد عقالك فزت أو لا
فأنت بتركه ممن يخيب
على حسب أتباع العقل كل
غدا في الأمر يخطئ أو يصيب

الخطب هو الخطيب^(١)

يعاني الغربُ ما تنبؤ الجنوبُ
به ووليدهُ منه يشيبُ
حروبُ خاضها فسألوهُ ماذا
به تركت من الأثر الخروب
ولم يُلْفَحْ مُخَيِّا الغربِ لو لم
يجيءُ من نار هيجاءٍ لهيب
فجوزَ الغربِ جرَّ عليه ما قد
أبادتُ قلباً منه الندوب
ذووهُ اليوم بين مميت عري
وجوع ما شكا شرواهُ ذيب^(٢)
وكانت أنعم الدنيا عليهم
كما شاعوا سحائبها تصوب^(٣)
فصارت كلُّها نقماً شجاها
له بحلوقهم طراً نُشوب^(٤)
تحولَ فيهم مَشَقِيٌّ وضنكاً
لبغيهم نعيمهم الرغيب
فأصبح مصدرَ البسمات فيهم
وصادراً عويلٌ أو نحيب

(١) قالها في الحرب العالمية الثانية.

(٢) شرواه: مثله.

(٣) تصوب: تمطر وتنصب.

(٤) الشجا: ما يعترض في الحلق من عظم أو عود أو غيرهما.

ومن لم يُوسِعِ النُّعْمَاءَ شُكْرًا
 فبِشَّرِهِ بِنَائِبَةٍ تَنُوبُ
 إِذَا نَعِمَ الْمَعَاشِرَ أَبْطَرَتْهُمْ
 ففَيْضٌ مَعِينُهُنَّ هُوَ النُّضُوبُ
 أَسْأَلُوا أَمْسِ أَدْمَعَنَا عِتْدَاءُ
 فَسَالِ الْيَوْمَ دَمْعُهُمُ الصَّبِيبُ
 وَمَهْمَا جِئْتَ مِنْ عَدْلِ وَشَرِّ
 إِلَيْكَ يَرُدُّهُ الْعَدْلُ الْخَسِيبُ
 أَتَاهُمْ وَأَعْظَا مَا حَلَّ فِيهِمْ
 وَهَلْ عِظَةٌ كَمَا تُمْلِي الْخُطُوبُ
 خَطِيبُ النَّاسِ خَطْبُهُمْ فَمَهْمَا
 تَكَلَّمَ بَيْنَهُمْ سَكَتَ الْخَطِيبُ
 فَهَلْ مِنْ سَكْرَةِ الْبَطْرِ الْمَعْفَى
 صَحَّتْ مِنْهُمْ عَلَى الْوَعظِ الْقُلُوبُ^(١)
 فَتَابُوا خَوْفَ أَنْ تَأْتِيَ عَلَيْهِمْ
 عَوَاقِبُ ظَلَمِهِمْ أَمْ لَمْ يَتَوَبُوا
 فَثَالِثَةُ الْأَثَافِي - إِنْ أَصْرُوا
 عَلَى مَاضِي صَنِيعِهِمْ - قَرِيبُ^(٢)
 فَإِنْ حَرَبَاهُمَا رَمَتَا مَضِيغًا
 أَدُقُّنَّهُ النُّوَاجِذُ وَالنُّيُوبُ^(٣)
 فَمَا رَمَتَاهُ مَمْضُوعًا فَمِنْهُ
 دَنَتْ لِلْبَلْعِ أَكْلَةُ شَرُّوبِ

(١) المعفي: المزيل للأثر.

(٢) الأثافية: ما يوضع عليها القدر، وكانوا يأتون إلى جوار الجبل فيجعلون بجواره اثفيتين والثالثة هي الجبل ويقال رماه الله بثالثة الأثافي أي بالشر كله. كأنهم قالوا رماه الله بالجبل الذي هو ثالثة الأثافي.

(٣) المضيغة: كل لحم على عظم والجمع مضيغ ومضائغ. والمضيق أيضًا الممضوغ فعيل بمعنى مفعول.

طويلاً أمهلوا حتى تأذت
 من المستضعفين بهم شعوب
 وأطفاهم نعيم العيش حتى
 دهننا من شرورهم ضروب
 وخاننا أنهم جئوا وأن لم
 يظلل بهم ليرقواهم أريب
 إهمالاً بدا الإمهال فيما
 أراهم - من ظنونهم - الكذوب^(١)
 فجاروا حسب ما ظنوا إلى أن
 دهاهم غب جورهم العاصيب^(٢)
 هو الإمهال لا الإهمال جاءت
 لتشرح مئنة لهم الكروب
 ذنوباً أكثرها منها فوافت
 تريهم كيف عقبها الذنوب
 وما تفعله تلق الله يجزي
 به وفقاً يعاقب أويثيب
 عجببت لكل من في الله مناً
 يخامر قلبه شكاً مريب
 ومن آثاره في كل أمر
 لمعلم فكره عجب عجيب
 عظام بالغيات كل يوم
 تُوافي لا تغيب ولا تغيب^(٣)

(١) الكذوب: هنا يريد به الشيطان.

(٢) غب جورهم: عقبي ظلمهم.

(٣) لا تغيب: لا تغيب ولا تصل إلى نهايتها.

بِأَفْئِدَةِ الْأَلَى ارْتَابُوا وَشَكَّوْا
إِلَى الْإِيمَانِ دَاعِيَهَا يُهَيِّبُ (١)
فَطَالِعَهَا بِعَيْنِ حِجَاكَ تُصْبِحُ
وَدَاجِي الشُّكِّ عَنْكَ بِهَا مَجُوبُ (٢)
فَوَادُ الْمَرْءِ إِنْ يُمْرِضُهُ شَكُّ
فَمِنْ هَذِي الْعِظَاتِ لَهُ طَبِيبُ
تَأْمَلُ مَا تَرَى فِي كُلِّ خُطْبٍ
بِهِ الْأَيَّامُ تَنْزَهَبُ أَوْ تَوُوبُ
فَإِنْ خَطُوبَهَا حَلَوًا وَمَرًّا
بِهِنَّ لِرَبِّهِ يَصِلُ الْأَبِيبُ
وَهَلْ وَهَبَ الْحَجِي الْإِنْسَانَ إِلَّا
لِيَعْرِفَهُ بِهِ اللَّهُ الْوَهَّابُ
أَرَى مَنْ يَقْتَفِي مَنَا حِجَاةُ
إِلَى الْإِيمَانِ مِنْهُجَّةُ أَحْوَبُ (٣)
وَلَمْ أَرِ مَا خَلَا الْإِيمَانَ شَيْئًا
بِهِ لِلنَّاسِ عَيْشٌ هُمْ يُطِيبُ
فَهَذَا الْعَيْشُ رَاحَتُهُ - لِمَنْ لَمْ
يَعِشْهُ مُؤْمِنًا أَبَدًا - لُغُوبُ (٤)
مَسْتَى أَمَنْتَ لَا يَحْزُنُكَ أَمْرٌ
بِهِ دُنِيَاكَ تَخْطِي أَوْ تَصِيبُ
فَلَمْ يَجْزَعْ وَلَمْ يَهْلَعْ فَوَادُ
مَنْ الْإِيمَانَ نَمَّ لَهُ نَصِيبُ

(١) يهيب: يدعو.

(٢) مجوب: مكشوف مأخوذ من جاب الشيء قطعته كما يجاب الجيب.

(٣) اللجوب: الوضوح. لحب الطريق لحويا وضج، ومنه طريق لاحب ولحب وملحوب.

(٤) لغوب: تعب وإعياء.

وما قلتُ لمن يقفوجِجاءُ
إلى إيمانهِ منا الدُّروب
إليه كلُّها الأشياءُ طُرُقًا
لعين العاقل إن نظرتْ تثوب
فما شيءٌ إذا فكَرتَ فيه
لخالقه بفكرك لا يُنيب
غَضارةٌ كل شيءٍ إن تَسأها
به تُخبرُ ويخبرُكَ الشُّحوب^(١)
فسل ما رمت من شيءٍ تَجِدُه
إليه هاديًا لك إذ يُجيب

(١) الغضارة: النعمة والبهجة والخصب وسعة العيش.

بلا وحدة ضياع^(١)

ستبقى على الأحقاب حُفْبًا إلى حُفْبِ
خيالاً على رغم المنى وحدة العُربِ
وأَيُّ أمورِ الناسِ وحَّدَ بينهم
إذا لم توحَّدَ بينهم شِدَّةُ الخُطْبِ
ولا خُطْبَ يُبلي صبرَ كلِّ أخِي نُهَى
كـريمٍ ويطوي القلبَ منه على نَدْبِ
كهذا الذي يُضحى ويُمسي محوِّلاً
فلسطينَ من كربٍ شديدٍ إلى كُربِ
وها نحن شَتَّى لم يحوِّلْ مصابُها
تباعُدَ ذاتِ البينِ منا إلى قُربِ
ولو أَلْفَتْ ما بيننا يدُ خُطْبِها
كتأليفِ كَفِّ مثْلُهُ الشعبُ ذو الإربِ
ورحنا جميلاً أو غدونا لنصرها
لما طال منها المكثُ في الحادثِ الصَّعبِ
ولو تَمَّ من قبلُ اتحادُ بني أبي
أخافَ العدا منها المحيَّا الذي يُصبي
ولا حَلَّها أو حلَّ أرضاً سَواءها
لنا كاشحُ مستشعرُ نيَّةِ الغصبِ
ونلنا احترامَ (الإنكليز) وغيرهم
على يدِ صِدقِ الخوفِ أو كَذِبِ الحُبِّ

(١) نشرت في مجلة «السجل» في ١٩ من ذي القعدة ١٣٥٦ الموافق ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٨.

فليس لنا منهم صـحـيـحٌ مـوـدَةٍ
 يكفكفُ عـنـا سـئـلُ شـرِّهِمُ المـُرـيـبـي (١)
 ولـكـنـنـا رـغـمَ الحـوـادثِ لـم تـكـن
 لـتـُدـرِكْ صـدـعَ الشـمـلِ مـنـا يـدُ الرُّأبِ (٢)
 عـلـى عـلـمـنـا أـن لـيـس غـيـرَ اتـحـصـانـنـا
 لـنـا مـعـقـلٌ يـخـسـي عـيـونَ بـنـي الغـرـبِ (٣)
 وـقـد نـدَّعـي قـرـب الوئـام فـيـنـبـري
 عـلـيـنـا لـسـانُ الحـالِ يـشـهـدُ بـالـكـذـبِ
 فـلـو لـم يـكـن مـنـا بـعـيـدًا لأبـصـرـتُ
 لـه آيـةٌ عـيـنـا فـلـسـطـيـنِ فـي الذُّبِ (٤)
 إذـا لـم يـلـحُ فـي الذُّبِ عـنـهـا فـإنـه
 سـيـبـقـي عـلـى الأيـامِ فـي حُجـبِ الغـيـبِ
 عـجـبـتُ لـنـا هـل يـلـتـقـي عـامٌ سـلـمـنـا
 إذـا لـم تـوحَّد بـيـنـنـا سـنـةُ الحـرـبِ
 وـلـيـس لـأشـتـات القـوـى مـن مـؤلَّفِ
 كـمـوجـعةٍ مـن صـحـبـهـا كـلُّ ذـي قـلـبِ
 فـيـا أـمةَ العـُـرـبِ الـتـي طـال نـومُـهـا
 عـلـى كـل مـا يُفـضـي إـلـى مـوتـهـا هـُبـي
 فـإن تـجـرـدي أـولى المـنـام لـذـيـذةُ
 فـإنـي أرى عـقـبـاه قـاصـمةَ الصُّـبِ
 أظـلُّك إِبـانُ الهـُـبـوبِ وآنـتِ مـن
 أضـالـيلِ أحـلامِ الكـرى بـعدُ فـي لـعـبِ

(١) المرابي: الزائد.

(٢) الصدع: الشق. والرأب: الإصلاح.

(٣) خساه، يخسئته: طرده وجعله يرتد، ويخسي مخففة من يخسي.

(٤) ذب عنه: دفع ومنع.

فقومي انظري شرقَ البلادِ وغربَها
 وما أدركاه اليوم من مرتعِ خِصْبِ
 فقد أخْصَبَا حَسْبَ التِّيْقُظِ مِنْهُمَا
 وألقاكِ بعد الخِصْبِ نَوْمُكَ فِي الجَدْبِ
 وما بعد جَدْبِ الشَّعْبِ غَيْرُ جِمَامِهِ
 إِذَا لَمْ تُزَلْ مَكْرُوهُهُ يَقْظَةُ الشَّعْبِ
 وَإِنْ لَمْ تَشِمْ مِنْهَا تَبَاشِيرَ فَجْرِهَا
 فَلَسْطِينُ فِي التَّخْلِيفِ مِنْ خَطْبِهَا الصُّلْبِ (١)
 فَيَقْظَةُ أَقْوَامِي سَتَبْقَى دَفِينَةً
 بِتُرْبِ الكَرَى حَتَّى يَعُودُوا إِلَى التُّرْبِ
 وَمَنْ لَمْ يَنْبِ هَهُمُ هُمْ أَنْيُنُ ذَوِيهِمْ
 لَدَمْعِ يَتَامَى بَيْنَهُمْ دَائِمِ السُّكْبِ
 وَنَوْحُ نَكَالِي الْأَمْهَاتِ يَمُودُهُ
 عَلَى شَجْوِهِ مَا لِلأَيَامِي مِنَ النَّدْبِ (٢)
 فَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ تَنْبُةُ
 وَإِنْ لَمْ تَصِدَّقْنِي فَسَلِّ كُلَّ ذِي لُبٍّ
 وَهَلْ قِيَمَةٌ عِنْدِي لَجَسْمِي إِذَا اعْتَرَى
 يَدِي مَرَضٌ إِنْ لَمْ أَكْفَحْهُ بِالطِّبِّ
 وَهَبْنَا انْتَبَهْنَا بَعْدَمَا تَنْتَهِي العِدَا
 وَتَفْرُغُ مِنْ قَتْلِ هُنَاكَ وَمَنْ سَلَبَ
 فَمَاذَا يُفِيدُ الإِنْتِبَاهَ سِوَى البُكََا
 لِإِهْمَالِنَا فِي وَقْتِهَا نَجْدَةَ الصَّحْبِ
 لَعَمْرُ أَبِي مَا (الإِنْكَلِيْزُ) بِمَنْتَهٍ
 لَهُمْ مَطْمَعٌ إِلا بِنَاهٍ مِنَ الرَّهْبِ

(١) شام: نظر.

(٢) الندب: تعداد محاسن الميت والبكاء عليه.

فَإِنْ تَصَدِّمُوهُمْ كَفَفُوا مِنْ شُرُورِهِمْ
 وَإِلَّا أَتَوْا مِنْكُمْ عَلَى الشَّخْتِ وَالْجَبَابِ
 فَلَيْسَتْ فِلَسْطِينَ بِأَخِيرِ حَسْوَةٍ
 تَبْلُ صَدَى الْأَعْدَاءِ بِلِ أَوَّلِ الشُّرْبِ
 وَإِنْ لَمْ تُغْرِصُوا بِهَا وَتُرُوهُمْ
 مَرَارَةً مَا ظَنُّوا مِنَ السَّائِغِ الْعَذْبِ
 لِيَلْفِظَ مِنْهَا مَا أَرَادَ اِزْدِرَادَهُ
 فَمُ عَادَهُ بَلْعُ اللَّذِيذِ مِنَ النَّهْبِ
 تَحَسُّوْكُمْ حَتَّى يَرَوْا أَنَّهُمْ رُؤُوا
 وَلَا رِيَّ مَا شَامُوا الثَّمَالَه فِي الْقَعْبِ (١)



وَدِدْتُ بَجَدَعِ الْأَنْفَالِ لَوْ كُنْتُ مَبْصِرًا
 قَدِيرًا عَلَى حَمْلِ الْقَنَاةِ أَوْ الْعَضْبِ
 لِأَشْرَكَ مِنْ بَاتَتْ فِلَسْطِينَ هَمَّهُمْ
 مِنْ الْقَوْمِ فِي طَعْنِ الطِّغَاةِ أَوْ الضُّرْبِ
 فَلَسْتُ أَرَى الْقَوْلَ الْمَجْرَدَ مَقْنَعًا
 وَإِنْ كَانَ عَذْرِي غَيْرَ خَافٍ عَلَى رَبِّي
 فَلَيْسَ الْفَتَى مِنْ يُغْمِدُ الْجِبْنَ سَيْفَهُ
 وَيَنْكُصُ إِنْ عَنَّ الْجِهَادُ عَلَى الْعَقْبِ (٢)
 وَلَكِنْ فَتَى الْفَتِيَانِ عِنْدِي هُوَ الَّذِي
 يُعَدُّ مِنَ الْإِقْدَامِ فِي الْأَسْدِ الْعُلْبِ
 تَطَايَرُ عَنْهُ فِي النَّزَالِ عُدَاتُهُ
 تَطَايَرُ رَيْشٍ فِي زَعَاذِعِهِ النَّكْبِ

(١) شاموا: ابصروا. الثمالة: البقية من الطعام والشراب. والقعب: القح الضخم.

(٢) عن: ظهر.

كما جاء «فوزي» العلا و«سعيدها»
من العمل المعطيها رفعة الشُّهْب (١)
وكلُّ كَمِيٍّ ضَمُّهُ عُلْمَاهُمَا
لإعلاء صوت الحق رغماً على الشُّعْب (٢)
فقد أعرَبوا في جُرْأَةٍ عَرَبِيَّةٍ
إلى اليوم لم تُخَلِّ الطِفْأَةُ من الرُّعْبِ

(١) إشارة إلى رجلين من رجال المقاومة الفلسطينية في النصف الأول من القرن الماضي.
(٢) الكمي: الشجاع ولبس السلاح.

حقوقوا بثورتهم الآمال^(١)

لقد أنعشتُ مصرُ رجاءَ بني العُربِ
فأئننى عليها منهم كلُّ ذي لبٍّ
غدتُ من بني العُربِ الكرامِ جميعهم
مناطُ عرى الآمالِ في السُّمِّ والحربِ
رأوا منذ ثارت كلُّ أمــــرٍ أتت به
ليعرُبَ فيه وجهُ منفعةٍ يُصبي
فمن كلِّ من ناميه يعُربُ ما لها
مَحَلٌّ لِعُربٍ منذ ثارت سوى القلبِ
كما عن قلوب الكلِّ أفواهُمُ غدت
مترجمةً صدقَ المودَّةِ والحُبِّ
عتبتُ عليها قبل ثورتها لما
رأيتُ لها إذ ذاك من موجبِ العُتبِ
وهل يرتضي المحبوبُ حُبَّ مُحِبِّهِ
إذا لم يعاتبه المحبُّ على الذنبِ
فردتُ إلى حمدي عتابي كلُّهُ
لمصرٍ مساعي أُسَدِ ثورتها الغُلبِ
مساعٍ أقرتُ أعينَ العُربِ كلُّهم
فذو البعد منهم في اغتباطِ وذو القُربِ
ففي كل يومٍ نجتلي مُنْيَةً لنا
بسعي لهم عن طيبٍ عنصرهم يُنبى

(١) قالها في ثورة مصر.

وأحدتُ ما سرّوا النفوسَ بكونه
وإعلانهِ الدستورُ ذو الدفعِ والجلبِ
فلا برحتُ مصرُ بهم وهي مصدرُ
لفرحةِ أسلافِ العروبةِ والعقبِ
فأئيُّ كرامِ العُربِ ما سرُّ قلبُهُ
ودستورها الشعبيُّ يُعلنُ للشعبِ
وما الشعبُ إلا بعضُ أمةٍ يعرُبُ
على حالتي رهبِ الحوادثِ والرعبِ
تبسّمَ عنهم نائرينَ فحقُّ قوا
بثورتهم أمالنا مبيسّمُ الغيبِ
وكم كُنَّ صدرُ الغيبِ رفعاً بمثلهم
لمن كان مثلُ العُربِ يشكو من النُصَبِ
وعند اشتدادِ الحاجِ ترفّعَ عنهمُ
يد الله ما يصفو عليهم من الحجبِ
فعدلٌ وخصبٌ واتحادٌ بديلةُ
من الفُرقةِ النكداءِ والظلمِ والجَدبِ
وإننا لنرجو أن يتوجَّ سعْيُهم
بنزعهمُ من جنبنا شوكةَ الجُنُبِ
فقد كُربِتْ منا القلوبُ ولم يكن
سوى نزعها يشفي القلوبَ من الكربِ
تأذى بنوقومي فسسرُ أذاهمُ
أناسًا أقاموها طريقًا إلى السُّلبِ
ولو لم يسرُّ الكلبُ بالعقْرِ رَبِّيَّةُ
لما زفَّ بعد العقْرِ خيرًا إلى الكلبِ
وها هي حتى اليومَ موضعُ عَيْنهمُ
بما تشتهي من جَزَلِ مالٍ ومن ذبِّ

جرائمها اللاتي نمت وتعددت
 يراهن أهل الغرب بالعكس والقلب
 فما نشتكى من صنعها يشكرونها
 لها بلسان من معونتهم رطب
 ولو لم يريدوا رمي قومي بكل ما
 يُطيبون من شخت الأذية والجأب^(١)
 لما أسكنوا يوماً فلسطين عصابةً
 على القتل غدراً قد ربت وعلى النهب
 وشدوا القوى منها بتسليحهم لها
 إلى أن غدت تحكي به ذنب الضب
 وسدوا علينا طرق تسليحنا فلم
 نزل برضاهم من سنان ولا عضب
 سماءهم كانت صواعق فوقنا
 وفوق بني صهيون ممطرة السحب
 لهم أبعدوا عن أرضنا أهل أرضنا
 بأيدي قوى تنيئها دائب اللسب^(٢)
 لتبقى رحي استعمارهم في ديارنا
 تدور من الغدر اليهود على قُطب
 فكل فؤاد يعربي قد انطوى
 لصنعهم الوحشي هذا على نذب^(٣)
 على ظلمنا من ساسة الغرب لا أرى
 سوى مُقدم طوع الهوى بطل نذب^(٤)

(١) الشخت: الدقيق والنعيف. والجأب: الغليظ.

(٢) اللسب: اللدغ.

(٣) النذب بفتح النون والذال: الجرح وسكنها للشعر.

(٤) النذب: الخفيف في الحاجة، السريع والظريف والنجيب.

وَيَأْبُونَ إِلَّا أَنْ نُحْصِيَ دَقَّ أَنَّهُمْ
 لَنَا أَصْدِقَاءُ مَخْلُصُونَ بِلا رَيْبٍ
 بِمَا أَسْمَعُونَنا مِنْ كِلامِ مودَةٍ
 تُكذِّبُهُ الأَفْعالُ فِي الوَهْدِ وَالهِضْبِ^(١)
 لِيُبانَ مَقالِ قَدِ يَغُرُّ لَوْ أَنَّهُ
 يَجِيءُ بِلا لَدَغٍ مِنَ العَمَلِ الصُّلْبِ
 نفاقٌ أَتى اسْتِعْمارَهُمْ دارِعاً بِهِ
 وَحَبُّ فَبَعْدًا لِلنَّفِاقِ وَاللَّحَبِ^(٢)
 أبالسُّهُمِ مَسْمومًا تَريدُ إِصابةً
 لما بَينَ أَضْلالِ عِي مِنَ الكِبَدِ وَالخِلبِ^(٣)
 وَتَزَعَمُ لي مِنَ بَعْدُ أَنْكَ وَامِيقِي
 وَهَلْ مِيقَةٌ تَدنِي إِلى مَنقُضِي النُّحْبِ^(٤)
 بَنو يَعرَبُ يا غَرِبُ لِيَسُوا كَما تَرى
 مَجانينَ حَتى يَأخُذو مَنكَ بِالكَذِبِ
 وَإِنْ لَمْ تُغَيِّرْ فِي فِلسطِينَ ما جَنَّتْ
 يَدَاكَ بَرْدًا الصُّدَعِ مَنها إِلى رَأبٍ
 فَغَيرُ مُحالٍ أَنْ تَرى مِنَ حِسابِنا
 عَسيراً مَتى وَافى تَقَلُّ مَشْفَقًا حَسَبِي
 وَإِنْ تَرَهُ صَعْبًا عَلينا فَكَمِ ثَنِي
 إِلى السَّهْلِ صَنعُ اللهِ ما كانَ مِنَ صَعْبٍ



(١) الوهد: المطمئن من الأرض. والهضب: الجبل المنبسط.

(٢) الحب: الخداع.

(٣) الخلب: حجاب القلب.

(٤) وامق: محب، والمقة: الحب. منقضي النحب: الهالك المنتهي الأجل.

رَمَتْنا من الغربِ الرُّماةُ بِشَرِّ ما
به يَنْتَني الأَمْنُ العَمِيمُ إلى رَهَبِ
بمجموعَةٍ من كلِّ من نَبَذَتْهُمُ
ديارُ الوري نَبَذَ الشُّبَاعُ نوى القَسَبِ (١)
لكيما يَرَوُا منها أداةَ خبيثَةٍ
ملازمةً نَشَرَ المَفاَسِدَ والرُّعْبَ
فما مَرَّ يَوْمٌ لم تَثِبَ فيه حَسَبَ ما
يشاءُ لها الطبعُ الغَدورُ من الوَبِّ
وقد أَمِنْتَ منا لَطولِ احْتِمالِنا
عواقِبَ ما تَأْتِيه من عَمَلِ الذُّنْبِ
ويا طالما غَرَّ التَّفَاضِي مِشاغِبًا
فأوغل حَمْمًا في التَحَرُّشِ والشُّغْبِ
إلى أن تَلْقَاهُ الخَصِيمُ مِجازِيًا
بمرغمةٍ منه المُعِيطَسَ في التُّرْبِ (٢)
وفي حُمُقِ إِسْرائِيلَ لم أَرِ مِعاشرًا
تَكشَفَ عنه العِصْرُ أو ورقُ الكُتُبِ
عِصا السُّبُلِ أَلقَتها من الأَرْضِ حيثُ لا
أمانَ لِعادِمٍ من زِعاذِعِها النُّكْبِ
وظنَّتُ جِوازَ العِيشِ بَينَ ضِياغِمِ
صِحاغِ لَذوِيانٍ مَحَرَّشَةِ جُرْبِ
كَأَنَّ أَسودَ الغابِ تُدركُ مِثلها
من الغابِ في سَهْلِ المِرابِضِ والرُّحْبِ

(١) القسب: الثمر اليابس.

(٢) المعيطس: تصغير المعطس وهو الأنفس. وارغمه جعله في الرغام وهو التراب، ويراد بمرغمة المعيطس: المذلة والإذلال.

أطاعت من المغوين كلَّ مغررٍ
بها يبتغي منها وسائلَ للكسبِ
ولم يَغْنِه من شأنها مثلُ ما به
يظلُّ من الشرقيين في المرتعِ الخصبِ
ولو فكَرَتْ خَافَتْ تَبَوُّوا مَنْزِلَ
مَمِيَتْ لَهَا مِمَّا غَدَا حُسْنُهُ يَسْبِي
ولم يَغْوِهَا مَغْوِ لَهَا بِنَزْوِلِهِ
ولو جَاءَهَا الْإِغْرَاءُ مِنْ سَاحِرِ طَبِّ
ولكن عسى استئصالُ شَأْفَتْهَا دَنَا
فكم من عذابٍ قد تولدَ من عَذْبِ
ومَا طَيْرَانِ النَّمْلِ إِلَّا عِلَامَةٌ
على أنه منه دَنَا قَاسِمُ الصُّلْبِ
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّهُ حُمٌّ مَوْتُهَا
بَأَيْدِ شِدَادِ الطَّعَنِ فِي الْحَرْبِ وَالضَّرْبِ
طَوَالَ مَتِينَاتِ الْقَوَى يَعْزِيبِيَّةِ
عليها يتوبُّ الغاصبونُ عن الغَصْبِ
بَهْنُ سَيْرْمِيهِمْ جَمَالٌ وَصَحْبُهُ
فقل في جمالٍ ما تشاء وفي الصَّحْبِ
بَنَا سَلَكُوا دَرْبًا إِلَى كُلِّ مَا بِهِ
يَعُودُ لَنَا الْمَجْدُ الْمَنِيفُ عَلَى الشَّهْبِ
وَعَايَةُ هَذَا الدَّرْبِ غَيْرُ بَعِيدَةٍ
فَأَمَّا تَأَلُّهُمُ تَدْنُو بِهِمْ غَايَةُ الدَّرْبِ
فَزِدْ مِنْ حَيَاتِي فِي حَيَاةِ جَمَالِنَا
وَأَصْحَابِهِ الْغُرَّ الْمِيَامِينَ يَا رَبِّي
فمَحْيَاهُمْ مَحْيَا لِأَمَالِ يَعْزِبِيَّةِ
وَأَبْنَائِهِ فِي الشَّرْقِ كَانُوا أَوْ الْغَرْبِ

أَحْيَيْهِمْ طُرّاً وَأَرْجُو بَقَاءَهُمْ
نَجُومَ هَدًى لِلْعَرَبِ فِي مَظْلَمِ الْخَطْبِ
أَطَلْتُ عَتَابِي قَبْلُ وَالْيَوْمَ أَشْتَهِي
مِنَ الْحَمْدِ مَا يَحْكِيهِ فِي الطَّوْلِ أَوْ يُرَبِّي (١)
فِي عَتَاقِنِي عَنِ ذَاكَ ضَعْفٌ بِهِ رَمَى
قَوَى جَسَدِي رَامٍ مَمِيئٍ مِنَ الشُّيْبِ
وَهَلْ ضَعْفٌ جَسْمِ الْمَرْءِ يَتْرِكُ عَزْمَهُ
قَوِيّاً يَوَاتِي لِلْحَصُولِ عَلَى الْإِرْبِ (٢)

(١) يربّي: يزيّد.

(٢) الإرب: الحاجة.

حبي يجذبني^(١)

يُخْخِيلُ لِي أَنِي ثَقِيلٌ عَلَى الْأُلَى
أزور من الصَّيْدِ الْأُلَى وَدَهُمُ قَلْبِي^(٢)
لذلك من شاقوا فَوَادِي يَرَوْنَنِي
قليلَ اللقا بالرغم من كثرةِ الحُب
ومن يتخيلُ ثِقْلَ زورته يكن
لمنزله جِلْسًا حِذَارَ أذَى الصَّحْبِ^(٣)
وما لي في دفع التخييل من يدٍ
فأغدو منهم طوع ودي على قُرب
إذا عنت العاداتُ يوجبُنَ وصلهم
أبى أن أراه تاركًا نحوهم دَرْبِي
فلم ألق من صحبي الكرام مهنتًا
بذا العيد من مَلْقَاهُ لِي شَائِقُ مُصْبِي
قعدتُ وحُبِّي أن أقوم مؤديًا
حقوق صحابي الغرِّ يشتدُّ في جَدْبِي
فلم يَسْتَجِلْ كَوْنُ التخييلِ صادقًا
كما جاز منه أن يوافي بالكذب
فإن كان ذا صدقٍ أرحتُ أحبَّتي
وإن كان ذا كذبٍ فيا حَسْبَهُ رَبِّي

(١) كانت عادته أن يزور الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في الأعياد للتهنئة. ولما لزم بيته أرسل هذه القصيدة للشيخ يوسف يعتذر فيها عن زيارته له للتهنئة بالعيد.

(٢) الصيد: جمع الأصيد وهو الذي يرفع رأسه كبرًا ويراد بهم هنا الكبار العظماء.

(٣) يقال فلان جلس بيته: إذا لم يبرحه. وأصل الحلس ما يبسط تحت المتاع وما يوضع تحت لبد الدابة.

فهل في قعودي عن أدائي واجباً
 عليّ به العادات يحكّمَن من عَثِبِ
 أجِبُّنِي يا فخرَ الكويت ومن به
 حوت رغم تصغير اسمها أعظمَ الشُّهْبِ
 فما أنا عن فتوى ابن عيسى بمائلٍ
 ولو جشمتني السيرَ في مسلكِ صَعَبِ
 أرى طاعتي إِيَّاه مـفـخـرةٌ على
 مـفـاخـريّ اللائي أدلُّ بها تِرْبِي (١)
 فيـوسـفُ هادينا وهادي هُدَاتِنَا
 إلى غايَتِي شَخْتِ المكارم والجَبَابِ (٢)
 فلولاه لم أعرف طريقي إلى العُلا
 ولم أقضِ حتى اليوم من وصلها إِرْبِي
 سجاياه أعجبن النفوسَ نفاسَةً
 ولم نَلْقَهُ يوماً بهنُّ أخا عُجْبِ
 كأن لم يكن يدري محاسنَ نفسِهِ
 وقد راح مسحوراً بها كلُّ ذي لُبِّ
 ولو كان شعري كفاءَ وصفِ خِلالِهِ
 لما كان إلا وصفَ هُنُّ به دأبِي
 فَحَسْبِي فخرًا أن أكون مواظبًا
 بشعري على وصفي خلائقَهُ حَسْبِي
 ولكنَّ شعري لم يكن كفاءَ وصفِها
 ولو كان منظومًا من اللؤلؤ الرُّطْبِ

(١) أدل على أقرانه: تعاضم عليهم واجترا. الترب: الذئيد الذي سنه مثل سنك.

(٢) الشخت: النحيف الدقيق. والجاب: الغليظ.

المرء حسب السجايا^(١)

أثنى عليك مُحِقّاً مَقُولُ الأَدَبِ
يا من نَمَاهُ لِخَيْرِ الرُّسُلِ خَيْرُ أَبِ
فكم نظرتَ إلى الآدابِ تَنعَشُهَا
وأهلها نَظَرَاتِ المَشْفِقِ الحَدِيبِ
وكم عطفَتَ إلى الآدابِ مَنحَرَفّاً
عنهنَّ عطفَ سَدِيدِ الرأْيِ ذِي الدَّرَبِ^(٢)
فصار يسكنُ لِلآدابِ مَنجَذِباً
لها انجذابَ أَخِي الأَطْمَاعِ لِلذَّهَبِ
وكان قَبْلُ عن الآدابِ مَبْتَعِداً
ولا ابْتِعادَ صَحيحِ الجِلْدِ عن جَرِيبِ
فلو حَبَبَتَكَ الكَوَيْتُ الشُّكْرَ مَنصَفَةً
صاغتُهُ مُحْكِمَةً من جَوهرِ الشُّهُبِ
فأنت أنت إذا آدابُها نَبَسَتْ
أفـواهُنَّ بِشكوى نازلِ النُّوبِ^(٣)
عنايةً منك بِالآدابِ دائِبَةً
ولا سَآمَةَ وإِسْآمُ في الدَّابِ
سجِيَّةً فيك حبِ العِلمِ راسِخَةً
رَسوخَ حُبِّ ذَوِيهِ منك في العَصَبِ

(١) بعث بها إلى صديقه الفاضل السيد عبدالرحمن بك بن السيد خلف باشا النقيب.

(٢) الدرب: التجارب.

(٣) نبست: نطقت.

أجبت في رفيعك الآداب دعوتها
ومن سوى طبعه ناداه لم يُجِبِ
والمرء حسَبَ السُّجَايا فيه تنعتهُ
بالحمدِ أو ذمَّها النُّعات في العُصَبِ
ما الطبعُ للجِدِّ مِيالاً بصاحبه
كالطبع في المرء مِيالاً إلى اللُّعِبِ
فطبعُ ذي الجِدِّ يُولِيهِ ويُتَحَفُّهُ
من حمدر كل ألي الألباب بالنُّخبِ
وطبعُ ذي اللُّعِبِ الممقوتُ مرتسمٌ
في عَرْضِهِ نُذْبٌ منه على نُدْبِ
كلُّ يُريدُ معالي المجدِ يَكْسِبُها
والطبعُ يغالِبُـهُ منه على الأربِ
وإن تَكُنْ سُبُلُ أهلِ الجهلِ متعَبَةً
وليس في سُبُلِ اللُّعَابِ من تَعَبِ
فالنبعُ ما نال إلا من صلابتِه
في كل غاشيةٍ فضلاً على الغَرَبِ^(١)
هل حاز قَطُّ أثيلَ المجدِ غيرُ فتى
لم يكثرث في طريق المجدِ بالنُّصَبِ
من خاف من خطر الرِّجَافِ يُهَلِكُهُ
فكيف قُلْ لي لَهْ بالولؤِ الرُّطْبِ^(٢)
ومن يَخَفُ من عوادي النحلِ عاديةً
فغيرُ ظافرةٍ كَقَافِ الضَّرْبِ^(٣)

(١) النبع والغرب: نوعان من الأشجار.

(٢) الرجاف: البحر.

(٣) الضرب: العسل الأبيض.

يا من حببته قلبي اليوم قد سكنت
له المحببة سكنى غير منقلب
لو لم تكن لأبّر الرسل منتمياً
لكنت من برّك الموصول في عجب
لكن فرعك من أزكى الجذور بدا
والطيب في الجذر يُبقي الطيب في الشعب
والفرع كالأصل في طيب الثمار أما
يأتي الفسيل كمثل النخل بالرطب
وأصلك الأصل إذ أضحت وشيخته
موصولة السبب الأقوى بخير نبي (١)
بخير من بهدى إرشاده رشدت
هذي البرية من عجم ومن عرب
بخير من هتكت أنوار بعثته
من كل ديجور جهل أكتف الحجب (٢)
بخير من مدحتي عليها قُرب
تعتدّها مهجتي من أفضل القرب
وكيف أمدح من جاءت مدائحه
من بارئ الخلق في الأسمى من الكتب
ما قدر مدحك يا «صقر» الذي وردت
في مدحه معجزات المقول الذرب (٣)
أي من الحق ما جال البصير بها
بلحظ نهية ته يوماً فلم ينب (٤)

(١) الوشيجة: ما يشد به ويوصل.

(٢) الديجور: الظلمة.

(٣) المقول الذرب: اللسان الفصيح.

(٤) النهية: العقل.

أَتَيْتَنِي يَا أَبَا «نُورِي» بِعَارِفَةٍ
فَقُلْتُ لَا بَدَعَ غَيْثٌ جَاءَ مِنْ سَحْبٍ
لَكِنْ بَلُوغٌ مَدَى مَا تَقْتَضِيهِ لَكُمْ
مَنْ وَاجِبَ الشُّكْرِ عَنْهُ الْعَجْزُ يُقْعَدُ بِي

العلم العلم

نشء الكويت صيلوا بالجد والدأب
ما يستجد من الأيام والحقب
لا شيء كالعلم يُدني نفس صاحبه
من الحياة ويُقصيها عن الشَّجَب^(١)
وليس كالعلم للعلياء من درج
وليس كالعلم للتعماء من سبب
لم يُبدل الجدب خصبًا غير مُطْرِه
للناس من هذه الأفراد والعُصَب
ولا يمين اجتننت إلا بسطته
ثمار نازحة الخيرات عن كُثَب
الشرق والغرب قد نالاه رُتَبًا
جلت عن الوصف بالأشعار والخُطَب
لولا العلوم لما أبصرتم أحداً
يرقى إلى الرتبة العلياء في الرُتَب
ولم تروا أمة في الناس ساحبةً
كما تريد ذيول المجد والذهب
وليس للطلب المطلب أونةً
كهذه فابذلوا الجهود في الطلب
وثابروا واستحثوا كل من فترت
منكم عزيمة أو مال لأعب

(١) الشجب: الهلاك.

حتى نرى الوطن المحبوبَ مشتملاً
 من مجدكم بثيابِ المفخرِ القُشْبِ
 يا أيها النُشءُ ما كانت جدودكمُ
 يَرْضَوْنَ إلا بسبقِ الناسِ والغَلْبِ
 ولا سبيلَ إلى سبقِ ولا غلبِ
 لعادلٍ عن سبيلِ العلمِ مجتنبِ
 فأتعبوا في التماسِ العلمِ أنفُسكم
 تُثْنُوا إذا انجلتِ العُقبي على التُّعبِ
 لولا متاعبُ غُرَّاسِ النخيلِ لَمَا
 جَنَّتْ أَكْفُهُمْ شَيْئاً من الرُّطْبِ
 من يعرفُ الغايةَ المثلى تَطَلَّبَهَا
 مهما رأى سُبُلَهَا ترميه بالنُّصَبِ (١)
 ما كان حبلُ عُلا من نحنُ نَسألُهُمُ
 - لولم تكن نحنُ جُهالاً - بمنقُضِ
 ولا اتَّصَلَ له إلا بعلمكمُ
 فعن سوى أخذهِ كونوا ذوي نَكَبِ (٢)
 تَعَلَّمُوا تُرْجِعُوا ما انبتَ متَّصلاً
 فمن يَرُمُ مطلباً بالعلمِ لم يَخِبِ (٣)
 فليس بالعلمِ كسرٌ غيرَ منجبرِ
 وليس بالعلمِ ناءٌ غيرَ مقتربِ
 ما لي أبتُ مزياءهُ وليس على
 وجوهها الفاتناتِ الحسنِ من حُجْبِ

(١) النصب: التعبد والإعياء.

(٢) النكب: العدول والنكوص.

(٣) انبت: انقطع.

مَا كُنْ قَطُّ إِلَى الْإِبْرَازِ فِي عَوَزٍ
فَقَدْ بَرَزْنَ بِوَجْهِهِ غَيْرَ مَنْتَقِبِ
وَصَفْحَةِ الشَّمْسِ تَغْنِي كُلَّ ذِي نَظَرٍ
عَنْ وَصْفِهَا بِلِسَانِ الْقَائِلِ الذُّرْبِ
لَكِنْ تَغْنِي الْفَتَى بِالْحَسَنِ يُطْرِبُهُ
وَقَدْ تَغْنَيْتُ أَبْغِي لَذَّةَ الطَّرْبِ

بين العري والسغب

نكرتُم كلُّ شيءٍ كان مقتضياً
إصلاحكُم ونسيتُم خادِمَ الأدبِ
وقد ألوذُ بركنِ الصبرِ منتظراً
نحوي التفاتكُم المرجوُّ عن كئبِ (١)
لو كان سالفُ عهدينا لحاضرنا
أبقى من الصبرِ ركنًا غيرَ مضطرب
ما زلتُ من فاقتي في من قضى ومضى
أشكو الإقامة بين العُريِّ والسَّغْبِ (٢)
فهل من العدل أن أبقى تُناوئني
أيدي النوائبِ إعساري وتلعبُ بي (٣)
أليس من واجبِ الآدابِ أخـذُكُم
بكفِّ خادِمها المُشفي على العَطَبِ

(١) عن كئب: عن قرب.

(٢) السغب: الجوع.

(٣) يريد بهذا أن أيدي المصائب تقلب عليه حالين هما الإعسار واللعب به.

اتحاد مصر وسوريا^(١)

بين (شكري) و(جمال) العَرَبِ
خَيْرُ حِلْفٍ مَوْصِلٍ لِلأَرَبِ
أَتَّبَعَاهُ بِاتِّحَادٍ صَارِفٍ
- مثل ما نهوى - صروف النُّوبِ
اتِّحَادٌ سَرَّ جِدًّا كُلَّ مَنْ
قَد نَمَاهُمْ يَعْرِبُ الحُرُّ أباي
اتِّحَادٌ مَجْدٌ أَقْوَامي رَأى
لِرَحْمَاهُ مِنْهُ أَزكى قُطْبِ
اتِّحَادٌ حِينَ بُشِّئْتُ بِهِ
قَلْتُ لِلقلبِ الحَزِينِ الحَرْبِ
يا حَزِينًا لِلتَّنَائِي بَيْنَنَا
قَد تَدانِينَا فَصَفَّقْ واطْرَبِ
اتِّحَادٌ مَا لَضادِي إِلى
مَع قَلِّ إِلاهٍ مِنْ مَنْقَلَبِ
فَلَعَدَدانِ إِليه كَأَهْبا
كُلُّ شَوْقٍ مِثْلُهُ مِنْ يَعْرِبُ
فَهُوَ المَنْجِي لَهُم فِي عَالِمِ
مُسْتَبْعِ الأَرْجاءِ طُرًّا مُذْئِبِ
فِيهِ لا يَنْجُو مِنَ الفَرَسِ سَوى
بَارِزِ النَّابِ حَديدِ المَخْلَبِ

(١) قالها في ٢٢/٢/١٩٥٨.

واتحادُ القومِ أقوى ما تُنى
 لهمُ أمنًا شديداً رهيباً
 كالذي الحُرَّانِ جاءنا به
 مُدنيًا منا جميلَ المطبِّ
 نأملُ الأجمالَ منه كلِّما
 قد تَنَمَّى فهو اليومَ صَبي
 فليشكري خيرُ شكرٍ مثله
 لجمالِ مُعتلي القدرِ الأبِّي
 استخزيئي بهما يا أنفَسًا
 تُهَنِّ في ظلماءِ ظُلمِ الأجنبي
 فِكِلا الحُرَّينِ بدرُ طالعُ
 في بني الضادِ لكشفِ الغيبِ^(١)
 وظلامِ الظلمِ منجبابُ بما
 أرسَلاه من سنا ما تهب
 بعضنا اليوم يهني بعضنا
 بك يا عيدُ وما من عَجَب
 خيرُ عيدٍ أنت عنه ارتفعت
 لعيونِ العُربِ حُجُبُ الحِقَبِ
 أيُّ عيدٍ مشبهُ ما ضمنا
 بعد تشيتيتِ الزمانِ المذنبِ
 أنت عيدُ طولَ محيانا لنا
 وإذا متنا فعيدُ العَقَبِ^(٢)
 بك أرضنا زمانُ طالما
 قد رمانا بالمُشيتِ المغضِبِ

(١) الغيب: الظلمة.

(٢) العقب: العاقبة، وهنا يريد من يعقبنا ويأتي بعدنا.

يا رئيسنا سيدينا مُرانا نأتمرُ
بعهد هذا وادعُوانا نُجِب
لُكُما الوحيدة لم تترك سوى
كلّ مصغٍ من فتى أو أشيب
ويقول الكل عمن عنكما
ثقلت منه الخطى لم يُصِب
جئتما - بعد عيشٍ يشتكى
خبثُ الكَل - بعيشٍ طيب
بكما اليوم تأتت وحيدة
قوبلت منا بألفي مرحب
قد لمسنا الكُنة منها صادقاً
لا خيالاً إن تراءى يكذب
وحيدة فيها رأينا بردي
نيلٍ صرٍ وهي شطرا حَلَب
لم نُعوّل قط في الحيا على
شبهها حصناً ولم ننجذب
وحيدة لا نتمنى فوقها
غير أن تبقي بقاء الشهب
مشرقيّ العُرب يلقي مسهلاً
مثله فيها أخاه المغربي
أمطرتنا سُحُبٌ مُلِيسَةٌ
يابسَ الحيا اخضرارَ العُشب
وإذا شِـمنا رأينا مـدداً
قافياً أثارَ تلك السُحُب

فإذا السُّحْبُ تَلَاقتُ فَالْمُنَى
 ثُمَّ مَا مِنْهَا اطْبَى أَوْ يَطْبِي (١)
 وَحِدَةٌ لَيْسَ سِوَاهَا دَافِعًا
 عَنْكُمْ الطَّمَاعُ جَمَّ الشُّغْبُ
 إِنَّهُ كَانَ وَلَمْ يَبْرَحْ كَمَا
 كَانَ مِنْ قَبْلُ مَخَوْفَ الْكَأْبِ
 مَا رَأَى شَعْبًا ضَعِيفًا مَرَّةً
 وَعَلَيْهِ لَمْ يُغْرُزْ أَوْ يَثِبْ
 وَهِيَ فِي الذُّودِ أَرَاهَا إِنْ عَدَا
 أَهْبَاءُ تَفْضُلُ كُلِّ الْأَهْبِ
 كَمَا لَنَا شَعْبٌ حَبِيبٌ يَشْتَكِي
 مِنْهُ شَرًّا بِاللِّسَانِ الْمُعْرَبِ
 أَنْكُرُوا شَعْبَ عُمَانَ وَالَّذِي
 يَتَلَقَى مِنْ مَبِيدِ الشُّجْبِ
 وَفَلَسْطِينَ الَّتِي مِمَّا تَرَكْتَ
 دَمْعَةً مِنْ أَدْمُعِي لَمْ تُسْكَبْ
 وَفَرَنْسَا وَالَّذِي تَطْرَحُهُ
 فَوْقَ إِخْوَانِ لَنَا مِنْ عَطْبِ
 دُونَ مَا ذَنْبٍ سِوَى مَطْمَعِهِ
 الْمُرِينَاةُ بَثْوَيْ أَشْعَبِ (٢)
 لَيْسَ الْأَسْتَعْمَارُ عَنْكُمْ يَرْعَوِي
 مَا رَأَى صَدْعًا بِكُمْ لَمْ يُرَأَبِ (٣)
 إِنَّهُ الذَّنْبُ الَّذِي إِنْ سَنَحْتَ
 فَرِصَةً يَظْهَرُ وَإِلَّا يَخْتَبِي

(١) أطباء يطيبه: استماله.

(٢) أشعب بن جبير مشهور بالطمع. والمريناة: الذي يرينا إياه.

(٣) الصدع: الشق. ولم يرأب: لم يصلح.

لو رأى الوحدة هذي ما رمى
 أحداً منّا بإحدى الكُربِ
 فإلى الوحدة يا قومي لكي
 تأمنوا شرّاً كثير الرّيب
 لم يَنَلْنَا من بعيدٍ شرُّه
 قبل أن نُشُتَّتْ أو عن كُتِّبِ (١)
 أمّتي الدهرَ عليها اعتمدي
 وعلى صَوْنِ نواحيها ادأبي
 نعمةٌ كبرى على استعمارهم
 إن رآها تتلظى يَذْبُ
 وعلينا نعمةٌ في دعوتي
 نحوها سابقٌ شعري خُطبي
 طالما رحمتُ أغنيكم بها
 قبلَ شيببي لبيتني لم أشيب
 كِبَرِي عن أن أغني مُوهِنُ
 بأسساءٍ قَوَّتِي والوصبِ
 لكنّ الوحدة سَرَّتْني كما
 سُرَّ بالغيثِ فؤادُ المجدبِ
 وشَفَّتْ مني القوي فاتَّجَهت
 كلُّها خلف القوافي الغُيبِ
 ولكم قَوْتُ ضِعِيفاً فرحةً
 فرأى الراحةَ بعد النَّعَبِ

(١) عن كُتِّبِ: عن قرب.

شهرآب^(١)

أَعْبُدَ المحسنِ القاضي بعدلٍ
وفصلٍ في القضيّةِ والخطابِ
إلى عليائك الأشواقُ تدعو
فأنهضُ للإجابةِ جِدُّ صابي^(٢)
فَيَقْعُدُ بي اشتدادُ الحرِّ عن أنْ
تكونَ زيارتي لك من جــــــــوابي
فأقْعُدُ قائلًا حسبِ جوابي
لصوتِ الشوقِ دمعي واكتئابي
ويكفي بعضُ أجــــــــويتي إذا ما
شِمسُ جُميحها عَزُّ اقتضابي^(٣)
فإن نامتْ عيونُ الحرِّ يومًا
أرْتَكُ إليك أشــــــــواقِي انجــــــــذابي
ومما بيني وبينك ألفُ ميلٍ
فأقنعُ منك في ذلكَ الجــــــــوابِ
وهل أرضى بذلكَ وأنتَ مــــــــمنُ
يحاولُ همّةً مسَّ السُّحابِ

(١) يعتذر بشدة الحر عن عدم زيارة العالم الفاضل الشيخ عبدالمحسن بن إبراهيم البابطين قاضي الزبير والرئيس الأسبق للقضاء في الكويت.

(٢) الصابي: المشتاق.

(٣) الشمس: الجموح. عز: غلب. والاقتضاب: الاختصار.

وأما اليوم تجذبني فيأبى
من الحَرَّ أنجذابي شَرَّ أب^(١)
وكنْتُ إذا نويتُ وجَدْتُ عزمي
لِما أنوي من الصُّمِّ الحُمَّلاب
وذلك في شهر العمام طُرّاً
إذا استثنيتُ منها شهر «أب»
يُذِيبُ الحَرَّ عزمي فيه حتى
يَهْمُ الذُّوبُ منه بأنصِبَ باب

(١) أب هنا من الأحسن أن تكون بمعنى الممتنع من أبى يابى وذلك منعاً لتكرار اللفظ في البيت التالي لما بعده.

وقد أجاب القاضي عبد المحسن الباطين بهذه القصيدة:

أصقرُ من حوى العليا فأضحى
فريداً في الشيوخ وفي الشباب
أتاني منك نظمٌ كـالـلآلي
فزال به من الأحزان ما بي
أتى فقراءه فثملتُ منه
فيا لله ذلك من كتاب
لعمرك ما سمعنا قبل هذا
بأن اللفظ يُسكر كالشُّراب
وقالوا أنت في الشعراء فردُ
ولكن في الكويت بلا ارتياب
لقد بخسوك حقك يا أديباً
وما كانوا بذاك على صواب
فإنك شاعرُ الدنيا جميعاً
وما ذا صاح بالشيء العُجاب
فكم معني أتيت به غريباً
وكم أعجبت قوماً في خطاب
وكم أنهضت شعباً من خمولٍ
فهم لولاك كانوا في تباب
ألا يا سيّد الشعراء عطفاً
على صبٍّ مشوقٍ ذي اكتئاب
قطعتُ إلى اللقاء تسعين ميلاً
وفيها نقت أنواع العذاب

وقد أعياك عني قطع ميل
وبالتحقيق يقصر عن حسابي
وما زرت الكويت لأجل شيء
سوى أنني إلى الأحباب صاب
ومن عجب جعلت الحرُّ عُذراً
وما حرُّ يردُّ عن الصحاب
إذا لم تأتني وأنا قـريب
فسيان بعادي واقترابي
وما لي عنك من عذرٍ مبين
وكيف وأنت في شرخ الشَّبَاب
وحاشا أن تهبَّ عليك مني
- وإن حصل الجفا - ریح العتاب
أتيناكم بتمُّوز وفيه
لكم عزمٌ من الصُّمِّ الصَّلاب
فكيف قد انثنى يا خِلُّ عني
وهلأ عاد صاباً في غيابي
ألا رفقا بعزمكم لكيلا
يهمُّ من الحرارة بانصباب
وقال الناسُ ما للمشيخ صقر
أعدُّ الوصلَ بركان انقلاب
لقد ساءت ظنونُ القوم فينا
وقالوا الزور يا عالي الجناب
فقمتمُ أغالطُ الأعداء كيلا
تزيدَ شماتةُ الأعداء مُصابي

أما والله لو يا صقرُ تدري
بما في القلب من فرط اضطرابي
لطرتَ إلى اللقا بجناح عزمٍ
ولم تستثنِ عنا شهر أب
وما أنا عندكم في شهر أبٍ
ولكن جَاءَ أبٌ في إيابي
فهذا ما جرى فاحكُم بعدلٍ
فإنك في القضيَّة لا تحابي

نُبُّ يَا شَعْرَ عَنِي^(١)

لَعَبِدِ الْمَحْسَنِ الْحُرِّ اللَّبَابِ
تَحْمَلُ مَا تُطِيقُ مِنَ الْعِتَابِ
وَأَفْصِيحُ فِي الْعِتَابِ وَلَا تَلْجَأُ
كَدَأْبِكَ فِي مَعَاتِبَةِ الصَّحَابِ
وَنُبُّ يَا شِعْرُ عِنْدَ الشَّيْخِ عَنِّي
مَنَابِكَ فِي نَوَائِبِ الصَّعَابِ
فَعَنْ قَوْسِ التَّهَكُّمِ قَدْ رَمَانِي
بِسَهْمٍ لَمْ يَكُنْ لِي فِي حَسَابِي

...

بَعَثْتَ لَنَا بِهَا صَهْبَاءَ فَاقَتْ
فَلَيْسَ لَهَا ضَرِيبٌ فِي الشَّارِبِ
لَهَا حَبَبٌ بِدُرِّ الْبَحْرِ يُزْرِي
وَلَكِنْ تَحْتَهُ سَمُّ الْحُبَابِ^(٢)
مِنَ الْهَزْءِ السَّمَامِ دَسَسْتَ فِيمَا
لَنَا أَهْدَيْتَ مِنْ رَاحِ الْجَوَابِ
فَلَوْ أَنَّا عَلَى غَفْلٍ عَبَبْنَا
بِهَا لَمْ نَصُحْ مِنْ سُكْرِ الْمُصَابِ^(٣)

(١) ولما وقف الشاعر على جواب القاضي عبدالمحسن في الأبيات السابقة ورأى أنه بالغ فيها بمدح الشبيب، رد عليه بهذه القصيدة. وهي منشورة في مجلة الكويت ج ٩ ص ٣٧٦، وقد نشرت ناقصة هنا كما هي في المجلة.

(٢) الحباب: الحية.

(٣) عب: شرب أو كرع بلا تنفس.

ولكن قبل أن نَحْسُو أطلنا
تأملنا بمنظرها العُجَاب
فَأُنْبِـأْنَا تَأْمُلْنَا رُوَاهَا
بما فيها لنا قد كنت خابي (١)
فيا ابن سَمِيٍّ خِلَّ اللهُ كُنَّا
نظنُّكَ غيرَ مَرهُوبِ الخِلابِ (٢)
فقلْ لي ما دعَاكَ إلى صنيعِ
مثيرِ فيك شكِّي وارتيابي
لعلَّكَ قد جهلتَ أمِنُ نُضَارِ
صديقُكَ صبيحٌ أم هو من تُرابِ
فجئتَ عن الحقيقة منه تجلو
بذاك الصنعِ مَسْدُولِ النُّقَابِ
لتصبحَ منه - تُرْبًا - في ابتعادِ
وتصبحَ منه - تِبْرًا - في اقترابِ
وذلك عند أهلِ الحزمِ مَع مَنْ
غدا مثلي يُعَدُّ من الصُّوَابِ
فإنَّ حقيقتي عن كلِّ مَنْ لَمْ
يُجَالِسْنِي طويلاً في احتجابِ
ومَعذُورٌ على فحصي ولكن
وددتُ بأنه صافي الخِضَابِ
ليسبُرَ غُورَ كُنْهِي دون علمي
بشيءٍ من مثيراتِ اضطرابي
فعلمي بابتلائك كُنْةَ نفسي
يؤلِّفُ بين قلبي واكتئابي

(١) الخابي: المخفي مخففة من الخائب. والرواء: حسن المظهر.

(٢) الخلاب والمخالبة: الخداع والمخادعة بلطيف الكلام.

لأني بعد فحاصك لست أدري
أحظي الوصل منك أم اجتنابي
وما بي حين أفحص من هنا
فلم تشدد على عيب عيابي^(١)
فأخشى عن مَعيبِ الكُنْهِ مني
يكون على يدِ الفحصِ انجيابي
ولكني أخافُ الفحصَ يُخطي
فيُبدي الأُسْدَ في صُورِ الذئبِ
وكم أبدى من المَبْلُوكُنْهَها
ضلالُ المبتلين على انقلاب
وما بك حين تَبْلُو من غيباءِ
فأخشى أن تجورَ ولا تغابي
وكيف وأنت أذكنا فوآداً
وأبعدَ من قَصَى من أن يُحابي
ولكني أحذرُ سوءَ حظاً
إلى تشويه كُنْهِهِ جِدْ صابي
وذلك من ظنوني ما عليه
بما قد جئتُه وَقَعَ انتخابي
فإن قرطستُ من هدفي كُلاه
بسهم الظنِّ فالإقصادُ دابي^(٢)
وما فَوَّقْتُ من ظنِّي سهاماً
إلى غرَضٍ فكنُّ من النوابي^(٣)

(١) العياب: جمع عيبة وهي الحقيبة.

(٢) قرطس: أصاب. واقصده: طعنه فلم يخطئه والإقصاد عدم الخطأ.

(٣) فوق السهم: جعل له فوقاً. والفوق: مشق رأس السهم.

وَإِنْ أَشْوَى الْحَقِيقَةَ سَهْمُ ظَنِّي
 فَمَا كَلُّ السَّهَامِ مِنَ الصَّيَابِ (١)
 وَلَوْلَا مَا انطوى قلبي عليه
 لمجدك من ودايرٍ مَسَسَتْ طَابِ
 لأهملتُ العتَابَ ولم أحاولُ
 به إنعاشَ طرفكَ وهو كَابِي (٢)
 يعاتبُ إن كَبَوْتُ صَاحِيحٌ وَدٌ
 ويغضبي عنك ذو الوُدِّ الكِذَابِ
 ومأمولٌ لديك العفوُ إمَّا
 تَجِدُ مني اشتدادًا في خطابي
 فَإِنَّ شِدَادَتَ الأَيَامِ أَعْدَتُ
 مقالي اليُبْسَ وهو من الرُّطَابِ
 تروح عليَّ أيامي وتغمدو
 بما من دونه وخزُّ الحِرَابِ
 يحمُّني رزاياه زَمَانُ
 على أحرارِهِ جَمُّ الضُّبَابِ (٣)
 فَرَزِحُ كُلَّ يَوْمٍ تَحْتَ رِزِّ
 جَدِيدِ حَمْلِهِ مُعْيِي الهِضَابِ
 فَمَنْ رِزِّ شَدِيدِ الوَقْعِ مَاضٍ
 يريك الشَّيْبَ فِي قَوْدِ الغُرَابِ (٤)

(١) اشوى: أصاب الشوى أي الأطراف ولم يصب مقتلاً.

(٢) الكابي: الذي يكبو أي ينكب على وجهه.

(٣) الضباب: جمع الضب وهو الحقد الخفي.

(٤) القود: جانب الرأس والشعر الذي عليه.

إلى رزءٍ أشدَّ عليَّ وقَعًا
وأحرقَ للفؤاد من الشَّهاب
كأنني كنتُ للأرزاءِ ظهراً
وطيئاً فهي منه على اعتِقاب^(١)
فما أنفكُ من عَظْمِي لِعُظْمِي
من النكباتِ مشدودَ الحِقَابِ
أمن حَجَرِ عليٍّ فؤادُ دهري
فكم أشكو ومما يرثي لما بي
فلا تعجبُ إذا ما اجتزتُ همًّا
لشَيْبِي قِبلَ مَرِي بالشَّبابِ
كما تجتازُ أسهُمُهُ لِقَلْبِي
فتُصمِيهِ وما خَرَقَتْ إهابي^(٢)
فما سَيَّرُ افْتِنانِ الهَمِّ بَدْعًا
إلى عِمرانِ قَلْبِي بالخِرابِ
وحسبكَ أنني أعمى مَقِلُّ
مِضَاعٍ في الكُوَيْتِ بلا طِلابِ
وما استعذبتُ لي فيها مقامًا
وكيف وقد أقيمتُ على عَذابِ
وكم عنها وِدِدْتُ إلى سِوَاهَا
بِجَدِّعِ الأنفِ أن تسعى رِكابِي
ولكن حال ما بيني قِضَاءُ
أصمُّ وبين مودودِ الهِبابِ^(٣)

(١) هي على اعتقاب: يتلو بعضها بعضًا.

(٢) الإهاب: الجلد.

(٣) الهباب: النشاط والسرعة.

يَكْرُهُ عَلِيٌّ «أَيْلُولٌ» مُغْيِيًّا
فِي خَمْدٍ بَرْدُهُ نِيرَانٌ «أَب»
ولكن ما لأيلولٍ سببيلٌ
إلى ما في الضلوع من التهاب
فيمضي مثلما يأتي حميداً
وجمرٌ أسي فؤادي غيرُ خابي
فمما كان يُوهي الصبرَ حتى
تداعى حبلُ صبري بانقضاب
مقامي صِفْرُ كَفٍّ في أناسٍ
تَعُدُّ المعسرَّينَ من الكلاب
يُقَوِّمُ بالثياب المرءَ فيهم
وإن زُرْتُ على لؤمٍ وعاب^(١)
فموصولٌ قشيبُ الثوبِ مهما
تغلغلَ من خنأه في شِعَاب
ومهما كان من جهلٍ مُبِيرٍ
عميمِ الضُّرِّ مَلَانِ الوطاب
ومهما كان عن غدرٍ ومكرٍ
بمن أخأه مُنْجَابِ الضُّباب
وأما طاهرُ الأذيالِ يبدو
بأظمارٍ فمُجْتَنَّبِ الجَنَاب
وهَبُّهُ كان من أدبٍ وعلمٍ
غزيرِ البحرِ جيَّاشِ العُباب

(١) زرت: ضمت وجمعت. والعاب: العيب.

وَهَبْتُ لِسُجَايَا رَائِقَاتٍ
 زواهرَ فائِقَاتٍ ذَا احْتِقَابٍ^(١)
 فليس السيفُ عند القوم سيفًا
 بشفـفـرتـه ولكن بالقـراب^(٢)
 وَيَفْخُلُ حِينَ يُكْسَى الْبِغْلُ جُلًّا
 لديهم عاري الخيل العراب^(٣)
 فلو أني استطعتُ لبعتُ فيهم
 حلى أدبي الكريمة بالثياب
 لأسمع مقبلًا أهلاً وسهلاً
 من النائي وذي النسب القُراب^(٤)
 وَتَفَقِدُ مَدْبِرًا أَدْنَايَ مِنْهُمْ
 سماعهما مقال: إلى الذهاب^(٥)
 هنالك تطبيني لاجتماعي
 بشعبي - لاعتزاليه - الطوابي^(٦)
 لما بي قد ذهلتُ فمن ذهولي
 مزجتُ الصَّابَ بِالنُّطْفِ الْعِذَابِ^(٧)
 أردتُ الشُّهُدَ مِنْ قَوْلِي عِتَابًا
 بلا مزج من الشكوى بصاب
 ولكن قد أبى ما شئتُ ممَّا
 أكابدهُ من الأحـزان أبي

(١) احتقبه: احتمله أو ادخره.

(٢) القراب: الغمد.

(٣) العراب: الكريمة السالبة من الهجنة.

(٤) القراب: القريب.

(٥) يشير إلى معنى قولهم «إلى حيث أقلت رحلها أم قشعم».

(٦) تطبيني: تدعوني. والطوابي: الدواعي.

(٧) النطفة: الماء الصافي قل أو أكثر. والعذاب: العذبة.

فإن أخلط وأخبط فاعفُ واعذُرْ
على خلطي وخبطي في كتابي
فليس يلومُ من يشقى شقائي
لبيبُ حين ينطقُ بآتشاب^(١)

(١) الائتشاب: الاختلاط، أي حين ينطق بالقول المشوب بالكدر.

وقد رد القاضي على الشاعر بهذه القصيدة:

أشـمسُ أشـرقـتُ أم ذي لآلي
بحُسن النظم صيغتُ في كتاب
نعم هذا كتابٌ من خليلٍ
تصاملَ فيه في ردِّ الجواب
توهَمَ أنني أدمجتُ فيما
أتاه ما يؤولُ إلى انقلاب
فما كان التَّهْكُومُ قطُّ دأبي
ولا سيَّما التَّهْكُومُ بالصَّحَاب
وما من موجبٍ للهزءٍ حتى
أوجَّههُ لمثلك في خطابي
لقد شوَّشتَ نفسَكَ في ظنونٍ
وساوسَ صرتَ منها في اضطراب
فهبْ بعضَ الظنونِ تصيبُ لكنْ
ببعيدٍ ما ظننتَ من الصَّواب
شَنَنْتَ الغارةَ الشُّعواءَ حتى
أتيتَ من القـريـضِ بألفِ باب
فمما بيني وبينك قطُّ شيءٍ
من الأحقادِ يا سامي الجناب
لعمْرُ اللهِ أني عنك راضٍ
وراضٍ بابتعادِ واقتراب
فما أحلى عتابك في فؤادي
وإن عدُّوه من قِطْعِ العَذاب
تقولُ وكيف عيشي في أناسٍ
(يرونُ المُلقيينَ من الكلاب)

نعم إنَّ المُمُـقِلَّ بِكُلِّ دَارٍ
وَإِنْ حَازَ المَعَالِي بَاكْتِسَابٍ
وَأَكْثَرَ مَنْ تَرَاهُ مِنَ البَّرَايَا
وَإِنْ قَرَّبُوا ذُنُوبَ فِي ثِيَابٍ
فَذُو الآدَابِ كَالْمَجْذُومِ فِيهِمْ
فِي جَنَابِ وَنَهْ شَرُّ اجْتِنَابِ
وَهَلْ أَبْصَرْتَ ذَا أَدَبٍ بَعِيثِ
هَنِيءٍ مِنْ شَيْءٍ أَوْ شَبَابِ
فَإِنَّ جَمِيعَ مَنْ تَلَقَّاهُ مِنْهُمْ
يَعِيشُ بِقَوْمِهِ عَيْشَ اغْتِرَابِ
وَإِنَّ تَنْظُرَ إِلَى مُتَقَدِّمِيهِمْ
تَرَ التَّارِيخَ يَقْضِي بِالْعُجَابِ
فَطِيبِ نَفْسًا فَنَحْنُ قَدْ اسْتَوِينَا
بِمَا نَشْكُوهُ مِنْ هَذَا المُصَابِ
أَلَا تَعَسَّأَ لِدَهْرٍ مِنْ قَدِيمِ
إِلَى الأَوْبَاشِ وَالجُّهَالِ صَابِي
يَحَارِبُ ذَا الكَمَالِ بِكُلِّ أَرْضِ
فِي صَمِي اللُّبِّ فِي وَخْزِ الجِرَابِ
عَدُوًّا لَا يَهَادِنُ فِي حُرُوبِ
وَلَا يَصْفِي لِعَدْلٍ أَوْ عِتَابِ
فَمَا لَكَ يَا غَضَنَفْرُ فِي عَرِينِ
أَطَلْتَ بِهِ المَقَامَ عَنْ اِكْتِسَابِ
فَتُتْرَ وَجِبِ الدُّنَا بِثَبَاتِ جِأَشِ
فَأَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةٌ الرُّحَابِ
وَكَنْ كَالْبَدْرِ أَوْ كَالْمَاءِ يَحُلُو
وَيَلْطَفُ بِالمَجِيءِ وَبِالذَّهَابِ

ريح من عتاب^(١)

عليك أثرتُ ريحًا من عتابي
لتمرري منك أخلافَ السُّحابِ^(٢)
لعلمي أنْ مُزْنَكَ ليس يسقي
إذا استسقيتَ غيرَ المُستطابِ
وها هو ذا همى فـوقى إلى أنْ
أزالَ من الصُّدا كلَّ التَّهابِ
وأنبَتَ في وهادِ النفسِ منِّي
كُلا السُّلوى الحميدةِ والروابي
ولولا تـلـكُمُ الأرواحُ ثارتُ
لما جادتُ سـمـاؤُك بانسكابِ
ولم أسمعْ لرعدك من دويِّ
بأفقِ الشـعـرِ منك ولا اصطخابِ
ولا شيمتُ القوافي مُبرقاتِ
يُضيننَ إلى صوابي لي شِعابي^(٣)
ولا أصبحتُ من غرقي لخوفي
إذا لم يصحُّ أفـقُك في اضطرابِ
فإنك فـضـتَ حتى صرتُ أخشى
رجوعَ الأمرِ فيه إلى انقلابِ

(١) لما أجابه صديقه القاضي الفاضل بقصيدة يعنتر فيها عن مبالغته في المدح، رد عليه الشاعر بقصيدة منها هذه الأبيات.

(٢) مرى الناقاة يمرىها: مسح ضرعها لتدر. والخلف: الضرع وجمعه أخلاف.

(٣) شامه: نظر إليه.

فإن العَذْبَ إمَّا زَادَ يُرْجَعُ
عُذْوَيْتَهُ الْمَزِيدُ إِلَى عَذَابِ
فحسبي من حَيًّا إن دَامَ يَغْرَقُ
صَدِيقُكَ مِنْهُ فِي اللُّجَجِ الْعَذَابِ
فيا ابنَ سَمِيٍّ خَلَّ اللهُ أَمْسِكَ
فإني من مُفِيضِكَ فِي عُبابِ
وليس لدي في غمِّ رَقِي - إذا لم
تُكْفِ مَا أَفْضَت - من ارتيابِ

عذرك يكفيني

أحاول أن يكون على الكتاب
من المنثور مُشبهةً جوابي
فيقعدُ بي خمودُ الذهن عمًا
أريدُ من النثرِ السيرِ المستطاب
فإن تَعذُرُ فحسبي ذاك أو لا
فأحمدُ كان محمودَ العتاب

كن لي هكذا

أبوحُ بعيب محبوبي ولكن
إليه حين أخلو بالحبيب
لينفِي عيْبَهُ عَنْهُ وَيُضْحِي
بعيداً ما استطاع من المعيب
وأبرزُ ما له فيه اعتلاءً
وفخرٌ للبعيد وللقريب
فكن لي هكذا أبداً وإلا
فما أنا إن صحبتك باللبيب

صرخة ثانية بعد إنهاء فلسطين الإضراب

بني يعربٍ من فاتة أمس سلُّهُ
حسامًا به عن قومه يُحسِنُ الذُّبَا
فما فاتة أن تمنح اليومَ كَفُّهُ
فلسطينَ ما يحسبُه ذلك الذُّنْبَا
فجودوا بكثُرِ المالِ والقُلِّ واذكروا
هنالك أرحامَ العروبة والقُرْبَى
فلو نابكم ما نابهم وتَّبِسوا على
ذوي الظلمِ من أعدائكم أُسُدًّا غُلْبَا
وخاضوا غِمارَ الحربِ خوضَكُمُ لها
ولم يعدموا في عونكم ما لهم حربا
وسَحَّوا على مشبوبِ نارِ خطوبكم
كما يقتضي محمودُ أخلاقهم سُحْبَا
فهم من علمتم بالوفاء لقومهم
وإخوانهم مهما شكوا حادثًا صعبا
فلا تُعدموا أهلَ الوفاءِ وفاءكم
وراعوا يتاماهم وأرعوهم الخصبَا
أقاربكم بالأمس أرضوا ببذلهم
نفوسَهُمُ مجدَ العروبة والرِّبَا
فأرضوهمَا عنكم ببذلِ رغائبِ
بها ينتثني مُرُّ الحياة لهم عذبا

فطوبى لمن قد أَلْحَقَ اليومَ ما لهُ
 من الخطب ما يُنسي به قومَهُ الخَطْبَا
 بني يعربٍ ما زلتم كَلِمَا نَجَا
 من الأمر ليلٌ تَطْلُعُون به شُهْبَا
 فلوحوا كما كنتم تلوحون أنجمًا
 يَجُوبَنَّ ظلامَ الكربِ أجمَعَ والكربَا
 عَنَّتْكُمْ جميعًا ألسُنُ الحالِ عندهم
 بقولِ مؤداه صِلوا الأهلَ والصُّحْبَا
 فلبّوا سرعًا بالمعونة وابدلوا
 جهودكمُ بالفوزُ منكم لمن لَبَّى
 أعينوهم بل أثروهم لُتْشِيرِها
 بإيثاركُمُ أجدانكم في العُلا العُرْبَا
 فكم أثروا بالوَجْدِ محتاجٍ وُجْدِهِمْ
 وأذكُرُ منهم حاتمَ الجودِ أو كعبَا
 ولم أنسَ في الإيثار أصحابَ خيرٍ من
 إلى خلقِهِ من ربهم حَمَلوا الكُتُبَا
 فإن تقْتدوا في فعلمكم بفعالهم
 تَطِبُّ لَكُمْ أُولَى الحياتينِ والعُقْبَى
 وإياكمُ والشُّحُّ فهو بخِردِهِ
 إلى كلِّ ما يخشى النُّهى سالِكُ دَرْبَا
 فإن مات فالإثمُ العظيمُ وإن يَعِشْ
 فليس له من غَمَزِ أقرانِهِ مَخْبَا
 هو الشُّحُّ في الدارينِ ليس بجالبِ
 إلى أهله إلا الندامة والعَيْبَا

فكونوا على بُعدٍ من الشَّحِّ واحذروا
أوائل ما يأتي به الشح والغيبا

ألم ينظرِ المُثْرِي الشَّحِيحُ إلى الألى
قضوا قبله - من كل ذي ثروةٍ - نَحْبَا
أساروا إلى بطن الثرى بثرائهم
أم استصحبوا منه سوى كفنٍ ثوبَا

بني يعربٍ هُبَّوا إلى بذلٍ وسوِّكُم
فأجدُرُ يومٍ تبذلون به هَبَا
وشنُّوا على المثري البخيلٍ مَغَارِكُم
بكلِّ مقالٍ واملؤوا قلبه رُعبَا
فمن لم يكن في فعله الخيرَ راغبًا
فلا بأس أن تلقاه يفعله رهبَا
وما نفعُ مالٍ عاقه عن قضائه
حقوقَ العُلا ذوجتةٍ ظنَّها لبَّبا
أفي مثل هذا اليوم يمنعُ عَوْنُهُ
فلسطينَ من تحوي جوانبُهُ قلبَا
فلسطينُ من لم يعترفَ طائِعًا بما
علينا لها من مئةٍ يعترفُ غَصْبَا
فقد أثبتتُ أن العروبةَ لم تزلْ
تُطبقُ على الأعداء - مهما قووا - وثبَا
وإن لهيبَ العُربِ ضمنَ رمادهم
يهولُ نفوسَ الظالمين إذا شَبَّبا
وضمَّتْ إلى فخر العروبة مثلهُ
بكلِّ دمٍ زاكٍ على أرضها انصبَّبا

فمرحى «لفوزي» العُلا و«سعيدها»
وصحبهما المُعلينَ أعلامها القُشبا
فقد رفعوا شأنَ العروبة فاعتلى
بهم وجلّوا عن شمس عليائها الحُجبا
وألَقُوا عليها خيرَ درسٍ مفادُهُ
إذا شئتَ أن تحيا فلا تُغمِدِ العَضبا

الله يأبى

يريد الذي في الغرب أن يفني العُربا
جميعاً ولكن الذي في السما يأبى
فلو أمكن الإفناء أفنى ولم يدع
من العُرب لا فرداً يعيش ولا شعباً
وهذا عُمانُ والجزائرُ شاهداً
جهادُهُما الميمونُ أن لم أقل كذباً
وما برحت من فعله النُكْر تشتكي
فلسطينُ ما أغرى بها الكُربَ فالكُربا
فهل عربيُّ بعد هذا مُؤمِّلُ
من الغرب إنصافاً إذا استرشد اللُّبا

بين الجد والهزل^(١) عنز تأكل الكتب

كُلُوا عَنزَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُفْنِيَ الْكُتُبَا
وَتُحَدِّثَ أَمْرًا ثَانِيًا يُسْخِطُ الصُّحْبَا
وَأَرْضُوهُمْ مِنْهَا بِنَاضِجِ لَحْمِهَا
عَلَى أُرْزٍ يَغْدُو لَهُ (حَشْوَةٌ) حَجْبَا
وَلَا يَمْسَحُوا الرَّاحَاتِ إِلَّا بِشَعْرِهَا
إِذَا مَا قَضَوْا مِنْ أَكْلِ مَطْبُوخِهَا الْإِرْبَا
وَلَا تَتَّخِذْ مِنْ جِلْدِهَا غَيْرَ جُورٍ
وَنَعْلٍ كَمَا يَقْضِي الْهَوَانُ إِذَا أَرَبَى
فَإِنَّكَ إِنْ تَفَعَلْ بِهَا مَا ذَكَرْتَهُ
تَعَفَّ كُلُّ عَنزٍ مِثْلَ فَعَلْتَهَا رَهْبَا
وَلَا تَخْشَ فِيهَا يَا حَسِينَ مَلَامَةً
فَلَا لَوْمَ فِي أُمَّ التُّوَيْسِ وَلَا عَثْبَا
وَسَائِلُ بَطُونِ الْقَوْمِ عَمَّا أَقْوَلُهُ
يُجِيبُكَ إِنَّ الْحَقَّ هَذَا وَلَا رَيْبَا
وَمَا خَيْرُ عَنزٍ تَجْعَلُ الْكُتُبَ مَرْتَعًا
وَلَمْ تَقْطَعُوا عَنْهَا الشَّعِيرَ وَلَا الْعُشْبَا

(١) كانت للوجيه الفاضل المرحوم ملا حسين بن عبدالله مكتبة تضم معظم أمهات كتب الفقه واللغة والتاريخ وكتب الأدب، وكان يجتمع في ديوانه بعد ظهر كل جمعة الفقهاء وطلاب الدين للنقاش والمراجعة، وفي أحد الأيام دخلت عنز إلى المكتبة وأكلت قسمًا من الكتب، فنظم الشاعر هذه القصيدة وقدمها لملا حسين بن عبدالله.

يُعِيضُكَ عَنْهَا - إِنْ أَبَحْتَ لَصَحْبِنَا

حِمَى لِحْمِهَا وَالشَّحْمِ - مَعْطِيكُمَا سِرْبَا

فَلَا تَدَكِّرْ مِنْهَا الْحَلِيبَ وَطَيْبَهُ

إِذَا مَزَجُوا بِالشَّايِ مِنْهُ لَكَ الْقَعْبَا

وَلَا مَا يَسُرُّ الْقَلْبَ مِنْ حَرَكَاتِهَا

زَمَانَ تُجِيدُ الْقَفْرَ وَالطَّمْرَ وَالْوَثْبَا

فَكُلُّ قَرِيبِ الْعَهْدِ بِالْعَيْشِ مِثْلَهَا

لَهُ حَرَكَاتٌ كَأُهَا يُطْرَبُ الْقَابَا

فَقَدْ مَلَأَ اللَّهُ الصَّفَارَ مَلَا حَةً

لِنَبِذَلَ عَنْ حُبِّ لَهَا الرَّفْقَ وَالْحَدْبَا

فَحُبُّ صَفَارِ النَّسْلِ جِدًّا مَخْفُفٌ

- عَلَى مَنْ يَرِيْبِيهَا - مِنْ الْمَهْنَةِ الْأَعْبَا

وَلَمْ يَرِ لَوْلَا الْحَسَنُ حُبًّا وَلَمْ يَجِدْ

سِوَى الْحُبِّ يَشْفِي دَاءَ أَعْبَابِهِ طَبًّا

وَمَا خَصَّ هَذَا الْأَمْرُ بِلِ عَمَّ كُلِّ مَنْ

يُرِيْبِي صَفَارًا فِي الْخِلَائِقِ أَوْ رَبِّي

وَلَوْلَا افْتِتَانُ الْأَمْهَاتِ بِحَسَنِهِمْ

تَمَنِّيْنَ مِنْ أَحْضَانِهِمْ لَهُمْ سَحْبَا

فَلَا طِفْلَ إِلَّا وَهُوَ فِي عَيْنِ أُمَّهُ

يَفُوقُ جَمَالَ دَائِرِ الشُّهْبِ وَالْقُطْبَا

وَسَيِّانِ أُمَّ مَا ابْتَغَتْ قَطُّ مَلْبَسًا

وَمَنْ تَبْتَغِي مَا عَاشَتْ الثُّوبَ وَالسَّبَّا^(١)

(١) السب: شقة كتان رقيقة.

وقلبٌ وليدِ الإنسِ كان كغيره
 بحسن الذي تأتي به أبداً يُسبى
 كذلك لطفُ الله في الخلق لم يدعُ
 من الخفضِ من توليه حُرْفَتُهُ نَصْباً
 وهذي صغارُ المَعزِ تملأُ كَثْرَةً
 فنزَّةُ بها الطَّرْفَ (المطْبُة) والدُرْبَا
 لتنسى بها تلك التي كلما جرتُ
 بيالي ذكراها تصوِّرتُها ذنباً
 وما الفرقُ بين الذنبِ والعنزِ إن غدت
 وراحت - سوى إفسادها مثله - تأتي
 ولم يَفْسُ إنسانٌ على الذنبِ مَرَّةً
 لو الذنبُ لم يُتَلَفْ صِحاخاً ولا جُرْبَا
 فمن ضَرَرْنَا كنا عليه - ولم نكن
 بمعتبري نوعٍ ولا غيره - إلبا
 فنحن لأهل النفعِ حَزْبٌ بطبعنا
 وبالطبع ما زلنا على ضُدِّهِمْ حِزْبَا
 فإن أعقبتُ تيساً لكم أو عُنَيَزَةً
 فأتبع بتلك الأم ذِيَالِكَ العَقْبَا
 فما خَبُئْتُ إلا لِيَخْبُتَ نسلها
 فهل كلبَةٌ جاءت بما يَفْضُلُ الكلبَا
 فيا ربما تعتاضُ أغرَرَ دِرَّةً
 وأخفض صوتاً عندما تبصر الأبا
 وأكثَرَ للكُتُبِ الكرامِ تَجِلَّةً
 وأيسرَ تنقيباً عن القَتِّ إذ يُخْبَا

وَأَسْكَنَ لِلْحَلَابِ مِنْهَا قَوَائِمًا
إِذَا مَا دَنَا مِنْ ضَرَعِهَا يَبْتَغِي الْحَبَا
فَلَا رَكَّلَهَا يَخْشَى وَلَا كَسَّرَهَا إِلَّا نَا
وَلَا نَبَشَهَا - مَا دَامَ يَحْلُبُهَا - التُّرْبَا



أَلَا مَا لَهْجَوِي مَارِحًا دَبَّ عَقْرِيًّا
إِلَى الْعِزْزِ حَتَّى حَازَرْتُ مَوْتَهَا لَسْبَا^(١)
لِي الْوَيْلُ مِمَّا قَلْتُ فَلَأَطْوِرُ كُلَّ مَا
نَشَرْتُ مِنَ الْمَهْجَا وَإِنْ قَلْتُهُ لِعَبَا
وَمَا لِي أَلْهَوُ بِالْهَجَاءِ إِذَا اتَّقَى
شَبِيهَ فَوَادِ الْعِزْزِ مِنْ وَقَعِهِ نَدْبَا
أَتُوبُ إِلَى أُمِّ التُّؤَسِّ وَوَيْسٍ مِنَ الَّذِي
تَظَنَّنْتُ بِهِ إِنْ دَامَ أَنْ تَقْضِيَ النُّحْبَا
فإِنِّي قَدْ أَحْسَسْتُ مُشْجِي ثَغَائِهَا
تُصَعَّدُ فِيهِ الشُّكُورُ مَحْزُونَةٌ غَضْبَى
فَأَصْغُوا إِلَيْهَا تَفْهَمُوا مَا تَقُولُهُ
فَفَهْمُ الَّذِي تَعْنِيهِ لَا يُعْجِزُ اللَّبَّأَا
وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ الْبِهَائِمَ لَمْ تَكُنْ
لِحَسَنِ صَدْعًا بِالْمَقَالِ وَلَا رَابَا
فَكَمْ أَوْضَحَتْ ذِي الْعِزْزِ غَامِضَ قَصْدِهَا
بِمَنْطِقِهَا الْمَعْهُودِ (أَمْبَاعٌ أَوْ أَمْبَا)
وَهَلْ لُغَةُ الْإِنْسَانِ تَسْمُو إِبَانَةً
عَلَى لُغَةِ الْحَيَوَانَ سَاعِلٌ أَوْ أَنْبَا

(١) اللسب: اللدغ.

ومن يتأملُ صوتَهُ في ارتفَاعِهِ
 وفي الخفضِ يَعْلَمُ أَنِّي لم أَقُلْ كِذْبًا
 وسلُّ - إن شككتَ - البعضَ منه فإنه
 مجيبٌ بما لا شكَّ فيه ولا ريبًا
 وليس سؤالُ المرءِ حيوانَهُ سوى
 دراسَتِهِ محيَاةً إن نام أو هَبَا
 فمن زاولوه أخصبَروا أنه يعي
 من العينِ ما توحى رضَى كان أو عتبا
 ومن يدُرِ حتى وحَي عِينِك لم يكن
 ليجهل سهلاً خصَّهُ لا ولا صعبا
 فهمتُ عن العنزِ المقال الذي به
 تذبُّ الأذى عنها وعن نوعها ذبًا
 وهاكم مؤدَى ما أبانَ خطاؤها
 ورُبَّ خطابٍ عن أخيه ثنى خُطبا
 ألا خِفْتِ فينا اللة من نظمِ كلمةٍ
 تَضَمَّنَ منها كلُّ بيتٍ لنا كَرِبَا
 فوالله لو كنا أناسًا وكنتم
 بهائمَ كنا فيكم نتقي الربا
 ولم نَجْرِكُمْ مهما أتيتم إساءةً
 إلينا عليها مثل قولك أو ضَرِبَا
 وقمنا لكم بالعدر عن كل هفوةٍ
 على مثلها تجزوننا الضربَ والسبَا
 وكيف نجازيكم على السوء مثله
 ولم تُرزقوا فهمًا يُميزُ ولا إربا
 ولم تُرْعِكُمْ إلا مراعيَ خصبةً
 ولم نَرُضَ إلا بالنميرِ لكم شُرِبَا

ولم ننتهِ خِذْ من أرضينا لجُنوبكم
 مرابضَ إلا سهلها الناعمِ الرَّحْبَا
 ونحسنُ صنْعًا ما استطعنا ولم نرُحْ
 نَجْرُ به الأذيالَ فخرًا ولا عُجْبَا
 ولكن نرى الإحسان من شكرِ واهبٍ
 لنا منكم شَخْتُ المنافعِ والجَبَا
 ومن لم يَصُنْ بالشكرِ نعمةَ رَبِّه
 عليه فلا يَأْمَنُ على النعمةِ السُّلْبَا



على أن إكرام البهائم زائدٌ
 لنا كلُّ رزقٍ من فوائدها يُجْبَى
 فإكسابنا الصُّنْعَ الجميلَ بهائمًا
 ملكنا نواصيها يعودُ لنا كَسْبَا
 ولم نستسغ لحم البهيمة سيِّمًا
 إذا أظهرت منها لنا الألفةَ الحُبَا
 فكيف بهاتيك التي من تُدِيَّها
 رشفنا - ولو في عمرنا مرةً - شُحْبَا
 فهاتيك مثلُ الأم تَبْقَى وكلُّنا
 يحوِّك لها من كل مكرمةٍ تُوْبَا



ولكن حُبَّ الذاتِ أبْناءِ آدمٍ
 عليكم أبي وَصَلَ العَدَالَةَ والقُرْبَى
 وهل نرتجي أن تبصروا خلف حُبِّكُمْ
 ذواتكم شمسًا من العدلِ أو شُهْبَا
 ومن يَمْتَلِكُهُ مَتَلِكُهُ حُبُّ ذَاتِهِ
 يُغَادِرُ جَمَالَ العَدْلِ عن عينه غَيْبَا

فلولا غياب العدل يا «صقر» عنكم
 لما قلت فينا اليوم ما يقصم الصُّبَا
 كأننا بنات التُّيسِ نمنعُ فـوزكم
 بمرجوكم أولى الحياتين والعُقبى
 ونحن لديكم إن مكثنا ليـاليَا
 ثنى المكثُ منا كلُّ قلبٍ بكم صَبَا
 لأننا دواني ألفةٍ والهوى لها
 وليدٌ وتلك الأم لا تلد الشُّوْبا (١)
 فنوليكم صَفْوَ الوادِ ووُدُّكم
 نشاهده حتى لجنسكم خَبَا (٢)
 فأئيكُم يُبدي الودانَ لغيره
 إذا لم يجد رهبًا لديه ولا رَغْبَا
 ولو بعضكم للبعض أخلص وُدَّه
 لما استشعرت يومًا قلوبُكم رُغْبَا
 فما الرُّعبُ إلا ابنُ الخصام الذي أتى
 نتيجة بغضٍ لم يزل لكم دأبا
 ولا بُغْضَ لولا قلبُ كلِّ أخٍ غـدا
 به من أخيه الجورُ مستحدثًا نُقْبَا
 ولا جَـوْرَ إلا أصلهُ الطمعُ الذي
 حياؤكم فيه على وجهه كُـبَا
 كأن لم تروا في أخذه الموتَ منكم
 حكى الطائر العجلان في لقطه الحَبَا

(١) الشوب: الخلط

(٢) الخب: الخداع.

ومن عجب تصديقكم أن كُلكم
 سيلقى من العيش الهناء الذي أصبى
 ولن تبلغوه والقناعة لم تُضَيَّ
 دُجى الطمع المُردى مشاةً ولا رُكبا
 فلا تأملوا دون القنوع تساويًا
 يعمُ بخيرات الدنيا العُجم والعُربا
 فأنفُسُكم تأبى القنوع كأنما
 على قالب الأطماع سائرُها صُبًا
 وكم قد زعمتم أنكم فوقنا نُهى
 وما كلُّ ذي زعم بتحقيقه يُحِبى
 فإن كان فحلاً ذلك الزعمُ عندكم
 فبالطمع المُزرى بكم عندنا جُبًا
 ولو صحت الدعوى تساوت ثيابُكم
 ولم تُلحقوا المأكولَ فرقًا ولا الشُربا
 وكنتم كأن الرزق رمحٌ لديكم
 وكلُّ يُريهِ القَسَمُ فيه له كعبا
 وعشتم وكلُّ الأرض دارٌ وأنتم
 بها أسرةٌ تأبى تفاوتها القُربى
 فلو لم يكن هذا التفاوتُ بينكم
 لما جال فيكم ماردُ الشرِّ أو حَبًا^(١)
 وغيرُ صحيحِ العقل خَلقٌ بعقله
 ولما يُفدُهُ الخيرُ يفخرُ أو يعبا
 ويحزنني ذو الفقر يُكبرُ ذا الغنى
 ولو لم يجدُ يومًا بما يُشبع الضبًا

(١) خب: عدا نوعًا من العدو.

فَأُضْمِرُ كَرَهَا لِلغَنِيِّ وَمَالِهِ
 وَإِنْ مَاتَ فَاكْسِرُ خَلْفَهُ الكَوْزَ وَالْحُبَّاءَ (١)
 وَأَكْثِرُ لِلثَّانِي احْتِقَارِي وَأَنْثَنِي
 وَجَاحِمُ سُخْطِي صُنْعُهُ فِي الحَشَا شَبَّاءَ
 أَتُرْخِي أَمَامَ الأَغْنِيَاءِ تَأْدُبًا
 عَلَى مَا تَرَى مِنْ بَخْلِهِمْ عَيْنُهُ الهُدْبَاءُ
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ أَمَثَالَهُمْ سَلَمًا لَهُمْ
 لَمَا وَطئُوا تَلًّا مِنْ اليُسْرِ أَوْ هَضْبَاءَ
 فَلَوْ حَرَمَ النَّاسُ احْتِرَامَ ذَوِي الغِنَى
 إِذَا لَمْ يُوَاسُوا النَّاسَ بِذَلًّا وَلَا وَهْبًا
 وَأَبْطَلَ مَنْ مَلْبُوسُهُ الخَيْشُ شِرْعَةً
 بِهَا يَسْرِقُ الأَرْزَاقَ مِنْ يَلْبَسُ العَصْبَاءَ (٢)
 رَأَوْا مِنْ رُخَاءِ العَيْشِ فِيهِمْ مَنَاهِلًا
 يَفِضُّنَ لِكُلِّ إِنْ تَحَسَّيْ وَإِنْ عَبَّاءَ
 وَلَمْ يَنْفِرْ بِالخَفِضِ شَعْبٌ وَعَيْنُهُ
 تَرَى المَوْتَ فِي جَيْشِ الطَّوِيِّ غَازِيًا شَعْبَاءَ
 وَهِيَهَاتَ. فَالْإِنْسَانُ لَوْ قَلْبُ خِدْنِهِ
 يَذُوبُ، حَسَا مِنْهُ - وَلَمْ يَخْجَلِ - الذُّوبَاءُ
 لِيَنْقُضَ صَقْرًا خَاطِقًا رِزْقَ غَيْرِهِ
 تَعَلَّمْ حَتَّى أَتَقَنَّ الحَاوِيَّ وَاللُّوبَاءَ (٣)
 وَلَمْ يَكْفِهِ أَنْ يَخْطِفَ الرِّزْقَ وَحَدَّهُ
 فَيَخْطِفَ قَبْلَ الرِّزْقِ مِنْ جِسْمِهِ الحَاوِيَّ (٤)

(١) الحب: الجرة الكبيرة.

(٢) العصب: نوع من أنواع البرود.

(٣) لَاب لُوبِيًا: حَامٌ حَوْلَ المَاءِ وَهُوَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ.

(٤) الحَوِيَاءُ: النَفْسُ وَهنا قَصْرُهَا لِلقَافِيَةِ.

فتبكي اليتامى والأيتامى ولم يكن
بيالي على الصرعى لأدمعها سكباً
ولله سَيِّبٌ فِيهِمْ لَوْ تَنَاصَفُوا
كفاهم معاً أن يطلبوا غيرَهُ سَيِّباً^(١)



فلا سَعِدَتْ عَنزٌ تَمَنَّتْ أباكُمْ
لها والدًا يومًا وتبًا لها تبًا
لأن أباكم آدمًا كان نسله
ولمَّا يزل فيه نرى العيب فالعيبا
فما مَرَّ حينٌ لم يُبِنُ من عيوبه
لمن عاصروه من أوائلنا ضَرَبًا
كأن امتدادَ الدهرِ أعدى عُداَتِكُمْ
لإبداءِ ما أدناه يغمركم تَلْبًا
فها هي تنمو ما تمادى زمانُكم
وتكثرُ حتى شانتِ الشرقَ والغربا
ومن شَرَّ هاتيك العيوبِ شراسةٌ
تشقون عن كبدِ الضعيف بها الخبَا
ولو لم تكن منهم لما كنت رامِيًا
بنبل الأذى شرواي لا الأسدَ الغلبا
وما زلت كالصخرِ الأصمِّ صلابةً
علينا ولولا ضعفنا لم تكن صُلْبًا
وأقبحُ من الطفلِ الصغيرِ بقسوةٍ
فكيف بها من مكتسِّ رأسه شَيْبًا

(١) السيب: العطاء.

تُكَبِّرُ ظُلْمًا هَفَوْتِي عِنْدَ صَاحِبِي
لِيَجْعَلَ لِحَمِي بَعْدَ ذَبْحِي لَكُمْ نَهْبًا
وَمَا هَفَوْتِي عِنْدَ الْقِيَّاسِ بِبَعْضِ مَا
أَتَيْتَ إِلَيَّ الْيَوْمَ مَعْدُودَةٌ ذَنْبًا
لَتَجْعَلَ حَقًّا بَاطِلَ الْأَمْرِ جَاهِدًا
مُجِدًّا أَرَى فِي شَخْصِكَ الْبَطْلَ النَّدْبَا
وَمَا زَالَ عَكْسُ الْحَقِّ دَائِبِكُمْ فَمِنْ
دَبَى شَرِّكُمْ أَيُّ الْمَرَاتِعِ مَا أَدْبَى
فَلَا حُذْيَ الْأُظْلَافِ مِثْلُكَ شَاعِرٌ
تَقِيهِ أَدَى شَوْكِ الطَّرِيقِ أَوْ الْحَصْبَا
وَلَا نَبَتَ الْقَرْنَانِ مِنْهُ بِهَامَةٍ
يُخَيِّفَانِ مَنْ يَأْتِي لَهُ نَاقِيًا حَرْبَا
وَلَا صَارَتِ الْأَذْنَانِ مِنْهُ مَذْبَبَةٌ
يَذُبُّ بِهَا مَا طَارَ يُؤْذِيهِ أَوْ دَبَا
وَلَا سَرَبِيلَ الضَّافِي مِنَ الشَّعْرِ جِسْمَهُ
لِيَأْمَنَ فِي الْمَشْتَى أَدَى رِيحِهِ النَّكْبَا
وَلَا اجْتَرُّ مَسْرُورًا بِجَرَّتِهِ إِذَا
أَرَادَ التَّنَادَا أَوْ أَحْسَنَ بِهِ سَعْفَا
وَلَا اكْتَنَفَتْهُ الْعِزُّ يَوْمًا بِرُوضَةٍ
عَلَى مَا أَتَتْ مِنْ رِيِّهَا تَشْكُرُ السُّحْبَا
مَنْوَرَةَ الْأَعْشَابِ تَحْسِبُهَا سَمًّا
وَتَحْسِبُ فِيهَا أَنْجَمًا زَهْرَهَا الرُّطْبَا
إِذَا شَبِعَتْ مِنْ عَشْبِهَا الْعِزُّ وَاحْتَوَى
لَهَا مَرَبِضٌ فِي سَفْحِ رِبْوَتِهَا الْجَنْبَا

وداعَبَ عطريُّ النسيْمُ أُتِيَفَهَا
 ونادت فلبَّاهَا من المعز من لَبِي
 أَحسَّتْ كما تهوَاهُ تَمَّ سَعَادَةٌ
 تفوتُ يَدَيَّ من شاب منكم ومن شَبَا
 لكي ما تنالوا مثلها سَلَّ بعضُكم
 على بعضِكُم من حَيْفِهِ سَيْفُهُ العَضْبَا
 كأن الفتى يغدو سعيداً إذا انثنى
 إلى جيبه ما في جيوب السَّوَى غصْباً^(١)
 وهيَّاتَ ما نفسُ امرئٍ بكنوزِهِ
 تصادف يوماً من سعادتها جَلْبَا
 على حَسْبِ ما يزدادُ مالُكَ وجْهَهَا
 يزيدُ ليُخفي عنك مشهدُهُ النُّقْبَا
 سكينَةُ نفسِ الحيِّ منا ومنكمُ
 سعادتهُ لا ما به يملأُ الجَيْبَا
 ولم نَرَ منكم سواكنَ النفسِ هادئاً
 سواءً رعى خصبَ المراعي أو الجَدْبَا
 وحرمانُكم أن تهْدأوا أوَّلَ الجَزَا
 على ظلمكم دُهمَ الحياوين والشُّهْبَا
 وما تَخْبَأُ الأخرى أمرٌ مذاقَةٌ
 لكل امرئٍ من ظلمه تركَ التَّوْبَا
 فإن لم تخافوا الله فينا وترُفُّقوا
 فلا تأمنوا من سوء ما جئتمُ الغِبْبَا

(١) السَّوَى: الغير.

فإن الذي ولاكم اليوم أمرنا
وأجرى لكم أقواتنا لبنًا عذبا
سيجزىكم عنا غداً مثلَ فعلكم
فلا تأمنوا عكسَ الجزاء ولا القلب
كذا خاطبتني العنزُ وهي مُحِقَّةٌ
وذكرى حقوقِ العنزِ أنساني الشُّغبا
فلا تُهملوا حقَّ البهائم واسلكوا
بهنَّ سهولَ السُّبُلِ والمرتعَ الخصباً

يا أشقائي العرب^(١)

دَعُّوا الْجَزَائِرَ تَلْقَى الْوَيْلَ وَالْحَرْبَا
ثُمَّ ادَّعُوا أَنْكُمْ مَا زِلْتُمْ عَرَبَا
لَوْ لَمْ نَزَلْ عَرَبِيًّا لَمْ تَلْقَ إِخْوَتُنَا
مِنْ دُونِنَا كُلِّ مَا قَدْ آدَ أَوْ كَرَبَا^(٢)
وَلَمْ نَجِدْ بَيْنَهُمْ مَنْ عَمُونَتِهِمْ
بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ لَا بِالْقَوْلِ قَدْ هَرَبَا
وَأَصْبَحَ الْكَلُّ مَنَا جَهْدَ طَاقَتِهِ
مَخْفُوقًا عَنْهُمْ الْأَشْجَانُ وَالتَّعَبَا
مَشَارِكًا لَهُمْ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
تَسْتَبْذِلُ الْجُهْدَ مِنْهُ صَالٍ أَوْ وَهَبَا
أَمَا وَيَعْرَبُ لَوْ ظَلَمْنَا بَنِيهِ رَأَتْ
مِنَّا فَرَنْسَا شَجًّا فِي حَلْقِهَا نَشَبَا
وَمَا أَحْسَتْ وَقَدْ جَاءَتْ بِفَعْلَاتِهَا
فِينَا فَتَى ضِدَّهَا لَمْ يَسْتَحِلْ لَهَا بَا
أَيَعْرَبِيُونَ مِنْ أفعالهم بَعُدَتْ
عَنْ فَعْلِ يَعْرَبُ فَيَمَّا جَلَّ أَوْ حَزَبَا
ظَنَنْتُ ظَنًّا شَجَانِي أَنْ رَابَطْنَا
بِيَعْرَبِ الْمُعْتَلِي قَدْرًا قَدْ انْقَضَبَا

(١) قيلت في ١٩٦٢/١/٢٨ عن الثورة الجزائرية ضد فرنسا.

(٢) أد: أثقل.

أَوْ أَنْ مَوْصُولُهُ الْمَحْضَ الرَّفِيعَ دَنَا
 مِنْهُ الْوَضِيعُ مِنَ الْأَنْسَابِ فَانْتَشَبَا^(١)
 لَوْلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ظَلْمًا مُشْبِهًا بِهِ لَه
 - مَهْمًا تَقَلَّبَتِ الدُّنْيَا بِنَا - حَسَبَا
 ظَنُّ شَجَانِي وَأَبْكَانِي عَلَى نَسَبٍ
 زَهَتْ بِرَفْعَتِهِ أَجْدَادُنَا حَقَبَا
 لَا صِدْقَ لِلَّهِ مُشْجِي ظَنَّتِي لِأَرَى
 مَا أَوْجَعَ الْقَلْبَ مِنْهَا بَاطِلًا ذَهَبَا
 فَإِنْ تَكْذِيبَهَا أَشْهَى الْأُمُورِ إِلَى
 قَلْبٍ عَلَيْهِ بِهَا مُدْمِي الْأَسَى جَلَبَا



لِمَ لَا تَرَانِي هَذَا الْوَقْتَ مَنْطُويًا
 عَلَى شَجُونٍ يُبِدِّنُ الصَّبْرَ مَكْتَنِبَا
 وَالْأَذْنَ تَسْمَعُ مَا عَنِ نَفْعِ مَعِشَرِهَا
 يُلْهِي وَيَشْغَلُ، فَاسْمَعِ تَحْزَنَ الصَّنْخَبَا
 مَا لِلْإِذَاعَاتِ بَيْنَ الْعُرْبِ دَائِبَةٌ
 تَبْتُ مَلَأَ الشُّرُوقِ اللَّهْوُ وَالطَّرْبَا
 كَأَنَّهَا حَسِبَتْ أَهْلَ الْجَزَائِرِ فِي
 مَا يَقْتَضِي طَوْلَ بَثِّ اللَّهْوِ وَالِدَّابَا
 إِنْ لَمْ يَكُ الْكَلُّ مَنَّا وَقْتَ مَحْنَتِهِمْ
 لَطِيبِ لِدَاتِهِ جَمْعَاءَ مَحْتَسِبَا
 مُوجَّهًا مِنْ قِوَاهِ الْكُلِّ يُنْجِدُهُمْ
 حَتَّى يَرَى كُلَّ صَدْعٍ عِنْدَهُمْ رُبْبَا

(١) انتشَب: اختلط.

فَأَيُّ وَقْتٍ نُؤَاسِي مِنْهُمْ أَسْرًا
 تَكَابَدُ الْآنَ ضَنْكَ الْعَيْشِ وَالشَّجَبَا
 أَكَانَ يَعْرُبُ يَرْضَى اللَّهَوَ وَهُوَ يَرَى
 مِنْ قَوْمِهِ أَحَدًا قَدْ سَيَّءَ أَوْ نُكِبَا
 عَنِ الْجَزَائِرِ يُشْجِي الْقَلْبَ مِنْبِؤُهُ
 حَتَّى يَغَادِرَهُ أُسْوَانٌ مَضْطَرِبَا
 فَمَا الَّذِي أُيْهَاهَا اللَّاهُونَ أَطْرَبَكُمْ
 أَعِنْدَكُمْ غَيْرُ مَا يُشْجِي الْقُلُوبَ نَبَا
 حَتَّى مَتَى لَا يَكُونُ اللَّهُ مُطْرَحًا
 مَا بَيْنَ كُلُّكُمْ لَا الْبَعْضُ مَجْتَنِبَا
 وَفِي الْجَزَائِرِ مَنْ يَرْجُو بِنَجْدَتِكُمْ
 رَدَّ الَّذِي ضَاقَ مِنْ أَمْرٍ وَقَدْ رَحُبَا
 خَلُّوا إِلَى الْمَجْدِ هَذَا الْهَزْلَ وَادْكُرُوا
 دَمَ الْكِرَامِ الَّذِي مَا انْفَكَّ مِنْسَكَبَا
 حِيَالِ دَمِ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ مِنْ
 قَوْمٍ هُمْ أَنْتُمْ إِنْ تَذَكَّرُوا النَّسَبَا
 شَتُّوا مَغَارِكُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ
 عَلَى (دَوِيكَيْلِ) حَتَّى يَرْعَوِي رَهَبَا
 لَا تَحْسَبُوا الْقُضْبَ لِلْمَوْتُورِ أَسْلِحَةً
 فَحَسْبُ، إِنْ جَدَّ فِي أَوْتَارِهِ طَلَبَا
 بَلِ السَّلَاحُ كَثِيرٌ غَيْرُهُنَّ وَكَمْ
 بِبَعْضِهِ قَلَّ مَوْتُورُ الْوَرَى الْقُضْبَا
 فَأَعْمَلُوا كُلَّ مَا فِيهِ أَنْيُتُهُ
 فَكُلُّ مُؤَذِّ سِلَاحٍ لِلَّذِي غَضِبَا

كيما يُصَدِّقَ مِنَّا كُلُّ مَفْتَحِرٍ
 إِذَا عَزَا نَفْسَهُ يَوْمًا إِلَى ابْنِ سَبَا
 أَخْلَاقُ يَعْرُبُ مَا كَانَتْ بِفَائِتَةٍ
 يَوْمًا دَرَايَتُهَا الْأَفْرَادَ وَالْعُصَبَا
 لَوْ فَاتَهُ الْعِزُّ لَمْ يَقْبَلْ بِهِ بَدْلًا
 لَهُ وَلِلْقَوْمِ طَرًّا مَا عَدَا الْعَطْبَا
 فَإِنْ نَكُنْ مِثْلَهُ فِي طَبْعِهِ صَدَقَتْ
 مِنَّا ادْعَاءَاتُنَا إِذْ نَدَّعِيهِ أَبَا
 إِذَا انْتَمَى لِأَبِ نَجَلٍ فَشِيْمَةٌ
 تُقَرَّرُ الْأَمْرَ إِنْ صِدَقًا وَإِنْ كَذِبًا
 يَا مَنْ جُدُوهُمْ كَانُوا الشُّمُوسَ - إِذَا
 نَجَتْ حَوَادِثُ هَذَا الدَّهْرِ - وَالشُّهُبَا
 وَالنَّبْعُ مِنْ جُرَاةٍ تَنْنِي صِلَابَتَهُ
 أَمَامَهُمْ فِي الْوَعَى أَبْطَالُهَا قَصَبَا
 شَبَّتْ مَطَامِعُ (دِيكُول) جَهَنَّمُهَا
 وَقَدْ أَرَادَ لَهَا مِنْ بَعْضِنَا حَطْبَا
 فَجَاهِدُوهُ - وَإِنْ شَقَّ الْجِهَادُ - إِلَى
 يَوْمٍ يُرِيهِ بِهَا أَعْوَانُهُ حَصَبَا
 أَرَاحَةُ تَطْبِيكُمُ وَالْجِزَائِرُ لَمْ
 تَبْرَحْ تُكَابِدُ مِنْ جُودِ الْعِدَا نَصَبَا
 وَتَسْتَطِيبُونَ خِصْبَ الْعَيْشِ فِي زَمَنِ
 يَلْقَى الْأَشْقَاءُ فِيهِ الْمَوْتَ وَالسُّعْبَا
 قَدْ أَمَّلَ الْكُلُّ مِنْهُمْ صِدْقَ نُصْرَتِكُمْ
 إِيَاهُمْ فِي جِهَادِ الْمُعْتَدِي كَلْبَا

ولو نهضتُمْ كما رَجَّوْا لما حَبَسَتْ
 عنهم ذئابُ فرنسا النصرَ والغَلبا
 لو أنسوا صِدْقَ فعلِ العُربِ ضِدَّهُمْ
 لم تلق منهم لِحقِّ العُربِ مِغتصِبا
 ما كان بالصَّفْرِ «ديكول» تُجاهِكُمْ
 بل كان - لولا تراخي بعضِكُم - خَرَبًا^(١)
 فطَهَّروا كل أرضٍ من ديارِكُم
 من كُلبٍ من لم يكن ضِدَّ العِدا صُلبًا
 تَرَوُا (دويكيل) عن ظلمٍ يواصلُه
 إلى العِدالة مضطراً قد انقأبا
 وينثنى الكُلبُ من قُصَّادِ ظلمِكُم
 برغمه منصفًا عن قُصَّادِهِ رَغِبا
 لم يَتَّخذ دَرَبَهُ في بحرِ نعمتِكُم
 حُوتُ المطامع - لو لم يوجدوا - سَرِبا
 من لي ببيعِ عُرْبٍ أشكو المنتمين له
 وكلُّ طَبْعٍ لهم عن طَبْعِهِ غَرِبا
 كيما يُعَلِّمَ منهم كلُّ منتحلٍ
 - إذ ينتمي نسبًا قد فاته - الأدبا
 سَلُّوا ببيعِ عُرْبٍ من عُشَّاقِ سِيرتِهِ
 رواثها الصادقين القولِ والكُتُبا
 هل جاء ببيعِ عُرْبٍ إن مكروهه صَعُبَتْ
 بما سوى الجِدِّ في تسهيلِ ما صَعُبا
 حتى يَرُدُّ إلى سهلٍ صعوبتِها
 لكلِّ من قد أتاه يششتكي النُوبا

(١) الخرب: ذكر الحباري.

يستوعبُ الجِدُّ منه الجهدُ عن كرمٍ
في الذبِّ عمَّن عليه ظالمٌ وثبًا
وفي إغاثةٍ من رجى إغاثتَهُ
ممن مُحَيَّا الحَيَا عنهم قد احتجبا
ما جاء في أحدِ الأمرين من عملٍ
إلا وجَهْدُ القوى فيه قد انتصبا
والجِدُّ إن لم يمثُلْ جُهْدَ صاحبهِ
فيما عليه من الإنجاد قد وجبا
فما هو الجِدُّ إذ تُولىهِ تسميةً
فَسَمُّهُ أينما أبصرتُهُ لُعبا
خيرُ النفوس التي تهتمُّ مصلحةً
لقومها كلُّ شيءٍ عندهم حَزْبًا
فَيُبصِرُ الخِصْبَ بعد الجَدِّ قاصدُها
كما اشتهى عندها والأمنَ من رُعبا
تأبى مُروءتُها إلا تَقَدُّمُها
بالجهدِ مهما لها داعي العُلا نَدبا
تظلُّ من باهراتِ الجِدِّ فاعلةً
ما غيرُها منه مبهورُ الحِجا عَجبا
سددت أذني فلا الأشعارَ أسمُها
تعني الجزائرَ مُذ حينٍ ولا الخُطبا
فإن ما قيل في إخلاصِ قائله
قد كاد يبعثُ في الشكِّ والرَّيبا
فصادقُ القول ما يدنوبه أملُ
ناءٍ ويُنئِي من الألام ما اقتربا

ونحن لم نَرَ حتى الآن ضجَّتَنَا
كانت لتحقيقها أمالنا سَبَبَا
ما خَلَّبُ البرقِ مَرْجُوكِ صادقِهِ
مهما استثنار من الإعجاب أو خَلْبَا
والسُّحْبُ مُمْطِرُهُ - ليس الجَهَامُ - به
لنا الثرى يُخرج الأشجارَ والعُشْبَا
مجرَّدُ القول أو شِبْبُهُ المجرَّدُ لا
تلقى الجزائر فيه القصد والأربا
فأسعفوها بأفعالٍ يُعِدْنَ لها
ما من مَعِينِ رِخَاءِ العيشِ قد نُضَبَا

لن يراني القوم إلا مذنباً

ما زلت أشكو من زمانني نوباً
تُغادر الطفل الرضيع أشيباً
لكل من يحكي الصفا فؤادُهُ
صلايةً أو كان منه أصاباً
وأسرع القوم عتاباً لو سرت
رقبتُهُ بجامدٍ لأعتباً (١)
فلم أجد لي مُشكياً أو مُعتباً
ولم أجد عليّ منهم حادياً
كأنني أصبحتُ ليئلاً كاشراً
عن عُصْلٍ مجتمِعاً كي يثبأ
وكان لا لومٍ عليّ من قد نأى
بنفسه يخافُ ليئلاً أغلباً
والكلُّ يهوى أن يكونَ بادئاً
إيذاءً ذاك الليثِ أو معقّباً
فما ترى في القوم عن إيذائه
من أمكنته فرصةً مُنكّباً
فليتّهم إذ منعوني خيرهم
لم يُركبوني من أذاهم مرغباً

(١) اعتبه: أزال عتبه وترك ما كان يغضب عليه لأجله وأرضاه.

لم يَحُلْ في قَومِي مَقَامِي سَاعَةً
 لو أَنَّنِي أُسْطِيعُ مِنْهُم هَرَبًا
 فَإِنْ أَقَمْتُ فِي الكُوَيْتِ مَرِغَمًا
 مَضَطَّهَدًا مِنْ أَهْلِهَا مَكْتَنِبًا
 أَشْكَو وَلَا مُشْكَيَ مِنْهُم فَالْقَضَا
 عَلَيَّ أَنْ أَهْرَبَ مِنْهُم قَدَّ أَبِي
 وَكَيْفَ يَسْطِيعُ فِرَارًا مِنْ غَدَا
 يَشْكَو الوَثَاقِينَ العَمَى وَالوَصَبَا
 حَقِّي مِنْهُم أَنْ أَلْقَى رَاحَةً
 فَمَا لِقَومِي أَلْحَقُونِي نَصَبًا
 إِنْ كَانَ ذَنْبِي عِنْدَهُمْ صَرَاحَتِي
 فَلَنْ يَرَانِي القَومُ إِلَّا مُذْنِبًا
 وَكَيْفَ عَنَهَا أَنْتَنِي وَلَمْ تَكُنْ
 تَخْلُقًا بَلْ خُلُقًا بِي رُكْبًا
 مَعَ أَنهَا لَوْلَمْ تَكُنْ سَجِيَّتِي
 لَمْ أَلْ فِي تَخْلِيصِهَا تَسْبُوبًا
 فَإِنْ قَلْبِي حَسَنُهَا اسْتَمَالَهُ
 فَمَا لَ كُلُّ المَئِيلِ قَلْبِي وَصَبَا
 فَلْيَعْمَلِ القَومُ عَلَيَّ أُنْيَّتِي
 إِنْ كَانَ إِيْذَانِي عَلَيْهَا وَجَبَا
 فَلَنْ يَرُونِي عَن صَرَاحَتِي وَلَوْ
 رَأَيْتُ فِيهَا مَصْرَعِي مُنْقَلِبًا
 وَكَيْفَ يَا قَومُ أَقُولُ عَن فِتْيَ
 أَعْرِفُ عَنْهُ كِذْبَةً: مَا كَذَبَا

أم كيف قولي عن فتى يصنّدقني
 شَبَّ عَلَى الكِذْبِ فـالانُ وريبا
 وعن فتى خَرَبَ: ذا مُعَمَّرُ
 وعن فتى عَمَّرَ: هذا خَرِبًا
 وعن فتى أَطْنَبَ: هذا مَوْجِرُ
 وعن فتى أَوْجَرَ: هذا أَطْنَبَا
 وعن فتى غَرَّبَ: ذا مَشَرَّقُ
 وعن فتى شَرَّقَ: هذا غَرِبًا
 إن كان ذا يرضيكمُ فإنني
 أبقى لما يرضيكمُ مجتنبًا
 فليس في استطاعتي إرضاؤكم
 فأمطروني من أذاكم صَيِّبًا
 فإن لي صبرًا عليكم مسبعدًا
 ما لم تجردوا عليّ القَضْبَا^(١)
 فإن لي في أن أعيش رغبةً
 ولو كما ترونني معدبًا
 ولتعلّموا أن الأذى ما لم يصل
 للموت بي أعده مدربًا
 لله درُّ معشري ما بينهم
 لا يشتكى إلا الصريحُ الكريبَا
 أمّا الذي نافقَ فهو عندهم
 مقدّمٌ مسموعٌ قولٍ مُجْتَبَى
 ولم أزل أملُ منهم نهضةً
 حتى لَخَلَّتْني غدوتُ أشعَبَا^(٢)

(١) مسعد: معين ومساعد.

(٢) أشعب: هو الذي يضرب به المثل في الطمع.

فَلَيْضَ حَكَنُ مِنْ رَجَائِي كُلُّ مَنْ
أُوتِيَ قَلْبًا لَيْسَ فِيهِ مِنْ غَبَا
فَمَا رَجَائِي مَعْشَرِي أَنْ يَنْهَضُوا
وَأَنْ يَمْدُوا لِلْمَعَالِي سَبَبَا
إِلَّا كَمَا أَرْجُو لِعَيْنِي أَنْ تَرَى
عَلَى عَمَاهَا فِي سَمَاهَا الشُّهُبَا
وَأَيُّ خَيْرٍ يُرْتَجَى لِأُمَّةٍ
مَا بَيْنَهُمْ نُورُ الصَّرَاحَاتِ خَبَا



أَقُولُ لِلْعِلْمِ الَّذِي قَدْ جَاءَنَا
فَلَمْ نَقُلْ أَهْلًا لَهُ أَوْ مَرْحَبًا
يَا أَيُّهَا الْعِلْمُ ارْتَجِلْ عَنْ بِلَدِي
قَدْ ضَاقَ عَنكَ رَحْبُهَا وَقَدْ نَبَا
وَاسْتَصْحَبِ الشُّعْرَ فَمَا نَحْتَا
وَلَا تَذَرْ يَا عِلْمُ فِينَا الْأَدْبَا
وَحُصَّ بِالْتَحْطِيمِ أَقْلَامَ الْأَيْ
عَقُولَهُمْ حُبُّ الصَّرَاحَاتِ سَبِي
وَأَوْسِعَنْ أَسْفَارَهُمْ مَحْوًا إِلَى
أَنْ لَا أَرَى مِنْ تِلْكَ فِينَا كُنُوبَا^(١)
فَهَذِهِ الْأَخْلَاقُ لَا تُعْجِبُنَا
وَلَا تَرَى مِنَّا لِهَاتَا مَعْجَبَا
وَأَنْتِ يَا جَاهِلُ أَقِمِ مَكْرَمًا
وَاتَّخِذِي الْأَبْيَابَ مِنَّا مَلْعَبَا

(١) الأسفار: الكتب.

أفسد وعث خرب ودمر لن ترى
تقطيب شعبي للعلوم قطبا
ولا تحف من العلوم صولة
فقد فالنا نابها والمخبا
وأصبحث عنا إلى حيث الألى
تعبهم من الأنام مهريا
وغري ربدع إن قلوناها وإن
أقمت أنت بيننا محبا
فأنت قد رضيت عن نفاقنا
والعلم أبدي للنفاق الغضا
والعلم يقضي بالمساواة التي
تنفي عن الجائع منا العطبا
وأنت بالآثرة تقضي هاربا
بكل شاك من طواه الحاربا^(١)
ونحن لا نرضى لذي مآثرة
يشكو الطوى من مالنا أن ينصبا
سيان من عاش ومن مات طوى
إذا غدونا وأفرين النشبا^(٢)

وإن نحصك بكل معهد
أرخص فيه شائده الذهبا

(١) الأثرة بفتح الاء: اختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره، وحب النفس المفرط، وسكن الثناء هنا للشعر. والحرب: الضيق.

(٢) الطوى: الجوع. والنشب: المال الأصيل.

ولم ندع للعلم في أرجائه
 فرعًا تخاف بطشه أو منصبًا
 فالعلم قد يرضى بطمر ملبسًا
 وأنت لا تلبس إلا القشيبا (١)
 ونحن لا يروؤنا إلا الذي
 يختار للظاهر منه السأبا (٢)
 فلو رأينا نُصَّبًا مرتديًا
 حلة ديباج عبدنا النُصَّبا (٣)
 وقلتُ والجـهلُ يشبُّ ناره
 ويجعلُ الأبوابَ فيها حطبًا
 أحسنتَ يا جهلُ لعمري مُوقِدًا
 أحسنتَ يا جهلُ لعمري مُهَبًا
 إن أنت أتبعْتَ النهى عواطفًا
 منا وأخلاقًا نراها نُخبًا
 فقالَ لا تعجلْ فذا من أربي
 وإنني منكم ساقضِي الأربا
 فصفِّقوا يا قومُ للجهلِ معي
 أحدُ تصفيقٍ وميسُّوا طربًا
 فكلموا الجهلُ غدا مُحرِّقًا
 منا لنا غيرَ العنا ما جابًا
 فليس يشكو غيرَ ذي عواطفٍ
 سليمٍ لبِّ في الحياة التَّعبًا

(١) الطمر: الثوب البالي. والقشيب: الجديد.

(٢) السلب: الغياب السود.

(٣) النصب: الأصنام.

والجهل - والحمد لله - مُريحنا
من كل ما نُضمِرُ منه الرهبيا
والشعب طوع للهوى والهزء إن
بكل شعب لم يكن منشعبا
وكل من موطنهم ما بينهم
ألقى إخاء جَل أن ينقضبا
فأصبحوا يرونه أمأ لهم
جديرة بالبرر منهم وأبا
وكل من واصل - طوع ع قلبه
وعلمه لكي يعييش - الدأبا
وكل من لم يخش - في تطلابه
معارفًا يعلو بهن - اللغبيا (١)
فالهزء منا بهم متمم
لجهلنا رضنا علينا لزيا (٢)
وإن يلمنا لائم فلنحذون
في وجهه حتى يكف التريا
ولنرفع الأصوات متا قحاة
نقول عنه: احتاج أن يؤدبا
فذاك مما يُحزن العلم الذي
خفنا على الراحة منه الشجبا
وحقُّه يا قوم أن نُحزِنه
حتى ولو عنا تولى خببا

(١) اللغب: التعب والإعياء الشديد.

(٢) لزيا: لصق.

كِي لَا نَرَاهُ أَبَدًا عَنْ أَرْضِنَا
إِلَّا بَعِيدًا شَاحِطًا مَغْتَرِبًا
فَإِنَّا غَيْرُ أَمِينِينَ - إِذَا
عَادَ - عَلَى رَاحَتِنَا أَنْ تُسْأَبَا

نمسي في الوطن أحابا

وشرُّ أغربة التفريق من جعلوا
للارتزاق من العمّات أسبابا
باسم الديانة ردّوا جمعكم فرقا
والدينُ جاء لصدع الشَّمْلِ رءابا
سَعَوْا يبتئون روح الخُلف بينكم
ليُدركوا منكم بالخُلف آرابا
قد أغرّبت لكم عن سوء نيّتهم
لو تفتنون مساعي القوم إعرابا
إن يُعجب السعي منهم بينكم نَفرا
رماكم بهم «التامين» إجابا^(١)
فإن سعيهم المشؤوم أغضب من
أبناء عدنان كل الصّيد إغضابا
قد حاولوا فيكم تنفيذ مكرهم
باسم الديانة خدّاعين خُلابا
إن انطلت يا لقومي منهم حيل
عليكم فالبثوا في الذلّ أحقابا
يا أحبط الله مسعى معشر فتحو
عليكم من مميت الخُلف أبوابا

(١) التامين: نهر في بلاد الإنجليز.

وأوهمكم بأن الدين يلزمكم
أن تدخلوهن أحادًا وأسرارًا
حتّامًا يضحك منا الخلف من شحذوا
لأكلنا من بني «التاميين» أنيابا
بنا سئيشيب أنياب العدو - كما
نخشى - تفرقنا إن دام إنشأبا
فلتنف وحدتنا المتلى تفرقنا
ولنمس في الوطن المحبوب أحبابا
ولنتبع ما به الدين الصحيح قضي
ولنعزل من ذوي العِمات أنصبا(١)

(١) الأنصاب: الأوثان والأصنام التي كانت تنصب وتعبد من دون الله.

السباب سلاح العاجزين^(١)

أرضى وأغضبَ تصریحُ المقالِ كما
تقضي الصراحةُ إرضاءً وإغضاباً
أما المُحِقِّونَ عَمَّا قد حوى قَرَضُوا
وأوسعوا رَبَّةً حَمْدًا وإعجاباً
والآخرون عليه أنزلوا سَخَطًا
هذا لأنَّ أخاهُ فيه ما حابى
نافقٌ ودهينٌ وإلا لم تَلِجْ أبدأً
إلى السلامة من إيدائهم باباً
خَلَّ الصراحةُ أولاً فانصبَّ هدفاً
لِنَبْلِهِمْ لا يرى في الرَّميِ إغياباً^(٢)
ويُلمُّها أُمَّةٌ تلقاك مُعْرِبَةً
عن بُغْضِها الوطنيِّ الحُرِّ إعراباً
ما ذنبُها عندها إلا صراحتُها
فيما يقول وإن لم يَغْدُ كذاباً
أوقفتموه على جمرِ الأذى سَفْهاً
لما انبرى لانصداعِ الشَّعْبِ رءاباً^(٣)

(١) قالها بمناسبة مقال نشره الأستاذ أحمد الصراف يلوم فيه بعض المسؤولين على تقصيرهم في حق صقر الشيبب وذلك في إحدى الصحف العراقية، فأحدث ضجة لما فيه من الصراحة.
(٢) أغب: جاء يوماً وترك يوماً.
(٣) رءاباً: مصلحاً.

شَنَّ الْمَغَارَ عَلَى الْعَادَاتِ فَاسِدَةً
 واجتثت منهن أوتادًا وأطنابا
 بنس الجزاء تلقى منكم رجل
 في نصحكم لم يزل إن غاب أو آبا
 جددتكم ما «سنيمار» جنت يده
 إذ أغريت في ابتناء القصر إغرابا^(١)
 أراقكم ما جرى «النعمان» عامله
 إني أرى صنعة أضحى لكم دابا^(٢)
 أصنع «نعمان» أحببتم مغبته
 حتى انثيتكم له في الصنع أضرابا
 نقتكم من أخي الإصلاح ضيحه
 بكم لي ووقظ أفكارًا وألبابا
 طاب المنام لكم عن كل موصلة
 إلى العُلا وله الإيقاظ قد طابا
 فجاء يوقظكم منه مخافة أن
 ينسيكم النوم أخلاقًا وآدابا
 فقمتم والكرى غاش عقولكم
 له تجدون أظفارًا وأنيابا
 تمهلوا ريثما تستيقظوا تضرعوا
 مكان سُخطكم حُبًّا وإعتابا
 أقول والحزن يُذكي النار في كبدي
 للحاسمين من الآداب أسبابا

(١) سنيمار: الذي بنى قصرًا لأحد الملوك وهو النعمان بن المنذر فكافأه بأن ألقاه من فوقه فقتله.

(٢) دابا: دأبا، عادة.

لِتُكْبِرُوا عَلَمَهُ أَنْ تُلْحِقُواهُ أَدْنَى
أَوْ تُكْسِبُواهُ فَظِيحَ السَّبِّ إِكْسَابًا
رُدُّوهُ إِنْ زَلَّ بِالْحَسَنَى فِذَاكَ فَتَى
مَنْ كَانَ نَعْرُفُهُ لِّلْحَقِّ طَلَابًا
هَلَّا نَقَلْتُمْ إِلَى النَّقْدِ الشَّرِيفِ حُطَى
نَزِيهَةً وَوَلَجْتُمْ مِنْهُ أَبْوَابًا
فَإِذَا كَانَ أَدْنَى إِلَى النِّفْعِ الْمُؤَمَّلِ مِنْ
أَنْ تَرْكَبُوا السَّبَّ أَكْوَارًا وَأَقْتَابًا
إِنَّ السَّبَّابَ سِلَاحُ الْعَاجِزِينَ فَمَنْ
يَسْتَلُّ مِنْهُ حَسَامًا فِي الْوَعَى خَابَا
سَلُوا الْجَبَانَ إِذَا مَا رَاحَ يَحْمَلُهُ
هَلْ أَقْتَنَى مِنْهُ إِلَّا الذَّمُّ وَالْعَابَا (١)

(١) العاب: العيب.

خير من تخيرت^(١)

على غيرِ صافي الهوى ما انطويتُ
وطوعَ سوى أمرِهِ ما جرَيْتُ
وأنتَ ولا شكُّ عندي كـــــــذا
ك وإن كنتَ أوهِمْتَ أنِّي جنَيْتُ
وإن غَـيَّبَ الوهْمُ عنك الصواب
فعمَّما قليلٍ أراك ارعويت
فمما للودادِ غدا بائناً
على أسِّ شكوى عايه بنيت
توهَّم ما يتَّقِي فاشتكي
إليَّ كما اليوم مني اشتكيت
وقال أرى أحمدًا قد أتى
سوى كلِّ ما كنتُ منه اشتهيت
فقلتُ التسرُّعُ ضدُّ الصواب
فخلَّ التسرُّعُ فيما رأيت
ظننتُ فخفتُ وكم أخطأتُ
ظنونُ جنى غرسها كان لئيت
لعمُرُ أخي أحمدٍ ما نوى
من الأمر ما تتَّقِي أو نويت

(١) كان الأستاذ أحمد البشر من أخلص أصدقاء الشاعر، وقد حصل بينه وبين الشاعر جدل فحمل الشاعر فيه على صديقه أحمد مما جعل الصديق ينقطع عن زيارته. فقال هذه القصيدة يعاتبه.

وإني مُـرِيكٌ وشـيْكَـا جَلِيٌّ
حَقِيقَة مَا كُنْتُ فِيهِ امْتَرَيْتُ
سَأَطْلُعُ فَجَرَ عِتَابٍ يُزِيلُ
دُجَى لَيْلٍ ظَنَّ بِهِ قَدْ سَمَرَيْتُ
فَقَالَ الْعِتَابُ إِذَا سَيُوعِيدُ
بِهِ الْيَوْمَ حَيٌّ شَكُوكِي كَمَئِيْتُ
فَقُلْتُ أَجَلُ فَالْعِتَابِ الْمَحْكُ
لَمَنْ أَبْتَلِي فِي الْوَدَى وَابْتَلَيْتُ
فَقَالَ الْعِتَابُ يَسِيرُ فُسْمُهُ
صَدِيقَكَ حَتَّى أَقُولَ اكْتَفَيْتُ
فَقُلْتُ سَأَفْعَلُ حَتَّى تَقُولَ
صَدَقْتَ وَنَعَمَ الصِّفِيُّ اصْطَفَيْتُ
فـإِنِّي مِنْ قَلْبِهِ نَازِلُ
بِحَيْثُ أَرَدْتُ وَحَيْثُ ارْتَضَيْتُ
فَعَاتَبْتُ لَا أَبْتَغِي غَيْرَ ذَلِكَ
فَأَوْهَمْتُ أَمْرًا سِوَى مَا ابْتَغَيْتُ
أَهْجَوْا أَسْوَمُ أَخًّا بِسِوَى
سُلَافَةِ أَخْلَاقِهِ مَا انْتَشَيْتُ
وَإِنْ شِئْتُ رَاحَةَ نَفْسِي عَمَدْتُ
إِلَى رَاحِ أَدَابِهِ فَاحْتَسَيْتُ
أَسْمَاءَ ظَنَنْتُ كَوُوسَ الْعِتَابِ
وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُ إِلَّا الْكَمَيْتُ
أَسَاءَتِ الظُّنُونِ إِلَى أَنْ نَسَبْتُ
لِلْفِظِي مَعْنَى لَهُ مَا عَنَيْتُ

وما كنتُ أحسبُ أن تُستَريبَ
ولو بمريبِ المقــــــــــــــــال أَتَيْتِ
لأنك تعلمُ أني امــــــــــــــــرؤُ
لصاحبِي وإن غَدروا بي وَقَيْتِ
وأنتِ لعمريَ مِن خَيْرِ مَنْ
تَخَيَّرْتُ مِن مَعْشَرِي وَأَنْتِ قَيْتِ
لِي الويلُ مِن سَوْءِ حَظِّ قَضَى
عَلِيَّ بِذَنْبِ لَه مــــــــــــــــا جَنَيْتِ
إِذَا سَاءَ بِي الظَّنُّ مِن صَفْوَتِي
فَهَلْ يَحْسُنُ الظَّنُّ مِمَّنْ قَلَيْتِ
وَهَبْنِي عَثَرْتُ بِعُضْرِ طَرِيقِ
عَلَيْهِ إِلَى خَيْرِ شَأٍ سَعَيْتِ
أَلَيْسَ إِذَا وَاجِبِي أَنْ تَقُولِ
لَعَّا لَكَ حَتَّى تَرَانِي اسْتَوَيْتِ (١)
وَمَنْ ذَا إِذَا مَا عَثَرْتُ يُقِيلُ
عِثَارِي وَيُنْهَضُنِي فِي الْكُوَيْتِ
سَوْىَ مِنْ بَهُمْ يَعْتَلِي وَأَعْتَلِي
مِن الشَّعْرِ أَوْ طِينِهَا كُلُّ بَيْتِ
إِذَا عَزَّنِي غَيْرُ حَوْضِ اللَّئَامِ
فَلَا كُنْتُ إِنْ كُنْتُ مِنْهُ اسْتَقَيْتِ
وَكَيْفَ اغْتَبَطِي بِرِيِّي إِذَا
تَذَكَّرتُ أَنِّي مِنْهُ ارْتَوَيْتِ
أَلَمْ تَرْنِي حِينَ غَاضَ الْكِرَامُ
وَفَاضَ اللَّئَامُ بِبَيْتِي أَنْزَوَيْتِ

(١) لَعَّا لَكَ: دعاء يقصد منه طلب إزالة آثار العثار.

فبعداً لطلول حياةٍ بها
 أراني بهم من حمامي احتَمَيْتِ
 فليس تُساوي الحياةُ امتنانَ
 لئامِ بلادٍ إليها انتَمَيْتِ
 فلم أرَ أشنعَ من لؤمهم
 والذَّغَ من نارِهِ ما اصطَلَيْتِ
 إذا قلتُ ذا يستحقُّ الندى
 وبرهنتُ كَفي لا يقولوا افتَرَيْتِ
 أجابوا ألم تدرِ من أمـرِهِ
 بما هو كَيْتٌ - اعتلالاً - وكَيْتِ
 وقالوا كما يقتضي لؤمهم
 به عكسَ ما كنتُ منه درَيْتِ
 لكيما يُجيزَ لهم شُحُّهُم
 على من لحالتِهِ قد رَئَيْتِ
 فمن رفـدهم زورُهُم نائبٌ
 ودعني وجربُ تجدُ ما ادَّعَيْتِ
 وهل بسوى الشوكِ من عَوسجِ
 تؤوبُ إذا جئتُكُ وأجـتَنَيْتِ
 فحالُ مساكينهم بينهم
 فُؤويقَ مناياهُم أو تُحـاَيْتِ
 فلو عَجَّلَ اللهُ عدلَ الجزاءِ
 أحيطوا بنارِ وجيدوا برَئَيْتِ
 ولكنهم أمهلوا فاستطابوا
 خبيثَ غوايتِهِم، لا غَوَيْتِ
 ولم يفرُّوا بين إمامِهِم
 وإمامِهِم فابكِهِم إن بكَيْتِ

أَهْبْتُ إِلَى الرَّشْدِ جَهْرًا بِهِمْ
 فلم يسمعوا نوني حتى وهيت
 فغادرتهم واقفين على
 شفاها هوة تلتظي وانثيت
 فلو كنت شاهدتهم واقفين
 هناك هزأت بهم وارذرت
 فأصبحت من فرط تغريهم
 بأنفسهم عجبا قد قضيت
 وصحت بما شارفوا قائلأ
 عن القوم يا هول كيف اختفيت
 ومن سد عيني جاه الهوى
 فهيات أن يجتلي ما اجتيت
 فيا يسر إن كنت بي صانعا
 كذا، فالى منزلي لا اهتديت
 فما خير يسر أراني به
 ظلمت كما ظلموا واعتديت
 تباركت مُمهل أمثالهم
 على سوء أعمالهم واعتيت
 شكوت إلى بعضهم غرة
 زمانا حدا بي إلى ما اجتويت
 فلما تبينت أنهم رحت من
 شكاتي لهم شاكيًا واعتديت
 ولولا اغتتراري بهم لم أكن
 إليهم بشكوى الزمان انبريت

العزلة

عَرَّتْنِي وَحَشِشَةً مِنْ كُلِّ حُرٍّ
وَعَبْدٍ فِي الْبَرِيَّةِ فَاَنْفَرْتُ
فَخَالِطٌ مِنْ تَشَاءٍ وَلَا تَلْمُنِي
فَاِنِّي عَنْ مَلَامَتِكَ ابْتَعَدْتُ
فَاِنْ تَسْعَدُ بِمَجْتَمَعِ الْبَرَايَا
فَاِنِّي بَاَنْفِرَادِي قَدْ سَاعَدْتُ

إلى محتكر الجنة

إن كان لا يظفُ — رُبالجِنَّةِ
إلا امـرؤُـم — ثأك نوجِنَّةِ
ممن يَصُـبُّ — وِنَ عطاياهُمُ
بِجَـيِّـبِكِ الفارغِ ذي الفُـسْـحَـةِ
والنارِ يصلِ جـمـرَها من غدا
به انحرافُ عنك بالمِنْحَـةِ
فليس في الجنة لي رغبـةُ
فأعط من شئتَ بها حِصَّتِي
وما سوى النارِ التي تَلْتَظِي
- إن لم تكن فيهما معي - مُنِّي

ذكري كريم^(١)

ما تذكرتُ سالمًا قطُّ إلا
وتجارتُ لذكوره عَبْرَاتِي
عاصِيَاتٍ تَجْلُدِي طَائِعَاتٍ
لي شجونًا كالنار ملتَهَبَاتٍ
ذاك ما تقتضيه ذكري كريمٍ
قد أطابت حياتُهُ لي حياتِي
شئتُ أولم أشأ كذاك سَأْبِقِي
حَسَبَ ظَنِّي المصِيبِ حَتَّى مَمَاتِي
ما عَجِيبٌ عَلَيْهِ طَوْلُ بُكَائِي
واشتَعالي بِمُلْتَظِي الرِّفْقَاتِ
بل عَجِيبٌ أَنْ لَا تُذِيبَ وَثْبَلِي
مهجتي بعد سالمٍ حَسْرَاتِي
كنتُ في مِـوْطِنِي الكُوَيْتِ بِنَارٍ
أصْطَلِيهَا فِي سَائِرِ الأَوْقَاتِ
فاستَحَالَتْ بِرُّهُ المَتَوَالِي
مثل ما أَشْتَهِي إِلَى جَنَاتِ

(١) كان المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح محبًا للشاعر وينعم عليه كثيرًا. وكان الشاعر يتذكر إنعامه كلما مسته أزمة وهذه القصيدة قالها في إحدى أزماته.

ثم لما قضى استحالت شُجُونًا
كاوياتِ حَشَايَ بل محرقاتِ
فعليه أركى التحيّة مني
ومن الله أوفرُ الرَّحْمَاتِ

الحرِيثِي عَلَى تَارِيخِ الْكُوَيْتِ^(١)

كَسَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الشَّهْمُ أَضْفَى
ثِيَابَ الْفَخْرِ مِوْطَنَهُ الْكُوَيْتَا
بَبَثُ نَفْسٍ رُوحِ الْعِلْمِ فِيهَا
وَإِحْيَاءِ الْحِجَاءِ وَكَانَ مَيْتَا
فَمَرَحَى لَابِنِ أَحْمَدَ إِذَا أَعَادَتْ
مَسَاعِيهِ مُجَانِنَا سَكِينَتَا^(٢)
فَحَابَّةٌ كُلُّ فِضْلِ مِنْ تُجَارِي
بَهَا يَا نَجْلَ أَحْمَدَ قَدْ شَأَيْتَا^(٣)
سَرَرَيْتَ وَنَحْنُ فِي لَيْلِ التَّوَانِي
نِيَامُ الْعُلُومِ وَمَا وَنَيْتَا
فَأَجْنَاكَ السُّرَى أَحْلَى جِنَاهُ
وَأَطْيَبَهُ كَمَا مِنْهُ اشْتَهَيْتَا
فَأُصْبِحْنَا نَقُولُ وَقَدْ رَأَيْنَا
جَنَى غَرَسِ الْمَتَاعِبِ إِذَا سَرَرَيْتَا
لَوْ أَنَا، لِيَتَنَا، لَوْلَا، وَهَاتَا
تَقُولُ هَوَارِئًا هِيَهَاتَ هَيْتَا

(١) قالها مقرظاً كتاب «تاريخ الكويت» الذي ألفه فضيلة صديقه الأستاذ الشيخ عبدالعزيز الرشيد.

(٢) السكيت: آخر خيل الحلبة. والمجلي: أولها.

(٣) شأى: سبق

لِكُلِّ مَوْرُخٍ فَضْلٌ إِذَا مَا
سَعَى يَا ابْنَ الرُّشَيْدِ كَمَا سَعَيْتَا
أَلَمْ تَجُلْ الحَقَائِقَ ناصِعَاتٍ
سَوَافِرَ مُنْسِيًّا لَوًّا وَلَيْتَا
وَإِدَاءَ الحَقَائِقِ كُلِّ حُرٍّ
بِهِ شَوْقٌ إِلَيْهِ كَمَا رَأَيْتَا
فَتَارِيخَ الكُوَيْتِ الحُرِّ يُثْنِي
بِهِ خَيْرًا عَلَيْكَ وَإِنْ أَبَيْتَا
بَنَيْتَ عَلَى الحَقَائِقِ مِنْهُ أُسًّا
فَمَا نَخَشَى تَدَاعِي مَا بَنَيْتَا
وَأَجْنَيْتَ الأَلَى نَظَرُوا إِلَيْهِ
بِإِنْعَامِ أَطَايِبٍ مَا جَنَيْتَا
وَأَجْرِيَتِ الصَّرَاحَةَ فِيهِ صِرْفًا
وَلَمْ تَمِزْجِ سُلَافَتَهَا الكُمَيْتَا
كَأَنِّي بِالذِّي يَتْلُوهُ جَهْرًا
يَقُولُ لِمَنْ وَعَاهُ هَلِ أَنْتَ شَيْتَا
لِيَسْتَفْطِ كُلُّ تَارِيخٍ إِذَا لَمْ
يَكُنْ مَجْرَى ذَوِيهِ كَمَا جَرَيْتَا
فَلَا شَأْنُ يَمِينٍ مِنْكَ خَطَّتْ
نَفَائِسَ مَا جَمَعْتَ وَمَا وَعَيْتَا
وَلَا حَطَمْتَ لَكَ الدُّنْيَا يِرَاعًا
بِهِ عَنِ كُلِّ سَفْسَافَةٍ نَأَيْتَا
وَلَا تَلَّتْ مِنَ العُلِيَاءِ عَرِشًا
عَلَيْهِ مِنْ حَادِثِكَ اسْتَوَيْتَا

فأنت أجلنا نصحاء ونفعاً
لمن لا تجتبي ومن اجتبتنا
وأطولنا وأصفانا إذا ما
دجنا خطب ذبالات ورزيتنا
على القيدح الموعلى في المعالي
وكل مؤئل المجد احتويتنا
فأي سنام مكرمة تعالت
وأنت على ذراه ما اعتأيتنا؟
كملت فلست أسأل فيك ربّي
سوى إسهاب عمرك لا رديتنا
فإن حياتك المثللى حياة
لأوطان رقت بك إذ رقتنا

من عاداتي وشيمي

أرى خيرَ ساعاتِ المسرَّةِ ساعةً
يكون بها حولي صديقٌ أحاديثُهُ
يَبِيْتُ كَلاناً سِرُّهُ لصديقِهِ
بغير احتشامٍ أو حبيبٍ أعبأته
وإن لم يكن هذا ولا ذاك حاصلاً
فسِرُّهُ جليلُ النفعِ تشفي مباحثُهُ
فذلك رِيحاني وراحي وراحتي
وداعي سروري حين آسى وباعثُهُ
فيا قاصدي بالخُبْثِ ما أنا بالذي
يُخَابِثُ فاقصِدْ في الوري من تُخَابِثُهُ
فَوَقْتُ بكَتُّبِي والحبيبِ وإخوتي
له شُغْلٌ عن رَدِّ ما أنت نافِثُهُ
من الجهلِ إنفاقي من الوقتِ لحظةً
بِنَبْثِي تُرى أمثالِ ما أنت نابِثُهُ
على أنني والحمدُ لله لم يَلُثْ
قميصي على غيرِ الفضيلةِ لائِثُهُ^(١)
وبرهانُ فضلي أنني عنك معرضُ
وقلبك في أمري به عاثَ عاثتُهُ

(١) لائثه: لَفَّه وعصبه.

أخذتُ على نفسي أكيدَ عهدِها
لصفحي عن الجاني وما أنا ناكثُهُ
وأقسمتُ أني لا أكافيءُ حاسداً
على حسدٍ والحلفُ غيري حائثُهُ
وما راثَ في عَوْنِي على دفعِ محزنٍ
إذا استطعتُ عن قلبِ امرئٍ قَطُّ رائثُهُ
وما زلتُ مسطيعاً لخصمي ما به
من الشوكِ ما يؤذي الذي هو حارثُهُ
ولم أستطعُ صرفَ الأذى عن حشا امرئٍ
تولتُ حشاه في سكوتي فوارثُهُ (١)
فلا ينتظرُ مني الإجابةَ شاتمٌ
ولو أنه كالدهرِ جَمَّتْ حوائثُهُ
بشيءٍ سوى حُسنِ المقالِ وإنه
لطبعُ أبي قـبلي وإني لوارثُهُ
وإن لم أجدهُ شافياً قلبَ كاشحي
فإنني طويلُ الصمتِ راعيه ما كِثُّه
وهل يُتجفُ المسكُ الأنوفَ بغيرِ ما
يطيبُ إذا ما ثثُهُ يوماً موائثُهُ (٢)
إذا استوعَرَ الإنسانُ أخلاقَ صاحبٍ
تولتُ خليلي في خالقي دمائثُهُ (٣)
وما حُلْتُ عن خِدنِ أمالتِ يسارَهُ
إلى فاقدٍ من ذا الزمانِ كوارثُهُ

(١) فرث كبده: ضربها وهو حي.

(٢) ماث الشيء في الماء يميته: أذابه.

(٣) الدميثة وجمعها دمائث: ما سهل ولان.

فقد عَلِمَ الأخدانُ أَنِّي وفِيَهُم
وَأَن ودادي دائِمُ العَهْدِ لا يَبُتُّه
وَأَنِّي لا يَخْشَى العَدُوُّ بوادري
إِذا انحصَّ عن ريشِ العَدُوِّ أَنائِثُهُ^(١)
فمن سوءِ قَمْعِي للعَدُوِّ أمانُهُ
ومن حُسنِ صُنْعِي للصديقِ مَغاوِثُهُ
وَإِنِّي على ما بي من اللَّيْنِ لا الذي
تُصَبُّ على رأسِ الظلومِ هَنابِثُهُ^(٢)
وَإِنِّي في ذَبِّي عن الحقِّ تَنثَنِي
أَجادِلُ ظلمَ عنه وهي أَباغِثُهُ^(٣)
ومن لم يُفَرِّقْ بينَ حَقٍّ وغِصَبِ
فلا لَمَّ في الدارينِ منه مَشاغِثُهُ
ويا ناقِدِي إن لَمَّ أَحَفُّ بطشَ ظالمِ
بفِيكَ على النَقْدِ النَقِيدِ كِثابِثُهُ^(٤)
أَحْجِمُ عن فُكِّي لذي الضَعْفِ حَقَّةُ
إِذا قَيَّدْتُهُ من ظُلومِ روابِثُهُ^(٥)
إِذا لا تَمادَت بي من العيشِ فِسْحَةُ
ولا أمَهلتني في حِمامي حَنابِثُهُ^(٦)
وَإِنِّي على بوئسي مَتى ألقَ بائِثُنا
فَفَلْسِي لِكيسي كالعَدُوِّ يَماغِثُهُ^(٧)

(١) انحص الشعر: سقط، والأناث: جمع أئيث وهو الملتف الكثير.

(٢) الهنابث: الدواهي.

(٣) الأبعث: جمعه أباغث طائر من طيور الماء، وهنا يريد طيراً أصفر من الرخم بطيء الطيران.

(٤) الككث: التراب، وجمعه ككاكث.

(٥) الروابث: الموانع.

(٦) الحفاث: السراع.

(٧) يماغثه: يخاصمه.

وَيُطْرِبُنِي شَكْرُ الضَّعِيفِ أَعْيُنُهُ
 عَلَى أَمْرِهِ لَا مِزْهَرٌ وَمَثَالِثُهُ^(١)
 وَمَا طَابَ لِي يَوْمًا مِنَ الزَّادِ طَعْمُهُ
 وَذُو رَحْمٍ لِي ضَامِرٌ الْبَطْنُ غَارِثُهُ^(٢)
 فَيَا طَاعِمًا وَالْجَوْعَ يَشْكُو قَرِيبُهُ
 أَمَا تَكُ مِنْ دَاءِ السَّرَاحِينِ ضَابِثُهُ^(٣)
 وَمَا خَيْرٌ مَحْيَا مُسْهَلٍ وَحَمِيمُهُ
 تَهَادَاهُ مِنْ نَهْجِ الْحَيَاةِ أَوْاعِثُهُ^(٤)
 وَلَا رَوَيْتُ نَفْسُ الَّذِي الْمَاءُ عِنْدَهُ
 إِذَا لَمْ يَرِدْهُ جَاهِدُ اللَّوْحَ لَاهِثُهُ^(٥)
 وَإِنِّي لَذُو عِرْضٍ بَعِيدٍ مِنَ الَّذِي
 يَسْبُ صِلَالِ السَّبِّ وَهِيَ بَرَاغِثُهُ^(٦)
 وَيَا رَيْمًا آذَاهُ فِيَّ مَقْقَالُهُ
 مَدَى التَّيْسِ فِي التُّرْبِ الَّذِي هُوَ بَاحِثُهُ^(٧)

(١) المزهر: آلة من آلات الطرب. والمثالث: مفردها المثلث وهو ثالث أوتار العود.

(٢) غارث: جاع.

(٣) السراحين: الذئاب. والضابث: القابض قبضاً شديداً.

(٤) الأواعث: الطرق العسرة.

(٥) لاحة العطش أو السفر لوحاً: غيره.

(٦) الصلال: الحيات. السبُّ: الثوب، وقد شبه براغيثه بالحيات، كناية عن شدة لسعها.

(٧) يشير إلى المثل كالباحث عن حتفه بظلفه، وذلك أن شاة أو ثوراً كان يراد ذبحه، وحفر بظلفه فظهرت مديته.

لن يعيث^(١)

لكلّ سهامٍ موجعةٍ فؤادي
أراهُ في الكويتِ غداً نَجِيثًا
إلى كم أستجيرُ ولا مجيرُ
وكم ذا أستغيثُ ولا مُغيثًا
كأنّي بينكم ذنبٌ خبيثُ
وكلُّ يكرهُ الذنبَ الخبيثًا
فإن يُغضِبْكُمْ نُصحي فإني
بِسَيِّري في النصيحة لن أريثًا
سأبقى مثلَ ما أتّي قديمًا
بحبل الصبرِ معتصمٌ، حديثًا
حَثِيثًا سَيَّرْتُكُمْ إليكم
فسيروا بالأذية لي حثيثًا
فإني أرتجي لكم انتباهًا
ولو حبلُ الرِّجاءِ أمسى رثيثًا
ثَقُوا أن الأذى منكم بصبري
عليكم حين أنصحُ لن يعيثًا
إلى أن أطمئنُّ بِنُجْحِ سَعْيِي
وأجنيكم جَنَى غَرَسِي أثيثًا^(٢)

(١) قالها يرد بها على من كانوا يحاربونه في دعوته إلى التقدم.

(٢) أثيث: كثير ملتف.

ســــأنزلُ في قلوبكمُ مكاناً

إذا انجابَ الكرى عنكم دميثاً^(١)

ولو أسمعتموني اليوم قولاً

جريرٌ قبلُ أسمعهُ البعيثاً^(٢)

فَرُبُّ نصيحٍ أقوامٍ شتيمٍ

أصاروه لحمهم وريثاً^(٣)

(١) دميث: لين.

(٢) البعيث: شاعر كان بينه وبين جرير هجاء.

(٣) الشتيم: الشديد الخلق مع قبح الوجه.

حَالَهُمْ أَدْهَى وَأَبْرَحَ

دَعْتُنِي حَاجَاتِي إِلَى مَدْحِ مَعْشَرٍ
فَجِئْتُ إِلَيْهِمْ طَوْعًا حَاجِي أَمْدَحُ
فَكُنْتُ كَأَنِّي مِنْ غُبُوسٍ وَجُوهِهِمْ
تُجَاهَ مَدِيحِي جِئْتُ أَهْجُو وَأَقْدَحُ
يَخَافُونَ إِرْفَادِي لِأَن نَفُوسَهُمْ
بَهَنَ إِلَى إِمْسَاكِهَا الطَّبْعُ يَجْنَحُ
وَإِنْ خِيَّ بُونِي أَشْفَقُوا مِنْ قِصَائِدِي
تَثِيرُ كَمِينَاتِ الْعُيُوبِ وَتَفْضَحُ
فَمَا بَيْنَ إِرْفَادِي وَمَنْعِي حَالُهُمْ
مِنَ الْمَنْعِ وَالْإِرْفَادِ أَدْهَى وَأَبْرَحُ
عَلَى أَنِّي مَا زِلْتُ - مَذْكَرْتُ - قَالِيًا
مِنَ الشَّعْرِ مَا الْأَعْرَاضُ تُخْشَاهُ يَجْرَحُ
وَلَكِنْ مَرِيبُ الْقَوْمِ يُرِيدُهُ خَيْفَةً
تَظَنِّيهِ حَيْثُ الْأَمْنُ يُمَسِّي وَيُصْبِحُ
فِيَا لَيْتَ أَنْ اللَّهُ مَا كَانَ مُخَوِّجِي
إِلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ يَشُحُّ وَيَسْمَحُ

أمع الحياة سعادة؟

ما كنتُ أُغِيبُ مَذا أَرِيتُ سِوَى الَّذِي
مَا كَانَ قَطُّ وَلَنْ يَكُونَ مَدَى الْأَبَدِ
أَمَّا الْأَلَى كَانُوا فَلَسْتُ بِغَابِطٍ
مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ يَفْزُوزُ بِهِ أَحَدٌ
مَنْ كَانَ لَيْسَ بِمَسْتَحِقُّ غِيبَةً
حَتَّى وَإِنْ قَالَ الْوَرَى عَنْهُ سَعِيدٌ
أَمَعَ الْحَيَاةِ سَعَادَةٌ؟ لَا وَالَّذِي
جَعَلَ الْحَيَاةَ لِأَهْلِهَا أُمَّ النَّكَدِ
وَلَدْتُ حَيَاتِي مَعَ شِقَائِي كُلِّ مَا
أَبْلَى عَلَيْهَا الصَّبْرَ مِنِّي وَالْجَدَّ
فَإِذَا جَزَعْتُ فَكُلُّ نَفْسٍ لَمْ تَكُنْ
إِلَّا لَتَجْزَعُ حِينَ تُفَرِّقُ بِالْجَسَدِ
مَا إِنْ تَرِثُ مِصَائِبِي فِي مَحْبِسِي
إِلَّا أَتَى أُخْرَى لِتَخْلَفَهَا جَدِّدًا^(١)
يَا قَدْرَةً سَجَّنتُ بِجَسْمِي رُوحَهُ
ضَاقَ الْخَنَاقُ عَلَى السَّجِينِ الْمُضْطَهَدِ
إِنْ لَمْ تَفْكَرِي الرُّوحَ مِنْ جُثْمَانِهِ
فَتَدَارِكِي مَنْزُورَ صَبْرِي بِالْمَدَدِ
أَرْجُوكِ لَا أَرْجُو سِوَاكِ فَاَنْعَمِي
عَجَّلِي عَلَيَّ بِمَا تَرَيْنَ مِنَ الرَّشَدِ

(١) الجدد، بفتحتيْن: القاسية الصلبة.

ثَقُلُ الحَيَاةَ ضَعَفْتُ عَنْ حَمَلِي لَهُ
 ضَعْفًا بِهِ لِي الشَّيْبُ أَعْدَلُ مِنْ شَهْدِ
 قَدْ أَدْنَى عِبَاءِ الحَيَاةِ وَمَنْ رَأَى
 عِبَاءَ الحَيَاةِ لَذِي مَشْيِبٍ لَمْ يُوَدِّ (١)
 وَرَحِمْتَنَا لِلشَّيْبِ مِنَّا إِنَّهُمْ
 مِنْ حَمَلِ أَعْبَاءِ الحَيَاةِ لَفِي كَمَدِ
 طَوْبِي لِمَنْ حَطَّ طُنْجُهُ عَنْهُ يَدُ الرَّدَى
 إِنْ لَمْ يُرَدِّ إِلَيْهِه أُخْرَى أَوْ يَعُدْ
 فَضَلَّ المَنِيَّةَ غَيْرَ مَنكُورٍ عَلَى
 ذِي شَيْبَةٍ وَجَدَ الحَيَاةَ كَمَا أَجِدُ
 مُذْ شِخْتُ لَمْ أَحْمَدِ حَيَاتِي سَاعَةً
 فَسَلُوا سِوَايَ مِنَ المَشَايخِ هَلْ حَمَدَ
 لَوْ كُنْتُ أَحْسَدُ مَا رَمَيْتُ - سِوَى امْرِئٍ
 قَدْ شَابَ شَيْبِي يَوْمَ يَرْدَى - بِالحَسَدِ
 هَذَا عَلَى جَهْلِي بِمَا نَلْقَاهُ مِنْ
 بَعْدِ الرَّدَى مِمَّا هُنَاكَ لَنَا يُعَدُّ
 يَصْبُو إِلَى مَجْهُولِ أَمْرِيهِ الَّذِي
 مَعْلُومُ أَمْرِيهِ لَهُ جِدًّا جَهْدُ
 وَالرَّءُؤُوسِ يَبْشُرُهُ إِذَا
 سَاءَتْ هَالَتُهُ بِأُخْرَى تَسْتَجِدُ
 وَكَذَا مَدَى المَحْيَا إِلَى اليَوْمِ الَّذِي
 مَا كَانَ مِنْ مَحْيَاهُ مَشْفُوعًا بِغَدِ
 فَإِذَا انْتَهَتْ دُنْيَاهُ بِشَّرِّهِ بِمَا
 تُخْفِيهِهُ أُخْرَاهُ لَهُ مِمَّا يُوَدُّ

(١) أدنى: أثقلني.

فتراهُ من آماليهِ مَهْمَا قَسْتُ
 حالٌ عليهِ يُحِسُّ أَنَّهُ مُطْرَدٌ
 ما إن أتى ألمٌ لقلبٍ جارِحٍ
 إلا أتى أملٌ فداوى أو ضَمَدَ
 فلذا أرى آمالنا معدودةً
 من رحمة الله التي ليست تُحَدُ
 وكذا أرى الآلام في إيقاظها
 من عن تَعَرُّفِ لطفِ خالقهِ رَقَدَ
 فجميعُ آمالي وآلامي إذا
 نِعَمٌ تشابهَ خيرها حتى اتَّحَدَ
 ولعلَّ مَشَقَّاي المَلْحُ أتى جَزَا
 فعلي وقولي الحائِذِينَ عن السَّدَدِ (١)
 كم مرةٍ قارفتُ ذنبًا قاصدًا
 وجزاءُ ذنبِ المرءِ مُشْتَقٍ إن قَصِدَ
 وعسى المعجَّلُ من جزائي مُنْقِذِي
 مما يُوَجِّئُهُ لي العَدْلُ الصَّمَدُ
 أخشى عدالتَهُ وأما فضلُهُ
 فإلى سوى تأمليهِ لا أستَنِدُ
 لو لم أُوَمِّلْ فضلَهُ لتطايَرتُ
 لخافتي من عدليهِ نفسي بَدَدِ (٢)
 يا أيها العمر الذي أنفقْتُهُ
 فيما تَبَيَّنَ زيفُهُ لما نُقِدَ

(١) السدد: الاستقامة والصواب.

(٢) البدد: الفرق والأقسام.

لم يبق لي إلا تذكُّرُ ما مضى
 متندِّمًا فسِرِّ الهُويَني واتُّد
 فعسى طويلَ ندامتي يقضي علي
 سودِ الذنوبِ وجمعِهِنَّ المحتشِدِ
 يا ليت أني كنتُ أنقُذُ كلَّ ما
 قد كنتُ آتيه وعمري ما نَقَد
 أو حين أذنَ بالنَّفْسادِ أخذتُ في
 إصلاحِ ما أسلفته مما فسَد
 يا ربِّ فـاعفُ فليس لي إلا إلى
 تَأْمِيلِ عَفْوِكَ عن ذنوبي من مَرَدِّ
 يا مَنْ يُؤمِّلُ عَفْوَهُ الجاني وإن
 فاتت لكثرتها الجناياتُ العَدَد
 خوفُ الحسَابِ على ذنوبي هَدَنِي
 وعليك في التأمينِ منه المعتمَد
 وَخَزُ الضميرِ - ولستُ مَنْ يقوى على
 وخزاتِهِ - أوهى القوى مني وهَد
 قاسيتُ في محيبي منه شِدَّةً
 وأخاف بعد الموت أن ألقى أشَدَّ
 يا أيها القبرُ الذي أنا وافدُ
 حتمًا عليه ككلِّ مَنْ قبلي وفَد
 ماذا أعدتَهُ القبورُ؟ أراحَةً
 أم ضِرْدَها أم بَيْنَ بين لمن وَرَد
 قل لي وأفصحْ إنني مستخِيرُ
 عن نبي الأمورِ مُذِ اكتهلتُ فلم أُنْفَد

فَعَسَى جَوَابَكَ أَنْ يُبَرِّدَ غُلَّةً
 كَانَتْ وَلَمْ تَبْرَحْ بِقَلْبِي تَتَّقِد
 هِيَ هَاتَ مَا أَرْجُوهُ مِنْكَ وَكُلُّ ذِي
 مَحْيَا، جُمُودَكَ عَنْ جَوَابِي قَدْ جَمَدَ
 وَلَأَنْتَ أَعْذَرُ مِنْ سَأَلْتُ فَلَمْ يُجِرْ
 يَوْمًا جَوَابًا مَقْنَعًا فِي ذَا الصُّدَدِ
 مِنْ قَامَ يَطْلُبُ مَا اسْتَحَالَ مَنَالُهُ
 شَرُوعِي قِيَامِي يَأْسًا مِنْهُ قَعَدَ
 لَمْ أَدْرُ مَا تَحْوِي الْقَبُورُ لَنَا إِذَا
 مَا صَخَرُهَا يَوْمًا عَلَيْنَا قَدْ نُضِيدَ
 أَمَّا ظَوَاهِرُهَا فَهِنَّ مَظَاهِرُ
 مَا مِزْنَ مِنَّا مَهْمَلًا مِنْ مَسْتَعِيدَ
 وَوَرَاءَهَا مَا لَيْسَ يَعْلَمُ كَنَهَهُ
 مِنْ جَدِّ فِي التَّنْقِيبِ عَنْهَا وَاجْتَهَدَ
 سَبِيحَانَ مِنْ حَجَبِ الْخَلَائِقِ كُأُهَا
 عَنْ عِلْمِهِ وَبِهِ تَوَحَّدَ وَانْفَرَدَ

يا فهد القوافي^(١)

لو كنتُ مِمَّنْ في طبيعته الحَسَدُ
لَحَسَدْتُ دُونَ النَّاسِ شَاعِرُنَا فَهَدُ
فَقَرِيضَةُ السَّامِيِّ الْمَحَلِّ مِنْبِئُهُ
مَا كَانَ مِنْ حَسَدٍ بِنَفْسٍ قَدْ رَقَدُ
لَكِنْ بَرَانِي اللَّهَ خَلَوِ الْقَلْبُ مِنْ
حَسَدِهِ مَحْيَا نَوِيهِ قَدْ فَسَدُ
فَلذَٰكَ أَغْبَطُهُ وَلَمْ أَحْسِدْ وَمَنْ
غَبَطَ الْمُبَرَّرَ لَيْسَ يَعِزُّهُ أَحَدُ
جَرَتْ الْقَوَافِي مِنْهُ فِي خَلْدِي كَمَا
يَجْرِي لِذِيذِ الْبَرِّ فِي مُضْنِي الْجَسَدِ
أَوْ مِثْلُ مَا يَجْرِي زَلَالٌ بَارِدٌ
مَتَدَارِكًا أَحْشَاءَ حَرَّانِ الْكَبِدِ
زَامِلُتُهُ ظَلَمًا بَدْعَوَايَ الَّتِي
إِنْ يَرْضَاهَا أُصْبِحُ بِهَا مِمَّنْ سَعِدِ
مَتَخَيَّرًا لِأَنِّي لَهُ فِي نَظْمِهِ
مَا رَاقَنِي مِنْ مَحْكَمَاتِ الشُّعْرِ نِدُ
وَلَكَّمْ حَسَسْتُ الزُّورَ يَأْتِينِي بِهِ
مُلْهِي التَّخَيُّلِ أَنَّهُ حَقٌّ وَجِدُ

(١) بعث بها إلى الشاعر المرحوم فهد العسكر.

فإذا انتبهتُ ثنى انتباهي كلَّ ما
 نَظَمْتُهُ من خَيْرِ يَدَاهُ لِي بَدَدَ (١)
 وأعودُ بعدُ مُصَدِّقًا من وحيهِ
 أن سر نفسي كلُّ زورٍ يَسْتَجِد
 ولَقَدْ مَا كَشَفَتْ خِيَالِي الْكَرَى
 لي يِقْظَةٌ فَكَرَائِي هَذَا مُطَّرِدِ
 فإذا ادَّعَيْتُ حَقُوقَ غَيْرِي فِي الْوَرَى
 فَعَلَى تَخَيُّلِي انْتِقَادُ الْمُنْتَقِدِ
 فَتَخَيُّلِي مَا زَالِ يَدْفَعُنِي إِلَى
 دَعْوَى أَمُورٍ لَيْسَ لِي فِيهِنَّ يَدُ
 وَعَلَى ادِّعَائِي قَدْ أَرَى لِي عِازِرًا
 شَرَوَاهُ إِنْ جَارَ ادِّعَائِي أَوْ قَصَدِ
 فَلَقَدْ يَلُدُّ لِي ادِّعَائِي رَتْبَةً
 غَيْرِي بِهَا قَدْ حُصِّ دُونِي وَإِنْفَرِدِ
 وَإِذَا تُخَيَّلَ جَرُّ دَعْوَى لَامِرِي
 فِيهَا مَسْرُوتُهُ فَعِنهَا لَمْ يَجِدِ
 إِنِّي أَعُدُّ خِيَالَ كُنْهٍ سَرَّتِي
 مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي لَيْسَتْ تُحَدِ
 وَتَخَيُّلِي نَيْلِي نَفِيسَ الْأَمْرِ إِنْ
 أَخْطَأْتُ مِنْهُ الْكُنْهَ لِي حَظٌّ يُعَدِ
 وَلِطَالَمَا أَدْنَى تَخَيُّلٍ نِعْمَةٌ
 مِنْ غِبْطَةٍ قَلْبُ أَمْرِي عَنْهَا ابْتَعَدِ
 وَحَقَائِقُ الدُّنْيَا خِيَالَاتٌ إِذَا
 مَا جَالَ فِيهَا الْفِكْرَ عَفْوًا أَوْ جَهَدِ

(١) البدد: الفرق.

هَنَّاكَ يَا فَهْدُ القَوَافِي وَاثْبًا
من مقول لك ما تخطأه السدد
فيهن تفتخر الكويت مقله
منهن تاجًا فوق هامتها انعقد
فبِقُرِّ آدابِ ابْنِهِ إن لم يَنْلُ
فخراً فماذا يُكسِبُ الفخرَ البلد
ما رمت أن أوفيك حقًا مُطْرِيًا
إلا وعمَّ رمت بي عَجْزِي قَعْد
فإليك جُهدَ مقصِّرٍ لم يَرْضَهُ
لك لو لأنفسَ منه حُسْنًا قد وجد
وكفى على صدقِ الودادِ وصفوه
جُهدُ المقصِّرِ شاهدًا مهما شهد

عليك بإحدى الحسنين

أتركني ما بين يَأْسِي وَالرَّجَا
ومن أَحَدِ الضَّدَّيْنِ عِنْدَكَ لِي بُدُّ
وكلُّ بِنَاءٍ شَادَهُ لِي مَعْقِلًا
جَمِيلٌ اصْطَبَارِي بَيْنَ هَذَيْنِ يَنْهَدُ
عليك بإحدى الْحُسَيْنَيْنِ مَبَادِرًا
كَمَا تَقْتَضِي مِنْكَ النِّجَابَةُ وَالْمَجْدُ
فَإِنْ تَعْتَذِرُ فَالْعَذْرُ يَلْقَى قَبُولَهُ
لَدِي وَإِنْ تُسَعِفُ فَمِنِّي لَكَ الْحَمْدُ

زحام

ما في الصِّفَاةِ لذي عَمِّي
مثلي أمورٌ تُحْمَدُ
كم مَرَّةٍ قَد خَمَّنِي
فِيهَا زحَامٌ أَنْكَدُ
كَادت به عن جُنَّتِي
نَفْسِي العَزِيزَةُ تُفْقَدُ

لا تؤذوا الصريح

إذا نَجَمَ الصَّريحُ بأرضِ قـومي
فإن جـزاءهُ منهم نَادٍ^(١)
أروني في الكويتِ فـتَّى تجلَّتْ
نصائِحُهُ كما يُوحِي الفؤادُ
فلم نُحِقُّهُ جهلاً ما يُخَلِّي
مَـحَاجِرَهُ يُحَالِفُهَا السُّهَادُ

(١) الناد والنادي: الداهية. ونجم: ظهر وطلع.

الأعمال لا الأقوال (١)

أُيرْفَعُ رَأْسَهُ الْعَرَبِيُّ يَوْمَ مَا
إِذَا امْتَلَكْتَ فِلَسْطِينَ الْيَهُودُ
وَهَلْ عُذْرٌ لَهُ إِنْ لَمْ تَجِدْهُ
بِأَعْلَى مَا لَدَيْهِ لَهَا يَجُودُ
وَرَاءَ الْخَطْبِ هَذَا أَيُّ خَطْبٍ
تُصَانُ لَهُ النَّفْسُ أَوْ النُّقُودُ
أَبْعَدَ الْيَوْمِ يَوْمٌ فِيهِ تَزْكُو
لِبِأَنْزَلِهَا مِنَ الْعَرَبِ الْجُودُ
بَنِي الْعَرَبِ الْأَلَى مَا عُدَّ مِنْهُمْ
فَتَى عَنْ نَصْرِ مَعْشَرِهِ يَحِيدُ
أَمَا كَانُوا وَبَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
إِذَا حُمَّ الْعِيدُ رَكْنٌ شَدِيدُ
أَمَا أَدَى تَعَاوَنُهُمْ إِلَى مَا
يَعْمُرُهُمْ بِهِ الْعَيْشُ الرَّغِيدُ
وَلَوْلَمْ نَفْتَرِقْ مِنْ بَعْدِ جِهْلًا
لَمَا عُدْنَا وَسَاءَئِدْنَا مَسُودُ
نُجِدُّهُمْ مَدَحَهُمْ وَالْمَدْحُ عَارُ
عَلَيْنَا - لَوْ تَأَمَّلْنَا - عَسَى يَدُ

(١) نشرت في السجل الأغر ١٧ شوال ١٣٥٦ (الجمعة) ١٤ كانون الأول ١٩٣٧ العدد ٧٧ وتكتملتها في العدد

٧٨، ٢٤ شوال - ٥٦، ٢١ كانون ١٩٣٧.

فَلِمَ نُطْرِي الْجُدودَ عَلَى عَلامِهِمْ
ولم نَفْعَلْ كَمَا فَعَلَ الْجُدودُ
فإِما أَن نَكُونَ قَدِ افْتَرِينَا
إِذا رَحِمْنَا بِذِكْرِهِمْ نُشِيدُ
فَلِمَ يَخْضَرُ مِنْ شَرَفٍ وَمَجْدٍ
لَهُمْ مَما بَينَ أَهْلِ الأَرْضِ عُدودُ
ولا كَكانُوا وَقائِدُ كُلِّ شَعبٍ
جَنيبُ خَلْفَ قَائدِهِم مَقودُ
ولا خَفَقَتْ لَهُم في كُلِّ أَرْضٍ
بِغَيرِ مَجَرِدِ الدَعوى بُنودُ^(١)
ولا كَكانُوا مِنَ الإِقْدامِ قَدَمًا
بِحيثُ تَهابُهُم حَتى الأَسودُ
ولا كَكانُوا عُدائِهِم - إِذا مَما
أَتابَها أَنَّهُم غَضَبُوا - تَبِيدُ
ولا كَكانُوا زَمانَ الجَدبِ سُحَبًا
عَلى العَافِي بِما يُغني تَعودُ
وَإِما أَن نَكُونَ بَنِي سِواهِم
وَحَذُّوا الجَدَّ يَحذُوهُ الحَافِدُ
إِذا انْتَسَبتُ إِلى أَصْلِ فِروغِ
فأَخلاقُ الفِروغِ هِيَ الشُّهُودُ
أَمِنْ أَخلاقِ يَعرُبَ - إِذِ دَعانَةُ
إِلى الجُلَى مَعاشرُهُ - الصُّدودُ^(٢)

(١) البنود: الأعلام.

(٢) الجلى: الأمر الشديد والخطب العظيم.

ومن أخلاقه شح عليهم
 بما يحويه أم ذبُّ وجُّود
 فلو كُنَّا بنيهِ أبصرتنا
 فإسطين نواسي أو نذود
 أي عُرْبٌ من بنيهِ عُرْبٌ يومي
 لعمرُ أبيك ذا شيءٍ بعيد
 وظنني أنه لو شقَّ عنه
 ليشهد ما أتيناه - الصَّعيد
 لقال إليكم عني إليكم
 فليس لكم إلى نَسَبِي صُعود
 وزاد فقال ما فيكم - وهذا
 - صنيعكم - لإنسانٍ وليد
 فإن نمتِ القُرودُ شكولَ ناسٍ
 فعُرْبُ اليوم ناموها القُرود
 أقولُ مقالتني هذي وإني
 لعُرْبِ اليوم في الدعوى نديد
 فلوصدق ادعائي ميتُ مما
 روى لي عن فلسطينَ البَريد
 أحاديثُ لها تنشقُّ مِمَّن
 لهم رُوِيَتْ قلوبٌ أو كُـبـود
 فمن إخواننا فيها قتيلٌ
 ومن إخواننا عنها طريد
 وأخزر منهم في السجن كادتُ
 على ساقَيْهِ أن تأتي القُيود

وما جَبُنْتُ فِلسطِينَ ولكن
عليها للعِدا كَثْرَ الجُنود
«تكاثرتِ الطبائءُ على خِراش
فما يدري خِراشُ ما يصيد»
وها هي تَسْتَعِينُ بنا فحَتَّى
مَتى عن أن تُعِينَ بنا جُمُود
إذا ما نحن لم نُسْعِفِ ذَوِينا
ويُوفِ عَديدهمُ مَنّا عَديدُ
فَنَعَضُدُ صَيدَهُمُ منا بِصَيدِ
تُذِيلُ مِنَ الطُّغاةِ وَتَسْتَقِيدُ
فليس العُجْمُ تُغْذَلُ إن تَراخَتْ
بَنَجِدَتِها ولا تُلحَى الهُنود
فإن مَاتُوا بدينهمُ إليهم
وَنِعَمَ الرابِطُ الدِّينُ الفَـرِيدُ
ففيما بيننا لغَةٌ ودينُ
وفيما بيننا النَّسَبُ الأكِيدُ
وهَلْ أَسُّ لجامِعةِ البرايا
سوى هاتا وسقفُ أو عَمود^(١)
ملوكِ العُربِ إنَّ الأمرَ جِدُّ
وإنَّ اللهَ مَطَّلِعٌ شَهِيدُ
سَيَسْأَلُ - وهو أَعْلَمُ - ما صَنَعْتُمْ
لَمَن شَيطانِ ظالِمِهِمُ مَريدُ

(١) كان البيت في المجلة التي نشرته:

وهاتا أس ما جمع البرايا وألف والسقيفة والعمود
ولكن وجدته في كراساتهِ مَضْرُوبًا عليه ومغيرًا إلى ما أثبتته (الرومي).

فَهَلْ لِلَّهِ عِنْدَكُمْ جُـوَابٌ
 لَصَرَفِ عَذَابِهِ كَافٍ مَفِيدٌ
 أَفَكَّرْتُمْ مَلُوكَ الْعُرْبِ فَيَمَّا
 يَخِضُّفُ عَنْ ذَوِيكُمْ مَا يَأُودُ^(١)
 أَقَارِبُكُمْ يُعَاعَثُ بِهِمْ فَسَادًا
 وَأَنْتُمْ عَنْ مَعُونَتِهِمْ قُـعُودُ
 فَكَمْ عَمَانَتْ فَلَاسْطِينَ خَطُوبًا
 يَشْرِيْبُ مِنَ الصَّـبِيِّ لَهْنٌ فُـوَدُ
 وَلَيْسَ لِدَائِهِمْ هَذَا دَوَاءٌ
 إِذَا مَا طَاشَ رَأْيُكُمْ السَّـدِيدُ
 وَلَيْسَ الرَّأْيُ إِلَّا أَنْ تَقُومُوا
 فَإِنْ قَمْتُمْ فَأَمْرُكُمْ رَشِيدٌ
 فَلَمْ يُعْـوِزْكُمْ مَالٌ وَجُنْدٌ
 بِمِثْلِهِمْ مَا لَكُمْ تُورَى الرِّزْدُ
 فَإِنْ شِعْتُمْ أَعْنَادُ صِدْقٍ
 وَظِلُّ الْمَالِ فَوَقَّكُمْ مَـدِيدُ
 وَإِنْ عَاقَتْ قِيَامَكُمْ أَمْوَرٌ
 فَمَصْدَرُ كَأْهَانِ أَنْ لَا تُرِيدُوا
 وَأَمَا صَرَفٌ قَوْلِكُمْ فَمِنْهُ
 عَلَى الْإِخْفَاقِ أَضْجَرْنَا الرِّدِيدُ
 فَكَمْ كَلِمٍ بَدْرْتُمْ مِنْهُ بَدْرًا
 فَمَا احْلَوْلَى لَنَا مِنْهُ الْحَصِيدُ
 فَعَدُّوا عَنْ مَجْرِدِ كُلِّ قَوْلٍ
 فَمَا سَعِدَتْ لِبِلَازِمِهِ الْجُدُودُ^(٢)

(١) يؤود: يثقل.

(٢) الجدود: الحظوظ.

أْمُنَّبَتٌ مِنَ الطَّفِيَّانِ يَوْمًا
بِحَدِّ مَجْرَدِ الْقَوْلِ الْوَرِيدِ
أَجْبَبْنَا عَنْ مَصَادِمَةِ الْأَعْمَادِي
وَمِمَّا بَرِحَتْ مَظَالِمَهُمْ تَزِيدُ
أَلَمْ يَدْرِ الَّذِي يَخْشَى الْمَنِيَا
مِنَ الْجُـبْنِ بِنَاءً أَنْ عَزَّ الْخُلُودِ
وَأَنْ بِيـــــوتٍ مِنْ ذَلَّلُوا وَهَانُوا
بِرِغْمِ أَنْيَقِ مَحِيَاهِمِ أُلُحُودِ
وَأَنَّ الْمَوْتَ فِي طَرْقٍ تَوْدِي
إِلَى قَمْعِ الطُّغَاةِ وَمَا تَكِيدُ
هُوَ الْعَيْشُ الَّذِي اكْتَنَفَتْ ذَوِيهِ
جِنَانُ الْخُلْدِ وَالذُّكْرُ الْحَمِيدِ
أَنْجَبْنَا عَنْ جِهَادِ خِصُومِ سَوْءٍ
مُجَاهِدُهُمْ شَهِيدٌ أَوْ سَاعِيدِ
وَقَدْ أَجْرُوا فِظَائِعَ لَوْ دَرَّتْهَا
دِرَائِنَا الْجِبَالُ غَدَتِ تَمِيدِ
نَحْوَقِيلُ كَلَّمَا قَالُوا ذُووَكُمُ
تَفَشَّى فِيهِمُ الْجَهْدُ الْجَهِيدِ^(١)
وَنَأْبَى أَنْ نَقُومَ لَهُمْ بِأَمْرِ
يَقُومُ بِمِثْلِهِ الْبَشَرُ الْمَجِيدِ
لِمَاذَا أَطْلَقَ الْأَفْـوَاهَ مِنَّا
وَلَمْ يُطْلِقْ سِوَا عِدْنَا الرُّكُودِ
أَفِي يَوْمِ الْوَعْدِ تُغْنِي سِيـــــوْفٌ
تَصِلُ وَلَا تُزِيلُهَا الْغُمُودِ

(١) نحو قول: نقول لا حول ولا قوة إلا بالله.

إِذَا دَوَّتِ الرَّعْدُ بِغَيْرِ قَطْرِ
 فَهَلْ تُجْدِي ذَوِي الْمَحَلِّ الرَّعْدُ
 إِذَا مَا الْفَعْلُ لَمْ يَعْضُدْ مَقَالاً
 فَلَا كَانَ النَّثِيرُ وَلَا النَّخِيرُ
 أَقْبُولُ لِمُدَّعِي وَدِّي إِذَا مَا
 أَرَادَ مَسَاءَتِي الْخِصْمُ الْعَنِيدُ
 مُطِيقَ مَعِوَنَتِي: إِنْ لَمْ تُعِنِّي
 فَاتَّتْ لِكَاشِحِي لَالِي وَدُودِ
 وَيَا مَنْ ذَاذَنَا عَنْ مَنْهَآئِيهِ
 وَلِي أَمَلٌ بِوَرْدِهِمْ مَا وَطِيْدُ
 وَبِي ظَمَأٌ لِفَرْطِ الْبُخْلِ مِنْهُ
 وَقَدْ طَابَتْ لَهُ مَنِي الْعُهِودِ
 أَتَبْكِي إِنْ أُمَّتْ عَطَشْنَا وَلَوْلَمْ
 تُحَلِّئُنِي لِأَحْيَانِي الْوُرُودِ (١)



وَأَنْتُمْ يَا بَنِي «التَّامِيْنَ» قُولُوا
 أَمَا لَشَنِيعِ ظَلْمِكُمْ حُدُودُ
 نَعَيْتُمْ ظُلْمَ غَيْرِكُمْ عَلَيْهِ
 أَأَظْلَمَ مِنْكُمْ يَحْوِي الْوُجُودِ
 وَعَبَيْتُمْ كُلَّ غَدْرٍ ثُمَّ جِئْتُمْ
 بِغَدْرٍ لَمْ يَجِئْ شَرَوَاهُ سَيِّدُ (٢)
 صَنِيعُكُمْ تَكْشَفَ عَنْ وَجْهِ
 لَهَا صُورُ الْإِنْسَانِي وَالْجُلُودِ

(١) حاذة: دفعه عن ورود الماء.
 (٢) شرواه: مثله، والسيد: الذئب.

اتَّخَذَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مِنْكُمْ
 مَوَاطِئِقُ تَوَكُّدٍ أَوْ وَعْدٍ
 وَأَنْتُمْ أَيُّهَا النُّوَابُ عَمَّنْ
 أَرَادُوا السَّلْمَ فِي الدُّنْيَا يَسُودُ
 عَلامَ «الإنكليز» بَغَوْا وَجَارُوا
 وَأَنْتُمْ عَنْ مَفَاسِدِهِمْ رُقُودُ
 أَطْبَبْتُمْ مِبَادِنَكُمْ عَلَيْهِمْ
 وَصَحَّ الوَعْدُ مِنْكُمْ وَالوَعْدُ
 وَإِلَّا فَالمِبَادِي مَا دَهَاها
 أَبْطَأَهَا لَكُمْ وَضَعُ جَدِيدِ
 أَعْصَبَةِ هَذِهِ الْأُمَّمِ انْتِبَاهًا
 فَمَثَلُكَ لَا يَنَاسِبُ هُجُودُ
 أَنْوَمًا وَالطُّغْيَاءُ تَحُشُّ نَارًا
 لَهَا مَنْ سَامَهُمْ عَدْلًا وَقُدُودُ^(١)
 أَلَمْ تَتَأَلَّفِي قَبْلَ اخْتِيَارًا
 وَقَمِعُ البَغْيِ مَقْصِدُ الوَحِيدِ
 لِيَفْنِي البَغْيُ أَجْمَعُ لَا عُمُودُ
 تُقِيمُ لَهُ الحُرُوبُ وَلَا زِيُودُ
 وَقَوْلِي لِي أَحْرُكُ كُلَّ عَضْنُو
 عَلَيْهِ انضَمَّ مِبْنَاكِ المَشِيدِ
 أَمْ الأَعْضَاءُ فَيْكِ - كَمَا اقْتَضَاهُ
 مُشَاعُ الظُّلْمِ - لِلأَقْوَى عَبِيدِ

(١) حش النار: أوقدها.

أفي الصحيفة درة^(١)

إن شَجاكم منِّي الأئِنَّ المَديدُ
فعدابي بالفقر جِداً شديدُ
كلما قلتُ ذاتَ يومٍ سيمضي
منه عني اشتدادُهُ أو يَبيدُ
عَنْ خَظْبٍ يَقولُ إنِّي كَفيلُ
أَنْ سَتَبلي يا «صقر» وهو جَدِيدُ
بعَدَ خَظْبٍ لِنَاجِذِيهِ جُروحُ
في فؤادي اندمأهَنَ بعِيدُ
فَالخَظوبُ الجوارحُ القَلبَ عَندِي
كَلَّ يَومٍ عَـدِيدُهُنَّ يَزيدُ
فَكَأَنَّ الخَظوبَ كَنَعاماً
ضِمنَ قَلبِي بَدَأَ لَهِنَّ هَبِيدُ^(٢)
ولو أَنَّ الخَظوبَ أَبْقَيْنَ صَبِراً
لي إِلَيهِ مَن جَـوَرِهِنَّ أَعوَدُ
ما شَكوْتُ الزَمانَ ما بَينَ مَن هُمُ
لَزمَـانِي طَراً عَلَيَّ جُنودُ
أنا أدري أَنَّ الشَـكِيَّةَ مَنها
لستُ إِلَّا شَمَاتَهُمُ أَسْتَفِيدُ

(١) قالها يجيب بها صديقه الأستاذ الجليل الشيخ عبدالعزيز الرشيد على قصيدة بعث بها إليه.

(٢) الهبيد: الحنظل أو حب الحنظل.

غَيْرَ أَنَّ الْخَطُوبَ أَفْنَيْنِ صَبْرِي
 أَكَلَاتِ وَالصَّبْرُ نُخْرِي الْوَحِيدُ
 وَإِذَا بَزَّتِ الْخَطُوبُ جَلِيدًا
 نُخْرَهُ اضْطُرًّا لِلشُّكَاةِ الْجَلِيدِ
 زَفَرَاتِ الْحَزِينِ مَا تَمَّ مِنْهُ
 مِنْ اخْتِيَارِ مِنَ الْحَزِينِ الصَّعُودِ
 جَهَدْتَنِي صُرُوفُ دَهْرِي حَتَّى
 غَيْرَ شَكْوَى صُرُوفِهِ لِأَجِيدِ
 كُلُّ صَوْتٍ مَا لَمْ يَكُنْ بِأَنْيْنِ
 لَمْ يُجِدْهُ ذُو الْعَلَّةِ الْمَجْهُودُ
 مَا مَقَالِي الْمَحْرُكُ الشُّجُوفِي نَفِ
 سِكَ مَنِي أَنْبَعَاثُهُ مَقْصُودِ
 بَلْ كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَهْوَاهُ يَأْتِي
 يُطْرِبُ السَّامِعِينَ مَنِّي النَّشِيدِ
 بِيَدِ أَنْ الَّذِي يَزِفُّ مِنَ الشُّعْ
 رِ سُرُورًا يَأْبَاهُ حُزْنِي الْمَدِيدِ
 وَمَنْ الصَّعْبِ أَنْ يَفْـوَهُ بِمَا يَبِ
 عَتْ غَيْرَ الْكَاتِبَةِ الْمَفْـوُودِ
 مَا شَجَّتِكَ الْخَنَسَاءُ لَوْلَمْ يُصِـبْهَا
 فِي أَخِيهَا عَادِي الزَّمَانِ الْعَنِيدُ
 بَلْ حَبِيبًا بِالسَّرُورِ - مِنْكَ فَوَادًا
 أَحْزَنَتْهُ أَنْأَتْهَا - التَّفْـرِيدِ
 وَبِنَاتِ الْهَـدِيلِ لَوْلَمْ يُذْنِبْهُ
 مِنْ حَنْيْنٍ إِلَى الْهَـدِيلِ تَلِيدِ

ما رأيت الغصونَ - مهما يُرجَّعُ
 من نواحًا على الغصون - تميدُ
 لا تُؤمِّلُ لديّ مطربٍ شـمـرٍ
 فلساني عن قصده مَصْدُودُ
 لم أحاول سوى الشُّكَاةِ فَعَدَى
 عن سبيلي شيطانُ بؤسي المَريدِ
 فتراه عن غايتي دون علمي
 لي نَحْوُ الشُّكَاةِ مِنْهُ يَذُودُ
 فتراني أشكو وقصدي أني
 للتهاني إلى صديقٍ أَقْدُودُ
 فتجيءُ الصديقَ مني القوافي
 حاملاتٍ شكواي واليومُ عِيدُ
 فيُريني منه التَطْيُورُ صَدَاً
 خافياً فيه بِشْرَةُ المَعْهُودِ
 فتراني أشكو وقصدي وَعْدُ
 للمُوالي أو للمُعَادِي وَعِيدُ
 وكذا لا يزالُ عَوْضُ يُلاقِي
 غيرَ ما رامَ أو نوى المَحْدُودِ^(١)
 فالتمس لي سعادةً من إلهي
 حين يحويك لئله السُّجُودُ
 فلعلَّ الدُّعاءَ منك يُنافِي
 له تمامًا دعائي المَرْدُودِ

(١) عوض: ظرف يدل على استغراق المستقبل، ومعناها: أبداً. أما كلمة «قط» فهي لاستغراق الماضي، نقول: ما فعلته قط ولا أفعله عوض.

فِيَأْقَى الدِّعَاءَ مِنْكَ قَبُولاً
 فتراني ونَحْسُ جَدِّي سُعود
 فبحسبي سؤالُ رَبِّي خَيْرًا
 لِي مِمَّنْ سَأَلَهُ المَجْهُود
 فإقْدِ يَفْخُلُ الصَّلَاةَ دَعَاءً
 كُلَّ حِينٍ لِرَفْعِهِ تَجْدِيد
 فِي صَلَاةٍ يَذِلُّ فِيهَا وَيَعْنُو
 - اللّٰذِي صَاغَ شَخْصَهُ - الصَّنْدِيد
 فإرم عبد العزيز بالسُّؤْلِ فقري
 فسؤال التُّقَى سَهْمٌ سَدِيد



رُبُّ لَيْلٍ سَهَرْتُ تَحْتَ دُجَاهِ
 أبدأُ الفِكرَ تَارَةً وَأَعْيِد
 بآحْتًا فِيهِ عَن طَرِيقِ خِلَاصٍ
 مَن هَمومٍ يَشِيبُ مِنْهَا الوَلِيد
 قَدْ هَدَاها إِلَى فَوَادِي اِحْتِيَاجِي
 كُلُّ مَا دَوْنَهُ الحَيَاةُ تُؤوِد
 فَيُؤَلِّي الدُّجَى وَكُلُّ طَرِيقٍ
 خَلْتُ فِيهِ الخِلَاصَ لِي مَسْدُود
 فَأَفْخِضِي النِّهَارَ مَا بَيْنَ كُتُبِ
 أَنَا صَبٌّ بِمَا وَعَنْهُ عَمِيد
 فَإِذَا اللَّيْلُ عَادَ عُدْتُ إِلَى مَا
 كُنْتُ فِيهِ وَالنَّاسُ حَوْلِي رُقُود
 وَأَخِيرًا رَأَيْتُ أَنَّ رُكُوبَ الدِّ
 بِحَرِّ فِيهِ لِإِفَاقَتِي تَشْرِيد

فإذا الْبَحْرُ مَوْتُ مَنْ نُورُ عَيْنَيْهِ
 هـ - شبيهي من الوري - مَفْقُود
 فلأنا اليومَ في الكويت أقباسي
 من شقاءٍ ما لا يطيق الحديد
 بين مثيري السَّمَاحَةِ عَارًا
 فهو طَوْعَ الإِمْسَاكِ عنه يحيد
 ليس يُصْغِي إلى شَكَاتِي مَهْمَا
 زارَ سَمْعَيْهِ بِالشُّكَاةِ القَصِيد
 لا يُلِينُ الْمُقِلُّ مِنْهُ بِشَكْوَا
 هُ فَوَادًا بِهِ اسْتَبَدَّ الْجُمُود
 وَمُقِلُّ يَوَدُّ إِسْعَادَ مِثْلِي
 في البرايا لو ساعدته الجدود
 فلكلِّ من الفـريقتين من بُخْ
 لٍ ويؤسُّ أن يُسْعِدَانِي قُيُود



لستُ أدري أفي الصَّحيفَةِ دُرٌّ
 زَقَقَهُ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ الرَّشِيدُ
 مستثيرًا تعجُّبي إذ أتاني
 وهو عقْدٌ - ولم يُنْقَبْ - نَضِيد
 أم أمانٍ قضى عليهنَّ يَأْسِي
 من يساري وفُرْشُهُنَّ مُهْود
 قد تَبَدَّلْنَ بِالْمَمَاتِ حَيَاةً
 فازدهاني منهنَّ عُمُرٌ رِيدُ
 أم زُهورٌ يَرْقَنَ حُسْنًا وريًا
 كلُّ أنفٍ وكلُّ طَرْفٍ يَرُود

بل ثناءً أجادَ نسجَ قَـوَافٍ
 - ضُمَّنْتُهُ - ذاك الصَّنَاعَ المُجِيدَ
 وبِحَسْنِبي مَعَزِيًّا عن حَظوظٍ
 شَفَّ نَفْسِي مِنْهُنَّ عني الصَّدودِ
 إن شَرَوِي عَبدِالعَزيزِ مِنَ الصَّيِّدِ
 بِذِكْـرِي بَينِ الأَنامِ يُشـيِّدُ
 أَيُّهُذا المذِيعُ بَينِ البِـرِّاِيا
 ذَكَرَ مَنْ مِلاءُ عَيشِهِ التَّنْكِيدُ
 كَـيْفَ لَـانِ الفِـؤَادُ مِنْكَ بِأَرْضِ
 أَنجَبَتْكَ اللَّيْـانُ فِيها فَـقَـيِّدِ
 ولَعَدَوِي البِـلادِ بِالْيُـبْسِ وَاللِّـ
 بَينِ بَنِيها تَغْلُبُ مِشْهُودِ



أنا ما زلتُ في الكَويْتِ أُغْنِي
 كلُّ صَوْتِ يَشْجِي بِهِ الجُـمُودِ
 وَهيَ تَزْدادُ قِـسْـوَةً فِـغَنائِي
 لَشِقائِي تَتَمُّمُهُ وَمَـزِيدِ
 فَكأَنَّ الكَويْتِ ما دَمْتُ فِيها
 قِـفْصُ فِـيهِه بِابِلُ غِـرِيدِ
 أَيأسُـتَـنِي مَنْ أن تَرِقُّ لِحِـمالِ
 شَـابِ مِنْها عَلى شِـبابِي الفُـودِ^(١)
 جَـهَلْتُ حَقِّي الكَويْتِ فَلَمْ يُـو
 لِ التَّفِـاءِ تُ مِنْها إِلِـيهِ الجِـيـدِ

(١) الفود بفتح فسكون: جانب الرأس، وهنا ضم الفاء لضرورة القافية.

وعلى جَهلها المَضرِّ بِحَقِّي
 تتلظى عليَّ فيها الحُقوقُ
 فكأنِّي عمًّا لها من حقوقٍ
 طاردٌ طَوَّعَ مطمَـعِي لا طَريدُ
 فبها اليوم بين كَيْدٍ وأيدٍ
 تلتقيني ثعالبٌ وأُسُودُ (١)
 فنصيبُ منها التوفُّعَ للإيدِ
 ذاء يومي وليلي التسهيدِ
 وصمَّنتني حتى بِجَحْدِ إلهِ
 ما تمشَى له ببالي الجُحودِ
 ويقيني - بأن ربِّي مُديلي
 من ذوي الظلم - عُدتِّي والعديدُ (٢)
 فرجائي عَوْنُ الإلهِ عَتادي
 إذ عَتَادُ القومِ القُوى والنُّقودِ
 ومفازي في عاجلي إن تواني
 فهُوَ في آجلي لديَّ أكيدِ
 أنا لولا الإيمانُ باللهِ وأفَى
 نارَ مَحيَايَ من هُبُوبي الخُمودِ
 فانتحاري - لولا يقيني - خيرُ
 من حياةٍ لا ترتضيها القُردِ
 كيف يحيا لولا اليقينُ ضعيفُ
 نابذتُهُ عُمُـمُـورُها والزُّيودِ

(١) الأيد: القوة.

(٢) أداله الله من أعدائه: جعل الكرة له عليهم.

لستُ أدري لِمَ الكويتُ نَبَتُ بي
وقَريضِي تاجُ لها وعُقود
ومن البِردِ عِ أنني لستُ أهوى
صَرَمَها وهي للأديبِ تَكِيد
فكان الأديبُ فيهما مَقِيمُ
حَشَوَ أطمارِهِ النزيهة سِيد
ربما سَـوَلْتُ لِي النفسُ مَنًا
ها إلى ما تُقيمُ فيه الصَّيد^(١)
فثَناني عن أن أغادِرَ أرضي
عهدُ حُبِّ لها لديَّ عَهيد
لا تَسألُني أنا أجِبُ بلادًا
أُسُّ تَعسِي مُذ كُنْتُ فيها وَطيد
فجوابي على سَـوَالِكِ لا المَندُ
قودُ عِندي ولا هو الموعود
إن سِـرَّ الغرامِ بالشَّيءِ ما كا
نَ لَشَمْلِ الأسي به نَبـِـدِيد
وَعَدَا فيهِ للسُرورِ حِياةُ
وسرورِي في مِـوطِني مَـوُـعِد
فإذا بانَ سِـرُّ حُبِّ مُـحِبِّ
تَيَمَّنْهُ تَهائِمُ أو نُجود
فغرامي بموطني دونَ فِهمي
سِـرُّهُ حال من شَقائِي سدود

(١) الصَّيْد: جمع أصيد، وهو من يرفع رأسه كبرًا، وهنا يريد بالصيد العظماء.

با بلاداً فيها الفقيرُ يُعاني
ما يعاني في نارِهِ نَمُـرود
ليتَ فيكِ الجُدودُ أسْعَدُنْ أَوْبًا
ليتَّها فيكِ ما نَمَتْنِي الجُدود
فالأساسُ الذي عليه شِقائِي
قامَ أُنِّي بفاقتي مَصنُفود
فيكِ والفقْرُ عندَ أهليكَ ذَنْبُ
ما لسُبلِ اغتفاره تمهيد
فالفقري ظَلَلْتُ فيكِ كَأني
دونَ جُرْمِ طريدِ جُرْمِ شَريد

تَسْلِيْ يَا نَفْسُ

كنت لو لم أعلل النفس مِمَّنْ
غَيَّبَتْ مِنْهُمُ الْجِسْمَ الْأُحُودُ
غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ لِلنَّفْسِ مَا ضَا
قَ عَلَيْهَا خِنَافُهَا الْمَشْدُودُ
إِنْ هَذَا الْوَجُودَ يَا نَفْسُ يَمْحُو
هُ سِوَاهُ عَمَّا قَلِيلٍ وَجُودُ
وَزَمَانَ الْوَجُودِ هَذَا إِلَى جَنُودِ
بِ زَمَانِ الْوَجُودِ ذَاكَ زَهِيدِ
فَلَعَلَّ الَّذِي يُلَاقِي شِقَاقًا
مَسْتَمِرًّا هُنَا، هُنَاكَ سَعِيدِ
فَلئن كنتَ فِي دُنَاكَ قَعُودًا
مَثَقَلًا بِالشَّقَاءِ مِنْهُ الْفُتُودِ
طَاوِيًا مِنْ دُنَاهُ بِالْعِيبِ مَا لَمْ
تَنَأَ مِنْهُ عَلَى الطَّوَاةِ الْحُودِ
فَمَنْ الْعَدَلِ بَعْدَ طَيِّ مَدَاهُ
يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ أَنْ يُرَاحَ الْقَعُودِ
وَعَلَى عَدَلٍ مِنْ كَمَا شَاءَ كُنَّا
كُلُّ شَيْءٍ كَمَا عَلِمْتَ شَهِيدِ
فَإِذَا مَا رَأَيْتَ مَقْصُودَ نَعْمَا
عِثْوَالِي عَلَيْهِ مِنْهَا وَفُودِ

ثم أبصرت حولَ ذاك مُقبلاً
قد عداهُ في الدهر عيشٌ رغيد
فشبيبهانِ بائسٌ وغنيٌّ
في وجودِ به استحالَ الخلود
ثم لم يعلمِ المقيمونَ فيه
أقصيرُ مقامُهم أم مديد
وهيبيته يطولُ فالطولُ منه
عن ثمانين غالباً لا يزيد
وهي تمضي كما استمرت أو استخذ
لأت خيالاً تخيَّلتَه الرُّقود
فإذا ما انقضت تساوى النقيضاً
ن سعييدُ الحظوظ والمنكود
بل ترينَ الفقيرَ أحسنَ حالاً
حين يغدو بالنفسِ كلُّ يجود
ذاك أنَّ الفـقيرَ ينحلُّ عنه
قيدُ حزنٍ بقابه معقود
وحليف الثراء ينجابُ عنه
ظلُّ أنسٍ من فـوقه ممدود
وهيبي أن ذلك الرأي منِّي
في التسلِّي ينالُه التفنيد
أينالُ التفنيدُ أن يتساوى
في الترابِ المحدودُ والمجدود
إن هذي القبورَ فيها ملوكُ
سبَقونا إلى البلى وعبيد
فتسلِّي يا نفسُ أو فأريني
ما به فات عبدة المعبود

واسألني الدودَ والبلى ما استباحا
 منهم، يخـبـر البلى والدودُ
 استباحا تفاوت القوم حتى
 لا سيمات لهم ولا تحديد
 فالورى في قبورهم ليس فيهم
 حاسدٌ ميرةٌ ولا محسود
 لو تَقَرَّى الماضين فكرةً مُنْثَرِ
 يزدهيه ثراؤه المحشود
 فهو طوع الغرور يملك عطفِي
 به اختيالاً - إذا مشى - التَّأويد
 فكانَ الفتى لفرط التَّباهي
 في حُلاها اختالت فتاةً رُودُ
 لأدبيل التواضع الدهرَ من كِبُ
 بر لوجه الغنى به تسويد
 إن كل الذين بالمال غُرُوا
 غافلٌ عن ماله أو بليد
 كيف يمشي فوق الصعيد اختيالاً
 مشيةً يجتويه منها الصَّعيد
 من درى أن جسمه من طعام
 للصعيد المُقْلَهُ (١) مَعْدود
 أي هذا المُدبِلُ بالمال مهلاً
 إن أمَّ المَنونِ بَعْدُ وُلود
 وهي حبلَى يكاد يحبوا إليها
 في ذراك المَخاضِ والتَّوليد

(١) المُقْلَهُ: الذي يقله. أي يحمله.

فإذا ما أتت وحتماً ستأتي
 بوليده به البشائر سود
 من نعي به يسر المَعادي
 ونواح به يسر الوُدود
 بزّ منك البشيرُ بشراً قسراً
 وهي مما أتاهك التّجريد
 لا تُعالج بالمال كسر فؤادٍ
 من فقيرٍ فما لِمالٍ عهد
 وهب الموتَ قد تأنك حيناً
 حاصداً أيها الهشيمُ الحصيد
 فليالك شيمتهاها قيامٌ
 بالفتى تارةً وأخرى فعود
 وتأمّل فإن أحوال من حو
 لك طراً لقلّوتني تأييد
 فلئن كان وردك اليوم رفها
 كلّ حوضٍ عنه الفقيرُ مَنذود
 فلقد تطرّق العوادي بما يند
 بتُ فـيـه مما تروحُ الوريد
 فإذا بالجياض منها يواتي
 ماضي الفقير كيف شاء الورود
 وإذا بالصُّدي المُلح تلظى
 من حديث الإملاق منه وقود
 كم رأينا من بيت يسر منيع
 ظلّ ما ظلّ وهو عالٍ مَشيد
 ساكنوه لم يشكّهم منذ حلّوا
 جانبَيْه من ريح أنسٍ رُكود

تواصلَ منه الوصلُ لي قبلَ علمِهِ
بأني على حُكْمِ الصَّبَابَةِ عَابِدُهُ
فلَمَّا درى أَوْرى لظي الهجرِ واغْتدى
يُعذِّبُني فيها كَأَنِّي ضِدُّهُ
وأشْفَعُ من شعوري إليه بشافعٍ
على كلِّ ظبي غَيْرِهِ عَزُّرَدُهُ
وَأرْسِلُهُ مَعِ كلِّ نَدْبٍ إِخْطَالُهُ
يَهونُ له حتى من البَدْرِ قَوْدُهُ^(١)
فيرجِعُ منه خائبَ السَّعْيِ قَائِلًا
عَزَّالِكَ هذا ليس يُمكنُ صَيِّدُهُ
سَعَيْنَا له في كلِّ منهجٍ حَيْلُهُ
لصَيِّدِ ظبَاءِ الإنسِ كُنَّا نُعِدُّهُ
وقلنا إذا لم تشفِ صَقْرًا بزورَةٍ
فمن وَجَدِهِ الذَاكِي سِيحُوِيهِ لَحْدُهُ
فقال دَعُوهُ يَدْعِي الحُبَّ كاذبًا
وكيف إلى الأعمى تَسَرَّبَ وَجْدُهُ
طريقُ الهوى للمرءِ رُويَةٌ عَيْنِهِ
ونهجُ هوى صقْرٍ عَمَاهُ يَسُدُّهُ
وإن لم يَمُتْ في الحبِّ صقْرٌ كما ادَّعى
فمُسْتَحْكَمُ الإِعْسَارِ سوفَ يَهْدُهُ

(١) الندب: الخفيف في الحاجة، السريع الظريف.

ذكري مولد الرسول (ﷺ)

رَفَعَ اللَّهُ مَجْدَ بَيْتِ الضَّادِ
وَذَوِيهَا مِنْهُ بِخَيْرِ عِمَارِ
فَعَلِيهِ مَعَ الصَّلَاةِ سَلَامٌ
فِيهِ يُمْلِيهِمَا جَمِيلٌ اعْتِقَادِي
سَيِّدَ الرُّسُلِ كُلَّمَا رُمْتُ مَدْحًا
لَكَ أَرْجُو بِهِ صِلَاحَ مَعَادِي
وَتَأَهَّبْتُ لِلدُّنُوِّ إِلَيْهِ
بِقِوَامِ مَا مَلَّنَ عَنِ انْجَادِي
صَفُّدَتْنِي يَدَا قُصُورِي عَنْهُ
فَأَنَا عَنْهُ مِنْهُمَا فِي صِفَادِ (١)
لَيْسَ فِي حَلَابَةِ الثَّنَاءِ عَلَى مَجْدِ
ذِكِّ أَهْلًا لِلجُرِّيِّ مِثْلُ جِيَادِي
وَكَفَانِي بِالْعَجْزِ عَذْرًا مَبِينًا
وَعَلَيْهِ يَوْمَ اللِّقَاءِ اعْتِمَادِي
فَاعْفُ وَاصْفَحْ فَأَنْتَ لِلْعَفْوِ وَالصَّفْحِ
حِ لِمِثْلِي فِي النَّاسِ خَيْرُ جَوَادِ
هَذِهِ لَيْلَةُ الْوِلَادِ وَفِيهَا
لَكَ يَشْدُو بِمَدْحَةِ كُلِّ شَادِ
وَلِعَجْزِي عَنْهُ جَعَلْتُ إِلَى الصَّمِّ
تَبْرَغْمِي بَيْنَ الشُّدَاةِ اسْتِنَادِي

(١) صفتني: أوثقتني وقيدتني. والصفاد ما يوثق به ويقيد.

أنا ما زلتُ من همومي أُسْري
تحت ليلٍ يَرْبُدُ كلُّ أَرْبَادٍ (١)
وَرَضِيُّ القَرِيضِ للشاعِرِ المَهْ
موم ما كان قَطُّ ذا إِسْعَادٍ (٢)
فإِذا ما أذُنْتُ لي بالتَّشْكِي
من همومِ عَلِيٍّ ذاتِ احْتِشَادِ
فَشَكَاتِي إِلَيْكَ من كلِّ مُغْوَ
ومُضِلِّ باغِي المَقَالَةِ عَادِ
قَد أَضَلُّوا بِاسْمِ الدِيانَةِ مَمَّنْ
جَهَلُوا كلَّ رَائِحٍ أو غَادِ
كم أَمَاتُوا لِكِي يَعيِشُوا نَفوسًا
لَم تَزَلْ بَعْدُ حَيَّةَ الأَجْسَادِ
فادْعُ يا خَيْرَ مُنْقِذِينا عَلَيْهِمُ
بِزوالِ يَعمُومِهِمُ وَنَفَادِ
ما لَجُرِحِ العَرُوبَةِ اليَومَ - إلا
أَنْ يَزُولُوا عَن وَجْهِها - من ضِمَادِ
لَم يَكُن قَومُكَ الكِرامُ عَلى جَهْ
لِ مَبِيرٍ لَولِا هُمُ في تَمادِ (٣)
أَو هَمُّوهُمُ بِأَنَّ وِرْدَ حِياضِ الِ
عَلمِ بَسَلُ دِينًا عَلى كلِّ صَادِ (٤)
فَعَدَا القَومُ مِنْهُمُ في اقْتِرابِ
وَمِن العَلمِ كُلهِ في ابْتِعادِ

(١) يريد: يغبر ويسود.

(٢) الإسعاد: الإعانة والمساعدة.

(٣) مبير: مهلك.

(٤) بسل: تقال بمعنى الحرام، وتقال بمعنى الحلال. وهنا يراد بها معنى الحرام.

وَإِذَا الْعِلْمُ لَمْ يَشِيعْ بَيْنَ قَوْمٍ
 شَاعَ فِيهِمْ هَلَاكُهُمْ بِاطِّرَادِ
 كَأَمَّا قَامَ مَخْلَصٌ يَنْصَحُ النَّاسَ
 سَوَّاهُ دِيَهُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ
 مُتَوَخِّعٌ نَشَرُ الْعُلُومِ وَإِطْلَا
 عَ شَمُوسِ الْعُلُومِ فِينَا الْهُوَادِي
 كَاشَفٌ عَنِ فَوَائِدِ الْعِلْمِ مَبْدِ
 كُلِّ مَا الْجَهْلُ مَعْقَبٌ مِنْ فِسَادِ
 طَالِبٌ أَنْ يُحَارِبَ الْجَاهِلُ بِالْعُلُومِ
 مِمْ مُجِدُّ فِي نَصِحِهِ ذُو اجْتِهَادِ
 كَقُرْنُهُ عَمَائِمُ قَرَبِ الْجَاهِلِ
 لُ إِلَيْهَا مِنَّا بَعِيدَ الْمُرَادِ
 فَهِيَ تَخْشَى إِذَا اسْتَنْزَنَا عُقُولاً
 فَوَتَ خَافِي أَعْرَاضِهَا وَالْبَادِي
 تَنْتَقِي أَنْ يُحَارِبَ الْعِلْمُ مَنْ أَلِ
 قُوا إِلَيْهَا لَجَهْلِهِمْ بِالْقِيَادِ
 وَانْقِيَادِ السُّوَادِ مِنَّا إِلَيْهِ
 مِّنْ لَعَمْرِي مِنْ مَهْلَكَاتِ السُّوَادِ
 وَقَدِ انْقَادَ جَاهِلًا فَاجْرِيَا دَمِ
 عِي عَلَيْهِ حَزَنًا وَدَبُّ يَا فُؤَادِي
 فَرَقْنَا تِلْكَ الْعَمَائِمُ حَتَّى
 أَيَسَّسْنَا مِنْ أَلْفَاةٍ وَاتِّحَادِ
 وَإِذَا عَزَّ الْإِتِّحَادُ بَنِي الْعُورِ
 بِعَدَّتِهِمْ عَنِ الْحَيَاةِ الْعَوَادِي (١)

(١) عز: غلب وقهر، ويريد هنا أنه جافاهم. عدتهم: صرفتهم.

أصبحَ اليومَ حَامِلُهَا عَلَيْنَا
لِلزَّمَانِ الْعِبَادِي مِنَ الْأَجْنَادِ
قَسَمْنَا بِاسْمِ الدِّيَانَةِ أَقْسَا
مَّا لِيَحْظُرُوا بِالْعَسْجَدِ الْمُسْتَفَادِ (١)
ثُمَّ قَالُوا كَذَلِكَ الدِّينُ وَالذِّئْبُ
سُنُّ بِيَادِهِ وَالْكَلْبُ مِنْهُمْ بِبِيَادِهِ
أَبْلَيْلِ التَّفْرِيقِ الدِّينِ يُبْغِي
مِنْ ذَوِيهِ دَوَامٌ مُرْدِي الرُّقَادِ
لَا لِعَمْرِي بِلِ الدِّيَانَةِ تَقْضِي
بِاجْتِمَاعِ الْأَحْزَابِ وَالْأَفْرَادِ
مَا أَتَى الدِّينُ نَقْمَةً وَهَلَاكًا
بِلِ حَيَاةٍ وَرَحْمَةً لِلْعِبَادِ
أَحْيَاةُ الْأَقْوَامِ مَا اسْتَثْمَرُوهُ
مِنْ بَذْرِ اجْتِمَاعِهِمْ وَالْوِدَادِ
أَمْ تَرَوْنَ الْحَيَاةَ فَيَمَّا جَنَوُهُ
مِنْ مَجَانِي شَتَاتِهِمْ وَالتُّعَادِي
أَيُّ شَعْبٍ إِذَا تَنَافَرَ لَمْ يَشُدَّ
لِكُ انْتِقَاصِ الْحَيَاةِ بَعْدَ ازْدِيَادِ
فَالِى الْوَحْدَةِ الْحَمِيدَةِ عُقْبَى
نَادِيَا مُصْلِحِ الْعَرَبِيَّةِ نَادِ
فَهِيَ بَعْدَ الْإِلَهِ خَيْرٌ كَفِيلِ
بِبُلُوغِ الْمُنَى وَخَيْرٌ عَتَادِ (٢)

(١) العسجد: الذهب.

(٢) العتاد: العدة.

هل رأيتم لأمةٍ في المَعَالِي
 قَبْلَ جَمْعِ الْقُلُوبِ وَرِيَّ زِنَادٍ (١)
 نحنُ أبناءُ يعربٍ لو عَفَّأْنَا
 إِخْوَةً فِي الرَّجُوعِ لِلْمِيْلَادِ
 وَالْمَعَادِي يَعْزُبِيٌّ عَلَى حَا
 لِي رَخَاءٍ مِنْ دَهْرِنَا وَاشْتِدَادِ
 وَعَلَى الْإِخْوَةِ الْكِرَامِ التُّصَافِي
 لَا التَّنَافِي كَسَائِرِ الْأَضْدَادِ
 فَعَلَامَ افْتِرَاقِنَا وَإِلَى مَا
 نَحْنُ نَشْتَقِي مِنْهُ بِكُلِّ نَادٍ (٢)
 جَاءَنَا الدِّينُ جَامِعًا لَا مُشْتَبَأً
 فَاجْمَعُونَا فَالْجَمْعُ أَصْلُ السُّدَادِ
 وَانْقُدُوا كُلُّ قَائِلٍ بِافْتِرَاقِ
 تَعَلَّمُوا زَيْفَهُ لَدَى الْإِنْتِقَادِ
 فَهُوَ إِمَّا يُعْكَرُ الْمَاءَ حَتَّى
 يَتَسَتَّى لَهُ طَرِيقُ اصْطِيَادِ
 أَوْ غَـ بِيٍّ وَالْكَـلُّ مِنْ ذَا وَهَذَا
 لَيْسَ إِلَّا إِلَى الْمَهَالِكِ حَا
 فَانصَحوهم فإن أنابوا وإلا
 فَتَوَقَّؤُوا أخطارَهُم بِالْجِهَادِ
 جَرِّدُوا كُلَّ مِـ قُولٍ وَيَرَاعِ
 لَسْتُ أَدْعُو إِلَى الرَّقَاقِ الْحِدَادِ (٣)

(١) وري الزند وريًا: اتقد.

(٢) الناد: الداهية.

(٣) الرقاق الحداد: يريد بها السيوف.

وأبينوا للنشء ما هم عليه
 من ضلالٍ وحِطَّةٍ وعناد
 فعلى كلِّ ذي حجى وبيانٍ
 تبِعَاتُ الحِياةِ في الأولاد
 وبقَاءُ المَضَالِينَ شَقَاءٌ
 لبَنينا، وبعْدُ في الأحفاد
 ولكلِّ منا ومنهم ولا شأ
 لكُ جَزَاءُ الإلهِ بالمرصاد
 فهو عدلٌ وعدلُهُ لا يُساوي
 بين أهلِ الإغراءِ والإرشاد
 إنما كانتِ العمائمُ عنوا
 نَ المعاليِ والمجدِ في الأجداد
 يومَ كانوا ملوكَ هَدْيِ البرايا
 في دمشقٍ وبعْدُ في بغداد
 وبلادُ زَهَتْ بصقْرِ قريشٍ
 يومَ تحلِيقِهِ بتلكِ البلاد^(١)
 فَتَنَّتْهَا عُواتنا اليومَ لا عا
 شوا فحَاخًا لصيدِ (طَيْرِ الأيادي)^(٢)
 نافَسُوا كُلُّ أَيْمٍ ويتيمٍ
 وكسِيرِ الرِّجْلينِ والأعضاد
 في سِوَالِ الزكَاةِ والرُّقْدِ من كُ
 لِّ مُرْكَ وَكُلِّ ذِي إرفاد^(٣)

(١) صقر قريش هو عبدالرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية بالاندلس.

(٢) طير الأيادي يكنى به عن النقود.

(٣) الرقد: العطاء، والإرفاد: الإيعطاء.

أقوياً على التَّكْسِبِ لو شِئَا
وُوا لكانوا كَسائِرِ الأُمُجَادِ
ومِن العَمَّارِ والأَثَامِ على مَن
لَمْ يُغْنِئْهُ الزَّمَانُ بِاستِعدادِ
أَنْ تراه كغَـيـرِه من ذوي العِـا
هات في مَدَّهِ يَدَا اسْتِعدادِ
لا تَلوموا على العَمَّائِمِ من صَا
لَ بجنْدِ مِنَ القَوافي الشُّدادِ
رَفَعوها على الرُّؤوسِ لِكِـيـمـا
يَضَعونَا بَعْدَ الرُّبَا في وِهادِ
فَبِأَيْدِي العِـدَا لِكُلِّ غِراسِ
من عُلانَا كانوا أَدَاةَ حَصادِ
نَحْنُ لولا شُرورُهُمْ ما غَدَوْنَا
لَسَيُوفِ العِـدَا من الأَغْـمـادِ
كَلِـمـا صالَتْ الأَعْـبـادِي عَلينا
مَهَّدوا بِالشُّقَاقِ طُرُقَ الأَعْـبـادِي
ما وَجَدنا وَقَد بَحَثنا طَوِيلاً
غَـيـرَهُمْ لِلبَـلاءِ من قُـوَادِ
اِفْتَقَدنا مَجْدَ الجُـدودِ فأنبِـا
نا فَصِيحاً لسانُ كُلِّ اِفْتِقادِ
أَنَّ رِكنَ المَجْدِ الَّذِي شَيَّـدُوهُ
هَدَمَتْهُ عَمَّائِمُ الأَوْغادِ
وَعَجيبٌ أَنْ نُحَسِنَ الظَّنَّ حَتَّى
نَتَظَنَّاهُمْ مِنَ الزُّهَّادِ

ادْعُوا أَنَّهُمْ لِتَثْبِيتِ دِينِ الْ
 لَّهُ فَمِنَّا كَانُوا مِنَ الْأَطْوَادِ (١)
 فَهَلِ الدِّينُ رَدُّ كُلِّ جَمِيعٍ
 مِنْ بَنِي قَوْمِنَا إِلَى أَحَادِ (٢)
 مِثْلَ مَا يَشْتَهِي الْعَدُوُّ إِذَا مَا
 شَاءَ وَضَعَ الْأَغْلَالَ فِي الْأَجْيَادِ
 وَهَلِ الدِّينُ بَذْرُ كُلِّ شَيْءٍ قِاقٍ
 مِثْمَرِ الْبُغْضِ مُعْقِبِ الْأَحْقَادِ
 أَمْ تَرَاهُمْ مِنْ ادْعَاءِ إِيَّاهُمْ الْخَ
 لَابِ جَرُّوا ضَوَافِي الْأَبْرَادِ (٣)
 لِيَذُرُوا فِي عَيْنِ كُلِّ غَيْبِيٍّ
 وَبَلِيدٍ مِمَّا أَضْرَرَ رَمَادِ
 إِنْ آيَ التَّنْزِيلِ لَوْ قَرَرُوهَا
 أَمَلِي الْوَعْدِ خَائِفِي الْإِيْعَادِ
 لَعَدُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّنَافِي
 وَالتَّجَافِي سَدًّا مِنَ الْأَسْدَادِ
 وَأَعَادُوا ذَوِي الشَّمَاتَةِ بِالْعُرْ
 بِ جَمِيعًا وَهُمْ مِنَ الْحُسَّادِ
 رَبِّ فَالطُّفُ بِنَا وَأَيُّقِظُ ذَوِينَا
 مِنْ مَنَامٍ عَلَيْهِمْ ذِي امْتِدَادِ

(١) الأطواد: جمع طود، وهو الجبل العظيم.

(٢) جميع: مجتمع.

(٣) ثوب ضاف: سايغ طويل، والضوافي: السوايغ، والأبراد جمع برد وهو نوع من الكساء.

كلاهما في ازدياد^(١)

كأما زرتكم أمـرتم بشيء
مثله يقتضي مزيد الواد
ولكم منّي المودة كانت
مثل شكري كلاهما في ازدياد
ثم صاروا إلى تناه عن الإنـ
ماء مُعني قصائدي وفؤادي
فإلى كم من الجميل تُوالو
ن أموراً بها ملكتم قيادي
ما تركتم من منزل في فؤادي
لسواكم من حاضر أو باد
جئت للرفد وحده فإذا بي
منك أحظى بمُرفد وبهداد
منذ حرّضتني على بذل جدي
في تلقّي الفصحى وبذل اجتهادي
كان شغلي جميعه في نهاري
بل وليلي تطلُّباً للخداد
ولقد نقتُ طعامها الحلو حتى
ليس إلا منالها من مرادي

(١) قالها في المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح.

ولك الفضل ليس لي أن تأتي
لي ما رُمْتُ من لغى الأجداد



صَغَّرَ اسْمَ الكُوَيْتِ من كان سَمِيَّ
قَبْلَ مَاتَكَ يَا أبا الأَمْجَادِ
وَجِجَابُ الغِيومِ إِذَا ذَاكَ يُخْفِي
مِنْكَ نَزْرَ الأَشْبَاهِ والأَنْدَادِ
وَأَلَّهُ الجَهْلِ بِالغَيْبِ عَنْهُ
حِينَ سَمَى الكُوَيْتَ عُدْرُ بَارِ
لَوْ دَرَى أَنهَا سَتُشْرِقُ شَمْسًا
مِثْلَهَا اليَوْمَ فِي سَمَاءِ البِلَادِ
تَتَعَالَى هَذَا العُلُوُّ وَتُرْهِي
كُلَّ رَأْيٍ بِنُورِهَا الوُقُودِ
لَحَبَابِهَا التَّكْبِيرَ غَيْرَ مُحَابِ
وَتَفَادَى التَّصْغِيرَ كُلَّ التَّفَادِي
فَلْتَعِشْ للعُلَا وللمَجْدِيَا (سَا)
لِمُ) سَيْفًا تَخْشَى شَبَاهُ العَوَادِي
لَمْ تَقْزُ قَبْلَكَ الكُوَيْتُ بِمَنْ لَمْ
يَزْ فِيهَا يَوْمًا مِنَ الأَعْيَادِ
مِثْلَ يَوْمِ يَتِمُّ للضُّادِ فِيهِ
مِنْ ظَهْرٍ مِمَّا تَمَّ وَقْتِ إِيَادِ
حَقَّقَ اللهُ مَا تُحِبُّ فِقْلَبِي
مِنْ هَوَاهَا قَدِ هَامَ فِي كُلِّ وَادِ
سَتَرَانِي مُزَوِّدًا مِنْ جَنَاهَا
مِثْلَ مَا تَشْتَهِي بِأَطْيَبِ زَادِ

فغرامي يزدادُ منها بِحُسْنِ
لم تَنَلْ مثله وجوه الخِراد
لو أَحْسَّ الجَمَادُ منه بشيءٍ
لرأينا به جنونَ الجَمَاد

يا خيالي

خيال حقيقتي بعدي ستبقى
تُذَكِّرُ بي صِحابي والأعداي
فما بُغِضِي وإن فَنِيَتْ عظامي
بفانٍ ما رَأَوْكَ ولا وِدادِي
وبين هواهم إِيَّايَ مَــــيْنًا
ومَقُوتِهِمُ عِظَاتُ لِسْوَادِ (١)
فَجَدَّدُ فِيهِمْ حُبِّي وبُغْضِي
ككلٍّ مَذَكَّرِ بَيْنَ الْعَبَادِ
عسى تجديدك الخُديينِ يَغْدُو
وفيه لعشري عِظَاتَا رِشَادِ
فلم يثمر سوى هذينِ غِرسِي
مَسَاعِيِ طَوْلِ عَمْرِي فِي بِلَادِي
أبى تقديرها وطني فصاحتُ
أَغْبُنُ مَذْغُرسَتْ إلى الحِصَادِ
أُجْزِي غَارِسِي غَبْنًا طَوِيلًا
أشَدُّ عَلَيْهِ من خَرْطِ القِتَادِ
وكانت صيحةً ذهبَ ضِياعًا
كما لو أنها انبعثتُ بِوَادِ

(١) المين: الكذب.

فدَعْنِي أَشْتَكِي مَكْرُوهَ غَبْنٍ
 جِنَاهُ عَلَيَّ لِلْوَطَنِ اجْتِهَادِي
 وَعِشْ لَا غَبْنَ يُوجِعُ مِنْكَ قَلْبًا
 وَهَلْ وَجَعَ لَطْرُسٌ أَوْ مِمْدَاد
 بَرَزَتْ إِلَى الْوَجُودِ بَغْيِيرَ حِسٍّ
 فَيَا لَيْتِي شَبِيهُكَ مِنْ جَمَادٍ
 فَلَوْلَا الْحِسُّ لَمْ يَأَلَمْ لَخَطْبٍ
 مُمِضٌ يَا خِيَالِي مِنْ فَوَادِي
 وَهَلْ هَذَا الْوَجُودُ سَوَى خَطُوبٍ
 مُمِضَاتٍ جَدِيدٍ أَوْ مُعَادٍ
 وَجُودٌ وَدَّتِ الْعُقُوقُ أَنْ لَوْ
 بَقُوا فِي الْغَيْبِ عَنْهُ وَالْبِعَادِ
 تَمَنَّوْا أَنَّهُمْ لَا شَيْءَ ظَلُّوا
 مَدَى مَا لِلْوَجُودِ مِنْ امْتِدَادٍ
 فَمِنْهُ لِأَلَى يَحْوِي جَمِيعًا
 تَكُونُ مَصْدَرُ النَّوْبِ الشُّدَادِ
 وَوَجْهُ السَّرْفِ فِيهِ مَا اجْتَلَتْهُ
 أَنَسٌ عَنْهُ تَسْأَلُ كُلُّ هَادٍ
 أَطَلَّتْ تَطْلُعِي طَوْعَ اشْتِيَاقِي
 إِلَى ذَاكَ الْمَحَيِّا الْغَيْرِ بَادٍ
 فَلَمْ أَرَهُ وَعَنْهُ لَمْ يُتَّخَ لِي
 سُلُوكُ الْيَبَائِسِينَ مِنَ الْمُرَادِ

إلى لوامي في العزلة

إذا وَجَدَ الفتي يوماً سروراً
بمجت مع الوري أو بانفـراد
فـعنه لا يميل وإن تـوالى
عليه لومُ ألسنة حـداد
وكم يومٍ سُـررتُ به وحيداً
وما سـرتُ مـخالطةً فـؤادي
فـعن لومي إلى عُذري وإن لم
تـروا لي في انفـرادي من سـداد
فما يُجدي الملامُ وقد تنافى
تماماً مع مرادكم مُـرادي
إذا بي عُـزلتي أفضت لـغي
فإن الغي منهـاجُ الرشاد
وهل شكـرتُ أو استـبقتُ صلاحاً
نفوسُ ما شكـتُ مـضضَ الفساد
إذا ما الخيرُ لم يُسـبقْ بشـراً
به كان الفتي نـزراً عـتـداد
ومما في النوم من طعمٍ لذيق
لعينٍ لم تـذُقْ طعمَ السُّـهاد
وفـضلُ الماء لا يـبـدو لمن لم
يـردُ منه زُلاًلاً وهو صـاد

فإن نفسي أضلّتني صوابي
 فما لي غيرها من بعد هادٍ
 فما هي في يدي هادٍ سواها
 إلى ما شاء تاركاً قيادي
 وليست في الحياة إلى دليلٍ
 سوى تجريبها ذات انقياد
 فعمّا ساء من أمرٍ لما لم
 يسئوها سيئها بي في أطراد
 وليس لتترك أمرٍ أو لزومٍ
 له مثل اختيار النفس حادٍ
 وهل حسن القرار على الروابي
 لمن لم يخبُروا قبح الوهاد
 دعوا نفسي وعزلتها إلى أن
 ترى فيها مَحَا الضُرِّ بادٍ (١)
 وحينئذ تكون كما أردتم
 ملازمةً الجامع والنوادي

(١) المحيا: الوجه.

العزلة

وجدتُ الإنفِرَادَ يُرِيحُ نَفْسِي
فَمَلتُ بِجَمَلتِي لِالْإِنْفِرَادِ
فَررتُ مِنْ اجْتِمَاعاتِ الْبِرَايَا
وَبِي مِنْهُنَّ مَوْجِعَةُ الْفِؤَادِ
وَلَا تَنْقِمُ عَلَيَّ الْبُغْءُ عَنْهُمْ
فَنَفْسِي اسْتَعَذَبَتْ ثَمَرَ الْبِعَادِ
وَخُذْ لَكَ غَيْرَ مِنْهَا جِي سَبِيلاً
فَلَسْتُ لِعَانِذِ طَوْعِ الْقِيَادِ

الفضل فضل البادي^(١)

شُكْرِي أَكْرَزُهُ لِعَبْدِ الْهَادِي
فَعَلِيٍّ مِنْهُ الْيَوْمَ فَضْلُ بَادِرٍ
سَبَبَتْ زِيَارَتُهُ مَحَلِّي زَوْرَتِي
لِحَلِّهِ وَالْفَضْلُ فَضْلُ الْبَادِي
مَا كُنْتُ أَحْلَمُ أَنْ أَفُوزَ بِزَوْرَةٍ
مِنْهُ لِهُنُونِ مَكَانَتِي بِبِلَادِي
لَكِنْ حَادَاهُ إِلَيَّ فَارْطُ مَرْوَةَ
وَكَفَى بِهَا نَحْوِي لَهُ مِنْ حَادِرٍ
إِنَّ الْكُوَيْتَ أَدِيبُهَا فِي شِقَاقِ
مَمْتَدَّةٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ نَفَادٍ
فَكَأَنَّهُ فِيهَا لَطُولِ شِقَاقِهِ
فِي نَارِهِ «فِرْعَوْنُ» ذُو الْأَوْتَادِ
فَهَلِ الْأَدِيبُ كَذَا بِكُلِّ مَكَانَةٍ
«مِصْرٍ» عَرِينِ الْأُسْدِ أَوْ «بَغْدَادِ»
إِنْ كَانَ هَذَا فَالْمَوْدُبُ حَقُّهُ
تَطْوِيقُ لَبَّتِيهِ بِحَيِّتِهِ وَادٍ
كَيْلَا يَعْوَدَ يَبِثُّ مِنْ آدَابِهِ
شَيْئًا بِمَجْلِسِ مَعْشَرٍ أَوْ نَادٍ

(١) الأديب عبدالهادي الجواهري زار الشاعر في بيته، فقدم له الشبيب هذه القصيدة.

هيهات ما تلك البلاد مُخِيعَةٌ
حَقُّ الَّذِي يُعَلِي لواءَ الضَّيَّادِ
لكنما وطني - ولستُ بقائسٍ
بلدًا به - عن مُشَبِّهِي بِرُقَّادِ
ما كان حَقِّي أن أُطِيلَ بموطني
ذي الرِّيِّ شَكْوَى ذِي الأوامِ الصَّادِي
لوقام للأدباءِ فِيهِ مُقَدَّرُ
يضعُ الهَجِينِ وراءَ كُلِّ جَوادِ

قيوده عماه (١)

أحافظ وهبة قد كذت أتى
إليك مسأماً لولا قيودي
مَجِيئِي لِّلسَّلَامِ إِلَيْكَ حَقُّ
ولست أُجيزُ عن حَقِّ قُعودي
ولكن بي قيودي مائلاتُ
إلى ما أشتهي عنه مَحِيدِي
فبي مالتُ قيودي مُرغِماتُ
لإخلالِي بواجبِي الأَكِيدِ
قيودُ لو بها شُدَّتْ أُسُودُ
لخاف من المهاضاري الأُسُودِ
وقدماً قد رَسَفْتُ بها طويلاً
لمؤدود الزيادة أو ودودِ
وكنتُ بها على الرِّسْفانِ أقوى
فأضعفَ طولُ حُمليهنَّ عودي
فها أنا لا أطيقُ بها جِراگًا
وإن هي لم تُصعِّ لي من حديدِ

(١) تربط الشاعر صقراً بحافظ وهبة صداقة متينة يوم كان في الكويت. وعندما التحق حافظ وهبة بالملكة العربية السعودية موظفًا ثم سفيرًا، ومرت سنوات زار الكويت بضعة أيام، فأرسل الشاعر إليه هذه القصيدة يعتذر فيها عن زيارته للسلام عليه.

وَحَسْبِي بِالْعَمَى قَيْدًا مُمِضًا
 فَبِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ أَذَاهُ مُؤَدِي^(١)
 فَكَيْفَ بِهِ إِذَا عَمَّ خَدَّتْ أَذَاهُ
 عَلَى الْإِنْسَانِ عَائِرَةُ الْجُدُودِ^(٢)
 لَعَمْرِي لَمْ أُرِدْ مَاءً لَغَيْرِي
 يَطْيِبُ الطَّعْمَ مِنْهُ لَدَى الْوُرُودِ
 فَلَمْ تَمَزِجْهُ أَيْدِي سَوْءٍ حَظِّي
 بِمُغْرٍ عَنْهُ نَفْسِي بِالصُّدُودِ
 أَحْوَمُ عَلَيْهِ حَوْمَ الطَّيْرِ عَطَشِي
 فَمَنْ صَنَبَ أَظْلُ إِلَى صُعودِ^(٣)
 وَأَصْدَفٌ بَعْدَ طَوْلِ الْحَوْمِ عَنْهُ
 وَفِي نَفْسِي صَدَاهَا ذَوْقُودِ^(٤)
 فَهِيَ أَنَا لَمْ أَرَلْ - وَالْكُلُّ رَاوٍ -
 عَلَى ظَمَأٍ مُضِرِّ بِي مُبِيدِ
 كَأَنِّي فِي الْكُوَيْتِ عَلَى رُوَاهَا
 سَكَنْتُ مَفَازَةً حُقَّتْ بِبِيدِ^(٥)
 شَكُوتُ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ بَنِيهَا
 بِأَشْعَارِي مِنَ الْبُؤْسِ الشَّدِيدِ
 وَلَوْ أَنِّي حَصَلْتُ عَلَى بَلَاغِي
 لَمَا أَعْلَمْتُ بِالشُّكُوى قَاصِدِي^(٦)

(١) أودى به: ذهب به.

(٢) عضده: أعانه.

(٣) الصبب: الموضع المنحدر.

(٤) صدق عن الشيء: عدل عنه ومال. والصدى: شدة العطش.

(٥) الرواء: حسن المنظر.

(٦) البلاغ: الكفاية، أي ما يكفي.

فما أشكو على طولِ اشتكائي
 ولو بالتفافِ به النَّزْرِ الرَّهِيْدِ
 فكنتُ كأنني أشكو احتياجًا
 بعِلْتُ به إلى صُمْ رُقْمٌ رُود^(١)
 وما ذنبي سَوَى أَنِّي بنصحي
 صرِيحٌ في النثِيرِ وفي النَّضِيْدِ
 فـهـل حَظُّ الأديبِ بكلِّ أرضٍ
 كحظي غيرُ مأمولِ السُّعودِ
 وهل نَحَسْتُ سِوَايَ فِتْنَى صرِيحًا
 صراحتُهُ بِإِرشادِ مُفِيدِ
 أفِذني تستفِذُ خلعي رداءً
 عليك من الثنا أضفَى البُرودِ

أحافظُ كلَّ مكرمةٍ ومَجْدِ
 طريفٍ حين يُذَكِّرُ أو تَلِيدِ
 شكوتُ إليك والمنحوسُ يشكو
 بلاياهُ إلى الحُرِّ السَّعِيدِ
 فإمّا أن يكون له مُعِينًا
 على إِيْرَاءِ مِقْدَحِهِ الصَّلُودِ^(٢)
 وإمّا أن يُعَزِّبَهُ وَحَسْبِي
 عِزَاءُ مَنْكَ بالقولِ السَّديدِ
 أردتُ بِكَلِمَتِي هذي اعْتَذارًا
 ولستُ بهَا لشكْوِي بالمُريدِ

(١) بعل بالشئ بعلاً - كفرح فرحاً - : ضجر وتبرم ولم يدر كيف يصنع فيه.

(٢) الإيْرَاء: الإيقاد. والصلود: الذي لا يقدر منه نار ولا يوري.

ولكنَّ الأنينَ يشـوبُ قـسـراً
به أقـــــــواله واهي الوئيدِ
أحافظُ قـد أضاعـتني بلادي
على حـفظي لها حُسنَ العُهودِ
فمحمودُ العُهودِ لديَّ باقٍ
لغير بلـي بمنظره الجـديدِ
وبالمذموم أفضى من فـؤادي
تناسيته إلى النسي الخـميدِ
أريها من وجوه النصح بيضاً
بحكم هوى لها عندي عـهيدِ
ولم تبرح ثلاقيني بسـفحِ
مخيفاتٍ من البغضاء سُودِ^(١)
ولستُ على إدامة بـخسِ حـقي
وطول الغمطِ بالرجلِ الجليـدِ
فهـل لي في سواها عن جـماها
بديلٌ من قـريبٍ أو بعـيدِ
طريدَ ضياعها عنها سـأمضي
فأبـئ الأرضِ أصـلحُ للطريدِ
فبالأقطار أدري أنت مـني
وبالأحرارِ فيها والعبيـدِ
سئمتُ إقامتي ما بين قومِ
عليّ بهم نكـتُ نارُ الحـقودِ
ومما بذرتُ يداي بُذورَ سـوءِ
فمن بذري أقولُ أتى حـصيـدي

(١) السفح: السود، جمع الأسفح.

رشيدهم يُجاملُ بانتقاصي
وقصد إساءتي غير الرّشيدِ
فما عُذْرُ الذّكِيِّ إِلَيَّ مِنْهُمْ
فإني عارفٌ عُذْرَ الْبَائِدِ

لحكمة أتينا الدنيا

ليس في الأرض من طريقٍ يُؤدِّي
سالكيه أو بعضهم للسعادة
فلها اسمٌ بين الأنام شهيدٌ
ومُسمّاهُ مُستحيلُ الشهادة
ما رأينا إلا شقاءً عتيداً
لبني الأرض كُلّهم أو عتاده^(١)
وعلى العلم بالشقاء ترانا
نتممّي من البنين الزيادة
أُمّ حِبُّ أولاده الوالد المسد
كين أم كان مُبغضاً أولاده
إن يُكنُ والدُ البنين مُحبّاً
فلمّا إذا قد فكَّ باب الولاده
وهو بابٌ مُنذُ مرّ منه إلى الدن
يا تمّني في وجهه إيصاده
أفـيـرضى المُحبُّ أن ينظرَ المحد
ببوب يشكُّو من الشقاء اشتداده
أو يكنُ حاقداً يُريدُ انتقاماً
فسألوه ماذا نَمّا أحقادَه

(١) العتيد: الحاضر المعد. عند الشيء، وعتاده: أي عتاده، أراد بها المصدر.

إِنَّمَا يَحْقِدُ الْحَقُودُ عَلَى مَنْ
 قَدَّ رَاهُمْ بَيْنَ الْوَرَى أُمَّدَادَهُ
 وَيَبْنُوهُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ لَمْ يَأْ
 تُوَا بِأَمْرِ رِيسُوءٍ مِنْهُ فُؤَادَهُ
 وَإِذَا لَيْسَ عَنِ هَبْوَى أَوْ لُبُّ غَضِ
 رَامَ ذُو النَّسْئِلِ نَسْأَلُهُ وَأَرَادَهُ
 بَلْ لِأَمْرِ رِ أَرَادَهُ اللَّهُ تَمَّتْ
 مِنْ بَنِيهِ إِلَى الْوَجُودِ الْوَفَادَهُ
 وَإِذَا مَا أَرَادَ رَبُّكَ أَمْرًا
 بَدَأَ الْأَمْرَ قَادِرًا وَأَعَادَهُ
 أَوْجِدَ الْوَالِدُ الْقَدِيمُ لَسِرُّ
 سَابِغِ الْكُتْمِ يَقْتَضِي إِيجَادَهُ
 فَآتَى الْوَالِدُ الْقَدِيمُ إِلَى الدُّنْ
 يَا اضْطَرَارًا كَمَا أَتَتْهَا الْجَرَادَهُ
 ثُمَّ أَغْرَاهُ بِالتَّنَاسُلِ إِغْرَا
 ءٌ إِلَيْهِ أَلْقَى اضْطَرَارًا قِيَادَهُ
 فَتَلَقَى الْوُجُودُ مِنَّا مَسْوَقًا
 فَمَسْوَقًا كَمَا تَلَقَى جَمَادَهُ
 وَتَلَقَى أَعْلَى الْحَايَاوِينَ وَالْأَدْ
 نَى وَأَزْهَارَ نَبْتِهِ وَقَتَادَهُ (١)
 فَتَرَانَا نَحْيَا وَنَهْلِكُ مِثْلَ الزُّ
 زَرَعِ لَاقَى مِنْ بَانِزِيهِ حَصَادَهُ
 بِذُرُوءِهِ وَلَمْ يَشَأْ تُمَّ قَامُوا
 بِحَصَادِهِ - وَمَا اشْتَهَاهُ - أَبَادَهُ

(١) الحياوين: هنا جمع الحيوان، وهو ما يقع على كل شيء حي.

وأرانا منذُ الولادةِ حــــــتى الـ
مـــــــوتِ في لا إرادةٍ أُنــداده
لو ملكْتَ التَّصَرُّفَ الحُرَّ لم أُخــ
ضَعُ لطبيعي وقد علمتُ فسادَه
لا ولا ملتُ عن طريقِ حــــجائي
بعد علمي صلاحَه ورشادَه
ليس لي مِنْ إرادَةٍ في مــــقــــالٍ
قــــيــــل عــــنــــي أســــاءــــةٌ أو أجــــادَه
مــــا أراهُ مــــوهُــــلــــي لثــــنــــاءٍ
تقتضيه لِمن أجـادَ العادَه
أو أراهُ مُبرِّراً لانتقادي
من مُمرِّ لِنُ أساء انتقاده
وكقولي جميعُ فعلي فما تمَّ
لكُ كفِّي انحلالَه وانعقاده
إنْما كانتَ الإرادةُ للمُــــو
دع - ما شاء - من طِباعِ عبادَه
فالى طبيعِهِ المُركَّبِ فيهِ
أغزُ إسرافِ مُسرفٍ واقتصادَه
لا يُطيقُ المخلوقُ تبــــديــــلِ طبعِ
بســـــواهُ وإن أطال حــــهــــادَه
قسوةُ الصّخرِ لم تُعِدها لياناً
لطماتِ الأمواجِ مِنْهُ صــــيلادَه
لا ولا الصّخرُ قد ثنى ليْنُ الما
ءِ قــــســــيــــاً وقد أدام حــــيلادَه

كان هذا الحُجْمَةُ وَاكْتِنَاهُ الـ
كُنْهٍ مِنْهَا أَعْيَا الْحِجَا وَاجْتِهَادَهُ
ذَاكَ مَا لَا أَحُولُ عَنْهُ اعْتِقَادًا
تَارِكًا كُلَّ نَاطِرٍ وَاعْتِقَادَهُ

أدمُ بك إيماني

أمنُ كـوْنِ الكونِ العَظِيمِ بما به
من المدهشاتِ الحائِراتِ بها الفِكرُ
وسنَّ نواميسًا عليهن قد جرى
قرونًا ملايينًا ولم تُعْرِها غَيْرُهُ (١)
وأودعَ فينا من لطائفِ صنْعِهِ
ومُحكَمِهِ ما العقلُ من بعضِهِ انبهر
يعزُّ عليه أن يُعيد كما يشا
إذا أوغلت في رَفْتِها هذه الصُّورُ (٢)
أَيَبْدَأُ من لا شيءٍ تكوينِ خلقِهِ
ويدرُكُهُ عن أن يعودَ به خُورُ
إذا ما استحالَ العَوْدُ فالبَدءُ مِثْلُهُ
وأرسخَ منه في استحالتِهِ مَقَرُّ
من البَدءِ عَوْدُ الشيءِ أدنى صعوبَةً
بحكمِ النُّهي فاسألْ نُهاك عن الخَبَرِ (٣)
ومن عَجَبِ إقْرارِهِم بابتداعِهِ
بدائعَ من لا عينَ قـبـلُ ولا أثرُ

(١) عراه يعروه: غشبه، والغير: الحوادث.

(٢) يعز عن عليه هي جواب قوله في أول القصيدة «أمن كوْنِ الكون...» ويريد أن من كون الكون لا يغلبه ولا يعجز عن أن يعيد تكوينه، والرفت مصدر رفته يرفته رفقا: كسره ودقه أو جعلها جمع رفات وهو الحطام وكل ما دق فكسر.

(٣) النهي: العقول، جمع نهية.

وقد أنكروا أن يستطيعَ إعادَةً
 لما هو مُنشِئٌ به إِذا رَمَّ أو دَثَرَ (١)
 ولو وَحَّدوا الأُمُورَ زَالَ تَعَجُّبِي
 ولكنَّه للفرقِ مآلتِ يَدِ النظرِ
 وأعجبُ منهم من ترى اللَّةَ عَيْنُهُ
 بِأَثَارِهِ مِنْ كُلِّ مَا جَلَّ أَوْ صَغُرَ
 وَيَصْبِحُ فِي شَكِّ مَرِيْبٍ فَوَادُهُ
 بِإِثْبَاتِ مَنْ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ ظَهَرُ
 ولكن إِذا مَا اللهُ أَعْمَى مِنَ الْفَتَى
 بِصَيْرَتِهِ لَمْ تُجِدْ لَهُ حِدَّةَ الْبَصَرِ
 فَيَا مَنْ بِهِ أَمْنٌ غَيْرَ مُقَلِّدٍ
 أَدِمَّ بِكَ إِيمَانِي بَعِيدًا عَنِ الْخَطَرِ
 فَكَمْ شَبَهَةٌ دِكْنَاءِ جَنِّ ظَلَامُهَا
 فَكَدْتُ أَضِلُّ الْخَرْقَ فِيهِ إِذْ اعْتَكُرَ (٢)
 وَلَوْلَمْ تُنِزْ سُرُجَ الْعِنَايَةِ لِيَأْهَا
 لِأَفْنَيْتُ فِيهِ الْعُمَرَ أُسْرِي عَلَى غَرَرِ

(١) رَمَّ: صار رمة. ودَثَرَ: قدم وصار دارسًا.
 (٢) الدكناء: الضاربة إلى السواد. والخرق: الفلاة الواسعة.

يقولون^(١)

ذكرى الشهيد الشيخ علي بن الشيخ سالم الصباح

يقولون لي إنّا عهدناك يا صَقْرُ
إلى الصبرِ تدعو كلُّ من أحزنَ الدهرُ
وتوصي بإمساكِ الدموعِ ذوي البُكا
إذا ما غدت تُبليهمُ النُّوبُ الغُبرُ
فما لكِ قد أصبحتِ أجزعَ جازعِ
كأنك قبلَ اليومِ لم تدرِ ما الصُّبرُ
وما لبحورِ الدمعِ مَدَّتْ ولم يكنِ
ليُدركها ما بين أجفانكِ الجَزْرُ
فقلتُ لهم قد كان ذاكِ ولي حِجًّا
فزائلُ مُذْ زالَ ابنُ سالمِ الحِجْرُ
فَقَتْلُ (عَلِيٍّ) لم يدعْ لي من نُهي
فأعرفُ ما خيرُ الأمورِ وما الشَّرُّ
فإن فاضَ دمعُ العينِ مني كآبَةً
(فليس لعينٍ لم يفضْ ماؤها عذراً)^(٢)
وإن حال ما بيني وبين جالدي
أسى كاد أن ينشَقَّ من وقعِهِ الصُّدرُ

(١) اثبتنا هذه القصيدة لأنها تزيد (١٥) بيتاً عن نفس القصيدة المعنونة (ذكرى الشهيد علي بن الشيخ سالم الصباح).

(٢) نصف البيت هذا ليس للشاعر صقر وإنما ضمنه شعره انظر ص ٦٦٦ من هذا المجموع.

فما أنا من يسطيعُ رَدَّ يَدِ الأسي
 إذا ما لقلبي مَدَّها حادثُ إمْرُ(١)
 وما بين أحداثِ الزمانِ مُضارِعُ
 لذلك في أيامه حادثُ مُرُ
 فلا تعذِلوني إن بكيتُ على فَنِّي
 بَكَّتُهُ كما أبكي مكارمهُ العُرُ
 فما برحتُ ترجو النُمُو مكارمُ
 على حَبُّها منه انطوى ناشئُ حُرُ
 على أنه ما غابَ إلا وكأُها
 بأفقِ عُلَاةٍ دونها الأنجمُ الزُّهرُ
 ففي رحمةِ الرحمنِ منه غَضَنَفُرُ
 إلى موته كان الحفاظُ هو الجِسْرُ
 ولا برِحَ (الرقعيُّ) يسقيه هاطلُ
 من الغيثِ يحكي أدمعي فيضُهُ العُمْرُ
 فبين روابيه الشهيْدُ ابنُ سالمِ
 بأيدي الحفاظِ المُرَّ حُطُّ له قَبْرُ
 بأيدي المنايا كلُّ حَيٍّ سِينَطوي
 وإن طال في الدنيا العَدورُ له عُمْرُ
 ولكنَّ حُسْنَ الذكْرِ ليس بمنطوي
 طوال الليالي يا (عليُّ) له نَشْرُ
 فم غيرَ محزونٍ فذكركُ خالدُ
 حميدٌ وهل ماتَ امرؤٌ وله ذِكْرُ

(١) الإمْر: الأمر العظيم الشنيع.

وما أنت من يحييا حياة وإنما
حَيَاتَيْنِ تحيا ما لشمسهما سِتر
حَيَاتَيْنِ تحيا يا (عليؑ) شهادة
وذكرى وهاتان السعادة والفخر
وإن لم أُطلُ مرثاتي اليوم فالأسى
عليك به قد حارَ في فَمِي الشَّعر
فحالٌ قريضي قومُ موسى بتيههم
ولكن أراضني تيهه مَيِّ الثُّغر
ولو لم يكن فينا شقيُّك لم يكن
لِيُجَبَرَ من قلبي بفرقتك الكسر
ولكن كِلا الشـيخين بدرٌ مُنورٌ
فـفـفـارقنا بدرٌ ودام لنا بدرٌ
وإن بعبد الله خيرٌ فتى به
عزائي لنظم ينثني شمله النُّثر
فأنت لنا نِعَم العزاء إذا مضى
عزيزٌ وأنت الذُّخْرُ إن نَقَدَ الذُّخْرُ
فلا زلتَ (عبدالله) نخرًا نُعدُّه
في شتدُّ منا في الخطوب به الأزر
وليس لنا بعد ابنِ عمِّك (أحمد)
سواك على كُنُورِ الورى والدُّبرُ
فنعم الأميرُ الشَّهْمُ فينا ابنُ جابرٍ
ففي ليلِ أحداثِ الكويتِ هو الفجر
له سـيـفٌ رأيٌ لا يُخافُ أنثناؤه
إذا سلَّه يومًا لحادثةٍ تَعـرو

وقد يدفَعُ الرأيُ السَّديدُ مُجَرِّدًا
 من الخطبِ ما لا تدفعُ البيضُ والسُّمُرُ
 فلا زال من آل الصَّباحِ مُمَلِّكًا
 تحفُّ به منهم غطارفُ غُرُ
 إذا زمجروا عند اللِّقا قالتِ العدا
 (كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدح الأمر) (١)
 تكادُ ولو لم يَبْدُ رَعْدُ سلاجِمِهِمْ
 زماجرُهُمْ تُردي المُعادي والزَّارُ
 يُردُّ أصداءَ الزَّئيرِ حارِيًا
 إذا زأروا يومَ الوغى لهم النُّصْرُ
 وما البغيُّ من عاداتهم فإذا بغي
 عَدُوُّ عليهم حلَّ في ساحِه الخُسْرُ

(١) الشطر مضمن من بيت لأبي تمام، وتمامه: فليس لعين لم يفيض ماؤها عنر.

هكذا صقر

أَتَيْتُكَ مِمَّا أَنْتَ جَانِيهِ تَائِبًا
وما زال في أحبابه هكذا صَقْرُ
فإن كان يَرْضَى من أَحِبُّ بتوبتي
من الذنبِ يَجْنِيهِ أَتُبُّ وله الشُّكْرُ
ومهما اسْتَمَرُّوا عَكْسَ أَمْرِي فَالهُوَى
لدى الصَّبِّ يَحْلُو فِيهِ أَنْ يُعَكْسَ الْأَمْرُ
وما دمتُ أَسْتَحْلِي الذي أَنَا صَانِعُ
فيا زَيْدُ قُلْ ما شِئْتَ فِيَّ ويا عَمْرُو
إذا المرءُ أَرْضَى نَفْسَهُ وَحَبِيبَهُ
فليس لَأَقْوالِ الورىِ عنده قَدْرُ
وأهْنَأُ عُشَّاقِ البرِيَّةِ عَيْشَهُ
فَتَى سَمِعُهُ عَمَّا يُقالُ بِهِ وَقَرُ
فمن تَتَدَاوَلُ سَمِعَهُ أَلْسُنُ الورىِ
فِيوشِكُ أَنْ لا يَسْتَقِيلُ لَهُ فِكْرُ
وكلُّ امرئٍ أَصْغَى إِلى كُلِّ قائلٍ
غدا كلُّ عُرْفٍ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ نُكْرُ
فلا تَسْتَمِعْ ما زَخْرَفُوا من مَقالِهِم
فكم زَخْرَفُوا لِلصَّبِّ ما ضَمِنَهُ الشُّرُ
وَمَنْ عُرِّمَ لِمَ يُجَرِّبُ فما أَنَا
لتَجْرِبَتِي ما يصْنَعُ الناسُ مَغْتَرُ

من الناس مَنْ أَقْصَى أَمَانِيهِ أَنْ يَرَى
 لِبَاسَ الْعَشِيقَيْنِ الَّذِي يَنْسُجُ الْهَجْرُ
 فَمَا كُلُّ مَنْ أَحْلَى لَكَ الْقَوْلَ مَخْلَصٌ
 وَلَا كُلُّ إِنْسَانٍ سَجِيئَةٌ الْخَيْرِ
 فإِيَّاكَ مِمَّا قَلِيلٌ أَنْ تَقْطَعَ الَّذِي
 بِهِ مِنْكَ يَوْمَ الْحَزَنِ يَنْشَرُحُ الصَّدْرُ
 فَيَا رَبِّمَا يُصِيبُكَ بَعْدَ وَصَالِهِ
 وَقَدْ حَطَّ مِنْكَ الْقَدْرُ فِي عَيْنِهِ الْغَدْرُ
 فَتَدْنُو وَيُنَآئِي وَالْخِيَانَةُ غِبُّهَا
 نَدَامَةٌ أَهْلِيهَا الشَّدِيدَةُ وَالْخُسْرُ (١)
 وَمَنْ عَزَّهُ مِنَّا لِقَاءَ حَبِيبِهِ
 غَدَا كُلُّ حَلَوٍ وَهُوَ فِي نَوْقِهِ مُرٌّ (٢)
 وَعَادَ الْفِضَاءَ الرَّحْبُ وَهُوَ لَضِيْقِهِ
 عَلَيْهِ - كَمَا تَقْضِي قَطِيعَتُهُ - قَبْرُ
 وَبَاتَ يَرَى الدُّنْيَا كَمَا هِيَ كَلِمَا
 عَلَيْهِ انْطَوَتْ أَيَامُهَا نُوبٌ غُيْبُ
 فَلَوْلَا التَّلَاقِي عَنْ هَوَى لَمْ يَكُنْ عَلَى
 مُمِضَّاتِ مَا الدُّنْيَا تَرِيدُ بِنَا سِئْرُ
 وَلَوْلَا لَمْ تُبْصِرْ عَلَى أَرْضِهِ فَتَى
 يَوَدُّ وَيَهْوَى أَنْ يَطْوَلَ بِهِ الْعُمْرُ
 فَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا لِتُعْمَرَ حَقْبَةً
 بِسُكَّانِهَا لَوْ فَاتَهَا ذَلِكَ السَّرُّ

(١) غيبها: عاقبتها.

(٢) عزه: غلبه.

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ يَوْمًا لِقَاءَ عَلِيٍّ هَوَى
 فَبِيٍّ مِنْ تَحَسِّيٍّ بِنْتِ كَرَمَتِهِ سَكُرُ
 وَمَنْ لَمْ يُوَدِّبْهُ بِهَجْرٍ حَبِيبِهِ
 زَمَانٌ فَبِالْهَجْرَانِ أَدْبَنِي الدَّهْرُ
 فَعَنْدِي - مَا لَمْ يُبَلِّ هَجْرٌ أَحْبَبْتِي
 فَوَادِي - لَهْمَ عَنْ كُلِّ بَادِرَةٍ عُذْرُ
 فَإِنْ تَنَفَّدَ الْأَعْذَارُ يَوْمًا وَلَمْ تَزَلْ
 إِلَيَّ جَنَائِيَاتُ الْأَحْبَابِ تَنْجَرُ
 لَجَأْتُ إِلَى الصَّبْرِ الَّذِي قَطُّ لَمْ يَخُنْ
 عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ عَنْهُمْ خَانَنِي الصَّبْرُ
 حَيَاةُ الْفَتَى - مَا لَمْ يُسَرَّ - حِمَامُهُ
 وَصَحَّتُهُ سُقْمٌ وَثَرَوْتُهُ فَاقْرُ
 وَلَمْ أَرَفِي الدُّنْيَا سُرُورًا سِوَى الَّذِي
 يُخَيِّلُهُ مِنْ وَصَلِ أَحْبَابِنَا سِحْرُ
 فَصِلْ وَالْقَى مَنْ أَحْبَبْتَهُ تَجِدِ الدُّنْيَا
 سَهُولًا وَإِلَّا فَالدُّنْيَا مَسْأَلُكَ وَعَرُ

أندر شيء الحر^(١)

يقولون لي في وجهك الحزنُ قد بدا
وفيه لنا لاح التـخـجـرُ يا «صقر»
فقلت لهم «عيسى القطامي» عازمٌ
على سفر فالقلب مئى به جـمـر
وهل لي سوى «عيسى» إذا الضُّرُّ مَسَّنِي
بلقياهُ عني ينجلي الهمُّ والضُّرُّ
وهل بَعْدَ «عيسى» الحرُّ لي من مؤانسٍ
وأندرُ شيءٍ في الأنام هو الحرُّ
ومن ذا سواه إن شكوتُ أعانني
وإن أهفُ وأفاني ولي عندهُ عُذر
فكم من جميلٍ جاعني منه كاملٍ
يحفُّ به من طيب شيمته الشُّكر
كأني الذي أسدي الصنيعَ وهكذا
من الناس من تزكو خلائقهُ الزُّهر
وكم لقطتُ أذنباي لألاء لفظهِ
فأهدتُهُ نحو الصُّدرِ فانشرح الصُّدرُ
ولو لُو لفظِ الحرِّ أوقرُّ بهجتهِ
وأثمنُ من دُرِّ به يسمح البحر

(١) نظمها عندما عزم عيسى القطامي على السفر إلى بغداد لطبع كتابه «دليل المحتار في علم البحار».

متى تنجز الوعد

أَلَمَّا عَصَى «صَقْرًا» عَلَى الظَّمَا الصَّبْرُ
وَأَوْشَكَ أَنْ يَنْبِتَ مِنْهُ بِهِ الْعُمُرُ
وَعَدَّتْ بِإِنْقَاعِ الصَّدَى وَعَدَّ مَا طَلَّ
كَأَنَّكَ تَخْشَى أَنْ يَبُوحَ لَهُ حُرٌّ^(١)
فَقَدَّمْتُ مِنْ شُكْرِي إِلَيْكَ جَمِيلَةً
فَلَمْ يَلِقَ تَقْدِيرًا لَدَيْكَ لَهُ الشُّكْرُ
أَطَلْتُ مَقَامِي بَيْنَ يَأْسِي وَالرَّجَا
وَسَهْلُ مَقَامِ الْمَرْءِ بَيْنَهُمَا وَعُورُ
فَقَدْ تَمَّ أَوْ قَدْ كَادَ عَامٌ وَمِثْلُ مَا
وَعَدْتَ بِهِ يَكْفِي لِإِنجَازِهِ شَهْرُ
فَإِنْ كَانَ مَا حَاوَلْتَ بِالْوَعْدِ حِيلَةً
لَيْسَعَى بِلَا عَرَفٍ بِشُكْرِي لَكَ الشُّعْرُ
فَذَلِكَ أَمْرٌ لَيْسَ يَنْوِيهِ مَبْتَغٍ
مَزِيدِ الْعُلَا مَا دَامَ فِي رَأْسِهِ حِجْرٌ^(٢)
وَذَاكَ لِأَنَّ الشُّكْرَ يَغْدُو وَحَلْوَةً
إِذَا نَكَرُوهُ حَوْلَ حِيلَتِهِ مُرٌّ
وَإِنْ كُنْتَ تَنْوِي بَعْدَ مَوْتِي سَقَايَتِي
إِذَا ضَمَّنِي يَوْمًا مِنَ الظَّمَا الْقَبْرِ

(١) يبوح: يسكن ويفتر.

(٢) الحجر: العقل.

فقصدك هذا مُذْكَرِي قولَ بعضهم
 «إذا مت ظمآنًا فلا نزلَ القطر»^(١)
 وظنّني فيك اليوم أن تمحو الذي
 بإثباته يعدوك حَمْدِي والأجر
 ويحزُنُّني أنني كتبتُ ولم تُجِبْ
 كأن لم يكن طرسٌ لديك ولا حِبْر
 ولو كان هذا واقِعًا كنتُ عاذرًا
 فعندي لإخواني إذا عجزوا عُذر
 وما كان عن عُذرٍ ولكن تهاونٌ
 وحاشاك أن تُلفي وشيمنتك العُدر
 ولو لم يكن فيك الوفاء سجيّةً
 لما مسّ مطويُّ العتاب لك النشر

(١) هو عن بيت لأبي فراس الحمداني ضمنه في شعره وبيت أبي فراس:
 مغللتني بالوصل والموتُ دونه إذا متُ ظمآنًا فلا نزل القطر
 وهو من قصيدته في ديوانه صفحة ١٥٧ والتي مطلعها:
 أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر

كلمة البركة^(١)

لئن ذادَ عني صاحبِي مُعْدِمًا شكِي
له ظمًا يومًا فلا مَرَّبِي القَطْرُ
ولا زال في جنبِي أو في قَرَارَتِي
لتضييع ما استودعتُ من مائه قَطْرُ
ولا ابتَلَّ مما يسكبُ المزنُ (شَتْرُهُ)
إذا فاضَ من مسكوبِهِ غيرُهُ (شَتْرُ)
وما كان «صقْر» من يزود ذوي الظمَّا
عن الوردِ فليمكُثْ على جُودِهِ «صَقْر»
فعهدي به للحمدِ والأجرِ صابِيًا
وما خيرُ من لم يُصْبِهِ الحمدُ والأجر
وما الحُرُّ من يروى ويعطشُ جَارُهُ
ولكنَّ من بالعكسِ يأتي هو الحُرُّ
ويا واردي رفقًا بمشيكِ وأثْبُدُ
وإلا فظَهَرانا دنا منهُما الكَسْرُ
وإن كان سهلًا جَبْرُ ظهري فلم يكن
ليسهلَ بعد الكَسْرِ من ظهركَ الجَبْرُ
وإياك والوَطْءِ العنيفِ فـربما
غدا لكِئنا فيه أو بعضنا ضُرُّ

(١) حفر الشاعر في بيته بركة لخزن الماء يوم أن كانت أزمة الماء شديدة في الكويت، فقال هذه القصيدة بهذه المناسبة، غير أنه لم يستعمل هذه البركة إلا شهرًا ثم ردمها.

وإن رُمّت في جوفي النزولَ فما أرى
 بذلك بأسًا عندما حاجّة تعرّو
 ولكن له شرطان لا بدّ منهما
 هما في تدليك الترقُّق والطُّهر
 وكن أخذًا بالنصح منّي فريّما
 إلى مأخذي بالنصح منك سنُضطرُّ
 لعلّك في آتيك تحتاج رأفتي
 كما بي إليها منك في حاضري فقّر
 فما لكلينا صورة مستمرة
 على كيمياء الدهر ما بقي الدهر
 ويا ربما حلّت حياتك تربتي
 وحلّ جمودي فيك وانعكس الأمر
 فأصبحت في ماضي زمانك بركة
 وأصبحت إنسانًا كما شاءه الدؤر
 فنحن وأنتم في الزمان ودؤره
 سواء لكلّ يعتلي مرة قدر
 دوائيك نعلو بالحياة وأنتم
 علينا بها تعلون طورًا ولا فخر
 فأحوالنا رهنّ التحوّل ما غدا
 عليها ليوم أو للياتيه مرّ
 وكم قد تبادلنا بما مرّ صورة
 وشكلًا ولكن مات في نفسك الذكّر
 وإن قلت إن الدؤر شكّ به الحجا
 وكشف ظلام الشكّ أمرّ به عُسر
 أقلّ لك قولا ليس للشكّ منهج
 إلى صدقه في ما يرى الحسّ والحجر

أَلَمْ أَتَكُونُوا مِنْ جِسْمٍ جَسَدٍ كُفُّوا
 وَإِعْرَازُهُمْ عَرَفُوا وَإِذْلَالُهُمْ نُكْرُوا
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُلِّي فَجَلِّي مِنْهُمْ
 وَإِنْ ظَنُّ غَيْرٌ غَيْرَ ذَلِكَ أَوْ عُمُرٌ (١)
 أَعَادَهُمْ إِكْسِيرُ طَوْلِ زَمَانِهِمْ
 وَهُمْ - ضَمِنَ عَفْرُ أَنْتَ وَاطِئَةُ - عَفْرُ (٢)
 وَأَيُّ رَوَابِي الْأَرْضِ أَمْ أَيُّ وَهْدِيهَا
 لِأَسْلَافِكُمْ مَا خَطُّ أَثْنَاءَهُ قَبِيرُ
 فَإِنْ لَمْ تُرَاعُونِي فَرَاعُوا أَبْوَةَ
 بِهِمْ غُصَّ نَجْدُ الْأَرْضِ وَامْتَلَأَ الْغَوْرُ
 وَهَا أَنْتَ بِلْ كُلِّ امْرِيٍّ خَلْفَ جَدِّهِ
 يَجِدُ بِهِ مِنْ مَرِّ أَيَامِهِ سَيِّرُ
 عَلَى أَنْنِي مِنْكُمْ وَمَنْئِي أَنْتُمْ
 لِأَنِّي بَعْضُ الْأَرْضِ وَهِيَ لَكُمْ جِذْرُ
 إِذَا سَأَلَ الْفِكْرَ الْفَتَى عَنْ تُرَابِهِ
 أَجَابَ جَوَابًا طَبِيقَ مَا قَلْبُهُ الْفِكْرُ
 وَهَلْ سَارَ ذُو عَقْلٍ صَحِيحٍ عَلَى الثَّرَى
 وَفِي سَيْرِهِ الزُّهُوُ الذَّمِيمُ أَوْ الْكِبْرُ
 فَمَا اخْتَالَ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ غَيْرُ مَنْ
 أَدَامَ لَهُ السُّكْرَ الْغُرُورُ أَوْ الْخَمْرُ
 وَلَوْ مَيَّ عَلَى الصَّاحِينَ إِلَّا إِذَا انْبَرَوْا
 لِتَأْدِيبِ مَنْ أَنْسَاهُمْ الْأَدَبَ السُّكْرُ
 فَمِثْلُ غَوَاةِ الْقَوْمِ يُلْفَى رَشِيدُهُمْ
 إِذَا ضَلَّ عَنْ تَأْدِيبِهِمْ وَلَهُ صَبْرُ

(١) الغمر: الذي لم يجرب الأمور.

(٢) العفر: التراب.

ومن يستطع وَعَظَّ الغُوَاةَ ولم يَعْظُ
 فعن أزره من صنعه لهم لم يمل وذر
 من الشرّ ترك النصح من ذي كياسة
 مطيقٍ لذي غيٍّ إذا ذكّر الشرُّ
 وخَيْرُ الوري إن يَغْرَقِ الفُلُكُ مَنْ هدى
 إلى العِبْرِ غرقاهُ إذا خَفِيَ العِبْرُ (١)
 وليس الذي ينحوه عن خِبرته
 ويُعرضُ عن قومٍ به ما لهم خُبْر
 وهل ترفعُ الأفعالُ مَنْ أرشَدَ الوري
 وليس لهم من نصبِ إرشادهِ جرُّ

(١) العبر: الشاطئ.

إلى السيد طالب باشا النقيب^(١)

ما في العراق لشمسٍ فضلك مُنكرٌ
أنتى وقد سَمَقَتْ تُنيرُ فتَبْهَرُ
شمسٌ من الفضلِ المبينِ قد اهتدى
بضياؤها مذ أشرقتُ من يُبصرِ
شمسٌ لها من ذي المعالي «طالب»
شَرَفٌ فليست عن سِوَاهُ تَصْدُرُ
شمس إذا أخفى شَبِيهَتَهَا الدُّجَى
أوراحٌ يُخفي من سناها العنْبيرُ^(٢)
فهي التي مذ أشرقتُ قد أقسمتُ
أن لا تُرى يوماً بشيءٍ تُسْتَرُ
لكن بها عَشِيَتِ عُيُونُ عَصَابَةٍ
حَسَدُكَ شمسَ الفضلِ وهي تُنَوِّرُ
فغدتُ من الحسدِ المذيبِ قلوبهم
تشكو لظي فيها يُشْبُ ويُسْعَرُ
والأهلُ للشُّكرانِ من يشقى بهِ
قومٌ وأقوامٌ تُسَرُّ وتُحْبَرُ
ومحبتي الفضلِ المبينِ وأهلهُ
طبعٌ لعمري في لا يتغَيَّرُ

(١) عندما زار الكويت سنة ١٣٤٣ بعد رجوعه من منفاه الأخير. وقد أعدها صقر لتلقى في احتفال النادي الأدبي لكن السيد طالب غادر الكويت قبل الحفلة.

(٢) العنبر: الغبار.

فلذا تراني جئتُ أهدي مِدْحَةً
 فيها لك الإخلاصُ مني يَظْهَرُ
 ومحبتِي إِيَّاكَ مَجْهُودُ الذي
 هو كلُّ ما يحويه مثلي مُفسِرُ
 أما الكويتُ فإنها قد أصبَحَتْ
 بِحُلُولِكَ السامي بها تتبَخَّرُ
 ولما عَجِيبٌ أن تَبَخَّرَ بلدةُ
 فخرًا ومثلك راحَ فيها يَحْطِرُ^(١)
 إنا عرَفنا فيك كلَّ مَـزِيَّةٍ
 يُثني عليها نو الحِجاءِ وَيَشْكُرُ
 فلذا بمقدمك الكويتُ قد اغتَدَى
 حَظُّ عَظِيمٌ للكويتِ ومَـفْـخَرُ



لما رجعتَ إلى العراقِ مَسْأَمًا
 مما عليك من السِياسَةِ يُحْذَرُ
 أعلَنتُ صوتي بين قومي قائلًا
 اليومَ عادَ إلى شَراهُ القَسُورِ^(٢)
 وهل العِراقُ الرِّحْبُ إلا غابَةٌ
 من «طالبٍ» فيها الشِجَاعُ غَضُنْفَرُ
 يا «طالبٍ» العِلياءِ نلتَ من العُلا
 ما لم يَنلْ شَـرَواهُ نَجْمُ أزهرِ
 فغدوتَ في أفقِ الفضائلِ كوكبًا
 عالٍ^(٣) كما تهوى الفضائلُ يُسْفِرُ

(١) في تاريخ الكويت: «... بلدة أنسا إذا ما رحت فيها تخطر».

(٢) القسور: الأسد، والشرى من مواضع الأسد

(٣) هكذا في الأصل وربما كانت الكلمة (يعلو).

فَحِصَالُكَ الْغُرُ الزَّوَاهِرُ إِنْ غَدَا
إِحْصَاؤُهُنَّ عَلَى امْرِئٍ يَتَعَسَّرُ
فَلَكُمْ تَعَالَتْ أَنْ يَحْصِيَطَ بِعَدَّهَا
يَا ابْنَ الْأَمَاجِدِ قَبْلُ مِنْ هُوَ أَشْعَرُ

فهد الكريم فرع خير^(١)

يا نجلِ سالمِ الذي أخلاقُهُ
أثنى عليها النثرُ والأشعارُ
من أفضلِ الأقواتِ عندي حنطةٌ
منها غدت أهلُ الكويتِ ثمارُ
لكنْ إجادَةُ طبخِها أو خبزِها
حِرْنا بها وأظنُّ أن سَنَحار
قالوا إذا كررْتُمْ صنْعاً لها
أتقنتُم موهبةً فكذبَ التُّكرار
كم مرَّةٍ جاءت تجارِبنا بها
عكسَ الذي نهوهُ أو نختار
كل التجاربِ قد ذهبنَ بها سُدى
فجميعُهُنَّ متاعبٌ وخسار
والجوعُ لم يترك لنا وقتاً به
تصفو - لكي نتعلمَ - الأفكار
فأغيثُ من الجُوعِ الذي الأمُّه
منها على نفسي التَّقَتُ أظفار
بأطايبِ الأرزِ الذي قد شاقني
منه وصعَّالٌ منعشٌ ومَزار
إني لأذكرُ طيبَتهُ ومَساغتهُ
فيُميِّتُ عنه السلوةَ التُّذكار

(١) قالها في الشيخ فهد السالم الصباح.

هيهات أن أسلو لئذائته التي
تطوى فينشُرُ فضلها السُّمَّار
إني لأملُ منك مـأـمـولاً إذا
صاعِبَ المرامُ وعزَّتِ الأوطار
فأبوك يا فهد الكريم تحققتُ
فيه لي الأمال وهي كِبار
لم لا أؤمِّلُ فرعَ خيرٍ طاب لي
من أصله وأعدَّ ذؤذبَ الإثمَار
أخصبتُ في أيامه حتى لقد
أوهمتُ أن جميعها «أذار»

جنة لا دار^(١)

أنا من لا يزالُ يعلمُ أن الـ
قُرْبَ منكم سعادةً وافتخار
فلهَذَا سَوَى الدُّنُوِّ إِلَيْكُمْ
من مزايا الحياقة لا أختار
غيرَ أني أصبحتُ من شِدَّةِ الحَا
رٍ بِسَجْنٍ مِنْهُ يَعْزُ الفِرَار
لا تقولوا إن الصُّقُورَ إِذَا مَا
سُجِنَتْ فِي سُجُونِهَا لَا تَحَار
كنتُ كاسمي صقراً ولكنني اليو
م لِلْوَنِّ قَدْ عَمَّ جَسْمِي هَزَار
فدعوني من استِزارةِ جَسْمِي
فضعيفُ الجُسُومِ لَا يُسْتَزَار
وفؤادي لديكمُ منذ زمانٍ
جَمَعَتْ فِيهِ شَمَلْنَا الأَقْدَار
وعلى «الوَطِيئةِ» التَحِيَّةُ مِمَّنْ
سَامَرْتُهُ مِنْكُمْ بِهَا الأَحْرَار^(٢)
فأعاد السُّمَارُ فِيهَا حَاصِهَا
وهو أبهى مما يَخُضُّ المَحَارُ

(١) بعث بهذه القصيدة إلى صديقه المرحوم عبدالملك بن الشيخ صالح المبيض وكان المرحوم عبدالملك يرسل ابنه صالح بن عبدالملك وزير التربية الأسبق إلى الشاعر ليصطحبه إلى بيته في كل يوم خميس ويبقى عنده حتى العشاء وفي هذه القصيدة يعنذر عن عدم الحضور لشدة الحر.
(٢) الوطية: مكان.

وَتَنَى رَمَلَهَا كَأَجْمَلِ مَا «نَيْ»
 سَـانٌ يُبْـدِي لِنَاظِرٍ أَوْ «أَذَارُ»
 فَكَأَنَّ الْمَصْفِيْفَ فِيهَا رِبِيْعُ
 نَشْرَتْ بُسْطَ زَهْرِهِ الْأَمْطَارُ
 وَكَذَا كُلُّ بَقْعَةٍ كَانَ فِيهَا
 مِنْ أَبِي صَالِحِ الْعُلَا لِي جَارُ
 كُلُّ دَارٍ تَضُمُّنِي وَعُـلَاةُ
 فَهِيَ وَاللَّهِ جَنَّةٌ لَا دَارُ
 نِي سَـجَايَا تَوَدُّ كُلُّ الرُّوَابِي
 أَنَهَا فَوْقَ هَامِهَا أَزْهَارُ
 لَوْ رَأَاهَا بَشَرٌ فِي أَدْمِيٍّ
 تَابَ مِمَّا أَتَى بِهِ بَشَرٌ
 أَوْ رَأَهُنَّ قَسَائِلُ بِاضْطِرَارٍ
 عَادَ قَصْدًا مَقَالُهُ الْاضْطِرَارُ
 جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ شَيْءِي الْمَزَايَا
 فَلَهَا فِيهِ مَلْتَقَى وَأَنْحَصَارُ
 وَعَلَى أَنْنِي إِلَيْهِنَّ صَابِ
 قَدْ تَمَادَى بِهِنَّ عَنِّي نِفَارُ
 لَوْ بِجِدِّ يَنَالُهَا وَاجْتِهَادِ
 مِنْ تَلَطَّى بِهِ إِلَيْهِنَّ أَوْارُ^(١)
 نَلْتُ مِنْهَا أَوْ نَلْتُهَا غَيْرَ أَنْ الـ
 نَاسَ تُرْبُ كَأَرْضِهِمْ أَوْ نُضَارُ^(٢)

(١) الأوار: لفتح النار ووجهها.

(٢) النضار: الذهب والفضة والخالص من كل شيء.

أو كمثلِ النباتِ يَنْبُتُ مَخْضَطاً
رأً وفيه كُـرَاتَةٌ وَعَرَارُ
حكمةٌ كُنْهٌهَا خَفِيٌّ وَلَمَّا
تَخَفَ مِنْهَا عَلَى النُّهَى الْآثَارُ
فهي كالروحِ في الفِعالِ تَجَلَّتْ
وَاسْتَقَلَّتْ بِكُنْهِهَا الْأَسْتَارُ

قومي العرب

فإن تَضيقِ الكويْتُ اليَومَ عَنِّي
وما ضاقت بأمثالي الديارُ
فكم بلدٍ لقومي العُربِ فيه
سيحلُّولي من السُّعةِ القَرارِ
وليس يموتُ من ظمَأٍ وجوعٍ
بمربطِ ظالمٍ إلا الحَمَمَارِ

أصيح

أصيحُ بمن له عَيْنٌ وَعَيْنٌ
وليس به على عَيْنِيهِ خَيْرٌ^(١)
فَمَا يَهْدِي ضَرِيرًا فِي طَرِيقِ
بِهِ أَلْقَتْ كَلَاهَا الوُعُورُ
وَلَا يُرْوِي العَطَاشَ - وَإِن أَلْحَاوَا
عَلَيْهِ بِالسُّوَالِ - لَهُ تَمِيرُ
وَلَيْسَ يَشْتَمُ عَافٍ مِنْ قُتَارِ
لَطْبِخِهِ وَمَطْبُخُهُ عَمِيرُ
فَفِيهِ مِنْ صَنُوفِ الزَادِ مَا لَا
تَزَالُ لَهُ بِهِ تَغْلِي قُودُورُ
وَإِن يَجْمَعُهُ وَالبُؤْسَاءُ نَادِ
تَغَشَّاهُ لِنَظَرِهِمْ نُفُورُ
وَشَالَ بِأَنْفِهِ كِبْرًا عَلَيْهِمْ
بِمَا آتَتْهُ دَنِيَاهُ الغُرُورُ
رَوِيدًا أَيُّهَا الطَاغِي رَوِيدًا
فَإِن الدَّهْرَ خَدَاعٌ غَدُورُ
فَقَدْ بَلَكَ أَطْلَعَ الإِثْرَاءُ مِنْهُ
لِقَوْمٍ أَنْجُمًا زُهْرًا تُنِيرُ

(١) العين الثانية: الذهب.

فَظَنُّوا أَنهَا تَبْقَى فِعَادَاتُ
- وَأَنْفُ الظَّنِّ مَرغُومٌ - تَغُورُ
فحسبَكَ إن عَقَلْتَ بِهِم نذِيرًا
فقد يجدي ذوي العَقْلِ النذير
يَوَدُّ المؤمنون إِذَا حَاحُوا وَهُمْ
مضاجعُ أَنهالِهِمْ قُبُور
لرَأرِ هِرَبِ مَرِّ الجُوعِ فِيهِمْ
وليثُ الجُوعِ فَتَأْكُ هَصُور
ولولا شُحُّ أَهْلِ المَالِ مِنَّا
لما استصَبَّاهُمُ المَوْتُ المَرير
تبارك من أَقَادَهُمُ بِحُورًا
من الأَمَوالِ زاخِرَةً تَمُور
وَأَسْكَنَ فِي جِوانِحِهِمِ عَلِينَا
قلوبًا دونِ قَسَوَتِهَا الصُّخُور
فما يُشجِيهِمُ لِلبُؤْسِ فِينا
مزاميرُ لَهَا أَبَدًا نَعِير
فصَبِرًا أَيُّهَا البُؤْسَاءُ صَبِرًا
فَعَقِبِي الصَّبِرِ يَحْمَدُهَا الصَّبُور
ففي الصَّبِرِ الجَمِيلِ لَكُمْ رِجَابٌ
إِذَا ضاقتْ بِكُمْ لِلبُؤْسِ دُور
وَإِنِ أَدَاكُمْ جُوعٌ فَمِنهُ
بِعُنْتُنُونِي يَلُوحُ لَكُمْ قَبْتِير
وَإِنِ تُصَبِّحُ ثِيَابُكُمْ رِثَانًا
ففي مَشْتايَ فِي ثوبِي فُزُورُ
لنرُقُبُ ما طواه الغَيبُ عَنا
فَعَنهُ سَوفَ تَرْتَفِعُ السُّتُور

لعلُّ لنا بجوفِ الغيبِ خيراً
وعلَّ الدهرَ بالحسنَى يُحُور
لِنَمُكُتْ تحتَ ظلِّ الصُّبرِ حتى
يحينَ لنا من الآتي سُفور
عسسانا أن نقولَ إذا رأينا
مصيرَ الصبرِ يا نِعَمَ المصير
وثوبُ الصبرِ فيه للابسيه
جمالٌ لا يجيُّ به الحرير
وفي أخراه كلُّ أخي اصطبارٍ
لدى مولاهُ بالحسنَى جدير
فحسبُ الصابرينَ بذا ثواباً
ففي هذا لهم خيرٌ كثير
بحُسنِ الصبرِ أوصيكم لأنّي
ببإعاني عن إعانتكم قُصور
ولو أني ملكتُ ولو قُروشاً
لقمتُ لبنتها فيكم أدور

انقذوا الحيوان من أذى الصبيان (١)

كلُّ طفلٍ بكفُّه عصفورُ
من أذاها يكاد فيها يبورُ
مُتَأَذٌّ من قبضة الطفلِ والطفِ
لُ له من أذى الطيورِ سُورور
حَسَبَ ما العادُ يقتضيه وكم أب
صارتَ شراً من عادةٍ يستطير
عُودَ اللهُوَ بالطيورِ فأبدي
صَفْوَةٌ ما لها به تكدير
وهي في الحِسِّ مثله فليدها
مُوجِعُ الطفلِ مُوجِعُ مَحذور
وهو عنها بما لاشعورِ عداة
من تماثيل لهوهٍ ميسور
لكن الوالدُ الشفِيقُ عليه
فاتة من أموره التّفكير
فأراد السرورَ للطفلِ من حَي
ثُ إلى الطفلِ يهتدي التّفيرير
إنَّ غيبَ الأمِّ الذي رامَ للطفِ
لِ سروراً به أبوه مَـرير

(١) تغد أنواع العصفير في موسم الربيع قادمة من الجنوب، وكان من عادة الصبيان نصب الفخاخ لهذه الطيور وصيدها واللعب بها. فقال هذه القصيدة.

إذ يرى طفلةً يشبُّ على ما
 ليس يرضى به الإله القدير
 أتري بارئ الطيور براها
 لتري من أذى الورى ما يضير
 ربُّ إثمٍ على الورى سَهَّ أَنْتَهُ
 عادةً والسُّهُولُ منه وُعُور
 إنَّ لَهُوَ الوليدِ بالطيرِ زورُ
 - لو درى والدُ الوليدِ - خطير
 وعليه العقابُ لا بُدُّ أَنْ يَأْ
 تبي وشروى تعجيله التأخير
 فهو إن لم يلقَ الجزاء مدي العم
 رفَعُمُرُ الإنسانِ جدًّا قصير
 وسيلقاه بعد ما ينقضي العُمُ
 رُ كما لا يشاءُ وهو عَسِير
 يغفر الله للوليد فهل ذن
 بٌ أبيه كذنبه مغفور
 فَلْيَسَلْ عن مقالي العقلَ إنَّ الـ
 عقلَ دارٍ بما أقولُ خَبِير
 لم يَهَبْهُ إلهُ العقلِ إلا
 لهُداهُ فهو النذيرُ البشير
 ليس يدري ضلاله من هُداهُ
 من إلهادي الحِجاءِ لا يستشير
 فاتخذ منه في الأمور مشيرًا
 وَفَقَّ آثارِ نُصَحِّهِ إذ تُسير
 هل ترى العادة اللئيمة غُرَّتْ
 من بمصباح عقله يستنير

حُسْنُ عَادَاتِ أَوْلِيَانَا أَوْ الْقُؤْبِ
حُجُّ بِهِ عَنْهُمَا تَشْرِيفُ السُّتُورِ
فَيَبِينُ الْعَادُ الَّذِي هُوَ لِلْأَخِ
حِذْرُ أَوْ التُّرْكُ مَسْتَحِقُّ جَدِيرِ
فَالْأَبَائِنَا عَوَائِدُ شَتَّى
رَسَخَتْ بَيْنَنَا لَهُنَّ جُذُورِ
بَعْضُهَا يَنْطَوِي عَلَى الْقُبْحِ وَالشُّرِّ
رُّ وَفِي بَعْضِهَا جَمَالٌ وَخَيْرٌ
وَهَوَانًا اقْتَفَاءً عَادَاتِهِمْ إِنْ
لَمْ تُنِرْهُ سُورُجُ النَّهْيِ دَيِّجُودِ
وَعَسِيرُ التَّمْحِصِ وَالْكَشْفِ عَنْهَا
مَنْ إِذَا سُرَّجُهَا أَضْأَنْ يَسِيرِ



أَيُّهَا الطِّفْلُ أَنْتَ عِنْدِي عَلَى مَا
سُمِّتَهُ الطَّيْرَ مِنْ أَدَى مَعْدُورِ
مَا لِأَمْرٍ تَمِيرُ عُقْبَاهُ أَوْ تَحُ
لَوْلَدِي ذِي طِفْلٍ وَلَةٍ تَقْدِيرِ
فَجَاءَ الصَّغِيرَ عَنْ فَهْمِهِ الْعُقْ
بِي لِأَمْرٍ بِهِ يَجِيءُ صَغِيرِ
لَسْتَ أَنْتَ الَّذِي جَنَيْتَ عَلَى الطَّيْرِ
رِ وَلَكِنْ جَنَى أَبُوكَ الْكَبِيرِ
أَنْتَ لَوْلَا وَلِيٌّ أَمْرِكَ لَمْ تَقُ
رُبُّ إِلَى الطَّيْرِ مِنْ يَدَيْكَ شَرُورِ
مَا غَدَا فِي يَمِينِكَ الطَّائِرُ الْمِسْ
كِينُ لَوْلَا أَبُوكَ وَهُوَ أَسِيرِ

هو ألقاه في يديك كأن لم
يَدْرِ ما منهما تُقاسي الطيور
كم رأى طائراً بكفك يوماً
وهو ميتٌ من ضغطها معصور
أو رأى رجلاً رهينةً خـيـطـ
وهو حيٌّ بخيـطـه مـجـرور
أو راه يشكو كـتـاف جناحيـه
هـ ومنه القُـلـيبُ دامٍ كـسـيـر
أو رأى ريشةً النُّظيـمِ حـوالـيـه
ك من النُّتـفِ وهو مُلقَى نثـيـر
أو راه سـجـين سـجـنٍ يُسـمـى
قـفـصاً، منه شاقّة التـحـرير
فهو منه حُبُّ التـحـرُّرِ في النـا
س لـعـيـنـيـه مـا أـنـوّه يُدـير
يـتـوخى حُرّاً رحيماً يُفادي
سـجـنـه من يمينه تكسـيـر
وأبو الطـفـل حـولَ ما الطـفـلُ يأتـي
هـ إلى طـيـره بصـيـرٍ ضـرير
يـتـشـكـى بـمـلءِ فـيـه إليه
حسبَ ما شاء كـرْبـه الموفـور
وتُنزِّي الألامُ منه جُـسـيـمـاً
يـجـهـلُ الصَّبْرَ قـابـلـه المـفـطور^(١)
وكـأن الشُّكـاة عند أبي الطـفـ
لِ أغـانٍ أتى بهنَّ الحُبـور

(١) تنزي: تجعله يثب. والمفطور: المشقوق.

وَالتَّنَزِّي مِنْ هَوْلٍ مَا هُوَ يَلْقَى
 رَقِصٌ أَنْسٍ عَنِ جَدِّهِ مَأْتُونَ
 مَشْهُدٌ لَوْ بِهِ تُحِسُّ صَخُورٌ
 لَغَدَّتْ رِقَّةً تَذُوبُ الصُّخُورِ
 كُلُّ مَا رَمَتْ أَنْ أَعْبُرَ عَنْهُ
 ضَاقَ ذَرْعًا بِعَبْرَتِي التَّعْبِيرِ
 وَهُوَ لَمْ يَنْهَهُ الضَّمِيرُ وَلَا الْعَقْدُ
 لُفْهَلْ مَاتَ عَقْلُهُ وَالضَّمِيرُ
 أَمْ رَأَى ذَنْبَهُ الْعَظِيمَ حَقِيرًا
 مِثْلَ مَا يُوهِمُ الْأَتِيمَ الْغُرُورُ
 لَا أَرَاهُ يَرِقُّ إِلَّا إِذَا مَا
 صَدَمَتْهُ بِعَكْسِ هُنَّ الْأُمُورِ
 فَرَأَى طَيْرَهُ صَبِيحًا وَأَضْحَى
 وَهُوَ فِي كَفِّ طَيْرِهِ ذُرُورُ
 فَبِعَكْسِ الْأُمُورِ مِنْ سَكْرَةِ الْغِيْرِ
 رِقَّةٌ يَشْقَى فَوَادَةُ الْخُمُورِ
 وَسَيِشْقَى بِمِثْلِ ذَاكَ وَأَدْهَى
 إِنْ عَدَاهُ مِنْ فَعْلِهِ التَّغْيِيرِ
 فَلْيَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ وَلْيُكَفِّرْ
 فَالْمَلَأُ الْمَتَابُ وَالتَّكْفِيرِ
 يَا قَوِيًّا فَمُ الضَّعِيفِ بِشَكْوَا
 هُ مَعَانَاةٌ شَرُّهُ مَفْغُورِ
 إِنْ مِنْ صَاغَهُ وَصَاغَكَ مَسْمُورِ
 عٌ لَدَيْهِ مَا يَشْتَكِي مِنْظُورِ

ويكون الجزاء ما شك من من
 له استقام التفكير والتقدير
 كل أمر إليه جئت سيقا
 لك قريباً جزاؤه المنذور
 فأت ما شئت من صنيع تجده
 مثمراً حسبما تكون البذور
 وتوقع يوم الجزاء فمما يؤ
 م جزاء الصنيع منك شطير
 ولكل من صنعه أو عليه
 لا سيواه قليلة والكثير
 وصنيع الطفل المدبر مصنو
 ع ولي منه له تأثير
 فأذى النجل للطيرور على النا
 جل وقف جزاؤه مقصور
 إذ يمين الولي لولا أبوه
 لم ينب طائراً لها تسخير
 إنما الطفل سائر حسب ما ي
 تي له من وليه التسيير
 قلب الأمر قبل أن ينشأ الطف
 ل عليه حتى يتم الظهور
 فبطون الأمور عنهن قد نش
 غل إلا مقابليها الظهور
 يستقيم الغصن النضير إذا ما
 قومه والطفل غصن نضير

وكما شاءهُ المَقْوومُ يبقَى
بعد يُبَسِّ له عليه مـرور
للمُرَبِّي في الطفل صنعُ كفاني
بَسْطَةُ الآن أَنَّهُ مـشهور
غيرُ خِفافٍ من المرَبِّينَ في الأطـ
فال - حتى أبينه - التـأثير
وتأملُ يظهـرُ لعينيك منـفـ
وعُ مُرَبِّي الولدان والمضـرور
ملتقاهم أوراقُ سِفْرِ تنافَتُ
من فـريقـة يـهمُّ بهنَّ السُّطور
وعلى الفطرةِ القـديمةِ كلُّ
يوم لاقى حـياتَهُ مـفطور^(١)
لم يكن بينهم قُبـلَ المرَبِّـ
نَ عظيمٌ من فـرقِهِمُ أو حـقـير
وبما جـاءهُ المرَبِّونَ مِن بـعـ
دُ تنافى صـعودُهُمُ والحُـدور
فـالمُرَبِّي - لما أتاهُ إليهم
حين رَبِّي - المذمومُ والمشكور
فاتَّقِ اللـةَ في الصُّغـيرِ فإمّا
وازرُ أنتَ فـيـه أومـوزور
لا تَغـرُّكَ عـادةٌ بالثَّفَشـي
ما الثَّفَشـي لعـادةٍ تـبرير
كم تَفَشَّتْ من عـادةٍ والمُفَشـي
أولاً في الوري لها مـرور

(١) مفطور: مخلوق ومنشأ.

وَهُمْ بِالْعَقُولِ لَوْ فَحَصَوْهَا
 سَرَّهُمْ طَيُّهَا وَسَاءَ النُّشُورُ
 قَلَّ مِنْهُمْ فَحَصٌ بِهِ يَتَّجَلَّى
 مَسْتَجَازُ الْعَادَاتِ وَالْمَحْظُورِ
 قَلَّدَ النَّاسُ بَعْضَهُمْ فِي مُرَيْبَا
 تِ مِنْ الْعَادِ فَحَصُّهَا مَهْجُورُ
 لَا تُقَلَّدُ تَقْلِيدَ أَعْمَى لِأَعْمَى
 فَوْقَ دَرْبٍ مَا شَرِيهَ كَابٍ عَثُورُ
 عَابِرُ الدَّرْبِ خَلْفَ هَادٍ ضَرِيرِ
 يَتَأَنَّى إِنْ لَمْ يُمِثَّهُ الْعُبُورُ
 وَاسْأَلِكِ الدَّرْبَ نَاطِرًا مِنْكَ بِالْعِيدِ
 مِنْ هُدَاهُ يَسْهُلُ عَلَيْكَ الْمُرُورُ
 لَوْ أَرَادَ الْإِلَهُ تَعْطِيَاكَ الْعِيدِ
 مَنْ تَخَطَّى إِنْسَانَهَا التَّنْوِيرُ
 أَيُّ هَذَا الْإِنْسَانُ إِنْ الْحَايَاوِي
 مَنْ لَهَا بِالصَّنِيعِ مِنْكَ شُعُورُ
 كُلِّ جَنْسٍ مِنْهُمْ لِلنَّاسِ فِي الْإِحْسَا
 سِ نِدٌّ وَفِي الشُّعُورِ نَظِيرُ
 فَلَمَّاذَا تُذِيقُهَا مَا عَلَيْهِ
 مِنْكَ لَوْ ذُقْتَهُ يَجِدُ النُّكِيرُ
 الْخِصْفِ الْحَيَوَانَ جُرْتَ عَلَيْهِ
 أَمْ لِأَمْرِ سِرِّ سِوَاهُ أَنْتَ تَجُورُ
 لَسْتُ أَدْرِي مَا سِرُّ ظَلَمِكَ وَالظُّلْمُ
 مُ بِهٍ لِلْفَتَى يَسُوءُ الْمَصِيرُ

أَمِنْتَ الْعَدْلَ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ
لَكَ عَنْهُ مَتَى رَجِمٌ وَنَذِيرٌ
إِنْ عَدَلَ إِلَهُ مَا ارْتَابَ فِيهِ
مَنْ إِلَيْهِ بِالْفِكْرِ كَانَ يَحْوَرُ
فَأَجِلْ فِيهِ طَرْفَ فِكْرِكَ تَرْجِعُ
بَعْدَ هَذَا الْعَمَى وَأَنْتَ بَصِيرٌ

من أعمى إلى عميان

الْبُاعَى بِمَحْيَاهُ سُورُورُ
وهل يا صقْرُ فيه له حُبُورُ
فقلتُ لهم عمى العُمِيَانِ أُسْرُ
وهل في الأُسْرِ يَبْتَهِجُ الأَسِيرُ
فقالوا العُمِيُّ أَكْثَرُهُمْ سِمَانُ
وهل سِمَانٌ بِلَا أُنْسٍ يَصِيرُ
فقلتُ لهم سِمَانُ العُمِيِّ مَاتَتْ
مَشَاعِرُهُمْ فليس لهم شُعُورُ
وموتُ مَشَاعِرِ العُمِيَانِ ذَرْبُ
عليه لهم مَسَارَتُهُمْ تَسِيرُ
أَلَمْ يَسَلِّمْ مِنَ السُّمَنِ المَعْرِي
وبشَارُ ومثْلُهُمَا يَسِيرُ
وأنتى يَكْتَسِي هَذَا لِحَمًّا
وكانا من ذَكَاءٍ وَهُوَ نُورُ
وما الأَنْوَارُ إِلا من سَعِيرِ
وهل يُبْقِي على اللحمِ السَّعِيرِ
ذَكَرْتُهُمَا فَيَا عَيْنِي سَبِيلَا
دَمَاءٌ ضَمَّتْهَا مَاءٌ غَزِيرُ
هُمَا أَخْوَِي قَدْ سَافَا وَإِنِي
وَمَقَّتُهُمَا وَمَا لَهُمَا نَظِيرُ

فَسَكَبْتُمَا دُمُوعَكُمَا احْتِجَاجٌ
 وَقَدْ يَحْتَجُّ بِالدمعِ الْفَقِيرِ
 عَلَى زَمَنِ عَلَى الْعُمَيَّانِ مِمَّنْ
 تَحَرَّرَ فِكْرُهُمْ فِيهِ يَجُورُ
 أَلَمْ يَمْنَعْ تَلَاقِ يَمْنَعُ لِكَيْلَا
 يُخَفَّفَ فِيهِ عَنْهُمْ مَا يَضِيرُ
 دَرَى أَنَّ الضَّرِيرَ لَهُ سُرُورٌ
 كَبِيرٌ حِينَ يَلْقَاهُ الضَّرِيرُ
 فَشَتَّتْ شَمَاهُمْ تَشْتَتِيَتْ مَنْ لَمْ
 يُقَرِّعْهُ عَلَى الْجَوْرِ الضَّمِيرُ
 كَمَا أَنَّ زَمَانَنَا مَلِكٌ ظَلُومٌ
 عَلَى ضِعْفَاءِ أُمَّتِهِ يُغَيِّرُ
 فَيَسْلُبُ مِنْهُمْ مَا يَشْتَهِيهِ
 وَمَا إِلَّا هَوَاهُ لَهُ مُشِيرُ
 تَرَاهُ فِي بَوَاحِجِ مَنْ هَوَاهُ
 دَمُوعُ الْبَائِسِينَ لَهَا بِحُورِ
 يَسِيرُونَ إِذَا يَسِيرُونَ عَلَى بُخَارِ
 صَدُورِ الْمَعْدَمِينَ بِهِ تَفُورُ
 أَكَادُ أُنُوبٍ مِنْ حَنَقِي إِذَا مَا
 تَمَثَّلَ فِي مَخِيئَاتِي شَرِيرُ
 أَعْضُ أَنْامِلِي عَاضًا لَغِيظِي
 عَلَى مَنْ تَسْتَخْفُهُمُ الشُّرُورُ
 وَأَضْرِبُ بِالْيَمِينِ وَليْسَ فِيهَا
 سِوَى عَكَازَةٍ فِيهَا فُطُورُ^(١)

(١) فطور: شقوق.

لَأَقْطُرَ رَأْسَ مَنْ يَبْغِي عَلَيَّ مِنْ
بِهِ قَعَدَتْ مِنَ النَّاسِ الدُّهُورُ
فَأَكْسِرُ مَنْ أَوَانِيَّ اللُّوَاتِي
تَأْتِيهَا عَلَى مِثْلِي عَسِيرُ
هَذَا أَفْئِقُ مِنَ أَلْمِي بِقُومِ
مَنَاطِيْدُ الشُّرُورِ بِهِمْ تَطِيرُ
فَأَعْلَمُ أَنَّنِي فِي صَحْنِ دَارِي
وَمَا حَوْلِي عَظِيمٌ أَوْ حَقِيرُ

يُمَرِّقُنِي انْحِطَاطُ الْعُمِّي حُزْنًا
وَكُلُّهُمْ عَلَى الْعَلِيَا قَدِيرُ
فَإِنْ تُعْوِزُ أَكْفُهُمْ رِمَاحُ
يَشُوقُ شَجَاعَهُمْ مِنْهَا صَرِيرُ
وَتَصْفَرُّ مِنْ مَدَافِعِ فِي دِفَاعِ
يَهْزُزُ كَرِيمَهُمْ مِنْهَا هَدِيرُ
فَفِي دَرَسِ الْعُلُومِ لَهُمْ رُقِيٌّ
تَمْنَى مِثْلَهُ الشُّعْرَى الْعَبُورُ
وَفِي دَرَسِ الْعُلُومِ لَهُمْ مَحَلُّ
تَوَدُّ لَوْ انْجَلَّتْ فِيهِهِ الْبُودُورُ

«لهوميروس» في اليونان فضلٌ
يُفَاخِرُ مِنْهُمْ فِيهِ الْفَخُورُ
و«طه» قد بنى مجدًا رَفِيْعًا
له بين الوري شَانٌ خَطِيرُ

وفي هذين أسوةٌ كُلُّ أعمى
لبيبِ قلبُةٍ قلبُ كبير

عليكم معشرَ العُميان أن لا
يَمَسُّكُمْ عن العَليَا فُتور
فقد بيني ضرير القوم مجداً
يُقصرُ أن يفوز به البصير
وليس تنالُ يا عُميانُ فخرًا
بهذا العصرِ عُميانُ تخور
فأعصارُ التكاسلِ قد تَوَلَّتْ
وهذي بالنشاطِ لكم عصور
عمى العُميانِ مقبرةٌ ولكن
لهم منها بعلمٍ هم نُشور
فبالعلم الشريف لكم حياةٌ
تحفُّ بها المَمامدُ والأجور
وهل أصنبتُ سوى هذين شخصًا
له لبُّ تَمييزُ به أمور
ولا تَرْضَوْا جهالتكم فإني
رأيتُ الجهلَ كَأَبْتُهُ عَقور
يعيشُ الجاهلون من البرايا
كما تحيا بدنياها الحمير
يحمُّها نُوها كلُّ عِبيءٍ
ويُقنعُها على الكدِّ الشُّعير

فرق كبير

أيشكو حولك الفقيرَ الفقيرُ
ومالكَ وافرُ جمُّ كثيرُ
كـأنك لا تُحسُّ له شكاةً
يُرَدُّها الأنينُ أو الزَّفِيرُ
فدعه وهو عاري الجسم طوي
فمَشْهُدٌ بؤسِهِ لك لا يَضِيرُ
لأنَّ قَبِيحَ بَخْلِكَ طَالَ حَتَّى
تَخَوَّفَهُ ففارقَكَ الضَّمِيرُ
ولا تَقْبَبْ أُمَّتِي تَشْبَعُ بِشَيْءٍ
فذاك الشَّيْءُ حَمْدٌ أو أُجُودُ
وما كلُّ امرئٍ أثرى لحمداً
وأجرٍ مستحقٌّ أو جَدِيرُ
فبعضُ اليُسْرِ في الدارين شَرُّ
على ذي اليُسْرِ منا مستطيرُ
ومنه البعضُ يُعْقِبُ حُسْنَ أَجْرٍ
وحَمْداً ليس تُبْلِيه الدهورُ
ومَغْنِيكَ الحاسِبُ عن قَرِيبٍ
وذاك العَالِمُ العَدْلُ القَدِيرُ
وما عن عدلِهِ لك من فرارٍ
ومنك عليه لا تُخْفِي الأمورُ

ستندمُ والندامةُ ليس تُجدي
 إذا الزُّراعُ أجنَّتها البُنود
 هُنالكَ بين ما يجني بخيلٍ
 ويجني محسنٌ فرقٌ كبير
 فـذاك له أسى في منزليهِ
 وذا في المنزليين له سرور
 ففي الأولى جزاءُ الفعل يأتي
 معجَّلهُ وفي الأخرى الأخير
 وعـذلُ الله لا يُلغي جزاءً
 فلا يغررُك بالله الغرور^(١)
 تأملْ هل ترى إلا أناسًا
 عن الدنيا إلى الأخرى تسيرون
 وأيُّ الذاهبين إلى ثراهم
 لتُرخى منه فوقهم السُّتور
 رأيتَ المالَ يتبعُ منه نَعشًا
 لكي يلقاهما معًا الحَفير
 ولو دَقنوا مع الموتى ثراءً
 أطالت هُزأها بهم القُبور
 وأصْبَحَ في الثرى المدفون فيه
 ثراءُ القوم وهو له نظير
 فسِيَّانِ الصفائحُ من تُضارٍ
 على الموتى هنالك والصُّخور
 جميعُ المالِ يغدو وهو إرثُ
 لأيديِّ كان عنه بها قصور

(١) الغرور: الشيطان.

فيذهب نادماً ذو البخل لكن
 من الوراث تنشرح الصُّدور
 فلا تغبط من المثرين شخصاً
 عن الإحسان يُعرض أو يجور
 فخيرُ المال ما يئنِّي رواءً
 عطاشُ الفقْرِ بارِدُهُ النَمِيرُ^(١)
 وشَرُّ المالِ ما منعَتْهُ أيدٍ
 أناساً أمرُ عُسرِهِمُ عسير
 فأشقى الناسِ كلَّهُمُ غنيٌّ
 لعافٍ ليس يُرجى منه خيرُ^(٢)
 وليس يشكُّ في مَشَقَّاهُ مِنَّا
 سوى من طَرَفُ نُهيَتِهِ ضَرِيرُ^(٣)
 تعالى اللُّهُ من لو شاء أُنزرتُ
 إناثُ الناسِ طُرّاً والذُّكُور
 فأغناء الجَميعِ من البرايا
 عليه هَيِّنٌ سَهْلٌ يسير
 ولكن غيرُ ذاك قَضاهُ فينا
 فكان اليُّسُرُ والعُسرُ المرير
 وما الإغناء والإفقاارُ إلا
 لِسِرِّ ما عليه لنا ظهور
 وظنِّي أن هذي الناسِ لولم
 يفتها ذلك السُّرُّ الخطير

(١) النمير: العذب.

(٢) العافي: طالب المعروف.

(٣) النهية: العقل.

أتى من شُحِّهِ أَعْمَى نُهَاهُ
 عن الإحسان وهو به بصير
 ولم ترَ مآربًا للناس يومًا
 إليه عن مكارمها تحور^(١)
 وظلُّوا واصطناع العُرفِ فيه
 زيودهم تُنافِسُها العُمور
 ولم يُتَمَنَّ مَنْ مَالًا قَطُّ إِلَّا
 لِيُبْذِلَهُ كَبِيرٌ أَوْ صَغِيرٌ
 ولكن سِرُّ سِرِّ اللّهِ ضَافٍ
 وقد يبـدو لناسٍ منه نور
 لذا شَغِفَتْ بِبِذْلِ العُرفِ ناسٌ
 وناسٌ منه كان بهم نُفُور

(١) تحور: ترجع.

إلى سمو الأمير الجليل الشيخ

عبدالله بن الشيخ سالم الصباح^(١)

لَيْنٌ لَمْ أَرْزُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَحَلٌّ مَنْ
عَلَيَّ لَهُ فَضْلٌ يَجِلُّ عَنِ الشُّكْرِ
كَفَضْلِ أَبِيهِ الْحُرِّ سَالِمِ الَّذِي
أَبَى حُبُّهُ إِلَّا التَّمَكُّنَ فِي صَدْرِي
فَمَا أَنْفَكَ قَلْبِي أَيْبًا مِنْهُ نَاهِبًا
إِلَيْهِ لِعَمْرِي طَوْعَ أَشْوَاقِهِ الْكُثْرِ
وَلَوْ أَنَّني أَسْطَيْعُ وَحْدِي أَزْدِيَارَهُ
لَكُنْتُ إِلَيْهِ الدَّهْرَ مَتَّصِلَ السَّيْرِ
وَلَكِنِّي مَا سَرْتُ وَحْدِي مَرَّةً
فَعُدْتُ وَلَمْ تَجْرَحْ جَبِينِي يَدُ الْجُدْرِ
كَأَنَّ لَجْدِرَانَ الْكُوَيْتِ جَمِيعَهَا
عَلَيَّ تِرَاتٌ غَيْرُ مَنْسِيَّةِ الذِّكْرِ
فَهَنْ مَتَى أَبْصَرْتَنِي دُونَ قَائِدِ
رَدَدْتُ نَظِيمَ الصَّبْرِ مِنِّي إِلَى نَثْرِ
أَظُنُّ كَمَا نِي كُنْتُ بِالْأَمْسِ وَاتِرًا
وَهُنَّ بَصْفَعِي الْيَوْمَ يَأْخُذُنَ بِالْوَيْتْرِ

(١) كان من عادة صقر أن يزور المرحوم الشيخ عبدالله سالم الصباح أسبوعيًا، وبعد عزلته انقطع عن زيارة الشيخ عبدالله سالم، فأرسل هذه القصيدة يوضح فيها أسباب عدم الزيارة وذلك بعد أن أرسل إليه المرحوم عاتبًا عليه في انقطاعه.

فَيُسَلِّمُنِي هَذَا لِذَاكَ بِصَفْعَةٍ
 وَذَاكَ إِلَى هَذَا بِصَفْعٍ لَهُ مُرٌّ
 وَلَيْسَ لِعُكَّازِي وَإِنْ طَالَ مِنْ غِنَى
 تَجَاهَ صَنِيعِ الْجُدْرِ أَوْ أَنْمَلِي الْعِشْرَ
 فَمَا بَقِيَ شَرِيدَ اللَّبِّ حَتَّى يُتَّاحَ لِي
 كَرِيمٌ عَنِ الْإِسْعَافِ لَيْسَ بِمُزَوِّدٍ
 فَيَرْجِعُ بِي لِلْبَيْتِ أَشْكُرُ فَضْلَهُ
 وَطَوْرًا أَنْالُ الْجُدْرَ بِالْمَنْطِقِ الْهُجْرَ
 وَمَا كَانَ قَوْلُ الْهُجْرِ خُلْقِي وَعَادَتِي
 وَلَا بِمُبْيَخٍ مَا بَصْدَرِي مِنَ الْحَرِّ
 وَلَكِنْ غَيْظُ الْمَرْءِ يُخْرِجُهُ إِلَى
 سِوَى عَادِهِ أَوْ ضِدِّ أَخْلَاقِهِ الْغُرِّ
 وَهَلْ لِمَغْضِظٍ مُحْنَقٍ مِنْ تَأْمُلٍ
 فَيَعْدِلُ عَنِ شَرِّ الْأُمُورِ إِلَى الْخَيْرِ
 فَمَا غَضِبَ الْغَضِبَانِ بَدَاءً وَغَايَةً
 سِوَى آفَةٍ مَغْتَالَةِ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ
 فَكَمْ غَضَبٍ أَلْقَى عَلَى عَقْلِ عَاقِلٍ
 مِنْ السُّتْرِ مَا تُلْقِي عَلَيْهِ يَدُ الْخَمْرِ
 فَقَدْ يَنْدَمُ الْغَضِبَانُ بَعْدُ كَأَنَّهُ
 مُفِيقٌ جَنَى كَبْرَى الْجَنَايَاتِ فِي السُّكْرِ
 وَأَعْرَفَ فَضْلَ الْجِلْمِ لَكِنْ مَتَى يُسْبِيءُ
 إِلَيَّ مَسِيءٌ أَنَسَ مِثْلَ الْوَرَى غَيْرِي
 وَهَلْ يَغْضَبُ الْإِنْسَانُ لَوْ عَاشَ ذَاكِرًا
 جَمَالَ مَزَايَا جِلْمِهِ الْجَمَّةِ الزُّهْرُ
 فَأَوِي إِلَى بَيْتِي وَثَوْبِي لَا تَرَى
 بِهِ أَوْ بِجَسْمِي مَوْضِعًا غَيْرَ مُغْبَرٍّ

فيتركني ذاك الفتى بعد قوله
 أرى لك أن تبقى من البيت في العُقر
 فما لضريرٍ في فراقٍ مكانه
 من الريح إلا ما يقلُّ عن الخُسْر
 فلست أرى ربحًا وإن جَلَّ وافيًا
 بما تركت في وجهك الجُدْرُ من حَفْر
 وما رَقَّتِ الجُدْران يومًا لحالتي
 وهل رِقَّةٌ للطين تُرجى أو الصَّخْر
 وإن أنج منها لم أَعُدْ قَطُّ ناجيًا
 إلى منزلي من وقعةٍ بي للحمْر
 فكم أوجعتُ صدري صِلابٌ صدورها
 وكم عَفَّرتُ ظهري بطرحي على العُقر
 ولم يَرث لي من قد أفلتَ ظهورها
 لِقَلَّةِ ما فيهم من الفهم والحِجْر
 كأنني لديهم للحمير ممازح
 فليس لديهم غيرُ ضحكهم المُزري
 فمهما أقعُ مستلقيًا لا تجدَ فَمًا
 على منظري من جهلهم غيرَ مُفْتَرٍ
 كأنهم شاءوا بإرسال ضحكهم
 زيادةً ما قد ألحقوني من الشرِّ
 وإن كان فيهم عاقلٌ كان عقله
 بمشبهٍ شَتَمي من ملامي له يُعْري
 فهذا له ضحكٌ وذاك ملامةٌ
 خلال نهيقٍ من حميرهم نُكْر
 فتسمع أذني ما أودُّ لأجله
 بأن على أذني رتاجًا من الوُقْر

ويا ربما فارقتُ قبلَ فِراقهمُ
 صوابيَ أو قد غبتُ عنه على الإثر
 فأمضي بلا رُشدٍ كأي سفينةٍ
 بملتطم الأمواج من لُججِ خُضر
 وقد كسرتُ منها يدَ الموجِ دُقَّةً
 وما لذويها بالنجارة من خُبْر
 فَظَلْتُ بهم تجري إلى غيرِ جهةٍ
 بغير الذي ينوونَ من جهة العُبر^(١)
 تميلُ بها للقصد طوراً وتارةً
 تميلُ بها عنه يدُ الريح بالقُسر
 فأمشي بأثناء الشوارع تائهها
 كمكسورة السُكبان في وسط البحر
 إلى أن يراني راحمٌ فيكون لي
 دليلاً ويثني عسرَ أمري إلى يُسر
 فيوصلني بيتي يُحدِّثني بما
 يراه يؤدِّي كسرَ قلبي إلى جُبر
 ولم أر أمثالَ الأنام تباعدوا
 طِباعاً على رغم التقارب بالنُجر^(٢)
 فهذا يؤاذيني وهذا يقوم لي
 بنفي الأذى في السرِّ عني والجهر
 ملائكةً بعضُ الأنام وبعضهم
 شياطينُ إلا بالمنظرِ والجِذر



(١) العبر: الشاطئ.

(٢) النجر: الاصل.

وكم حَوَّلَتْ سِيَارَةً بِصَفِيرِهَا
 أَنَامَلَ كَفِي الحُمُرِ خَوْفًا إِلَى صُفْرِ
 وَقَدْ يَصْفِرُ الدَّرَاجُ حَوْلِي غَافِلًا
 لِأَبْعَدَ عَنْهُ أَوْ يُنَبِّئُهُ بِالنَّقْرِ
 فَأُرْعَدُ نَعْرًا مِنْهُ حَتَّى كَأَنَّمَا
 تَمَشَتْ بِجِسْمِي كُلَّهُ رِعْدَةُ القُرِّ
 وَلَا غَرَوُ أَنْ خَافَ الدَوَاهِسَ جَاهِلُ
 وَجِوَةَ المَنَاجِي مِنْ حَوَادِثِهَا الغُيْرِ
 فَكَمْ رُمْتُ أَنْجَى الفَرِّ مِنْهَا فَكَانَ مَا
 أَتَيْتُ بِهِ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَهْلِكَ الكَرِّ

وَلَسْتُ أَرَى لِي قَائِدًا مَتَطَوَّعًا
 يُلَبِّي مَتَى نَادَيْتَهُ بَغْيَةَ الأَجْرِ
 وَمَا قَلَّتِ القُودُ لَكِنْ جُلُّهُمْ
 بِمَا يَبْتَغِي مِنْهُ المَقُودُونَ لَا يَدْرِي
 وَمَنْ يَدْرِي يَغْفُلُ فَالْجَنِيْبُ لَجَنِبِهِ
 مِنَ العُمِّي يَطْوِي الطُّرُقَ مَعَهُ عَلَى نُعْرِ
 فَمَا كُلُّ مَنْ قَادَ الضَّرِيرَ بِكَائِنٍ
 عَلَى حَسْبِ مَا يَهْوَاهُ فِي المَسْلِكِ الوَعْرِ
 وَمَنْ نَقَّ مِنْهُ الحِسُّ لَمْ يُلْفِ قَائِدًا
 كَمَا يَتَمَنَّى إِذْ يُبَكِّرُ أَوْ يَسْرِي
 فَمَا دَقَّةُ الإِحْسَاسِ إِلا بَلِيَّةُ
 وَإِنْ عَدَّهَا نَعْمَاءَ كُلِّ امْرئٍ غَيْرٍ
 فَلَوْ لَمْ يَدِقَّ الحِسُّ مَنِّي لَمْ يَعُدُّ
 عَلَى صِغْرِي يَبِيضُ مَا اسْوَدَّ مِنْ شَعْرِي

وأما الذي يشفي ويكفي فإنه
 إلى عَقَوْتِي من شِقَوْتِي غيرُ مُنْجَرٍ^(١)
 فأرمني إذا شئتُ الخروجَ بمقودي
 لزيدٍ على حُكْمِ الضَّرورةِ أو عَمرو
 فأمشي كما يهواه من ثَيِّبِ المِشَى
 إلى جنبه مستسلماً ومن البكر
 فكم مشيةٍ لا عهد لي بمثيلها
 تمشيئُها بين التعنُّرِ والطُّمْرِ^(٢)
 ولو أنني قد نلت أرأفَ قَائدٍ
 وأرحم حتى من أبي المشفقِ البَرِّ
 وقلت لِنَفْسِي تلكَ منيتك التي
 أطلت تمنيتها فقَرِّي بها قَرِّي
 وسأيريني يوماً على متن منهج
 سَوِيٍّ، خَلِيٍّ من مخاطِرِهِ، قَفْرِ^(٣)
 لعنَّ من الجُـبْنِ الذي هُوَ فِطرتي
 هنالك ما يثني سكوني إلى نَفْرِ
 فما ينتهي بي من سبيلِ نَجْوِها
 ولم يطوِّ قلبِي الخوفُ منها على فَطْرِ^(٤)
 وليس له ذنبٌ ولكن سَجِيَّتِي
 لها وحدها الذنبُ الذي جَلَّ عن غَفْرِ
 وأما إذا ما قادني من ضَرورتي
 إليه رَمَتْ بي من ذوي الوئبِ والطُّفْرِ

(١) العقوة: ما حول الدار والساحة.

(٢) الطمر: الوئب.

(٣) المنهج: الطريق الواضح.

(٤) الفطر: الشق.

فلا تسألن عن حالتي إنْ حالتي
 لأدْمَعِ حَتَّى مِنْ قَلَوْنِي تَسْتَنْذِرِي
 فلو أبصرت عين العتيبي بعضهم
 وقد أمسكت يميناً أنمَلْتِي «صَقْر»
 لَهْمٌ كَمَا تَقْضِي المودَّةَ مَشْفِقًا
 بنَهْرِي على إِفَلَاتِي البَيْتِ أَوْ رَجْرِي
 وقال أرى يا صقر - ما دمت لا ترى
 طَرِيقَكَ - أن تبقى مدى الدهر في الوكر
 فليس لصقر أن يُبَارِحَ وَكْرَهُ
 إذا سَدَّتِ العَيْنِينَ مِنْهُ يَدُ الضُّرِّ
 فما طَارَ مَكْفُوفٌ الصُّقُورِ فَسَالَمَتْ
 جَنَاحِيهِ قَبْلَ اليَوْمِ عَادِيَةُ الكَسْرِ
 فلا تَجْمَعَنَّ كَسَرَ الجَنَاحِ إلى العَمَى
 فجمعهما يا «صقر» قاصمة الظُّهر
 فكن أبدأً جِلسًا لِبَيْتِكَ لَازِمًا
 لِكِسْرِيهِ حَتَّى يَنْقُلُوكَ إلى القَبْرِ
 فلو شاء رَبِّي غَيْرَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ
 بَعَيْنِكَ مِنْ كَفِّ وَكْفِكَ مِنْ عُسْرِ
 وَها أَنَا لَمْ أَخْرُجْ مِنَ البَيْتِ سَاعَةً
 إلى من نأى أَوْ مِنْ دَنَا غَيْرَ مَخْطَرٍ

كَأَنَّ إلهي شاء قَبْلَ تَرْحُلِي
 إلى العَالِمِ المَسْتَوْرِ غَسْلِي مِنْ الوِزْرِ
 وليس لوزري غاسلٌ مِثْلُ شِقْوَتِي
 فَاسْبِغْ مِنْهَا مَا يَفِي لِي بِالظُّهْرِ

لهاتيكُم الأسبابِ قَلْتُ زيارتي
وإن كنتُ من شوقي إليكم على جَمْر
فلم أَسْأَلْ عن أَفْقٍ عَهْدْتُكَ بَدْرَهُ
وأَمجادُ أصحابي به هالَةٌ البدر
ومما كلُّ مَنْزور اللقَاءِ بناشئٍ
لَعَمْرِي عن قُلٍّ من الشوقِ أو نَزْدٍ
فيا رَبُّ نِي وصلِ كَثِيرِ بلا هَوِي
وأخِر تَلقاه على عكسه يجري



أَمْوِلايَ عِبْدَ اللَّهِ أَحْلَفُ بِالذِي
أُؤَمِّلُ مِنْهُ أَنْ يَزِيدَكَ فِي الْعُمُرِ
وَأَنْ لَا يَرِيكَ الدَّهْرَ سِوَاءًا بَأَنْ لِي
إِلَيْكَ اشْتِياقُ الْمُجْدِبِينَ إِلَى الْقَطْرِ
وَلَكِنْ لِأَسْبَابٍ كَشَفْتُ وَجْهَهَا
بِما مَرَّ مِنْ قَوْلِي فَجِئْتُ بِلا سِئْرٍ
غَدوتُ مُقْبِلًا مِنْ زيارتكِ التي
يَقِلُّ على إِقْلالِ أَمْثالِها صَبْرِي
فإِنْ تَلَّقَ عُذْرِي بِالْقَبُولِ فَذاكِ ما
رَجوتُ وَلَمْ أَتْرُكْ حِجابًا على عُذْرِي



في اسمه

يقولون لي يا صقرُ ما لك واقِعًا
من الكَفِّ عن طَيْرِ القَرِيضِ على وَكْرِ
إذا لم تُحَلِّقْ في فضا الشُّعْرِ صائِدًا
طيورَ مَعَانِيهِ فما أنت بالصُّقْرِ
وما علموا أن المقاديرَ قد رَمَتْ
جناحِي عن قوسِ الحوادثِ بالكُسْرِ
إلى الله أشكو أنني في معاشِرِ
رأوني من الإعسارِ كالواوِ في عَمْرٍو

صرخة في العرب في أثناء جهاد فلسطين

بني يعربٍ من كُلِّ ذي نجدةٍ حُرِّ
فلسطين مسنَّتها يدُ العسفِ والجورِ
وأنتم لها نعم العتاد فهَيِّئُوا
قواكم وسيروا نحوها أسرعَ السَّيرِ
ولا تقعدوا حتى ولو لم يكن لكم
سلاحٌ سوى الإيمان والحقِّ والصَّبْرِ
أَجْمَعُ شُدَّاذُ اليهودِ نفوسهم
وما ملكوا من وافرِ البيضِ والصُّفْرِ
لأخذِ فلسطينَ العزيزِ مكانها
ورمِّي أهاليها بقاصِمةِ الظُّهرِ
ولمَّا نُنَارِلُهُمْ نزالاً يَرُدُّهُمْ
وقد يئسوا من مثلها آخرَ الدهرِ
لئن لم يُثِرْنَا ما فلسطينُ تشتكى
أذاهُ فإنَّا في ضلالٍ وفي خُسْرِ
عُرفنا قديماً بالوفاء وإنني
أرى عن فلسطينِ التخلِّي من الغدْرِ
عجبتُ لجسمٍ يستقرُّ وبعضُهُ
يقلُّبُهُ الظلمُ الشنيعُ على جَمْرِ
شيوخٍ وأطفالٍ صغارٍ ونشوةٍ
تئنُّ من البلوى وتشكو من الضُّرِّ

فكم أيمٍ تشكو هنالك شَجْوَهَا
 وكم ثمّ من طفلٍ لأدمٍ عِوَاهِ يُذْري
 وكم من أخي شيخوخةٍ متجلّدٍ
 على ما به من كل محرّجة الصّدر
 وقد جاهدت شُبَّانَهُمْ وكُهُولَهُمْ
 جهاداً بهاليلٍ غطارفةٍ عُمرٍ^(١)
 جهاداً به قد أعربَ الكلُّ منهم
 لعُربِ الوريّ والعُجمِ عن كرمِ الجِذر
 جهاداً فؤادُ المجدِ سُربُ بوقِعه
 وعادت له العلياء باسمَةَ النَّعْر
 وما برحوا منه يُقيمون كلَّ ما
 يُدالُّ به عُرفُ الحقوق من النُّعْر^(٢)
 وقد أصبحت فرضاً معونتُهُمْ بما
 تصونونَ من غالي الحياةِ أو التُّبْر
 لمن نُحْرنا أموالنا ونفوسنا
 إذا ما رغبتنا عنهم اليومَ بالنُّخْر
 وما قولنا لله إن لم نُعِنهُم
 إذا ما وقفنا مَعَهُمْ وقفَةَ الحَشْر
 إلى قومنا قوموا بنا فلقد شَجَتْ
 مصيبتُهُم حتى الأصمُّ من الصُّخْر
 لنشهدَ مَعَهُمْ ما به يُحررُ الفتى
 شهادتُهُ أو يجتني ثَمَرَ النُّصْر
 فما المرءُ إلا من يشارك قومه
 من العيش في حلِّ المذاقة والمُرِّ

(١) البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لكل خير. والغطارفة: جمع غطريف وهو السيد.

(٢) يدال: تجعل له الدولة.

إذا كان عُمُرُ المرءِ حتمًا سينقضي
 ففي مثل ما هَبَّوا له يا دَمِي فاجِرِ
 نسورٌ وأسائدٌ سعى كلُّ ظالمٍ
 لإخراجها ظلمًا من الغابِ والوَكْرِ
 فعزُّ عليهم أن يكونوا فرانسًا
 يمزقُها الطغيانُ بالنابِ والظُفرِ
 فهَبَّوا كما تقضي العُلا عن جماهُمِ
 يذودون ذودَ الليثِ ضُويقَ والنَّسْرِ
 فإن تنجدوهم يا بني العربِ تُنقذوا
 نفوسَكُم لا غيرها من يدِ الشُّرِّ
 وما لكم إن لم تقوموا بنصرهم
 لدى الله والإنصافِ والمجدِ من عُذرِ
 ومن ذا يرى عُذرًا من الناسِ للألئى
 إلى يعربٍ مَتَّوا بأصرةِ النَّجْرِ^(١)
 إذا قَعَدوا عن نصرِ إخوانهم بما
 لديهم من الأرواحِ جَبْنًا أو الوَقْرِ
 وهل من أوانٍ مِثْلِ هذا لطالِبِ
 رضى الله في بذلِ الحطامِ أو العُمُرِ
 عفاءً على غيرِ المعينِ بمالهِ
 ومهجتهِ إخوانه ساعةَ العُسْرِ
 أما يتَّقِي سُخْطَ الإلهِ يَصُبُّهُ
 على رأسه أو يستحي من نويِ الحِجْرِ^(٢)
 ألا ما الذي غَرَّ اليهودَ فأملوا
 حصولاً على مالا يُنال من الأمرِ

(١) النجر: الأصل.

(٢) الحجر: العقل.

ألم يعلموا أننا بنو الجرأة التي
يَحُولُ بها سَهْلُ الطُّغَاةِ إِلَى وَعْرٍ
وأنا الشُّجَا في حُلُقِ كُلِّ مَحَاوِلٍ
لدينا ولو أَخَذَ القُّلَامَةَ بالقَسْرِ
وأنا بَنُو مَنْ لَمْ يَكُنْ قَطُّ مِنْهُمْ
فَتَى جَفَنُهُ يَغْضِي عَلَى مَضَضِ الوِثْرِ
لئن جَاهَلُوا مِنْ نَحْنُ قَبْلُ فَكُلُّهُمْ
سَيَصِيحُ بَعْدَ اليَوْمِ وَهُوَ بِنَا يَدْرِي
أَلَا سَأَلُوا عِنَا الحُرُوبِ لِيَعْرِفُوا
حَقِيقَتَنَا بَيْنَ الظُّبِي وَالقَنَا السُّمْرِ
أَلَا سَأَلُوا التَّارِيخَ عِنَا لِيغْتَدُوا
عَلَى خَبْرَةٍ مِمَّا نَرِيشُ وَمَا نَبْرِي

سلطان بن إبراهيم الكليب^(١)

ألا ليت سلطاناً سـلاطينُ بيننا
لكيما يعمَّ العطفُ مِنّا ذوي الفقْرِ
ولكنه يا للمصيبةِ واحدٌ
وعَدُّ ذوي الإقلالِ فاتِ يدِ الحَصْرِ
وأبي فتى فينا سواه قد انبرى
لمسحِ دموعِ البائسين التي تجري
فإن فخرتْ بالمحسنين ديارهم
تخلتْ بلسطانِ الكويتِ حلى الفُحْرِ
لقد قلَّ أهلُ العطفِ بين معاشري
وما قلَّ أصحابُ الوجاهةِ واليسرِ
كأن قلوبَ الكلِّ منهم تكوَّنتْ
تُجاهَ صنيعِ البؤسِ من أصلبِ الصُّخْرِ
فلا رحمةً منهم ولا رأفةً بمن
رَمَتْهُمُ يدُ الإفلاسِ بالنُّوبِ الغُبرِ
إذا لم يجِدْ الجِدُّ من عزمِ قائمِ
ببذلِ مَساعٍ مثلِ مَسعاتِهِ غُرِّ
وهيهاتَ أن نلقى كسلطانَ من فتى
لإصلاحِ حالِ أفسدتها يدُ الدَّهرِ

(١) سلطان بن إبراهيم الكليب من أعيان أهل الكويت تولَّى إدارة البلدية مدة من الزمن ثم انتخب عضواً لمجلس المعارف عام ١٩٥٣م، وهو من محبي عمل الخير فلا يسمع بنكبة عائلة إلا أسرع بجمع الإعانة لها من الأغنياء وغيرهم.

سَيُذَكِّرُ سُلْطَانُ بَمَا هُوَ أَهْلُهُ
لدى الله والأبرار من طيب الذكـر
وأشكره مهما جرى ذكـر محسن
من الناس في نظم المقال أو النثر
ولو كنت مختاراً وهبت لعمره
بقية ما أوتيت من مدة العـمر
ليبقى طويلاً من تردُّ جهوده
كسیر قلوب البائسين إلى جـبر
ففسحة حياة تُقر عيونهم
ولو لم يقل منه اللسان لها قـري
فقد عرفوه راحماً متعطفاً
عليهم لما يبدو لهم واسع الصدر
إذا غيرة لا قاهم بقطوبه
- كما تقتضيه قسوة القلب - والكـبر
تلقاهم سلطان عن رحمة لهم
وعن رافة بين التواضع والبشر
وشتان بين المرء يختال عابساً
عليهم بهم للحزن منظره يُغري
وأخر بسام لهم متواضع
يُسـرُّ بمرأى وجهه كل ذي طـمر^(١)
ومن أي حب لله للمرء جـبره
قلوباً رمتهن الحوادث بالكـسر
تعود حق القول شعري وصدقته
لذا لم يكن من شكره نافرًا شعري

(١) الطمر: الثوب البالي.

ولو أنني كلفْتُهُ الزُّورَ أَصْبَحْتُ
 قوافيهِ عني في ازورارٍ وفي نَفْرِ
 أحق الوري بالشكرِ مِن كلِّ شاكرٍ
 مهيبٌ بأيديهم إلى عملِ الخيرِ
 أسلطانُ لَيْتِ القومِ يَدرونَ كُلُّهم
 حقيقةً معني بِرَّهِمْ مثل ما تدري
 فلو فهموا معناه فهمك حَاقُوا
 بأفاقِهِ تحليقاً أنجمِهِ الزُّهرِ
 وشقٌّ من اللأواءِ ظلمةٌ ليلها
 سنا البرِّ عَمَّنْ تحت ظلمتِهِ يَسري^(١)
 ولم ترَ عيناكَ الألى وهبوا الغنى
 يُسِقُّونَ إسفافاً إلى البَحْلِ المُزري



ألا ليت شعري ما الذي ظنَّ نَيْلُهُ
 بمنعِ حقوقِ الله من مالِهِ المُتْري
 أظنَّ خلوداً في الدُّنْيا وهو لم يَزَلْ
 يرى الموتَ منّا أحمرَ النَّابِ والظُّفْرِ
 أمِن حزمِ نبي الأموالِ منعُ حقوقها
 وعنْها عوادي الموتِ تؤذِنُ بالسُّيْرِ
 وكم قد رأى من قبله باخلاً مضى
 وغادَرَ كلَّ المالِ بالرغمِ للغيرِ
 فراح بلا نكيرٍ حميدٍ وراءَهُ
 وقُدَّامَهُ هَوْلُ الماتِمِ والوِزْرِ

(١) اللأواء: الشدة.

فَعَوَّدَهُمْ سُلْطَانُ بَسْطِ أَكْفَهُمْ
 بِتَذْكَيرِ كُلِّ مِنْهُمْ حُفْرَةَ الْقَبْرِ
 وَأَنَّ الْمَنِيَا قَادِمَاتٌ وَأَنَّه
 بِهَا سَيَخْلِي وَفُرَّهُ كُلُّ ذِي وَفْرِ
 وَأَنَّ أَمَامَ الْكُلِّ يَوْمٌ حَصَادِهِ
 نَتَائِجَ مَا أَلْقَتْ يَدَاهُ مِنَ الْبَذْرِ
 أَيْرْتَابُ فِي الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ قَلْبُ مَنْ
 لَهُ مَرشِدٌ مِنْ صِحَّةِ الْحِجْرِ وَالْفِكْرِ
 إِذَا شَكَ فِي رُسُلِ الْمَهِيْمِنِ بَعْضُنَا
 وَكُلِّ كِتَابٍ مَنزَلٍ مِنْهُ أَوْ سِقْفَرٍ^(١)
 فَهَلْ رَيْبَةٌ تَعْرُوهُ فِي الرُّسُلِ الْإِلَهِيِّ
 عَلَيْهَا طَوَاهُ كَالضَّمِيرِ وَكَالْحِجْرِ
 وَمَا بَيْنَ جَنْبَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي
 تُبَيِّنُ لَهُ عُرْفَ الْأُمُورِ مِنَ التُّكْرِ
 فَعِظْهُمْ وَدَكِّرْهُمْ عَوَاقِبَ مَا أَتَوْا
 وَيَأْتُونَهُ فِي السُّرِّ مِنْهُمْ أَوْ الْجَهْرِ
 وَقُلْ لَهُمْ مَا «أَمْ دَفَرٌ» وَفِيَّةٌ
 لِخَلَصِهَا الْمَخْدُوعِ وَالْغَافِلِ الْغِرِّ^(٢)
 تُمِرُّ إِذَا أَحْلَتْ وَتَكْدُرُ إِنْ صَافَتْ
 وَتَرْفَعُ لَكِنْ رَفْعُهَا عَامِلُ الْجَرِّ
 فَتُحْزِنُ إِنْ سَرَّتْ وَتَسْلُبُ إِنْ حَبَّتْ
 وَتَطْوِي بِسَاطِ الْوَصْلِ مِنْهَا يَدُ الْهَجْرِ
 فَإِنْ أَسْعَدَتْ أَشَقَّتْ وَإِنْ سَالَتْ رَمَتْ
 مِنَ الْحَرْبِ يَوْمًا مَا بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ

(١) السفر: الكتاب الكبير، وأيضاً الجزء من أجزاء التوراة.

(٢) «أم دفر»: هي الدنيا.

فلا تمنحوها الحبَّ أجمعَ وانذروا
 لضرَّتِها من حُبِّكم أنفَسَ الذُّخْرِ
 ومن غرَّ منها بالتَّوافي فقل له
 لقد لِبِسْتِ ثوبَ التَّوافي على غَدْرٍ
 وإن انقِلابَ الحالِ منها لحكمةٍ
 سماويةٍ لكلِ مرفوعةِ السُّترِ
 فأحوالُها ذاتُ التَّحوُّلِ ألسُنُ
 وإن لم تُرْكَبْ بينَ فُكَّيْنِ من تُغْفِرُ
 تصيحُ بمنِ دنياهمُ أسكرتهمُ
 أفيقوا قُبَيْلَ الموتِ من ذلكِ السُّكْرِ
 وما جَمَّجَمَتْ بل صرَّحتْ بعِظاتها
 ولا بدَّلتْ جهرَ النصيحةِ بالسُّرِّ (١)
 فكم عِبرةً أفشَّتْ وكم عِظَةً تَلَّتْ
 أحسُّ بها نو السمعِ مِنَّا وذو الوَقْرِ
 وقد أسهبتْ في الوعظِ حتى غدت بهِ
 تسُدُّ على مَنْ لم يُفِقْ طُرُقَ العُذْرِ
 فَرِزْدُ واعظًا في وعظِها القومَ قائلًا
 أأعددتُّمُ للموتِ زادًا وللحَشْرِ
 لئلا يزلوا ذاكرينَ منازلًا
 إليها من الدنيا نسيرُ على جِسْرِ
 وأن ليستِ الأعمارُ إلا نجائبًا
 ولسنا على أكوارهنَّ سوى سَفْرِ
 فما اغتَرَّ بالدنيا الخدوعِ سوى امرئِ
 أصيبَ بنسيانِ المنيَّةِ والنَّشْرِ

(١) جمجت: أخفت ولم تبين.

ولا ضَمَّ مفروضَ الحقوقِ ونفَّلَها
لمن أملقوا شُحاً إلى مالهِ الكُثْر
سوى الحائِرِ المرتابِ في أنه على
صَنِيعَتِهِ يُجْزَى حَدُّكَ الشُّبْرَ بالشُّبْرِ
ولو أعملَ العقلَ السليمَ لرحِزحتُ
نُجَى الشكِّ من إيمانه طلعةُ الفجرِ
فعقلُ الفتى يُبدي عواقبَ أمرِهِ
إذا لم يزل منه يسير على الإثر
لعلَّ قلوباً قد قست سئلينُها
تذكُرُها العُقبى من الخيرِ والشرِّ

مصر وقضية فلسطين^(١)

في سنة ١٩٣٧ أيام فاروق والنحاس

لومي فلسطين العزيزة أو ذري
مِصراً على هذا السُّكوتِ المُنكِرِ
سكَّتْ وصوتُ الظلمِ يدوي مولئاً
تقسيمك المُشجى كأن لم تَشعُر
أدمى قلوب العُربِ شجواً فانبروا
كالأسدِ حين يهجن أو كالأنسُرِ
وتعاهدوا أن لن يمسك من أذى
مال تغيبهم بطن الأقبُر
وتقاعست مصر فكان صنيعها
للضاد والإسلام شرٌّ مُكدر
فهُما إليها بعد كل تجلّة
لا ينظران بغير عيني مُصغر
أمناط أمال العروية والهّدى
غادرت كلاً منهما بك يزدرى
أزرى بقدرِك ما إليه ركنت في
هذا السكوتِ بدون أيّ مبرر
أتنام عينا مصرَ في الليل الذي
وافى مُجيباً بها بأنكدر مُسهر

(١) نشرت في مجلة السجل في ١٢ من رجب سنة ١٣٥٦ الموافق ١٧ أيلول ١٩٣٧.

ولقد ظنناها تُبادِلنا الهوى
فإذا الظنون كواذبُ في المخبِر
من نام عن ليلٍ يُسهِّدُ عينه
ثم ادَّعى حُبِّي فدعوى مُفتر
إن كان تحريراً البلادِ يعوقها
عن أن تقوم بواجبِ المتحرر
فعلى تحررها العفاءُ فما له
فضلٌ على استعبادها المتوكل
أيسرُ مَصراً أن تُرممَ مجدها
بممرقٍ من مجدنا ومبعثر
ولعلنا نلقى لها أقوى يد
إن نازلت يوماً غدواً يجتري
وأحقُّ من مَصرٍ بكلِّ ملامةٍ
ذاك الذي يدعونه بالأزهر
كنا نؤملُ أن يقيم قيامه
إن لم تُرقِ مُهَجُ الأعادي تُذعر
فإذا تثاقفهُ يطولُ كأنما
دهنَ العِدا أعصابه بمخدرٍ
أيصدُّ عن أمسِ الجهادِ ويومه
رغم اقتضاء الواجبِ المتكرر
ولقد حسبنا أن يُمدَّ جِهادنا
منه بأكبرِ نافرٍ مستنفر
أالجُبنة قد صدَّ أم لرضائه
عن جورِ حُكْمِ الظالمِ المتنمر

وَكِلَاهُمَا أَمْرٌ صُدُورُ نَظِيرِهِ
 يُمَسِّي وَيُصْبِحُ وَهُوَ عَارُ الْمَصْدَرِ
 أَرْعِي مَنَا الدِّينِيَّ إِن زَعِي مَنَا
 بِالْحَقِّ مَنْ لَدِمَا مَنَا لَمْ يَخْفُرْ
 أَتَظُنُّ أَنْ يَرْضَى زَعَامَتَكَ الْأَلَى
 مَهْمَا دَعَاهُمْ وَاجِبٌ تَتَأَخَّرِ
 مَاذَا رَأَى الْإِسْلَامَ مِنْ خَدَمَاتِهِ
 عِنْدَ الزَّعِيمِ سِوَى الْمَقَالِ الْمُخْجَرِ
 فِإِلَى الْفِعَالِ عَنِ الْمَقَالِ فِغْرَسُهُ
 لَمْ يَجْنِ غَيْرَ سَامَةِ أَوْ يُتْمِرِ
 أَعْطِ الزَّعَامَةَ حَقَّهَا أَوْ خَلَّهَا
 وَتَنَحَّ عَنْهَا لِلْأَحَقِّ الْأَجْدَرِ
 مَا الْمَجْدُ ثَرْتَةٌ وَلَكِنْ غَضِبَةٌ
 لِلْحَقِّ تُرْضِي صَارِمًا أَوْ سَمَّ هَرِي
 مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ مَسْتَطَاعَ جَهْوَدِهِ
 لَذَوِيهِ يَوْمَ جِهَادِهِمْ لَمْ يُغْدَرِ
 أَوْ مَا رَأَتْ عَمَلَ الْعِرَاقِ وَصَنَعَهُ
 مَصْرًا وَأَزْهَرَهَا بَعَيْنِي مَبْصِرِ
 شَمَلَتْ ذَوِيهِ غَضِبَةٌ مَخْزِيَّةٌ
 كَانَتْ لَهُمْ مَهْمَا اسْتَثْبِرُوا تَعْتَرِي
 تَرَكْتَهُمْ مَا بَيْنَ جَامِعِ نَفْسِهِ
 يَنْوِي الْوُثُوبَ وَوَاثِبٍ وَمَزْمَجِرِ
 لَمْ تُبْقِ فِي أَكْنَافِهِ مَنْ لَمْ يَقُمْ
 طَوْعَ الْحِفَاظِ الْمُرِّ أَوْ لَمْ يَرَأْرِ

فكانه غاياتُ «بيشنة» لم يكن
 فيهنَّ إلا كلُّ ضارٍ قَسْوَرِ (١)
 ونكادُ نجزمُ أنه هي إذ رمى
 كيدَ العدوِّ بكلِّ ليثٍ مُخْدِرِ (٢)
 قد أظهرت منه نوازلُ جاره
 ما كان من حُبِّ لديه مُضْمَرِ
 صِدْقُ الأُحْبَةِ كامنٌ ومتى عرا
 خطبُ يَشْتَقُّ على الأُحْبَةِ يَظْهَرِ
 لا يعرف الإخوان من يبلوهمُ
 ما لم يكابد قاصمات الأظهرِ
 فليحْيِ محمودَ الوفاء لجاره
 قُطِرَ العراق بكلِّ يومٍ أغبرِ
 فبما أتى من صنعه المحمود إن
 قمنا نُباهي من يباهي نُفْخَرِ
 ستظلُّ في تاريخه أعماله
 بيضَ الصحائف نِيَّراتِ الأسطرِ
 وإذا اتَّهَمْتُ بمدحِهِ لحبِّي
 ولكونِ عنصُرٍ ساكنيه عنصُرِي
 فالمنصفون من الورى ما فيهمُ
 من لم يُجِلَّ صنيعةً أو يُكْبِرِ
 والفضلُ حتى من أعادي أهليه
 إن شاء جاء بمنصفٍ ومقدِّرِ
 فمتى أردتَ مسرَّتِي فأدِرْ على
 سَمْعِي أكوسَ ذكرهِ أستبشِرِ

(١) بيشنة: موضع اشتهر بوجود الأسود فيه.

(٢) الأسد المخدر: الذي لزِمَ خدره أي عرينه.

وَتَنَاسَ مَا أَبَدْتَهُ مَصْرُ لِأَخْتِهَا
 فَمَتَى تُجَدِّدُ ذِكْرَهُ أَسْتَغْفِرُ
 الْمِثْلُ هَذَا الْخَطْبِ تُسَلِّمُ أَخْتَهَا
 أُخْتُ وَوَجْهَ الْعَوْنِ لَمْ يَتَسَنَّأْ
 يَا لَيْتَ غَائِبَ مَصْرَ عَنَّا لَمْ يَغِبْ
 أَوْ لَيْتَ حَاضِرَهَا لَنَا لَمْ يَخْضُرْ
 لَوْلَمْ يَغِبْ يَا مَصْرُ «سَعْدُكَ» مَا أَتَى
 «نَحَّاسُكَ» الْأَمْرَ الَّذِي لَمْ يُشْكِرْ
 أَيَّرِي فَلَسْطِينَ الْعَزِيزَةَ تَشْتَكِي
 ظُلْمَ الطَّغَاةِ وَلَمْ يُعِنْ أَوْ يَنْصُرْ
 هِيَهَاتَ مَا سَعَدُ بِتَارِكِ مِثْلِهَا
 فِي كَفِّ وَحْشِيِّ السِّيَاسَةِ بَرِّبْرِي
 إِنِّي لِأَذْكَرُهُ فَاذْكُرْ عَهْدَهُ
 عَهْدَ الْوَفَاءِ الْمُسْتَقِيمِ لِمَعْشَرِي
 وَأَقُولُ يَا مَصْرُ اسْتَجِيدِي مِثْلَهُ
 وَاسْتَوْزِرِي إِنْ شِئْتِ أَنْ تَسْتَوْزِرِي
 يَا مَصْرُ أَمْسِ رِبْحَتِ كُلِّ قَلْبُونَا
 وَالْيَوْمَ لَمْ تَرْضَيْ سِوَى أَنْ تَحْسَرِي
 يَا مَصْرُ مَا هَذَا بِخَطَّةِ حَازِمٍ
 فَتَأْمَلِي مَا جِئْتَهُ وَتَدَبَّرِي
 يَا مَصْرُ تُؤْبِي مِنْ ذُنُوبِكَ وَأَنْدَمِي
 نَدْمًا يُبَدِّدُ إِثْمَهَا وَاسْتَغْفِرِي
 فَعَلَى الْعِتَابِ قَلْبُونَا مَفْتُوحَةٌ
 لَكَ بَعْدُ لَمْ تُوصَدْ وَلَمْ تَتَغَيَّرْ
 فَلْتَرْجِعِي مِنْهَا مَكَانَكَ قَبْلَ أَنْ
 تَرَى الرَّجُوعَ إِلَيْهِ غَيْرَ مُيسَّرِ

إِنْ تَخَسَّرِينَا تَفْتَحِي مِنْ بَعْدِنَا
أَبْدًا عَلَى الْأَعْدَاءِ عَيْنِي أَعْوَر
يَا مَصْرُ أَحْدَاثُ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ
وَلَهُنَّ مِثْلُ وَدَادِنَا لَمْ يُذْخَرْ
وَلئِنْ نَسِيْتِ وَفَاعِنَا فِي كُلِّ مَا
يُنْسِي الشَّقِيقَ شَقِيقَهُ فَتَذْكَرِي
يَا مَصْرُ مَا شَرُّ التَّنَكُّرِ عَائِدٌ
فِي مَا أَرَاهُ عَلَى سِوَى المُنْتَكِرِ



وَأَخْصُ بِالشُّكْرِ الَّذِينَ أَبَوْا لَنَا
إِلَّا المَعُونَةَ عَنْ هَدْيٍ وَتَبِصْرٍ
مِنْ كُلِّ حُرِّ فِي حَشَاكَ وَقَلْبِي
لَمْ يَقْسُ قَسْوَةَ قَلْبِكَ المِتْحَجِّرِ
أَشْجَاهُمْ مُشْجِي العَرُوبَةِ فَانْبِرُوا
عَوْنًا لَهَا فِي الحَادِثِ المِتْوَعَّرِ
مَهْمَا ذَكَرْتَهُمْ وَمِرْجَلُ غَضَبَتِي
يَغْلِي يَهْنُ غَلِيَانُهُ أَوْ يَفْتُرُ



أَبْدًا فِلَسْطِينَ سَتَبْقَى مَقْلَةً
وَلَهَا كِرَامُ العُرْبِ أَكْرَمُ مِحْجَرِ
هِيَ لَاهْتِمَامِ الكُلِّ مِنْهُمْ مَوْضِعٌ
مُخْزَرِيهِمْ فِي ذَاكَ مِثْلُ الجِمِّيَرِي
مِنْ كُلِّ مَنْ عَدَّ المَنْيَةَ مَنِيَّةً
مَا بَيْنَ أبيضِ اللَّحْفَاظِ وَأَسْمَرِ
قَوْمٍ إِذَا الهِجَاءُ قَامَتْ سَوْفُهَا
فِي بَائِعٍ مِنْهُمْ تَرُوجُ وَمُشْتَرِ

هم خير إنسٍ السَّلمِ لكن حَرَبُهُمْ
 تُشَقِي العَدُوَّ بِشَرِّ جِنَّةِ عِبْقَرِ
 وإذا شككتَ فسَلْ طِوالِ حروبهم
 وقصارها عن بأسهم واستخبر
 منهم فلسطينٌ ستحظى ما اشتكتُ
 نَجَسَ اليهودِ بغاسلٍ ومُطَهَّرِ
 فمتى بنو صُهيونَ نادوا كيدهم
 جبنًا بالسنةِ النُّضارِ الأصْفَرِ
 شغلوا كجاري العادِ عنهم سَمْعَهُ
 بضجيجِ ألسنةِ الحديدِ الأخضرِ
 أما الصهاينةُ الخِساسِ فحَوْضُهُمْ
 نارَ الوغىِ بنفوسهم لم يُقَدِّرِ
 فعلى سوى الجُبْنِ الدَّمِيمِ نفوسهم
 - بدليلِ حُبِّرِ طباعها - لم تُفْطِرِ
 ما من يَخوضُ بنفسه نارَ الوغىِ
 مثل الذي يلقى الوغىِ بِمُسَخَّرِ
 فلتأمني كيدَ اليهودِ وشرهم
 أرضَ العروبةِ باقياتِ الأعْصُرِ
 فسيوفِ يعرَبٍ لم تُفَلِّ شِفارها
 ورماحِ يعرَبٍ بعدُ لم تتكسَّرِ
 لا عاش من أحفادهِ من لم يَرِحْ
 للذَّبِّ عنكِ مَشَمَّراً أو يُبْكَرِ

بين الأُنس والحزن^(١)

يا خالدَ الفضلِ في أشعارِهِ الغُررِ
رغم الأواتي من الأحداث والغِيَرِ
وباقِي الذُّكْرَةِ المُثلى بكلِّ فَمٍ
إذا التقادم أبلى جِدَّةَ الذُّكْرِ
لما سمعتُ بمنعاك الذي كَرَبْتُ
تأتي مرارته مني على العُمُرِ
طَفِقْتُ بين زفيرٍ لا تنهههُ
قوى اصطباري ودمعٍ غيرِ مُنْجِرِ
أصوغُ فيك رثاءً كلَّ ضامنةٍ
إشجاءً أفئدة الأفرادِ والرُّمُرِ
أتعبت فكري في إحكامها فأتتُ
من أئمنِ الكَلِمِ المنظومِ ذي الخَطَرِ
لولا تَضَمُّنُها إشجاء سامعها
لخالها نُظِمَت من أنفَسِ الدُرِّ

(١) المرحوم خالد الفرج من أخلص أصدقاء الشاعر، وكان محل عمله في المملكة العربية السعودية، وقد اشترى له هناك قطعة أرض، ونشأ خلاف بينه وبين جاره على الحدود، أدى بهما إلى الترافع أمام قاضي المنطقة. فحكم لصالح خالد الفرج، غير أن خصمه لم يقتنع بصحة الحكم مما حدا به إلى الذهاب إلى الرياض للشكوى ضد القاضي وخالد الفرج عند الملك عبدالعزيز السعود، فلما وصل الرياض، ودخل على الملك وشرح دعواه قال الملك «وصلتني الآن برقية تفيد أن خالد الفرج قد مات ولا يمكن عمل أي شيء الآن» قال الملك هذا لإسكات الرجل فقط.
غير أن مجلس الملك كان عامراً بالناس، فتناقلوا الخبر حتى وصل الكويت ووصل صقراً بالذات، فحزن على صديقه حزناً عميقاً، ورثاه بقصيدة رائعة. وبعد أيام قدم خالد الفرج إلى الكويت، واتجه رأساً إلى بيت الشاعر، ودخل عليه، ولم يكذب صدق أنه خالد الفرج، فقال هذه القصيدة.

وحادثُ النُّعْيِ إنْ يَغْرِسُ بقلْبِ فَنِّي
حُزْنًا فَعُزُّ مَرَاتِيهِ مِنَ التُّمْرِ
وقد لقيتُكَ حَيًّا والحياةُ لما
قد صُفِّتُهُ فيكَ موتٌ غيرُ منتظرٍ
ففرحتي منك بالحيا يُساوِرها
حُزني لموتِ اللواتي أنجبتْ فِكْرِي
والحُزْنُ مني على هاتا يُغالبُهُ
أُنْسِي بكونِكَ حَيًّا بَعْدُ لم تَبِرِ
فبين أنسي وحزني من تَدَبُّبِهِ
حَارَ الفؤَادُ بليلاً جِدُّ معتكِرِ
كلاهما اليوم قد مَدَّ اليَمِينَ لِكِي
ما يستبِدُّ بقلبي مَدُّ مَقْتَسِرِ
جَدُّ الصُّرَاعِ وما أدري لأَيُّهُمَا
عُقْبَاهُ مَفْتَرَّةٌ عن طَلْعَةِ الظَّفَرِ
ولو يُجِسَّانِ في جاري صراعِهِمَا
مَنِّي إِذَا أو لَهَذَا مَيْلَ مَنْتَصِرِ
لَعَدُّ أَيُّهُمَا عنه أَمِيلُ إِلى
خَصِيمِهِ المَيْلَ ذَنْبًا غيرَ مَفْتَقَرِ
مَصِيبَةٌ طَارَدَتْهَا نَعْمَةٌ عَظُمَتْ
ونعمَةٌ لو نَجَّتْ من صَوْلَةِ الكَدْرِ
وليس يُمكنُ في العيشِ اشْتِراكُكُما
فهل تُخَلِّي لشعري ظلمةَ الحُفْرِ
والرأيُ عندك فاخْتَرُ ما يلائمني
وإن تَبَرَّقَعَ وجهُ الحِزْمِ فاستَشِرِ

وأنت تعلمُ ما كلُّ الزمانِ بهِ
يُتَاحِ راثٌ لذي فضلٍ من البَشَرِ
والعمرُ نقصانُهُ يحكي زيادتهِ
فالتَّوَلَّ منهُ لذي اللُّبِّ كالقِصَرِ
وإنما الفَرْقُ في الأعمارِ يُحدِثُهُ
تفاوتُ الناسِ في الباقِي من الأثرِ
وقد تركتُ من الآثارِ أخلداها
يا خالدَ السيرةِ الحسناءِ في السَّيَرِ
رضيتُ أمسٍ ذهابَ الدمعِ فيكَ سُدَى
وما طغى من زفيرٍ جدُّ مستعيرِ
لكن أرى النفسَ تآبى أن يضيعَ رثًا
أطلتُ في نظمه تحت الدُّجى سَهْرِي
إلا متى تلتزمُ أن لا تموتَ إلى
أن أحسِّي كأسَ موتي من يدِ القَدَرِ
كي آمنَ النُّعْيَ أُخرى المرَّتَيْنِ فقد
أتمتَ المرَّةَ الأولى بهِ ضَرْبِ
وقد بدا وهني عن حَمَلٍ مُشْبِهِهِ
منذُ الكهولةِ أَشْفَقْتُ بي على الكِبَرِ
قد كان صبري على الأحرانِ يُسعدني
واليوم هَدَمَ شَيْبِي ركنَ مُصطَبِرِي
قد أَخْبَرَ الظَّنُّ أُنِّي إن حصلتُ على
شأؤٍ من السَّنِّ يرمي النفسَ بالخَوَرِ^(١)
أملُ طولَ بقاءٍ مضعِفٍ فإذا
طولُ البقاءِ يُنافي صِحَّةَ الخَبَرِ

(١) الشاؤ: الأمد.

فلم أزلُ ببقائي مغرماً كلياً
 وإن ثنى الشُّهدَ في ذوقِي إلى مَقَرٍ (١)
 مالي أحبُّ حياةً أعمَلتَ يَدَها
 في نقضِ ما فَتَأَنُّهُ قَبْلُ من مِرْرِي (٢)
 لما كَبِرَتْ غَدَتُ للغدرِ مُبْدِيَةً
 من حيثُ يبدو القَوا في مُدَّةِ الصِّغَرِ
 فَشَفَّ إِحْسَانُها عن سُوءِها وِغْدَا
 يَشِفُّ مَوْهُومٌ صافيها عن العَكْرِ
 أذَمَّها وأنا أَخشى قَطيْعَتَها
 تناقضُ ليس بالخالي من العِبَرِ
 أهوى امتدادِ حياتي جاهداً وأرى
 أدنى تكاليفها يدعو إلى الضَّجَرِ
 ولو أتابعُ عِقلِي قلتُ عن مَلَلِ
 منها: أطلتِ زَمانَ الوصلِ فاخترِ
 وما انتفاعي بِمُرِّ عادِ يُشْرِقُنِي
 بكلِّ ما كان لي من سائغٍ خَصرِ (٣)
 لكن أطعتُ طباعاً للنُّهى غَلَبَتْ
 والعقلُ تغلبُ به مغرورَةُ الفِطْرِ
 العقلُ يأبى سوى إرشادِ صاحِبِهِ
 لكن متى ما غزاهُ الطَّيْعُ يندَجِرِ
 وما خَطَا العقلُ بي في سُبُلِهِ فغَدتُ
 أقدامُ عِقلِي بطبعي لَسَنَ بالعُثْرِ

(١) المقر: المر.

(٢) المرر: جمع مرة، وهي قوة الخلق وشدته.

(٣) الخصر: البارد.

فبين عقلي وطبعي من مشاكسة
 ما لا أطيق تُلَافِي أَمْرِهِ الْعَسِيرِ
 ولستُ وحدي لا بل من سِوَايَ كَذَا
 لحكمةٍ قد يراها مُنْعِمُ النَّظَرِ
 نهوى الحياة ولو كانت مَصَوَّرَةً
 للناظرين لكانت أبشع الصُّورِ
 وعاد وامنُّها يطوي جوانحه
 لها على شِدَّةِ الْبَغْضَاءِ وَالْحَذَرِ
 فما تأملتُها إلا وأبرزها
 لي الحِجَاءُ بوجهه مُرْهَبٍ نَكِرِ
 وما تشاغلْتُ عن كُنْهِهَا اشتملتُ
 منه ضلوعي على أنكى من الإبرِ
 إلا تَأبَى أذاها فـانثنيتُ ولم
 يُقْضِ التَّشَاغُلُ لي شيئاً من الوَطْرِ
 وليس للشاعرِ الحسَّاسِ من سَنَنِ
 يُفْضِي به من أذى المَحْيَا إلى وَدْرِ
 فليت نفسي لم يُصْبِحْ لها جسدي
 مَعْنَى فِظْلٍ على الآبادِ كَالْحَجَرِ^(١)
 فَالْحِسُّ أَحَدَتُهُ فِي اجْتِمَاعُهُمَا
 فَجَرُّ ضَيْرِي ولولا الحِسُّ لم أَضُرِ
 جَلِّ الذي دَفَعْتَنِي كَفُّ قَدْرَتِهِ
 ما بين نَابِكِ يا دَنِيائِي وَالطُّفُرِ
 ولم أَخَيَّرْ لَأَمْرٍ ظَلْتُ أَجْهَلُهُ
 جهَلَ البريَّةِ من بادٍ ومحتضِرِ

(١) المغنى: المنزل.

قد طال عن سِرِّهِ بَحْثِي وليأتُهُ
 تَدَجُّو وقد يئسْتُ نفسي من السُّحَرِ
 واصلَّتْ بحِثِّي عنه جاهداً وأرى
 بحِثِّي يعودُ إلى ضربٍ من الهدرِ
 سبحان ملهم نفسي حُبُّ رؤيتها
 وجهًا تَحَجَّبَ بالضَّافِي من السُّتْرِ
 دنيايَ عُنْدَكَ بادِ فِي إِسَاءَةٍ مَنْ
 إِلَيْكَ لَمْ يَدْنُ عن شوقٍ ولا خَيْرِ
 وإنما زار مَدْفُوعًا ومُنِيئُهُ
 منذُ اللَّقَا أَنَّهُ إِيَّاكَ لَمْ يَزُرْ
 ومن يَزُرْ وهو لا يهوى المَزُورَ يَكُنْ
 بما يُحِبُّ من الإِكْرَامِ غَيْرَ حَرِي
 وردتُ حَوْضَكَ مَضْطَرًّا فأحدتَ لي
 ورودهُ ما طوى نفسي على حِرِّ (١)
 ولم أجِدْ فَيْكَ من ماءٍ بُرودتُهُ
 تشفي صدأيَ فهل يشفي الصَّدَى صَدْرِي
 وإن تكن مِثْلَ هذِي الدارِ أَجَلْتِي
 فإِيا فَوَادِي اضْطَرِبْ حُزْنًا أو أَنْفَطِرِ
 ولستُ أَحْسَبُ هَذَا لاحِقًّا رَجالاً
 لَمْ يُعْطَ قَمُوتَ لَطَى الأُولَى ولم يُعْرِ
 فَاللهُ أَعْدَلُ من أن لا يُجَنِّبَنِي
 قَضَاؤُهُ سَقَرًا إلا إلى سَقَرِ

(١) الحرر: جمع حرة، وهي العطش.

السكوت جواب

عابوا كما الحسدُ المذمومُ شاءَ لهم
يا صقرُ ما قلتَ من نثرٍ وأشعارِ
من كل ما يصطفيه سامعوه هوى
إن لم يكن سامعوه غيرَ أحرارِ
وأنتَ فيما نراهُ جِدًّا مقتدرُ
على المُصنِّمَتِ منهم كلِّ ثرثارِ
يقولُ ما لا يعيه فيكَ منتقدًا
كيما تمدُّ إليه طرفَ إكبارِ
أطلتَ عنهم سكوئًا والسكوتُ بهِ
مغفرٍ لهم بكَ من هاجٍ ومينَ زارِ
لِمَ لَمْ نُقَلِّ مُخرِساتِ السُّنَّاءِ كرهتِ
مقالها الناسُ إلا بعضَ أغرارِ
تريحُ نفسَكَ منهم والألى برِموا
بكلِّ نظامٍ مَيِّتِ القولِ نَشَّارِ
أُسُدُّ أُنْزِي عنه حينَ يُنْشِدُنِي
إيَّاهُ أم مارني عن نشرهِ السَّارِي^(١)
يستثقلُ القومُ جِدًّا ما يقولُ كما
لو صكَّ أسمعهم رميًّا بأحجارِ
وما تراهُ بهذا القولِ منطلقًا
أو واقفًا غيرَ تِيَاهِ وَقْخَارِ

(١) المارن: طرف الأنف، والنشر: الرائحة.

يظنُّ أن قراطيسًا يسوِّدُها
بالجبرِ تجعلُهُ مغبوطاً أخبِارِ
ولم تزلْ مثلَ ما قد كنتَ ذا كَلِمِ
ماضٍ كعزمك نَقَاعٍ وضَرَّارِ
فقلتُ ما دام لي هذا فذو حَسَدِي
مستبَعِدٌ أن أراه غيرَ هَرَّارِ
تهيجُ عريبةَ الحُسَّادِ رُؤيتُهُم
فضلَ امرئٍ شامخِ الأخلاقِ سَوَّارِ
كما يهيجُ نُبَاحُ النابحاتِ سَنَا
ما في الدُّجَنَّةِ من شُهْبٍ وأقمارِ
يكفي من الحَسَدِ الحُسَّادِ أن لهم
بين الجوانحِ منه مُسْعَرُ النارِ
فما انتقادُهُمُ المحسودَ بينهمُ
إلا مُناوِبُ شكوى جمرها الواري
وقلتُ ما قاله مثلي بمثلهمُ
لَمَّا عَراهُ بهم من دهرِهِ عَارِ
(لو كَلُّ كلبٍ عوى أَلَمَتَهُ حَجَرًا
لأصبح الصخرُ مثقالاً بدينار)^(١)

(١) ينسب البيت إلى الشاعر التونسي علي الغراب الصفاقسي المتوفى عام ١٧٦٧م.

ردوا بي منهل الإنصاف^(١)

لَعَمْرِي أَوْ لَعَمْرُكُمْ أَرَانِي
لَتَعْدِيلِ الرُّؤْيُوتِ فِي اضْطِرَارِ
فَإِنْ عَدَلْتُمْ وَهُوَ فَذَاكَ أَمْرٌ
لَهُ مِنْ عَمَلِكُمْ طَالَ انْتِظَارِي
سَأَبْقَى بَيْنَ مَخْمَصَةٍ وَعُزِّي
إِذَا لَمْ تُضْعِفُوا مَا مِنْهُ جَارِ
وَلَيْسَ بِضِعْفِهِ كُلُّ احْتِيَاجِي
يُسَدُّ وَلِلْغَلَاءِ الرُّنْدُ وَارِ
وَلَكِنْ كُلُّ مَطْلُوبٍ إِذَا مَـ
تَجَاوَزَنِي إِلَى أَهْلِ الْيَسَارِ
رَدَدْتُ النَفْسَ عَنْهُ إِلَى قُنُوعِ
عَلَيْهِ رَضَتْهَا وَإِلَى اصْطِبَارِ
وَقَدْ لَا يُسْعِدَانِ - عَلَى غَلَاءِ
بِهِ لِحَا لِإِعْسَارِي - بَوَارِي
وَإِنْ أَخْسَرْتُهُمَا يَوْمًا فإِنِّي
لَأَتَعَسُّ مِنْ شَكْوَى نُوبِ الْخَسَارِ
فَصَبْرِي وَالْقَنَاعَةُ مُذْ أَحْسَا
دُنُوَ الْمَوْتِ كَمَا نَا فِي حِذَارِ
وَمَا مَحْيَايَ بَعْدَهُمَا سِوَى مَا
أَحَازِرُ مِنْ مَصَائِبِي الْكِبَارِ

(١) قدم هذه القصيدة إلى مجلس دائرة معارف الكويت.

فقد كانا ملاذي كل يومٍ
 على شروايٍ مرهوبٍ المَغارِ
 ستتركني القناعةُ واصطباري
 لخوفهما مشاهدةً احتضاري
 وشرحُ السرِّ أنرُكُهُ لئلاً
 أرى الموضوعَ شَبَّ عن الإطارِ
 سلوا الآداب هل عَدَّيتُ نفسي
 رعائتَهُنَّ ليلي أو نهاري
 فإن نَسِيتُ قلوبكم اجتهادي
 لهنَّ فهُنَّ منه على الذكارِ
 وهل غيرُ اجتهادي جَرُّ سُقْمِي
 إليَّ وشَبَّ شيبِي في عذاري
 أيبقى خادِمُ الآدابِ حتى
 يصادفَ مَوْتَهُ جَوْعَانِ عارِ
 فتبقى بعد مِيتَتِي المَعالي
 عليك الدهرَ يا وطني زوارِ
 وهل نَظَرْتُ إلى وطنٍ مُضَيِّعِ
 شبيهي عينُها بسوى احتقارِ
 إليك إِيكَ يا رَبِّي اشـتـكائي
 - على رِيِّ المَـوَاطِنِ - من أوري
 فما أجدى التشكُّي عند قومي
 وكأهمُّ لِيـمـعـرُبٍ أو نِزارِ
 كم استعطفتُ أوطاني بشِعري
 ولم يبرحُ بها فقري شِعاري
 كأن قلوبَ أوطاني إذا ما
 شكوتُ الفقرَ كُنَّ من الحِجارِ

وليس بلائقِها ذاك حــــــــــــتى
ولو أتى عليها اليوم طاري
فكيف وبئىها ما تم إلا
وأجدادي به بعضُ السُّواري
أماتتني وكم أحييت فيها
عقولاً مِثْنُ بالحِكمِ الكِثار
فإن يَجْحدُ ألو الأحقادِ غرساً
بهالي غيرَ منزورِ الثُّمار
وشمسُ الظُّهرِ يجحدها ضريراً
أخو جهلٍ يجادلُ أو يُماري
فحسبي الواقعُ المحسوسُ أيّاً
أمييناتِ مَكيناتِ القَرار
ستمكثُ معجباتِ كلِّ حُرٍّ
نمته أو ستنميه دياري
فشمسُ هُداي في الأوطانِ أضحتُ
وليس على سناها من عُبار
ألم أكُ في طليعة من دعواها
إلى ما للمعارف من منار
ولستُ أقول هذا القولَ فخرّاً
فلم أخلقُ مُحبّاً للفسار
ولكني به سايرتُ فقراً
مضرباً بالرزانةِ والوقار
وسوءُ الحالِ كم أدّى وقوراً
إلى ما لا يُحبُّ من الجوار
على أني لَزِمْتُ الحقَّ فيمما
نطقت لكم به والله داري

فإن رأيت الكويتُ حقوقَ صقْرِ
 حقيقاتٍ بصَوْنٍ واعتبار
 فقد رَعَتِ العُلا منهن فيما
 ستُبْرزُ وجهَهُ بعد التُّواري
 وقد ثابت إليّ وكلُّ نَذْبِ
 جَنَّتُهُ عليّ يمحوه اغتفاري
 أقولُ وكسرتُ قلبي اليومَ يرجو
 برَعْمِكُمُ الحِصُولَ على انجبار
 ردُّوا بي منهلَ الإنصافِ عَليّ
 أرى بَرْدًا لأضاعي الحِرار
 فَعَنَّهُ سابقوكمُ قد نَأوا بي
 لسِرِّرٍ لم يَزَلْ رَهْنُ السُّرار
 وليستُ بطالبٍ ما عشتُ عنه
 - ليبقى خافيًا - رَفَعِ السُّتار

حكمة الله في كل شيء

أرى عقلي يخالف من رفاقي
عقلاً حين تنظر في الأمور
فكم أمرٍ يسبب لي اكتئاباً
أراه عندهم سبب السُّرور
وكم داعٍ إلى الأثام عندي

متى ما شئتَ حكمتَهُ تجرّدها
بكلِّ صغيرٍ أمرٍ أو كبيرٍ
فما أخلتَ من الأشياءِ شيئاً
لناظرها بطرفٍ حجّاً بصير
وإن خَفِيتُ ببعضِ الأمرِ عنا
وكانت في سواه على ظهور
فما ينفي الخفاءَ لها وجوداً
فكم أخفى التَّنائي من بُدور
وكالطُّرفِ الحِجاءِ له حدودُ
لكلِّ ضامنٍ دائرةٍ حـ صـ و
فما عقلٌ يحيطُ بكلِّ سرٍّ
على التَّحديدِ بالرأسِ الصغيرِ
وحسبُك أن يقيسَ العقلُ منها
حَـ جـ يـ بـ تـ هـ ا على ذاتِ السُّفور
يهونُ عليَّ سُخْطُكَ يا جليسي
فما عني به يرضى ضميري

العرضات^(١)

وما للعلمي في العرُضات أنسُ
فأمدحُها بنظمٍ أو نثِيرِ
وهل أنثني على العرُضات خيراً
ولذتُّها خصوصاً للبصير

(١) العرضات من الألعاب الحربية التي ينظمها أهل الكويت في أيام الأعياد.

عبرة^(١)

قد انتصرتَ مصرُ فزادَ انتصارُها
مَفاخِرَ شعبِ الضَّادِ يومَ فَخارِهِ
وأنشأَ هذا النصرُ - لا خَفَّ وطوهُ
على لابسِي خِزْيِ الزَّمانِ وعارِهِ
لكلِّ لبَّيبٍ في البِريةِ عِبْرَةٌ
إلى مثلها فامتدَّ طَرْفُ اعتبارِهِ
وهل (إيدنُ) المغتَرُّ معتبرٌ بما
جَنَأَ عليه اليومَ فرطاً اغترارِهِ
وهل عيشُ (موليه) سَيَعْدُبُ بعدَ ما
رمى نفسَهُ حُمُقًا بسهمِ دَمَارِهِ

(١) نظمت هذه الأبيات يوم انقلب أصحاب الهجوم الثلاثي الأثيم على أعقابهم خائبين، في سنة ١٩٥٦م.

رثاء عبد الله بن خلف الدحيان

يعزُّ علينا فقدنا ذلك الحَبْرَا
وإبداعنا جثمَانَةُ الطاهرِ القَبْرَا
فلو طلبتُ منَّا المنِيَّةُ فديَّةُ
فَدَيْتُ بنفسي ذلك العالمَ الحُرَا
طوت منه أيدي الموتِ أنفعَ عالمِ
بعرفانه ما بيننا قد غدا بدرَا
أضياء لطلاب الهدى منهج الهدى
ولم يتَّركْ من ظلمةٍ فوقه سِترا
فأصبح من قد بات للحقِّ سارِيَا
بإرشاده بين الورى يَحْمَدُ المَسْرِي
لقد فجعت منه الكويت بجامع
إلى نُصحِها الزهدُ الحقيقيُّ والبِرَا
فكان أبرَّ الناس بالناس رأفة
وأزهدهم في جمعه البيضَ والصُّفْرَا
وكان مثلاً للمبرِّة صادقًا
كما أنه في زهده آيةٌ غرَا
ولو لم يكن في زهده غيرَ كاذبِ
لخَلَّى زوايا البيتِ مملوءةً وقْرَا
فما شاقَّه إلا مَثْوِيَّةُ ربِّه
إذا اشتاقت الناسُ اللُّجَيْنَ أو التَّبْرَا^(١)

(١) اللجين: الفضة. والتبر: الذهب.

على بذله فينا نفائس علمه
أبى أجرة التعليم ينتظر الأجر
ذوى وجهه عن أن يحابي قاضياً
وأخلص منه السر لله والجهر
فلم يخف الخصمان قط مميلاً
عن الحق يبيديه إلى رشوة كبرى
فكل عليم أنه غيبر وامق
سوى الحق حلوا طعمه كان أو مراً (١)
تملك حُب الحق منه قياده
فلم يقف في الأحكام إلا له إثر
سواءً لديه صاحب ذيل ثروة
ومن ألبسته كف فاقته طمرا
يميل مع الحق المبين قضاؤه
إذا ما الرشا بالحكم لمن أثرى
فإن خاف خصم مملق ظلم غيره
فلا ظلم يخشاه لديه ولا جوراً
إذا استوعر القاضي من العدل مسلماً
رأيناه يوم الفصل يستسهل الوعرا
وإن خذل الحق القضاة لرشوة
فإن لديه العون للحق والنصرا
فإن تك في الأرض القضاة كثيرة
فإن الألى يحكونه أصبحوا نزراً
تخلص من أسر المطامع قلبه
على حين جمهور القلوب به أسرى
فإن نبيك نبيك النزاهة والتقى
ونبيك القضاء العدل والعلم والطهرا

(١) وامق: محب

لقد حَرَقَتْ أَيْدِي الزَّمَانِ بِفَقْدِهِ
رَدَاءٌ جَرَرْنَا رُدْنَهُ بَرَهَةً فَخَرَا (١)
وما كان عن أيدي الزمان انخراقة
فلا راقع يُرجى له لا ولا فَرًّا
فمن يَدْخِرُ مِنَّا الدَمُوعَ لِنَكْبَةِ
فقولوا له قد أنْ تَبْذُلَ الذُّخْرَا
فليس لدمعٍ مثَلُ ذَا الوَقْتِ سَاعَةٌ
تَوَمُّ بِهِ أوطَانُنَا نَكْبَةً غَـيْبِرَا
فكلُّ الذي يَأْتِي بِهِ الدهرُ بَعْدَمَا
رمانا بِفَقْدِ الشَّيْخِ نازِلَةٌ صُغْرَى
أبَا خَلْفٍ مَنِي عَلَيْكَ تَحْيِيَّةٌ
يُفَاوِجُ مِنْهَا العَرْفُ أَخْلَاقَكَ الزُّهْرَا
فقد كنت تلقاني بكل حفاوةٍ
تَغَيِّرُ مَنِي الظَّنَّ وَالْحَدْسَ وَالْفِكْرَا
فمهما التقينا أَنَسَ كَوْنِي بَأَنْسَا
وأحسب أن الأرضَ في قبضتي طُرَا
فأبقي كَأَنِّي لم أَكُنْ ذلِكَ الذي
يُعَانِي مِنَ الإِقْلَالِ مَا يَقْصِمُ الظُّهْرَا
وَأَلْبَثُ - مَا لم أَنْقَلِبْ عَنْكَ رَاجِعًا -
على خير ما ينسي أخا الفاقةِ الفُقْرَا
ويا ريما واسييتني ووصلتني
بما رَدَّ ضِرَاءَ المَعِيشَةِ لِي سِرًّا
فما ظَفِرَتْ نَفْسِي سِوَاكَ بِعَالِمٍ
إِذَا زَرْتَهُ أَنَسَانِي البِؤْسَ وَالضُّرًّا

(١) الردين: أصل الكم وطرف الكم الواسع.

فقد قلّ من يُبدي لي البشرَ وحده
 فكيف بمن يتلو بإرفاده البشر^(١)
 فإن تك في الأفق السحائبُ جمّةً
 فما كل سحِبٍ ترسل البرقَ والقطراً
 فعذري إن أجزع عليك ممهدٌ
 وإن أنا لم أجزع عليك فلا عُذرا
 فأنت الذي لقنتني الصبرَ والأسى
 وفقدك أنساني التأسّي والصبر^(٢)
 بكثك كما نبكيك ملةً أحمدٍ
 وأخرج منها مثلنا فقدك الصُدرا
 فقد أصبحت كُتِبُ الديانةِ كلها
 تشاظرنا أحزاننا وأهّا حسرى
 ردّدتَ عليها بعد موتِ حياتها
 وأوسعتها من بعد طيِّ لها نشرا
 وواصلتها مستعذباً طعمَ وصلها
 ليالي منها الكلُّ يستعذبُ الهجرا
 صبّوتَ لها حتى حسبناك «عروة»
 تحادثه ما بين طياتها «عفرا»^(٣)
 أبا خلفٍ خلّفت كلَّ مـزيّةٍ
 محسنّةٍ منك الأحاديثِ والذُكرا

(١) الإرفاد: العطاء.

(٢) الأسى: جمع الأسوة، وهي القدوة. والتاسي: الاقتداء.

(٣) عروة: هو عروة بن حزام. وعفراء: محبوبته.

وضامنة أن لا يبديد جمالها
 وكافلة منّا عليها لك الشُّكرا
 وأجمل مما أنت فينا مُخَافُ
 من الدُّكْرِ ما استقبَلْتَهُ اليومَ في الأخرى
 غدوتَ على ما الله يرضاهُ عاكفاً
 وما زُغْتَ عنه يَمَنَّةً قَطُّ أو يُسرى
 وليس لدى اللهِ الكريمِ بخائبٍ
 فتىً راح في طاعاته يُنفِقُ العُمرا
 عرفت من الدنيا الفناء فلم تَمِلْ
 بسيرك عن أخراك نحو الدُّنا شِبِرا
 فما كنت مغترباً بها وبحسنها
 ولو أنها جاءت سواك بها غُرا
 رأيت منك إذا جاعتك فاتنة الرُّوا
 لتسببي منك العقلَ عن وصلها كبراً^(١)
 فإن سُرَّ بالدنيا ونافدها الورى
 فقلبك بالأخرى وخالدها سُرا
 فزهدي في الدنيا وعاجلها غدا
 ولا شكَّ للأخرى وأجلها مَهرا



«أبا يوسف» إن يَمْضِ خالك فالورى
 جميعاً إلى حيث انتهى أعملوا السُّيرا
 تَبَصَّرْ تَجِدْ في كلِّ يومٍ وفودنا
 إلى حيث سار الشيخ نازلةً تُثرى

(١) الرواء: حسن المنظر.

معلبات الأغذية^(١)

عجبتُ لصمتِ الصيامتين عن الغِذا
يُعَلَّبُ من تاريخِ تعليبِهِ صِرْفُرا
ويبقى حبيسًا في أوانيهِ مدَّةً
من الصعبِ أن يدري لها أَحَدُ حِرْزِرا^(٢)
ويا ربما طالت فسبَّبَ طولُها
لأكلِهِ ما قد يَزُورُ به القُبْرا



دَرَوْا أن تاريخِ المعلَبِ مٌظهِرُ
لناظره ما كان من عمره سِرًّا
وأن الذي منه قد امتدَّ عُمُرُهُ
لدى من يحبُّون السلامة لا يُشْرى
فلم يُصدروه للزَّبُونِ مَوْرَحًا
وإن جَرَّ إهمالُ التواريخِ ما جَرًّا
يشاؤون من مالِ الزَّبُونِ تَوَفُّرًا
لربحِ وإن حازوه من عمره خُسْرًا
عليه سطورٌ للدعَايةِ جَمَّةُ
فَلِمَ لا نرى التاريخَ من بينها سَطْرًا

(١) قالها في شهر مارس (آذار) ١٩٦٢ يطالب فيها البلدية أن تحظر الأغذية المعلبة إذا لم يكن على العبء تاريخ تعبئتها ليعرف القديم منها. وقد صدر فيما بعد من دائرة بلدية الكويت قرار يلزم بذلك.
(٢) الحزر: التقدير بالتخمين.

وهل أهملوا التاريخَ إلا لأنهم
أرادوا بشاريه الخديعة والغدرا

فهل يطمئنُ المرءُ يدخلُ جوفَهُ
غِذًا ليس يدري كم زمانٍ به مَرًّا
وهل لسكوتِ الطيبِ عنه سـريرةٌ
إذا أُعلِنَتْ كـانت له عندنا عُذرا



لكلِّ امرئٍ يهوى الحـياةَ تَرُدُّ
إذا ما إلى استعمالِ محفوظه اضْطُرًّا
أأكلُ مما قد جهلتُ بقـاءه
بحافظه هذا أعمامين أم شهرًا
يُقَالُ بهُ وقتًا ويسألُ نفسَه
أشراً ثناهُ العِـتقُ أم لم يَزَلْ خـيرا
ويعرض عنه غالبًا متخوِّفًا
تقادمُه المجهولُ أن يجلبَ الشـراً
كذلك كـانت عـادةُ الكلِّ منهم
إذا أعملوا في حـزْرِ مُدَّتِه الفِـكرا
ومن لم يُجِلْ في حـزرها الفِـكـرَ مُقـدمًا
على أكل ما فيه فقد يخسر العـمرا
أضاع ولم يحفظ غـذاءً، مُصـدِّرٌ
حوافظ من تاريخ أعمارها قفـرا
فعن سـيرِ إهمالِ التواريخ قد غـدت
زبائنه سـرًّا تُسألُ أو جـهرا
فقد سألت ليلي عن السـرِّ أختها
كما راح عنه خالدٌ سائلًا بـكرا
لقد كـتبتُ فوق المـعلبِ أسـطرٌ
على ظهره من كـثرها تحجبُ الظـهرا

وسطرٌ لتاريخِ المعلَّبِ واحدُ
يراه فيأباهُ معاً بُبُه نُكرا
على أنه منها أهُمُّ مُهْمُنَا
إذا الحاجة استدعته في وجبةٍ تطرا^(١)



سمعتُ فلاناً قائلاً لصديقه
أرى شريكَ الشاهيِّ من حُبِّه كُثرا
ولو قد مزجتَ الشايَ بالدرِّ لم تكن
ولو ساعةً تسطيعُ عن شربه صَبرا^(٢)
ولم تكُ إلا بين ملءِ كـؤوسِهِ
وإبريقِهِ لا بيننا تقطعُ الدهرا
وصرتَ مدى الأيام تعجب لأمري
تيسر هذا عنده يشرب الخمر
فما كمزيج الشاي بالدرِّ شهوةً
تكاد تُنسى المحتسي ريقَةَ العذرا
ولذَّة هذا دون سُكَّرٍ مُنْعَصِ
ولذَّة شرب الخمر تستصحبُ السُّكرا
ومصدرُ جُلِّ الشر أو أصل كله
لمدمنه السُّكَّرِ الذي يقتلُ الجِجرا^(٣)
وكان عسيراً أن ترى الدرَّ دائماً
ولكن ثنى تعليلُهم عُسرَهُ يُسرا

(١) تطرا: مخففة من كلمة تطراً بمعنى تجيء فجأة.

(٢) الدر: اللبن.

(٣) الحجر: العقل.

ودونك منه علبةً فافتتح بها
تَعَوَّدُ شُرْبِ الشَّايِ قَدْ خَالَطَ الدَّرًّا
وَقَطَّبَ مُزَوَّرًا كَمَا شَاءَ غَيْظُهُ
وقال ولم يبرح يُقَطِّبُ مُزَوَّرًا^(١)
لِذِكْرِ مُبِينِ العُمَرِ مِنْ عُلْبِ الغِذَا
مُعَلَّبُهَا مِنْ رِيْبَةِ سَامَهَا الهَجْرَا
وما افتتر عن أمرٍ يُرِيْبُ فَبُعدْنَا
إِذَا مَا خَشِينَا الشَّرَّ عَنْهُ بِنَا أَحْرَى
أُنْحَشَى بِمَا يُجْوِي البَطُونَ تَهَاوْنَا
بصَحَّتِنَا كَلًّا فَمِنْهُ لَهَا نَبْرَا^(٢)

(١) ازور: انحراف، والمزور: المنحرف.

(٢) نبرا: مخففة من «نبرا».

نشوة الحب

عذّوني على اندفاعي مع الحُ
بَّ كائني اندفعتُ مَعَهُ اختيارا
جَهْلَ العاذِلونِ أَنِّي أَتِ
في غرامي ما بيّ اضطرُّ اضطرارا
فأطالوا في عذْلهم فيه سرّاً
ثم جاؤوا بالعذلِ نحوي جِهارة
ثم عادوا باليأس من أن يروا لي
عن حبيبي تسليّاً واصطبارا
يئس العاذِلون مني فقالوا
لومُ هذا الفتى نراه حَساراً
ما عسانا نفيد بالعذل صَبّاً
قام دون النُّهى هواهُ سِتاراً
فَسِواءٌ لديه عذْلٌ وعُذْرٌ
مُذْ وراء الهوى جِجاءُ تواري
عاد ممن ننتهمُّ شِدَّةُ الحُ
بَّ سُكاري ومما هُمُّ بسُكاري
صَدَقَ العاذِلونِ إنني لنشوا
نُ وما إن حَسوتُ قَطُّ عَقاراً
غيرَ أن الهوى أدارَ كوؤوساً
مترعاتٍ منه علي كِباراً

فشربتُ الكؤوسَ كأسًا فكأسًا
 مستطيبًا سُلَافَهُنَّ اغترارا
 إذ أنا والحبيبُ من فرطِ قُرْبِ
 ودُنُوِّ كَالِإِصْبِيعِينِ جَوَارَا
 لم أخلُهُ إذ ذاكِ يَحْنُـدِفُ عَنِي
 طوع زور الوشاةِ يومًا نِفَارَا^(١)
 فأتته الوشاة عني بما لم
 أقترفهُ ففرَّ مني فِرَارَا
 عندما قد غدوتُ أعظمَ من تَدُّ
 ظُرِّ عَيْنَانِ سِكرَةً وخُمَارَا
 ليتَ أنِّي أَعَدَدْتُ يومَ اندفَاعِي
 في هَوَاهُ مع اندفَاعِي حِذَارَا
 فهواه من بعد ما كان بالوصد
 ل حِيَاةً بِالْقَطْعِ عَادَ بَوَارَا
 كنتُ من أحزَمِ الأَنَامِ ولكن
 ضاع حزمي فيما أتى أَقْدَارَا
 ما حِذَارُ اللَّبِيبِ وَالْقَدْرُ المح
 توم يمضي ما شاء فيه اقْتِسَارَا
 يا ثِقَاتِي وكَأُكُـمُ مَا أرَانِي
 عن وفَاءِ فِي النَائِبَاتِ ازْوَارَا
 كنتُ منذ اِخْتَبَرْتُ مِنْكُمْ كِرَامًا
 أوفِيَاءَ أَصـوونُكُمْ أَذْخَارَا

(١) صدف: أعرض وصد.

فأعينوا على الغرام فهذا
يوم احتاج إخوتي أنصارا
قد رأيتم من حالي ما رأيتم
فاشرحوها عند الحبيب سرارا
وعرفتم مني الوفاء بعهدي
فصيفوا عنده وفائي اختصارا
وانقضوا ما أمر من سبب التف
ريق كيد الوشاة بي إمرارا
وامزجوا وصف سوء حالي بدمع
قاطع وصفها عليكم مرارا
واستثيروا بين الدموع إذا ما
نم سالت من التنهؤد نارا
والينوا مقالكم وأطيببوا
توقعوا لي من عطفه ما طارا
واتقوا ما استطعتم رقباء
ألبسوه الأنظار منهم إطارا
ولأنتم أجل من أن يرى الممر
سل فيكم إلى الوصايا افتقارا
غير أني من سكرة الحب أمست
عربداتي كما سمعتم كشارا^(١)
لست أوصي لولا نهولي منكم
حكما ندبتهم أخيارا

(١) الكفار: الكثير.

فَدَعُوا عَنْكُمْ الْوَصَايَا وَأَدُّوا
كَيْفَ شِئْتُمْ عَنِّي لَهُ الْأَخْبَارَا
وَلْتَقُولُوا مَا قَدْ ظَنَنْتُمْ مِنَ الْقَوُ
لِ مَعِيدًا مِنْ كَسْرِ قَلْبِي أَنْجَبَارَا
فَقَدِيمًا عَرَفْتُ فَيَكُمُ عَلَى رَ
دِّ النَّوَائِي مِنَ الْقُلُوبِ اقْتَدَارَا

الدين من دعواهم بريء^(١)

كَلَّمَا زَارْنَا مُعَمَّمٌ سَوْءٍ
رَدَّ مَنْظُومَ شَمَلِنَا مِنْثُورَا
وَتَّنَانَا إِلَى شَقَاقٍ مَبِيدٍ
بِاسْمِ دِينِ الْإِلَهِ مَسِيئًا وَزُورَا^(٢)
لَيْسُ سَوْقَ الشَّقَاقِ مِنَّا إِلَيْهِ
مَا رَجَاهُ مِنْ رَفْدِنَا مَوْفُورَا
مَسْتَعِينًا بِالْجَهْلِ مِنَّا عَلَى مَا
نَحْنُ نَلْقَى عُقْبَاهُ شَرًّا كَبِيرَا
كَالَّذِي أَمَسَ زَارْنَا فَتَنَى الْبَعْدَ
خَضَعَ عَلَى الْبَعْضِ مُوْغَرِينَ صُدُورَا
أَوْسَعَ الْمَصْلِحِينَ مِنْ كُلِّ حَرٍّ
صَادِقِ النَّصِيحِ مُؤْمِنٍ تَكْفِيرَا
مَلْقِيًا فِي الْعَقُولِ مِنْ كُلِّ مَا يُثْبِتُ
مِرْسُومًا يُمَيِّتُهُنَّ بُدُورَا
ثُمَّ وَلَّى وَلَسْتُ وَادِ قُلُوبٍ
مُخْتَمِرَاتٍ لِلْمَصْلِحِينَ شُرُورَا
مُثْقَلِ الْجَيْبِ بِالْأَجَيْنِ وَبِالتَّبِ
رِ غَنِيًّا مَسْتَبْشِرًا مَسْرُورَا

(١) قالها في ٧ صفر ١٣٦٠ - ٥ مارس ١٩٤١ وقد كان يزور الكويت سابقاً بعض المعممين الذين يتخذون من بيوت الله منطلقاً لأباطيلهم التي لم تكن من الدين في شيء، فيحرمون طلب العلم، ويكفرون من يعني بتعليم أبنائه باعتبار أن العلوم الحديثة سبيل معبد إلى الكفر. وكان الشاعر صقر الشبيب ممن شن الحرب الشعواء على هؤلاء.

(٢) المين: الكذب.

هو يدري أن الجـهـالـة لولا
ها لأمسى فينا ذليلاً حقيراً
فلهدا باسمِ الديانةِ قد كـا
ن على العِلمِ في الكويت مُغـيـرا
حَرَمَ العِلمَ زاعِماً أن فيه
لذويه بعد الممات سـعـيـرا
فأضلُّ السُّوادَ منّا جـمـيـعاً
عن طريق الهدى ضلالاً مُبـيـرا
وأعادت تَقَدُّمَ القـوـمِ منه
كلماتُ نارِية تأخـيـرا
لهفَ نـفـسـي على سـوـادٍ أراه
بأباطيلِ خادعٍ مـغـرورِ
خـدعَتُه تلك الأباطيلُ حتـى
صار يُبـدي من مرشـديـه نـفـورا
قد رأى نورَ مُرشـديـه ظلاماً
ورأى ظلمةَ المُضللِ نورِ
أيها الغادرُ المُغررُ بالقـو
م ألم يُؤتِكَ الإلهُ ضـمـيـرا
أم أمتٌ الضميرَ ظلماً لتشقى
به دهماؤنا شقاءً عـسـيـرا
أمنَ الدينِ أن تردَّ ضـمـيـراً
كلَّ عقلٍ قد كان يضحى بصـيـرا
لا لعمري ما الدينُ ما جئتَ لكن
حبُّ دنياك حَسَنَ التـزـويـرا
فاتَّقِ اللـةَ في السـوـادِ وأحـدِثْ
لفسادٍ أهدتته تغـيـرا

فعلى كيدك الحسابُ من اللـ
 ه سيأتي غداً عسيراً مريراً
 وإذا لم تكن تخفاف إلهها
 عدله غير مهمِّلٍ شريراً
 فاتقِ الناشئين منا إذا ما
 في الذي جئتَ أعملوا التفكيراً
 فخلالَ الرمادِ نارٌ وقد أو
 شكَّ عنها رمادها أن يطيرا
 سترى منهم جزاءً مطيلاً
 عضك الكف نادماً محسوراً
 فالمتابَ المتابَ من قبل يوم
 لا يكون الحسابُ فيه يسيراً
 قد سقيتَ السوادَ أمس عقاراً
 ننتِ الحيَّ من نُهاهُ عاقيراً
 فغداً بيننا يُعربدُ حتى
 لتأذى الصّاحون منه كثيراً
 وطلبنا إصحاءه فانثينا
 لا نرى بيننا عليه قديراً
 وعلمنا أن ليس يُصِحِّيه إلا
 من عليه للكأس كان مُديراً
 فاسقِه اليومَ عكسَ ما كنتَ تسقيـ
 ه تكن بعد ذمنا مشكوراً

دعوة إلى الإحسان

يا من له جِدَّةٌ عن حاجةٍ فَضَلْتُ
ألا تُغَيِّثُ بشيءٍ شاكيَ العَوَزِ؟^(١)
وخيرُ مالِ الفتى ما راح ينفقُه
على الضَّعَافِ مِنَ الأَيْتَامِ والعُجُزِ
من حاز مالاً ولم يحسنْ فذاك فتى
من ماله ما خلا مَشَقَّاهُ لم يَحْزِ
لو رُزَّتْ بَحْلَكَ والإحسانَ مَخْتَبِراً
بالعقلِ لم تَكْ إلا محسناً فَرَزِ^(٢)
فالعقلُ يُخْبِرُ أنَّ المَالَ في يدِ مَنْ
يحويه تخليدُهُ الموموقُ لم يَجْزِ
وأنَّ كُلاً سِيُجْزَى حسبَ ما عملت
يداهُ إن لم يكن ممن مَضَى وجُزِي
لم يعطَكَ العَقْلَ مُعْطِيه لتهمَلَه
فَأَسْتَتِهُدِيهِ وَأَتَّبِعُ إرْشَادَهُ تَفْزِ
يا مُخْصِبَ المَالِ حتماً أنتَ منتقلٌ
عنها إلى جَدَثٍ أو حَالَةٍ جُرَزِ^(٣)

(١) الجدة: السعة والغنى. والعوز: الفقر.

(٢) رازه: تأمله شيئاً بعد شيء ليحسن تقديره.

(٣) الجرز: الأرض غير المنبثة أو التي أكل نباتها.

فلو شَرَكْتَ بِخِصْبِ الْمَالِ مُجِدِبَهَا
 لم تَعُدْ خُطَّةً ذِي حَزْمٍ ولم تَجُزْ (١)
 كم مَكْثِرٍ لِحَزْنٍ أودَى وِثْرُوئُهُ
 كانت لأَعْدائِهِ كم مَكْثِرٍ لِحَزْنٍ (٢)
 وكم كُنُوزٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ فَاجِأَهُ
 خُطْبٌ فَأَبْعَدَهُ عَنِ كُلِّ مَكْتَنَزٍ
 فَصَارَ بَعْدَ امْتِلَاكِ الدُّرِّ يَغْبِطُ مَنْ
 يَرَاهُ يَمْلِكُ مِنْزُورًا مِنَ الْخَمْرِ
 وَبَعْدَ مَا كَانَ لِلدِّيْبَاجِ مَفْتَرِشًا
 يُوَدُّ لَو نَالَ مِنْسُوجًا مِنَ الْجِزْرِ (٣)
 عِظَاتُ دِهْرِكِ هَاتَا قَالَهَا عَلْنًا
 وَالدهرُ لَيْسَ بِذِي هَمْسٍ وَلَا ضَمْنٍ (٤)
 وَرَيْمًا كُنْتَ إِحْدَاهَا فَلَسْتَ بِمَا
 مَلَكَتَ مِنْ صَرْفِهِ الضَّارِي بِمَحْتَجَزٍ

(١) لم تجز: لم تتجاوز.

(٢) اللحن: البخيل الشحيح.

(٣) الجزز: جمع جزة وهي ما يجز من صوف الشاة.

(٤) الضمن: السكوت.

جنون الحب

أَمَعَنْتُ فِي النَّفْرِ عَنِّي ظَبِيَّةُ
كَانَ بِالْأَمْسِ لَهَا حِجْرِي كِنَاسُ
فَاعْتَرَانِي مَا تَرَى مِنْ جِنَّةٍ
هَلْ لِمَجْنُونِ الْهُوَى تَعْرِفُ أَسُ
إِنِّي فِي حَاجَةٍ مِذْ نَفَرْتُ
لَطَبِييبٍ حَازِقٍ طَبِّ مُوَسِ
لَا تَقْلُ أُنَى لِأَعْمَى صَبْوَةٌ
أَذُنِي عَيْنِي وَهَلْ تَمَّ التَّبِيسُ
لَا تَلْمَنِي وَارْتَقِبْهَا صَفْعَةٌ
- إِنْ تَقْفُهُ بِاللَّوْمِ - تُودِي بِالْحَوَاسِ
كَمْ فَتَى قَبْلَكَ وَافَى لِائِمَّا
كَادَ مِنْ صَفْعِيهِ يَمْضِي دُونَ رَاسِ
أَنَا لَا أَخْشَى قِصَاصاً صَافِعاً
مَا عَلَى الْمَجْنُونِ فِي الصَّفْعَةِ بَاسِ
مِمَّا أَنَا أَوْلُ مِنْ هَذَا الْهُوَى
مَنْ نُهَاهُ ذِرْوَتَيْهِ وَالْأَسَاسِ
لِي فِي الْقَيْسَيْنِ قَبْلِي أَسْوَةٌ
وَالْأُسَى قَبْلِي أَرَا حَتَّى كَلَّ أَسُ^(١)

(١) القيسان: قيس بن ذريح الذي أحب لبنى، وقيس بن الملوح الذي أحب ليلي. والأسى: جمع أسوة وهي القدوة.

هَاتِ حَدَّثَنِي أَحَادِيثَ الْأُلَى
بِالهُوَى جُنُّوا جُنُونِي فِي الْأُنَاسِ
عَلَّانِي أَظْفَرُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ
مَنْ جُذَا رَاحَةَ نَفْسِي بِاقْتِبَاسِ^(١)
فَاسْـقِنِي صَرْفًا طِلَا آثَارِهِمْ
لَا تَشْتَبُ بِاللُّومِ مِنْ هَاتِيكَ كَاسِ^(٢)
لَيْئِنَّا قَبْلَ جُنُونِي كُنْتَ لِي
فَكُنَّ الْيَوْمَ كَعَهْدِي غَيْرَ قَاسِ
حَبُّ ذَا لَوْمِكَ لَوْ أَرْجُو بِهِ
لَجَنُونَ ثَارَ فِي رَأْسِي انْطِمَاسِ
أَوْ بِهِ طَرَفُ الْهُوَى بِي يِرْعَوِي
مُذْعِنًا بَعْدَ جِمَاحٍ وَشِمَاسِ^(٣)
أَوْ بِهِ تُرْقَا دَمْعٌ لَمْ تَزَلْ
فَوْقَ خَدِي عَيْنُهَا ذَاتُ انْبِجَاسِ
أَوْ بِهِ أَنْزَعُ مِنْ ثَوْبِ الضَّنَى
مَا لَجُثْمَانِي تَرَاهُ الْيَوْمَ كَاسِ
أَوْ بِهِ يَغْشَى الْكُرَى لِي مَقْلَةً
لَمْ تُعَدْ تَذَكَّرْ عَهْدًا لِلنُّعَاسِ
مُلْكُ حُسْنٍ لَمْ أُسْـسُهُ جِنَّةً
أَيُّ مَجْنُونٍ لِمُلْكٍ كَانَ سَاسِ
وَأَظُنُّ الْعَقْلَ قَدَ عَاوَدَنِي
صَحْوَةَ النَّشْوَانِ مِنْ كَاسِ وَطَاسِ

(١) الجذا: جمع جذوة وهي ما يقتبس من النار.

(٢) الطلا: الخمر.

(٣) الشماس: الحران.

ودليلي أن قلبي مَسَّه
 نَدَمٌ أَوْجَعَهُ مِنْهُ الْمَسَّاس
 وعلى التفريطِ لم ألقَ امرءًا
 نادماً والعقلُ منه في اندراس
 فالتمس لي رجعةً فيه تَنَلُ
 أوفَرَ الشكرِ وأحْسِنُ الإلتِماس
 واغرسِ المعروفَ عندي واثقاً
 أن سيُّجنيكَ الثُّنا ذاك الغراس
 لم أكاشفها غراماً ألبستُ
 منه مُخَيَّبِي جَسَدِي أضْفَى لباس
 ذاك أنِّي عندها في مِيقُولي
 عن شَكَاتي حُبُّها المُضني احتباس
 لا تقل أَحْفَ الهوى عن عاذلٍ
 أنا من إخفائه اليوم بياس
 كيف أخفي من غرامي ما له
 فوق مرآةٍ مُحيِّي انعكاس
 كل هولٍ أنا قد مارسْتُه
 باصطبارٍ مسعدٍ عند المِرَّاس^(١)
 غيرَ هولِ البينِ فالصبرُ مضتُ
 شِدَّةُ الهولِ به عني اختلاس
 أه يا جِنَّةَ نفسي شِدُّ ما
 أبَدَلَ البينُ اغتباطي بابتئاس
 هل أرى لي بعد غسلي النوى
 مرَّةً في كوثرِ الوصلِ انغماس^(٢)

(١) مسعد: معين.

(٢) الغسلين: ما يسيل من جلود أهل النار ولحومهم ودمائهم.

لستُ في حالٍ كـ (صخر) فأنأ
مالي اليوم بأشجاني (خُناس)^(١)
فصلي نصبح على حُكم اللقا
مطمئنين سعيدين جناس
وأجبيدي سدد أذنيك إذا
ما التقينا عن وشاقبي خَساس
قد أجتوا لي حُقوداً قَطَعَتْ
منهمُ الاحشاء تقطيع المَواس
فاحذري أن تسمعي بي منهمُ
بعدمالي حيسُ مَلقاكِ يُحاس^(٢)
وارحمني من أوسعتُ أحشاءهُ
صولةُ الحزنِ لمناكِ افتراس
لا تخيسي بعهدِ أبرمتُ
واذكري مرجعَ من بالعهد خاس

(١) صخر هو أخو الخنساء التي رثته بشعرها، وخناس هي الخنساء.

(٢) الحيس: طعام من تمر وسمن وسويق. وحاس الحيس: اتخذه.

دنيا

لحى الله دنيا لا أراها وفييَّة
لنوع من الأحياء فيها ولا جنس
فمهما استطاب الحيُّ فيها معيشةً
ثنتها عواديها إلى القلب والعكس
أنوح على من مات ممَّن أحبُّهم
كأنني بسطرٍ من خلودي في طرسٍ
أغترُّ بالدنيا وما حملت فتىً
على رأسها إلا وألقته للدعس^(١)
ولا وطدتُ أسَّ السَّعادة لامرئٍ
فأبقت عواديها على ذلك الأسَّ
وما غرست سكاؤها غرس غبطةٍ
فكان هنيئًا أكلهم ثمر الغرس
عجبت لمن عدوا وجود ذواتهم
بها نعمةً من موجد الفرع والقنس^(٢)
وما هو إلا نعمة صين سيرها
وموجبها عن مبالغ العقل والحس
ولو لم يكن من أوجد الخلق ناقماً
لما خلق الإحساس في الجسم والنفس
فأصل أذى الأحياء إحساسهم فلو
عدوا عادمييه ما شكوا قط من بأس

(١) الدعس: الوطء بالقدم والدوس.

(٢) القنس: الأصل.

فيا عالمَ اللاشيءِ ليتك مضمري
 إلى غيرِ شأوٍ مظهري أبدَ العُجسِ (١)
 فما عَدَمي الماضي الذي مَسَّرَ أزمُنًا
 لديّ بمعدودٍ من الغَبْنِ والبَحْسِ (٢)
 فما زلتُ فيه سألًا من حوادثِ
 تكادُ بإيماني تعود إلى اللُّبْسِ
 وما غيرَ إيماني أراه مبردًا
 بصدري نيرانًا يضرُّها هجسي (٣)
 ومهما رَسَا عَنَّتْ تزعزُعُ ركنه
 شكوكُ بِقِسْمِي قَوْلها الجهرِ والهمسِ
 فأصبحتُ منها واجف القلبِ خائفًا
 ككُلِّ لبيبِ عالمٍ كنهها نطس (٤)
 فإن أك قبل اليوم أجهلُ أنها
 كأغدرٍ من تحوي من الجنِّ والإنسِ
 وأن لم تُدرِ من راجها قَطُّ كأسها
 ولما تَدُسُّ السمَّ في تلكم الكأسِ
 فقد كنتُ ممن غرهم قبلُ حسنُها
 فأنسأهم من فتكها القبحِ والفرسِ (٥)
 فبُعدًا لدنيا لا تني عن تَلُونِ
 لساكنها شروى مُراقِبَةِ الشمسِ (٦)

(١) العجس: جمع العجسة وهي سواد الليل. ويريد بقوله أبد العجس: طوال الليالي.

(٢) الهجس: ما يخطر في البال.

(٣) اللبس: الإشكال والشبهة.

(٤) النطس: العالم والطبيب الحاذق.

(٥) الفرس: الإفتراس، وهو معطوف على «فتكها».

(٦) مراقبة الشمس: يريد بها الحرياء، وشرواها: مقلها.

ولو قطعوا رأسي

تأملت أديان البرية كلها
فما ركنت إلا لإسلامها نفسي
وقد كان عن تقليد أمي ديانتني
فأصبح عن إرشاد عقلي والدرس
فمذ كنت حتى اليوم ما زال ملتي
ولكن يومي فيه أحسن من أمسي
وما لي عن الإسلام ما عشت مرعب
إلى غيرهِ حتى ولو قطعوا رأسي
أرغب عنه وهو أفضل عُدة
بها أنا معتد لحبسي في رأسي
على أنه سلواي عن كل فائت
من الحظ في دهر تفنن في بحسي
ولو لم يكن إسلام نفسي عزاءها
عراني لضيق الحال ضرب من المس
وقد نسبت منه المروق معاشر
إلي بظن طائش السهم أو حدس^(١)
وبعض عزاء شكاً بصحة ملتي
إلي وإيماني بهما ثابت الأس
فيا ليت شعري ما يريدون بالذي
يذيعون من كفري المزور أو لبسي^(٢)

(١) الحدس: التخمين.

(٢) اللبس: الشبهة.

لماذا أصومُ الشهرَ إن كنتُ مارقاً
وأخذُ نفسي بالحفاظ على الخُمسِ
ولم عن حِمى الإسلام أبعدُ خائفاً
وقوعي فيه حين أصبحُ أو أمسى
لقد علم الأقبوام أنني مسلمٌ
كإسلامهم لكن تعجرفُهم مُنسي
أعجبَ أقوامي مزيدي من الأذى
فقالوا الذي قالوه بالقلب والعكس
ألم يكفهمُ أنني لفقري فريسةُ
وأن لم يزلُ فوقِي بكَلكلِهِ يُرسي
وأنني بأوطاني على الفلّسِ لم أكنُ
لأحصلُ إلا بعد شوقٍ إلى الفلّسِ
ويا ربُّ يومٍ عَزَّنِي فِيهِ نِيْلُهُ
فأعمَلْتُ في تحصيله حيلةَ النَّطْسِ
فأمعَنَ عني في الترفُّعِ والإبَا
على أنه يُوطأ بنعلِ الفتي النَّكْسِ (١)
وربُّ فتىٍ منهم غرستُ به الرجَا
فلم أقتطفُ إلا الندامةَ من غرسي
وكم صادٍ استسقى غمامَ قريحتي
ثناءً وبي قد برَّحتُ عِلَّةُ الطُّلْسِ (٢)
فأمطرتهُ طُورُغ اضطراري راجياً
مَثُوبَتُهُ حتى غدا مترعَ الكأسِ
وأنطقتُ فِيهِ السَّنَ المدحِ ضِلَّةً
ولولاي ظلَّتْ وهي عنه من الخُرسِ

(١) النكس: الضعيف الذي لا خير فيه.

(٢) الطلس: الذئب، وعلتها هي الجوع.

فكان جزائي منه: أحسنت، حاضراً
وكان حضوره من بواديره تُرسي
فلما افترقنا نال منِّي والتقى
بِعِرْضِي من بهتانِهِ الضُّرْسُ بالضُّرْسِ
وكنْتُ على دهري أومُّلُ عَـوُّنُهُ
فصرتُ وملئي من معونتهِ يَأْسِي
وبتُ على شِعْري وإجهادِ فِكْرِي
له ليلتي حتى بدت عُرَّةُ الشَّمْسِ
أعْضُ بناني نادماً متأسِّفاً
إلى أن خشيتُ العَضُّ يُفقدني خَمْسِي
فيا قومُ ما هذا التَغَطُّسُ والجفا
ودينُكم ديني وجنسُكم جنسي
على رِسلِكُمْ فالإنسُ تفعلُ هكذا
بِجِنَّ ولم تفعلُ كذا الجِنَّ بالإنسِ
إلى الله أشكو جهرةً من جفائكم
وإن تغضبوا أسهب بشكواكم هَمْسِي
ولو ظلَّ في قوسِ اصطَبَّاري مَنْزَعُ
صبرتُ ولكن عَزَّني مَنْزَعُ القوسِ
ولو لم يقبِّدني عَمائِي بينكم
لأعملتُ مذحجاً إلى غيركم عَنْسِي (١)
لعَلِّي أن أحظى بقومٍ نَزِيلُهُمْ
يعود له سعداً بهم كوكبُ النُّحْسِ
يقول طبيبُ جَسِّ نبضي بعد ما
ترأى له دائي بواسطةِ الجَسِّ

(١) العنس: الناقة.

أرى أن طولَ الحُزنِ داؤك فابْتَعِدْ
 عن الحُزنِ واقْرُبْ ما استطعت من الأُنسِ
 فقلتُ ومَنْ لي بابتِعادِي عن الأسي
 وليس لظَهْرِ الفقْرِ غَيْرِي من حُسِّسِ
 ومن لم يجد من عُسرِهِ قوتَ يومِهِ
 فماذا لطرفِ الحزنِ عن قلبه يُحْسِي (١)
 فإِيا رَبُّ يومٍ رحمتُ فيه من الطوى
 أشدُّ على كِشحي حِزامًا من البِرسِ (٢)
 ألا ما جَدُّ عني يُنْقَسُ كِربَةً
 تَبِيتُ وتُضحِي وهي تُمَعِنُ في لَسِي (٣)
 أطالت على خِسفِ مُمِضٍ - بموطني
 على مشهَدٍ من أمّتي كلّها - حَبْسِي
 أنا اليَوْمَ وحدي في الكويْتِ بماتم
 وكلُّ بنيها - غيرَ شِخْصِي - في عُرْسِ

(١) يخسي: مخفف. يخسى بمعنى يجعل البصر كليا.
 (٢) البرس: القطن.
 (٣) اللس: اللبس والاكل.

عفواً وصفحاً^(١)

بالرغم مني كنتُ أمسٍ مُقصرّاً
في واجبي نحو الزعيمِ التونسي
والعفو منه أرتجيه فإن عفا
فالعفو من شيمِ اللبيبِ الكيسِ
والعقلُ في «عبدالعزیز» موقَّرُ
فلذاك من عفو له لم أئس
عفواً وصفحاً يا زعيمُ عن امرئِ
بسوى الهمومِ حياته لم يكتس
أعمى مُقلُّ جردته يدُ القضا
فإذا شككتَ فسلُ بذلك ملبسي
إني اعتزلتُ الناسَ لمّا لم أجِدُ
حظَّ الضّعيفِ سوى شَماتِ الأليس^(٢)
سلُّ بي يُجيبوا أن صقراً ميّتُ
مما بيننا لكنه لم يُرمس^(٣)
هذا جـــــوابهمُ لأنّي لابسُ
بيتي على حُكمِ الثيابِ الدُرسِ^(٤)

(١) لم يتمكن من حضور الحفل الذي أقيم للزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي في زيارته الأولى للكويت وفي سنة ١٣٤٧هـ، زار الثعالبي الكويت مرة ثانية فأقيم له حفل في مدرسة السعادة فقال هذه القصيدة وألقاها نيابة عنه الشاعر عبداللطيف إبراهيم النصف في هذا الحفل.

(٢) الأليس: القوي.

(٣) يرمس: يدفن في الرمس وهو القبر.

(٤) الدُرس: جمع دارسة وهي البالية التي لا تبين معالمها.

متحامياً نظراتٍ من لم ينظروا
 أبدأ إليّ بغير طَرْفٍ أَشْوَسٍ (١)
 يرمون عن قوس الأذى بسهامه
 ذا الفَقْرِ إن يَنْبِسُ وإن لم يَنْبِسِ (٢)
 ويرونَ مَحْيَا المُعَسِرِينَ مِنَ الْوَرَى
 عَبَثًا، وإن كانوا كبارَ الأَنْفُسِ
 لاحقٌ في المَحْجَا لَدَيْهِمُ لِلَّذِي
 فِي الأُذُنِ مِنْهُ فَمُ الغِنَى لم يهْمِسِ
 فلذاك لَمَّا عَزَّنِي نَيْلُ الكُسا
 ما بين أقوامي اكتسيتُ بمجلسي
 حتى أتيتَ فجاء بي شوقي إلى
 لُقْيَا عَالِئِكَ يا أَشَمَّ المَعطَسِ (٣)
 إن كنتَ يا عبدَ العزیزِ إلى العُلا
 تسعى وللمجد الرفيع الأَقْعَسِ (٤)
 فاهناً فنجمٌ علاك مرفوعٌ على
 شُهْبِ المَعَالِي وَهِيَ شُمُّ الأَرُوسِ
 خَلَدَتْ فِي التَّارِيخِ بِيضَ صَحَائِفِ
 لَكَ، ما بها لِيَدِ البِلَى من مَلَمَسِ
 بجهودك اللَّاتِي نَمَمَنَ على هَوَى
 لِلعُرْبِ تُضْمِرُ مِنْهُ أُنْفَسَ مُنْفِسِ
 فَبَنُو مَعَدٍّ لَيْسَ فِيهِمْ من فَنَى
 عن شكر مسعاك الحميدِ بأخرس

(١) اشوش: متكبر.

(٢) ينبس: ينطق.

(٣) المعطس: الأنف والأشم المرتفع، ويمدح فيقال: هو أشم الأنف.

(٤) الأقعس: الأعلى.

يُغني نوي الضاد النَّفيسةِ ذكْرهم
إياكَ عن ریح الصَّبَا المُنْتَفِسِ
لو كان ذكْرُكَ سائلاً لم يَقْتَنِعْ
بِطِلًا سِوَاهُ مُغْرَمٍ بِالأكْوَسِ
أهْتَزُّ إذْ ذكْرَاكَ تطرُقُ مسمَعِي
حتى كائني للسُّلَافَةِ مُحْتَسِ
طَرِبًا لَغُرِّ خَلَائِقِ أودِعْتَهَا
كُلُّ الفَخَارِ بهنَّ للمُتَلَبِّسِ
لو كان للبحر الخِضَمُّ أَقْأَهَا
بالمِلاحِ كان البحرُ لم يتَبَجَّسِ (١)
لا زلتَ في أبناءِ يعربَ إن نَجَا
ليلُ الخطوبِ عليهمُ كالمَقْبَسِ
أما الكويْتُ فلا تسلُ عن أنْسِهَا
بِقُدومِكَ المُولِي الفَخَارِ المُوْنِسِ
عَمَّتْ بمآتَاكَ الكويْتِ مَسْرَّةٌ
من أخمصي جثمانها للقوْنِسِ (٢)
إني لأرجو أن تُؤسِّسَ بيْنَا
فيها الوئامَ فأنتَ خيرُ مؤسِّسِ
فاغرسْ بذورَ هوى الوئامِ فإِنَّهُ
ينمو في جنى إن بكفِّكَ يُغْرَسِ
وأزلْ بحكمتِكَ الشُّقَاقَ فلم نَزَلْ
منه لشريقِ قوتنا نسيْرُ بحِنْدِسِ (٣)

(١) يتبجس: يتفجر.

(٢) القونس: أعلى الرأس.

(٣) الحنيس: الظلام.

إنا انقسمنا في الكويت كما تشا
 أهواء كلٍّ مُعمِّمٍ مُتطلِّسٍ (١)
 فالخُلفُ منشؤه مطامعُ عصبيةٍ
 لسوى اصطيادِ المالِ لم تتقلَّس (٢)
 مدّوا من اسم الدينِ شرّاً حِبالةً
 للمالِ بالتفريقِ مدّاً مُدلِّس (٣)
 فأمتُ ثعالبِ كيدِ كلِّ مُفرِّقٍ
 باسمِ الديانةِ من نُهاكِ بعنِّس (٤)
 لولا أولئك لم يقطبُ بعوضنا
 في وجهه بعضُ في الكويتِ ويعبس
 هل في صحيحِ الدينِ ما يدعو إلى
 مُردِي التفريقِ والتَّعادي المُتَّعِسِ؟
 كلا ولكنْ ناصبوه كُفَّةً
 عكسوه عمداً ويأهم من عكَّس (٥)
 ما زال منهم في الكويتِ مُوسوسٍ
 يدعو إلى التفريقِ إثرِ مُوسوسٍ
 أنبأ بخيرٍ للكويتِ تَوسُّمي
 ما أتى الزعيمِ التَّونسي وتفرُّسي
 يا ويلنا إن لم نجدْهُ مكمِّماً
 من خُلفنا أفواهُ أُسُودِ نُهَّس (٦)
 فمن الذي من بعدِ واحدِ تونسٍ
 نرجو لإسكاتِ العوادي الرُّجَّس

(١) متطلِّس: لابس الطيلسان.

(٢) تقلَّس: لبس القلنسوة.

(٣) المدلِّس: الذي يخفي العيوب.

(٤) العنِّس: الأسد.

(٥) كفة الصائد: الحبال التي يصطاد بها.

(٦) النهس: جمع ناهس وهو الذي يأخذ اللحم بمقدم أسنانه.

لِمَ لَا أَفْعَلُ^(١)

إِنِّي هَمَمْتُ بِأَنْ أَقْبِلَ أَنْمُلًا
رُكْبَنَ فِي يَمْنَى الزَّعِيمِ التُّونِسِيِّ
حَتَّى إِذَا مَا كَدْتُ أَحْظِي بِالَّذِي
فِيهِ لِنَفْسِي فَخُرُّهَا فِي الْأَنْفُسِ
عَنْ الْعِثَارِ لِطَرْفِ حَظِّي فَاثْنَى
بِي دُونَ غَايَةِ مَفْخَرٍ لِي أَفْعَسَ
لِمَ لَا أَقْبِلُ كَفَّ رَامٍ إِنْ رَمَى
هَدَفَ الْحَقِيقَةِ كَانَ خَيْرَ مُقَرِّطِسٍ^(٢)
سَلَّ عَنْهُ «إِفْرَنْسَا» تُجِبُ هَذَا شَجًّا
بِحَلُوقِ أَطْمَاعِي الْفِيسَاحِ النَّهْسِ^(٣)

(١) حاول تقبيل يد الزعيم التونسي عبدالعزيز النعالي عندما عانقه ولكنه لم يمكنه من ذلك فقال هذه الأبيات.
(٢) قرطس: أصاب القرطاس أي الغرض.
(٣) النهس: الكثيرة النهس وهو الأخذ بمقدم الأسنان.

إن بحت أخلب^(١)

هذا وبين جوانحي ما بئنه
إياك عني الآن خيـرُ مُنْقَسِ
لكنني إن بحتُ منه بالذي
أخفيه أخلبُ هاهنا وأضرسُ
فله سوى ذا الوقت وقتُ فلندعُ
مكتومه حتى فراغِ المَجْلِسِ

(١) ارتجل هذه الأبيات على أثر حديث دار بينه وبين بعض الكبراء.

الأحدث ينسي الأقدم^(١)

ما في «أوال» ولا في الساكنين بها
من موضع لهجا الهاجي ولا باس
لولم نجد ساكن «البحرين» تشغله
بأنسها عن محببيه من الناس
هذا (ابن أحمد) لما أن توطئها
أنسته زكري فأضحى وهو لي ناس
ولا ألوم امرأة أنسنته موطنه
إذا أنته سعيدياً بعد إتعاس
ينسي قتاد الفيافي من يعيش بها
ما في البساتين من وردٍ ومن أس
لكن ألوم الذي تنسيه ذا مقة
به من الودّ مشدوداً بأمراس^(٢)
إن سرّ سرّ وإن تُحزنه حادثة
أضحى يُشاطرهُ أحزانهُ آسي
عاطتُهُ كأسٍ وِدادٍ حادثٍ فغدا
لها على نسني ماضي صحبتي حاسي
ألومهُ وهو بادي العذر بيئهُ
ودُّ بوُدٍّ وإيناسٌ بإيناس

(١) بعث بهذه القصيدة إلى صديقه عبدالعزيز بن أحمد الرشيد وكان قد اتخذ من البحرين مقراً مؤقتاً له.

(٢) الأمراس: الحبال.

يُنسي الفتى أحدثُ الأهواءِ أقدمَها
واللَّدُنْ يُنسي الهَزَارَ اليابسَ العاسي^(١)
لكن رجوتُ مَلامَ الشيخِ يَنشُرُ ما
من المزاحِ النَّوى أدنَتْ لإخناس^(٢)
فقد ألفتُ مِزاحَ الشيخِ عن كَتَبِ
على انفرادي به أو بينَ جُلاسي
وكان ذاك شِفاهاً بيننا فأبى
طيبَ اجتماعي بشيخي دهريَ القاسي
ولا سُلُوَ عن المألوفِ يُذهِبُ لُني
ولو تمكَّنَ بي من عَـوْدِهِ ياسي
فصرتُ أمزحُ طوعَ الشُّوقِ عن بُعدِ
كما اقتضتْهُ سخافاتي ووسواسي
من فاتتْهُ البينُ بالمحبوبِ أعجَبَهُ
من الطلولِ وقُوفُ بينِ أدراس^(٣)
فاليومِ دأبني تمثيلي مـازحَةً
كانت حقيقتُها مدعاةُ أعراس
تخيُّلُ الشيءِ يغني عن حقيقتهِ
لقائسِ ذينِ من سُخْفِ بمقياس
وقد تَناني سخيْفَ الرأيِ مُرُّ نوى
عبدالعزیز فسُخْفِي اليومِ قسطاسي^(٤)
وقد يرى عَجَباً مني مـازحَتِي
على المُشيبِينِ تضييعي وإفلاسي

(٣) العاسي: الغليظ الصلب.

(٢) الإخناس: التأخير.

(٣) أدراس: جمع دارس وهو الذاهب الأثر.

(٤) القسطاس: الميزان.

إنِّي وإن كان تضيياعي ومَثْرَبِي
 على حداثة سَنِي شَيِّبَا راسي
 مع الكريم من الأصحاب منجذبُ
 إلى المزاح بطبعي الرَّاسخِ الرَّاسي
 يا مَنْ أَلَأَنْتُ له الأيامِ جانِبَها
 ما زال دهري يبغني خُنُقَ أنفاسي
 وخيفةً أوجستُ نفسي لقسوتهِ
 والجِدُّ لم يَسْرِعْ عني ثوبَ إيجاسي (١)
 لذا تراني هجرتُ الجِدَّ أجمَعَهُ
 حتى أتاك بمزحي اليومَ قرطاسي
 وربما ضحكك الباكي الذي اصطدمتُ
 به من الدهر أضراسُ بأضراسي
 إن يَأْسُ دهري جروحي باقترابكمُ
 منحتُ دهري مديحَ الجارحِ الآسي (٢)
 وقلتُ لا خيرَ في البسامِ عندَ رضًا
 وعندَ سخطِ تراهُ غيرَ عَبَّاس (٣)
 بالأمس دهري سقتني الصَّابَ غضبَتُهُ
 واليومَ شهداً رضاهُ مالئاً كاسي
 أيعلمُ الشيخُ أني من تَباعُدِهِ
 ما زلتُ أضربُ أخماسًا لأسداس
 وهل أحسنُ الفتى عبدُ العزيزِ بما
 نَوَاهُ من نارها أذكَتُهُ إحساسِي

(١) أوجس إيجاسًا: أحس وأضمر.

(٢) آسا، ياسو: داوى.

(٣) عباس: كثير العبوس.

أم أن سُؤْوانَهُ إِيَّاي أَسْـَـعَدَهُ
 وعنه طَرَفُ سُؤْوي راجعُ خاسي^(١)
 إن يَسْئَلُ أوْ لا فـانِي لَن أزالَ له
 بما يَحـيِكُ وفانِي رافلُ كاس
 لا أَعـَدَمَ اللُّهُ مِنْهُ الدِّينَ ذا ثِقـةٍ
 يُهـدِي إِيَّاهُ مُقِلاً خَيْرَ نِراس^(٢)
 لِيستَ مَجَلَّتُهُ إلا سراجَ هدى
 بـكَلِّ ليلَةٍ شَكُّ ذاتِ عـساس^(٣)
 أَدنَّتْ إلى مَلَّةِ الإِسْلامِ نُضـرَّتْها
 وشَكُّ ذِي الشَّكِّ أَدنَّتُهُ لإيـساس

(١) خاسي: مخفف خاسي كليل معي.

(٢) النيراس: المصباح.

(٣) العساس: هنا الإِظلام.

برؤك يصرف همي^(١)

ما كنتُ أحسبُ قريةً بجمالها
تُنسي الحبيبَ مُحبِّهُ في الناسِ
حتى نسيتَ اليومَ مني ذاكراً
لما اجْتُلِّيتَ مَحاسِنَ «الفنطاس»
ما جاءني منك البشيرُ بصحةٍ
خلعتُ عليك اليومَ خيرَ لباسِ
إلا ابنُ خالدٍ الكريمُ تبرُّعاً
جُودَ الرياضِ بطيبِ الأنفاسِ
ولقد علمتُ بأن بُرَّأك صارفُ
عني صنوفِ الهَمِّ والوسواسِ
وإذا البشيرُ عليك عَزَّ فلم يكنِ
لِيَعِزُّ بعثُ الحُبِّرِ والقِرطاسِ
كـَـلا ولكن لو «تَفَنُّطَس» برهَةً
ماءٌ لأضحى وهو صخرٌ قاسِ
ما كنتُ ترضى يا سلالَةَ صالحِ
قبلَ «التفنطُس» أن أظَلَّ بياسِ
فـالذنبُ «للفنطاس» لا ازدهتِ الرُّبَا
منها بحوذانٍ ولا بِسِيباسِ^(٢)

(١) بعث بهذه القصيدة: إلى صديقه المرحوم أحمد المشاري، وكان في مزرعته في الفنطاس يستجم من وعكة أصابته.

(٢) الحوذان والبسباس: من النباتات.

إذ لم تكن قبل ارتبَاعِكَ أَرْضَهَا
- مَفْتَرَةً عَنْ رَوْضِهَا - لِي نَاسٍ
فَالِيٍّ قَبْلَ الصَّيْفِ يُغْرِي رِيحَهُ
فِي نَبْتِهَا الْمَخْضَرِّ بِالْإِيَّاسِ
فِيَجِيئُنِي إِذْ ذَاكَ فَضْلَ مَصِيفِهَا
بِكَ أَيُّهَا النَّاسِي أَوْ الْمُتَنَاسِي
فِيْفُورُ دُونَكَ صَيْفُهَا بِتَشْكَرِي
فِي رَدِّهِ نَحْوِي أَخَا إِيْنَاسِي
أَحْيَا دُنُو الصَّيْفِ - فِي أَنْ نَلْتَقِي -
أَمَلِي الَّذِي أُرْدِيْتَهُ بِالْإِيَّاسِ

ظُنَّ جَمِيلًا بِاللَّهِ

وظنني أن الله عنك مفرجٌ
وشيكًا فلا تُنزلِ جوانحك اليأسا
فما زلت ممن يبذل العرفَ حسناً
إلى من عليه كلُّك الفقرِ قد أرسى
وربك لم يُنزلِ بذِي العرفِ شِدةً
ليجعلها وقفًا عليه ولا حبسًا
ولكنه يأتي بها رافعاً له
ذرى الأجر أو من أجره مثبِتًا أسًا
فظنَّ جميلًا بالذي في فضائها
إذا كُسيقتْ شمسُ النهارِ جلا الشمسَا
ولم أرَ كالإحسانِ درعًا منيعةً
تقي أهلها وقعَ النوائبِ أو تُرسَا
فكم نزلت بالمحسنين شِدادتُ
ففرجها من حيث لم يحدسوا حدسا
ومن أنطقَ الأحداثَ وهي صوامتُ
يهونُ عليه عنك إرجاءُها خُرسَا
ولله فيما يفعلُ اللهُ حكمةً
يفوتُ بها كتمائنها العقلَ والحِسا
يطيفُ بنا سعدُ الخطوبِ ونحسُها
ويمنعنا تعليلنا السُّعدَ والنَّحسا

إِذَا مَدَّ لِي الْمَقْدُورُ كَأْسًا شَرِبْتُهَا
 وَلَوْ قَلَسْتُ فِيهَا أَرَأَيْتُ قَلَسًا (١)
 أَحْسُّ كغَيْرِي طَعَمَهَا غَيْرَ عَالِمٍ
 كغَيْرِي أَيْضًا سِرًّا تَجْرِي عِي الْكَأْسَا
 وَأَعْرِضْ عَمَّا شَاقَ نَفْسِي وَرُودُهُ
 كَمَا شَاقَ أَنْ يُبْقِيَ لَهَا صَخْرُهَا النَّحْسَا
 فَأَخُذْ مَضْطَرًّا وَأَتْرِكْ مُرْغَمًا
 وَيَصْبِحْ بِالْأَسْرَارِ جَهْلِي كَمَا أَمْسَى
 هُنَاكَ أَهْدَافٌ كِثْرًا وَلَنْ يَرَى
 لَهَا الْعَقْلَ سَهْمًا صَائِبًا لَا وَلَا قَوْسَا
 يَطَاطِيءُ عَجْزًا رَأْسَهُ كُلُّ رَافِعٍ
 لِتَعْلِيلِ صَنَعَ اللَّهُ فِي خَلْقِهِ الرَّأْسَا
 إِلَى ظَلْمَةٍ مِنْ ظَلْمَةٍ يَخْرُجُ الْحِجَا
 إِذَا ارْتَادَ هَاتِيكَ الْمَفَاوِزَ أَوْ عَسَا (٢)

(١) قلست: خرج من بطنه إلى فمه طعام أو شراب ملى الفم. وقلست الكأس بالشراب: قذفته لفرط امتلائها.
 (٢) عس: طاف بالليل.

إلى صديق الأمس

أَقْطَعُ بَرَهَةً خِـلَالاً، وَدَادِي
عَلَيْهِ قَبْلُ كَادَ يَكُونُ حَبْسًا
لأَعْلَمَ هَلْ لَدِيهِ إِلَيَّ مَـيْلٌ
كَمَـيْلِي نَحْوَهُ فَأَطِيبُ نَفْسًا
فَلَمْ يَبِـعْثْ إِلَيَّ رِسْـوَلٌ وَدٌّ
خِـلَالَ الْقَطْعِ أَنْسُ مِنْهُ أَنْسًا
وَلَمْ أَرَ مِنْهُ مَكْتَبًا يُرِينِي
بِأَنِّي عِنْدَهُ مَسَا كُنْتُ أَنْسِي
كَأَن لَمْ يَسْتَطِعْ إِرسَالَ شَخْصٍ
وَلَمْ تَمْلُكْ يَمِينُ مِنْهُ طِرْسًا
وَلَمْ أَبْرَحْ عَلَى مَـيْلِي كَأَن لَمْ
أَجِدْ مِنْ أَن يَمِيلَ إِلَيَّ يَأْسًا
وَمَنْ لَمْ يَسْأَلْ سَالِيَهُ فَمِنَّهُ
كَمَا شِئْتَ أَتَهُمْ عَقْلًا وَحِسًّا
وَهَذَا أَخْرُرُ الْأَقْـوَالَ عِنْدِي
لِلْحَقِّ حَقٌّ مَحْضِ الْوُدِّ بَخْسًا
وَمَا قَوْلِي لَهُ إِنْ لَمْ يُجَدِّدْ
وَفَاءً مِنْ عَهْدِ الْوُدِّ نَرْسًا
سَأَبْقَى لَانْدًا بِالصَّبْرِ عَنْهُ
وَإِنْ أَفْنَى فَوَادِي الشُّوقِ نَهْسًا

فَإِن لَّمْ أَسْتَطِبْ زَمَنَ التُّجَافِي
 تَجَرَّعَ مَا تُدِيرُ يَدَاهُ كَأَسَا
 فَكَمْ لِي أَسْوَةٌ بَيْنَ الْبِرَارِيَا
 وَقَدْ يُبْلِي الْأَسَى حُرّاً تَأْسَى
 وَمَا أَحَدٌ عَلَى حَالٍ بِبِقَايِ
 وَلَكِنْ حَائِلٌ سَعِدَاً وَنَحْسَاً (١)
 وَكَمْ حُزْنٌ تَكشَّفَ عَنْ سُرُورِ
 وَمَحَبُوبٍ بِهِ الْمَكْرُوهُ دُسَّ
 وَمُؤَسِّ حَوَادِثٍ قَدْ عُذِنَ حُشِنَاً
 وَخُشِنَ حَوَادِثٍ قَدْ عُذِنَ مُؤَسَا
 فَلَا تَكُ لِلْبُكََا يَا جَفُنُ خِدْنَا
 وَلَا تَكُ لِلْأَسَى يَا قَلْبُ جِلْسَا
 فَمَنْ أَبْكَى وَأَحْزَنَ مِنْهُ عَيْنَاً
 وَقَلْبَاً مَنْ تَخَلَّى عَنْهُ خَسَاً (٢)
 وَلَا تَقُتْكَ يَا نَفْسِي عَلَى مَنْ
 تَجَافَى أُنْمَلُ الْحَسْرَاتِ جَسَاً
 وَذُودِي بِاصْطِبَارِكِ كُلِّ حُزْنِ
 بِكُلِّ كَلِمَةٍ عَلَيْكَ الْيَوْمَ أَرْسَى
 وَرَجَّيْ أَنْ يَرُدُّ اللَّهُ لَطْفَاً
 نَوَاطِقَ الْأَسْنَنِ الْأَشْجَانِ حُرْسَاً
 فَتَقْدُ أَلْفِي مِنَ الْجَافِي بَدِيلاً
 يَطِيْبُ لَدِيهِ بَذْرُ الْوُدِّ غَرْسَاً

(١) حائل: منحول من حال إلى حال.

(٢) خس: نقص من القدر أو الوزن.

كما وجَدَ البَدِيلَ وَكُلُّ خِلٍّ
 يرى لخليله في الناس جنسًا
 ولم يرَ من تَبَدَّلَ من صديقٍ
 بأخَرَ غيَرَ وَقَعَ الذُّكْرُ بِأَسَا
 وللمذكرى على الإلفِ اشْتَدَّ
 إلى أَجَلٍ وَيَعْدُ تَلِينُ مَسَا
 لعل الله يَلطُفُ بي فـاللقى
 صديقًا مثل من فارقتُ نِطْسًا (١)
 وليس يَفـوُّهُ إلا بآن لا
 يَمَلُّ زيارتي مَغْدَى وَمَمْسَى
 فقد فات العيوبُ صديقُ أمسي
 سوى المَلَلِ المُرِيهِ لِقَائِي تَعَسَا
 ومن يَمُدُّ بِناءِ الودِ يَوْمًا
 على وَدِّ المَلُولِ انهدأ أُسَّسَا
 حَنَانِي الفِكرُ أبحثُ عن دواعي
 تجافيه فكدتُ أَصِيرُ قوسًا
 ولم أَعـتُـرْ على ذنبي ولكن
 رأى سَنِمًا ودادي الطُّهْرَ رَجَسَا
 ومن سـمَّـا المَلُولِ دَوَامٌ وَدُّ
 فذاك فتى بأيدي الخَبِيلِ مُسَّسَا
 وقد أوجزت لا عِيًّا ولكن
 مخافة أن أُصدعَ منك رأسًا
 فمملولُ اللقاءِ يَمَلُّ قَوْلًا
 ويعكسُ حَظَّهُ حُسْنَاهُ عَكْسَا

(١) النطس: العالم والطبيب الحاذق.

فلو بالدرُّ لا بالشعرِ وافي
 يُعبأتبُ ديسَ ذاك الدرُّ دوسا
 وما سُفَّت العتَابُ إليك إلا
 لخوفي أنني أخطأتُ حدسًا (١)
 فما قد كنتُ أحسبُه مَلالاً
 ركبتُ لأجله الهجرانَ عَنسًا (٢)
 يدُ منها أطلتُ المدَّ تبغفي
 بها عندي اجتلاءُ الودِّ لسا
 فلم يَعدم توارُدُ خاطِرِينا
 نسيجًا حاكهُ الإمكانُ لئسا
 ولولا ذاك ما عاتبْتُ حتى
 تُلامِسَ بي يمينُ الموتِ رَمَسا
 فما أنا من يقمِمْ على ودا
 يرى في صفوه شَكًّا ولَبَسا

(١) الحدس: التخمين.

(٢) العنس: الناقة.

شكوى على باعة الغاز^(١)

يا بائعَ الغازِ رُبْعَ الرُّبْعِ من مئةٍ
مما تَقُومُ به من دَقِّكَ الجَرَسَا
يؤذي ويزعجُ أيقظاً تمرُّ بهم
ويطرِدُ النومَ عن عينِ الذي نَعَسَا
فكيف تحملُ هذا الدقُّ أجمعه
هأمٌ ولو كُنَّ اصلاذَ الصِّفا المُسَا^(٢)
كأن دَقِّكَ دَقٌّ ظَلَّ يُسْمِعُنِي
مكروهة قلبُ هذا الدهرِ منذُ قَسَا
فلستُ أغبِطُ ما جُلجَلتَ عن كَثْبِ
إلا الأصمَّ وإلا مَيِّتًا رُمِسَا
ما قاربَ البرءِ رأسي من تصدُّعِهِ
إلا ومَرَّ به شَرُوكَ فانتكسَا
أما هدوءُ أعْيِ صابِي فلم أرَهُ
منذ استَهَلَّ من الأجراسِ ما خرسَا
لا أفقدَ اللهَ سَمعي غيرَ صحَّتِهِ
فكم أحالتَ أسيَّ في نفسِي الأُنْسَا
ما ضَرَّ قائمكم بالمزعجاتِ لنا
لو أنه ما دنا منها ولا مَسَا

(١) كان الشاعر تؤذيه الأصوات المنكرة. وكان من عادة بائعي الكيروسين أن يستعملوا لعرباتهم أجراساً تدق بصوت عال لإعلان أهل المنازل بوجودهم. وقد وجه الشاعر هذه القصيدة إلى مدير البلدية حينذاك المرجوم عبدالله الصالح الفلاح، فأصدر أمره بمنع استعمال الأجراس.
(٢) الأصلاذ: جمع الصلد وهو الصلب. والصفاء: الحجارة الصلبة.

لِمَ لَمْ تَكُنْ فِي سُقَاةِ الْمَاءِ أَسْوَتْكُمْ
فَنفَعُهُمْ لِبَذْرِ الضُّرِّ مَا غَرَسَا
يَبِيعُ مِنْ مَائِهِ مَا شَاءَ بَائِعُهُمْ
وَمَا ابْتَغَى جَرَسًا يَوْمًا وَلَا التَّمَسَا
لَوْ حَذَوْهُمْ قَدْ حَذَوْتُمْ لَمْ تَرَوْا أَحَدًا
إِذَا رَأَى بَعْضُكُمْ فِي شَارِعِ عَبَسَا
عَيْنَ الضَّرِيرِ الَّتِي تَهْدِيهِ مَسْمَعُهُ
وَكُلُّ ضَوْضَاءٍ لَيْلٍ عِنْدَهُ دَمَسَا
فَسَمِعُهُ غَيْرُ كَافٍ فِي هِدَايَتِهِ
مَا رَنَّ كَالْجَرَسِ الْمُؤَذِي وَمَا رَجَسَا
يَعُدُّ سَمْعُ ضَرِيرِ الْقَوْمِ هَذَا تَهُمُّ
كَمَا تُعَدُّ الْعَيُونُ الشَّمْسَ وَالْقَبَسَا



حَقُّ لَنَا يَا شَبِيهِي فِي مَصِيبَتِهِ
أَنْ لَا يَضِجَّوْا وَهَذَا الْحَقُّ قَدْ بُخِسَا
قَلَّ لِلْمَدِيرِ عَنِ الْعُمِيَانِ رَفَقَكَ إِنْ
خِيفْنَا الْكَوَارِبَ مِنْهُ الْكُلُّ مَا يئُسَا
فَنظَرَةٌ مِنْكَ نَرْجُو أَنْ يَلِينَ بِهَا
مَا اشْتَدَّ مِنْ كَرِينَا هَذَا وَمَا يَبَسَا
أَوْضِحْ لَنَا نَائِبًا عَنَّا شِدَائِدَ مَا
نَنفَكَ نَصَلِي لظِيٍّ مِنْهَا صَبَاحَ مَسَا
فَمَا الْبَصِيرُ مُحْسِنٌ كُلِّ مَوْجَعَةٍ
مِمَّا إِلَيْنَا بِهِ صَرْفُ الزَّمَانِ أَسَا^(١)
عَيْنُ الْبَصِيرِ إِذَا مَا ضَجَّةٌ عَرَضَتْ
أَغْنَتْهُ عَنِ أَذْنِ إِرْشَادِهَا النَّبَسَا

(١) أسا: مخففة من أساء.

لذاك قد لا تراه شاكياً ضرراً
منها شكاهُ ضريراً حوله جأسا
فأنت من يوضح الأشياء إن غمضتُ
كُلَّ الوضوح الذي سمع إذا نَبَسا
فكم رَدَدْتَ إذا أوضحت غامضةً
إلى اليقين بها حدسُ الذي حَدَسا
أَلَمْ سَنَّهُ كُنْهٌ مُلِمٌ ليس يورثنا
غير الصُّداع الذي قد يورثُ الهَوَسا
عساهُ أن يتلافانا وينقذنا
معاشرَ العُمي مما نشتكه عسى

لماذا يحسدونني^(١)

رَمَوْا عَن قَوْسِ كِذْبِهِمْ سَهَامًا
بريش سرفاههم كانت تُراشُ
لكيما يخدموا عِرْضِي فَمَرَّتْ
وعِرْضِي لَمْ يُلْخُ فِيهِ انْخِرْدَاشُ
فَقَلَّ لِلوَارِدِينَ حِيَاضُ ثُلْبِي
بِوَرْدِ الكِذْبِ لَا تُرَوِي العِطَاشُ
وما أَنَا مِنْ يُهَارِشُ فَلْتَدَعْنِي
كِلَابٌ مِنْ سَجَايَاها الهِرَاشُ
وما فَضْلِي عَلى كَلْبِي إِذا لَمْ
يَزْعَنْني عَنْهُ مَنِّي اليَوْمَ جَاشُ^(٢)
لئن كَرِهوا اشْتَعَالَ سِرَاجِ فَضْلِي
فإنَّ النورَ يَكْرَهُهُ الخِرْفَاشُ
عَذْرَتُ القَوْمِ لو بِالْكَذْبِ تَشْفِي
قُلُوبَهُمُ المَرِيضَةَ والمَشْأَشُ^(٣)
ولكنَّ التَّكْذِبَ لَيْسَ فِيسِهِ
لرَضِي حاسِدي الفِضْلِ انْتَعاشُ

(١) كثرت أقاويل الغوغاء فيه وذلك بتحريض من حساده حين ينشر قصيدة يطالب فيها بالإصلاح أو يهاجم من اتخذوا الدين مصيدة للمال فقال هذه القصيدة.

(٢) الجأش: القلب. ووزعه يزعه: كفه ومنعه.

(٣) المشاش: جمع المشاشة وهي النفس والطبيعة.

ومن عجب تصدّيتهم لما لم
 يكن فيه من الحسد انتياش (١)
 وأعجب من ذوي حسد الحت
 عليهم نار غيظهم فطاشوا
 مُصدّق زورهم والزور عار
 سايب لا لباس ولا ريش
 أأحسد يا لأقوامي ولمّا
 يُصّبني وبّل يُسرّ أو ريشاش
 فإن طاب المعاش لكم بيسر
 فلي بالعسر قد خبث المعاش
 فلولا فاقتي ما كنت ذنباً
 بسوء الظن ترميه الكباش
 ولم أصبغ كأي في عيون
 قذاة أو باناف خشاش (٢)
 ولم تنبغ كلاب الحي ممّا
 مررت بها ولم تنهق جحاش
 فإن أصبحت غفلاً من يسار
 يلوح عليكم منه انتعاش
 فلا تبغوا فاللدينا انقلاب
 وشوك البغي ليس له انتقاش
 سلوا التاربخ كم رجل غناه
 له منه التحاف وافتراش

(١) الانتياش: الإخراج والتناول والإنقاذ.

(٢) الخشاش: جمع خشاشة العود الذي يوضع في أنف البعير ليذل.

طغى فاعادته الطغيان ممن
لهم من ممرضِ الجوع ارتعاش
فلا يُعجبكم للبغى مَرعى
فإن البغى نارٌ يا فَراش

حقق ما وعدت

حبيبي قد واعدتني بزيارة
فهل لك حتى الآن لم تسنح الفرص
أم الصدد تنوي أن تريش جناحه
وقد رده بالأمس منك الرضا أحص^(١)
فإن كان هذا ما نويت فعندنا
له من عتاب لا يسوء الهوى مَقص
وظئني أن لا تغلي اليوم زوره
على من عليها من سماحك قد حرص
إذا كان مثلي مستزيرك بلبلأ
سجيناً له من جوف حُجرته قفص

(١) الأحص: الساقط الشعر.

القنوع هو الغنى

ولو علموا أن القنوع هو الغنى
وأني منه مالك أوفر الحصص
رأيتهم قد أبدلوا القرب بالنوى
وكل على الأعقاب لي منهم نكص
ولكنهم خافوا سؤالي فباعدوا
وهيهات سؤلي فضل ذي ثروة نقص
فحصت سجايا من بليت بودهم
فجرعتني فحصي سجاياهم الغصص
وأترك معنى ما أقول لفطنة
لديك فعنه عندها أحسن القحص
إذا فحص الإنسان أخلاق بعض من
يعاشرهم يأسى على أنه فحص
ولو ترك الأخلاق منهم دفينه
عليها من التمويه أطباؤها ترص
لكان اغتباطاً قلبه - بمزوق
من الودد يبيديه له القوم - قد رقص
فهل ظل عذر المبتلين طباعهم
إذا أظهروا زهداً بعشرتهم قلص^(١)

(١) قلص الظل: انكمش وانقبض.

كرهتُ بقائِي في وِهادِ خِلاطِهِمْ
فأركبني كُرْهِيهِ من عُزلتي مَنص^(١)
فلستُ بِمُرْتَدٍّ - كما كنتُ ناشئاً
غريراً - على آثارِ عِشرتهم قَصَص^(٢)
وأَيُّ لَبِيْبٍ عادِ يهبطُ وادياً
كثيرَ الضواري بعدَما منه قد خَلَص

(١) المنص: ما يرفع من أمكنة يقعد عليها.

(٢) قص أثره قصصاً: تتبعه شيئاً فشيئاً.

حق بغير غموض^(١)

نهاري وليلي لم أزل لك ذاكراً
ولكن جريضي حال دون قريضي^(٢)
فكم مرة حاولت نظم قصيدة
تفيض بقص في الهوى وقضيض^(٣)
مذكرة من عهد ودي سالفاً
صحيحاً على الأيام غير مريض
مؤدبة ما الود أصبح حاكماً
علي به من سئنة وفروض
ولكن بي سقمًا إذا شئت نهضة
إلى مثل هذا الأمر عاق نهوضي
سقام تسميه البرية فاقه
وشاكيه موصوف لهم ببغيض
غدوت به قبل الأوان مبدلاً
برغمي من سود العذار بببيض
فعدراً أبا عوف فمثلك ناظر
بطرف عن الأعذار غير غضيض

(١) قال مجيباً الشاعر عبدالرحمن البغدادى على أبيات وردته منه.

(٢) الجريض: الريق يغص به والمثل «حال الجريض دون القريض»، يراد به إلى... والغصص حالا دون قول الشعر.

(٣) القص: صغار الحصى والقضيض ما تكسر من الحصى وبق ويقال جاء القوم قضيم وقضيضهم أي جميعهم.

ولا زلتَ من أشعاركَ العُرِّ واقِعًا
 على كُـلِّ روضٍ لا يَجِفُّ أريـضٍ^(١)
 ولا أسكُتتَ منكَ الحوادِثُ بُلْبُلًا
 غريبًا تُغَنِّيهِ بمثلِ جَريـضِي
 فكم أطرَبتُنَا أو شَجَّتُنَا غرائبُ
 لهنَّ علينا كنتَ غيرَ مُفـيض
 ولو كان شِعري كُفُوَ شِعركَ لم أقمُ
 بغيرِ طويلٍ في الجوابِ عَريـض
 ولكن ما أهديتَ تغريدُ عندلٍ
 وما أنا مُهديةِ طنينٍ بَعـوض
 وما قلتَ هذا القولَ مني تواضعًا
 ولكنه حَقُّ بغيرِ عُـمـوض
 وإن هاضتِ الدنيا جناحَكَ وحدهُ
 فلم تُثِقِ عضوًا في غيرِ مَهـيض
 فقد أوقعتني كَفُّ عُسري على شَفَا
 ضريحي وظنني فيه قُرْبُ دُحـوضي^(٢)
 غدوتُ كَأني في بلادي مُصَحَفُ
 وأبيضُها الرئانُ ذاتُ مَحـيض
 فمنذَ زمانٍ ما حَلَمْتُ بدرهمٍ
 - على تَرِكِهِ إِيَّاي - غيرِ مَروض
 وما زلتُ فيها منفقًا ما أصوغُهُ
 لحلي على من ليس عنه مُعـيـضِي
 [مَنْ] يَصُدُّ يَطْمَعُ في السرابِ ويلتبسُ
 عليه نَقِيسُ في الدُّنَا بنقِيسِ

(١) الأريـض: الكثير العشب.

(٢) دحـض: زلق.

إلى لؤامي في العزلة

طُبِعْتُ عَلَى غَيْرِ الَّذِي قَدْ طُبِعْتُمْ
عَلَيْهِ فَمَا طَوْلُ اعْتِزَالِكُمْ بِدَعْوِ
وَلَسْتُ أَرَى مَا بَيْنَنَا مِنْ مُؤَلَّفٍ
لَأَنْ نَفْـؤوري مِنْكُمْ جَـؤرة الطبع
وطني بأمري وحده متصرف
فَمَا لِسِوَاهُ فِي جَذْبٍ وَلَا دَفْعٍ
وَكُنْتُ زَمَانَ الوصلِ أَرْغَمُ شِيَمَتِي
فَضَاقَ بِإِرْغَامِي لَهَا مَنِّي الذُّرْعُ
وَمَنْ لَمْ يُطِيقْ أَنْ يَعْصِي الطبعَ لَمْ يَلْمِ
إِذَا مَا غَدَا أَوْ رَاحَ وَهُوَ لَهُ طَوَّعُ
وَقَدْ مَجَّ سَمْعِي طَوْلَ لَوْمِكُمْ فَلَا
تَلُومُوا فَطَوْلُ اللُّؤمِ لَيْسَ بِهِ نَفْعُ
عَلَى غَيْرِ حَكْمِ الطبعِ لَسْتُ بِمَالِكِ
نَزُولاً فَوْصَلِي حَسَبَ مَا شَاءَ وَالْقَطْعُ
فَإِنْ جَرَّ حَالَ الجِسمِ مَنْصُوبٌ عَزَلْتِي
فَفِيهِ سَكُونُ النَفْسِ وَالْفَتْحُ وَالرَّفْعُ

هذا خيال^(١)

هذا خيالٌ أمرىّ مذ شَبَّ ما اشتملت
على المسرَّةِ حتى شابَ أضلُّعُه
ما إن تناولَ من أماله سَبَبًا
إلا رأى مُدِيَّةَ الأيامِ تقطُعه
وأبى صادٍ من الأحرارِ ما وقفت
دُنياهُ عن كلِّ ما يُرويه تدفُّعُه!

(١) قيل له ماذا تكتب تحت رسمك، فنظم الأبيات أعلاه.

يوم الخميس^(١)

يومَ الخميسِ لبستَ ثوبَ خَدوعٍ
حتى حسبْتُكَ غُرَّةَ الأسبوعِ
ما زلتَ يكسوكَ التواصلُ بيننا
ثوبَ المسرَّةِ رائقَ التوشيعِ^(٢)
إذ تُلبسُ الأيامَ غيـرَ حُلَّةِ
من نسجِها يدُ شملنا المصدوعِ
حتى إذا عَزَّ التواصلُ واغتمدى
حبلُ التقاطعِ ليس بالمقطوعِ
لم تَبْقَ عن أيامنا لك مـيـزَةٌ
عندي بها تعلو على المجموعِ
وغـدوتُ أوقِنُ أن أيامَ الوري
طُرّاً جـداولُ فيضنَّ من يَنْبوعِ
فمتى يَضِيقُ نَزْعُ الخـميسِ بضمِّه
شملي بنافي وحشـتي عن روعي
فالأربعاءُ إذا جـلا عن قـربه
ظلماءُ مَناءُ المُمِضِ ربيعي

(١) كانت للشاعر عادة زيارة المرحوم عبدالملك في كل يوم خميس وكان عبدالملك يرسل أحد أبنائه لاصطحاب الشاعر إلى بيته ويبقى عنده إلى ما بعد العشاء. وفي أحد أيام الخميس لم يرسل عبدالملك من يصطحبه كالعادة فبعث بهذه القصيدة.

(٢) التوشيع: التوشية والترقيم.

يا مَنْ إِلَيْهِ فِي الْخَمِيسِ تَشَوُّوْتِي
يُغْرِي التَّهَابَ جَحِيمِهِ بَضْلُوعِي
إِنْ لَمْ تُرْزَنْي فَاسْتَنْزِرْ مَنِي فَنِّي
سَلَوَانُهُ إِيَّاكَ غِيِيِرُ مُطِيعِ
مَنْ قَبْلُ أَنْ تَلْقَاكَ بِي تَطْفِيلُهُ
تَفْتَرُّ عَنْ سَمْتِي بِوَصْفِ رَقِيعِ
وَإِذَا التَّطَفُّلُ كَانَ مِنْهَاجَ الْمُنَى
فَشْنِيعُ سَيِّرِي فِيهِ غَيْرُ شَنِيعِ
مَاذَا يَضُرُّ مَقَالَهُمْ مَتَطَفُّلُ
عَنِي إِذَا مَا انْقَدَتْ طَوْعٌ وَوَلُوعِي
غَادَرَتْ تَعْلِيمَ الْكُوَيْتِ مُسَارِعًا
سَلِسَ الْقِيَادَ وَكَانَ غَيْرَ سَرِيعِ
وَجَعَلَتْ مِنْ تَعْلِيمِهَا ذَاكَ الْوَتَى
فِي مَا إِلَيْهِ مِنَ اللَّقَاءِ نُزُوعِي
أَدْرِي بَأَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا جِئْتَهُ
لَكِنْ بِهِ أَضَلَّتْ وَجْهَهُ فُنُوعِي
وَإِلَى ابْنِ خَالِدِ الْكَرِيمِ شَكِيَّتِي
مَنْ بُعْدِكَ الدَّانِي بِهِ تَفْزِيعِي (١)
إِنْ يُشْكِنِي مِمَّا اشْتَكَيْتُ فَإِنَّهُ
لِعُهودِ وَدِّي لَمْ يَكُنْ بِمُضْهِيعِ
وَإِذَا تَصَامَمَ غَيْرُ أَحْمَدَ عَنْ دُعَا
أَوْ صُمُّ عَنْهُ فَهُوَ جِدُّ سَمِيعِ
يَا أَحْمَدُ الْمُحْمَوْدُ قَلْ لِي هَلْ تَرَى
لِخُرُوقِ ثَوْبِ الْأَنْسِ مِنْ تَرْقِيعِ

(١) يقصد صديق الطرفين: أحمد خالد المشاري.

بِسْوَى التَّوَاصِلِ بَيْنَ مَنْ يَنْمِيهِمَا
نَسَبُ التَّشَاكُلِ وَهُوَ غَيْرُ وَضِيْعٍ
وَإِذَا فَجَعْتَ بَطِيْبَ لَقِيَاكَ أَمْرًا
فَتَلَقَّ مِنْهُ شَكِيَّةَ الْمَفْجُوعِ
وَإِذَا التَّوَاصِلُ عَزَّ إِخْوَانَ الصُّفَا
فَمَرِيْعُ مَرَعَى الْكَلِّ غَيْرُ مَرِيْعٍ
كَلًّا فَلَوْ لَمْ تَسْتَطِبْ دُونِي النَّوَى
مَا كُنْتُ عَنْ وَصْلِي بِخِيْدِنِ هُجُوعِ
حَتَّى الْحَمَامُ إِذَا تَغَيَّبَ بَعْضُهُ
عَنْ بَعْضِهِ يُشْجِيكَ بِالتَّرْجِيْعِ
وَتَبَاءُءُ الشَّكْلَيْنِ بِدَعْوِ إِنْ يَكُنْ
مِنْهُ كِلَا الشَّكْلَيْنِ غَيْرُ جَزُوعِ
أَسْلِيْلَ صَالِحِ الَّذِي أَيَّامُهُ
عَرَفَ الْقَضَاءُ بِهِنَّ خَيْرَ صَنِيْعِ
إِذْ عَنْ سَبِيْلِ الْعَدْلِ لَمْ يَعْدِلْ وَلَمْ
يُوجَدْ بِمُرِّ الْحَقِّ غَيْرَ صَدُوعِ
حَتَّى إِذَا أَيْدِي الْقَضَاءِ لَفَتْنَهُ
لِحُلِّ صَدَقٍ فِي الْجِنَانِ رَفِيْعِ
وَعَدَا يُودِّعُ صَحْبَةَ تَوَدِيْعٍ مَنْ
لَمْ يَمْنَحِ الْأَصْحَابَ وَعَدَّ رُجُوعِ
شَقَّ الْجِيُوبَ عَلَيْهِ شَرَعِيُّ الْقَضَا
أَسْفًا وَحَزْنًا سَاعَةَ التَّوَدِيْعِ
وَعَدَّتْ عَلَيْهِ الصَّالِحَاتُ جَمِيْعُهَا
وَالطَّيِّبَاتُ يَسْلُنُ حُمْرَ دُمُوعِ
وَأَرَاكَ تَحْذُو حَذُوَّهُ وَمَتَى زَكَا
أَصْلُ تَكْشَفَ عَنْ زَكَاءِ فُرُوعِ

فَعَلَامَ تَجِدُ أَنْفَ زُورَةٍ وَامِقٍ
 يَبْكِيهِ مَشْهَدُ أَنْفِهَا الْمَجْدُوعِ
 وَلَقَدْ عَهَدْتُ الرَّفْقَ فَيْكَ سَجِيَّةً
 وَعَلَى الْخَشْوَةِ لَسْتُ بِالْمَطْبُوعِ
 فَتَلَفَ مَا أَلْفَيْتَهُ مِنْ شَمْلِنَا
 يُمَسِّي وَيُضْحِي وَهُوَ غَيْرُ جَمِيعِ
 مَا دَامَ يُمْكِنُ دَفْعُ بُعْدَيْنَا فَقَدْ
 نُزِمِي بِبَعْدٍ لَيْسَ بِالْمُدْفُوعِ
 أَيَّامَ أَسْكُنُ مِنْ ضَرِيحِي مَوْجِشًا
 قَفَرًا وَأَتْرُكُ مَوْئَسَاتِ رُبُوعِي
 وَارْحَمْتَا لِي حِينَ تُطْبِقُ رُفْقَاتِي
 قَبْرِي عَلَى جَسْمِي كَكُلِّ صَرِيعِ
 وَأَظْلُ فَيَمَا لَسْتُ أُدْرِي كَنَهَهُ
 حَتَّى يُبَيِّنَ الْكُنْهَ فِيهِ وَقُوعِي
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ خَوْفٌ سِرٌّ لَمْ يَكُنْ
 أَحَدٌ لَهُ عَنِ خَبِيرِ رَقَبِي مُذِيعِ
 لَكِنَّهُ خُلِقَ الْبَبْرِيَّةُ كَلَّهَا
 مِنْ تَابِعِ فِي الْأَمْرِ أَوْ مَتَّبِعِ
 يَا لَيْتَ شَعْرِي لِمَ جُمِعَتْ عُنَاصِرًا
 شَتَى بَدِيعًا حَلٌّ غَيْرَ بَدِيعِ
 وَتَرِكْتُ أَشْعُرُ وَالشَّعُورُ بَلِيَّةُ
 فِي عَالِمٍ - مِنْ شَقْوَةٍ - مَصْنُوعِ
 مَا دَامَ مَجْمُوعُ الْعُنَاصِرِ رَاجِعُ
 حَتَّمًا بِهِ حَتَفِي إِلَى تَوَزِيعِ
 أَتَظُنُّنِي قَدْ جِئْتُ قَبْلَ تَكْوِينِي
 هَذَا وَكُنْتُ مَخْبِيًّا رَأً بِقَطِيعِ

فِي عَالَمٍ مَاضٍ مَحَتَ ذِكْرَاهُ مِنْ
 أَلْوَا حِ ذَاكَ رَتِي يَمِينُ شُسُوعِي (١)
 فَأَرَادَ رَبِّي كَيْ يُجَازِيَنِي فَغَلَّتِي
 هَاتِيكَ مِنْ هَذَا الْوَجُودِ طَلُوعِي
 أَلْذَاكَ أَمْ لَسُوَاهُ لَسْتُ بِعَالِمٍ
 يَا أُمَّ دُقْرِ فَيَكُ ثَمَّ شُرُوعِي (٢)
 يَا صَدْرَ أَسْرَارِ الْوَجُودِ إِلَى مَتِي
 عَنْهِنَّ كُنْتُ لَيْسَ بِالْمَرْفُوعِ
 وَالْقَوْمُ أَجْمَعُ حَوْلَ مَا حَجَبْتَهُ
 لَهُمْ وَقُوفُ السَّائِلِ الْمُنُوعِ
 طَمَعُ الْفَلَاسِفَةِ الْكِبَارِ بِكَشْفِهِ
 فَغَدَا يُجِدُّ الْبَحْثَ كُلُّ طَمُوعِ
 ثُمَّ انْتَنَى وَالْيَسَاءُ مَلءُ فُوَادِيهِ
 عَنْهُ انْتِنَاءُ الطَّامِعِ الْمَخْدُوعِ
 فَتَرَاهُ يَرْجِعُ لِلْأَمَانِيِّ قَائِلًا
 يَا لَيْتَ لِي بِالْعَقْلِ جَهْلَ رَضِيْعِ
 فَالْجَهْلُ أَرْوَحُ مِنْ حِجَاءِ يَقْتَضِي
 أَشْيَاءَ لَسْتُ لَهُنَّ بِالْمُسْتَطِيْعِ (٣)
 وَإِذَا أَرَادَ الْمَرْءُ رَاحَةَ نَفْسِهِ
 فَلْيَتَرَكْنِ تَطْلَابَ كُلِّ مَنِيْعِ

(١) الشسوع: البعد.

(٢) أم دقر: الدنيا.

(٣) المستطيع: المستطيع.

حق شيخوختي على وطني^(١)

لا يدفعُ الجوعَ والعُرْيَ اللَّذِينَ هُمَا
شَرُّ النَوَائِبِ إِيْلَامًا وإِجْعَاعًا
خَمْسُونَ فِي الشَّهْرِ عَن مِثْلِي فَهَلْ لَكُمْ
فِي رَدِّ هَذَيْنِ إِبْسَاسًا وإِشْبَاعًا
قَدْ كَادَ يَسْلُبُ نَفْسِي سُوءُ صُنْعِهِمَا
مُلْكَ التَّنَفُّسِ إِرْسَالًا وإِرْجَاعًا
وَإِن وَنَى عَدْلُكُمْ أَلْغَيْتُ وَنَيْتَهُ
فِي سَيْرِ مَوْتِي إِلَيَّ الْيَوْمَ إِسْرَاعًا
قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى الْخَمْسُونَ تُرْضِعُنِي
دِرًّا بِهِ مُسَكَّةُ الْحَوْبَاءِ إِرْضَاعًا
وَمُنْذُ غَلَا الْقَوْتُ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ أَرَلِي
فِيهَا لَمَّا يُمَسِّكُ الْحَوْبَاءُ إِقْنَاعًا
وَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى ظَنَّ بَعْضُهُمْ
إِجْدَابَ حَالِي إِيْخْصَابًا وإِمْرَاعًا
لَكِنْ تَصَبَّرُ نَفْسِي مَلًّا صُحْبَتَهَا
فَأَزْمَعُ الْبُعْدَ عَنْهَا الْيَوْمَ إِزْمَاعًا
وَكَيْفَ يُبْقِي لِنَفْسٍ وَهِيَ سَاكِنَةٌ
جِسْمًا إِلَى الْمَوْتِ طَوْعَ الْهَمِّ مُنْصَاعًا

(١) أرسلها إلى أعضاء مجلس المعارف إذ ذاك يطلب زيادة ما كانت تمنحه له تلك الإدارة من مال وكانت تمنحه (٥٠) روبية شهريًا.

وهل عدا الهَمَّ من إدراكِ بُلْغَتِهِ
عنه نُقَصِّرُ منه الفارقةَ الباعا
تداركوا مُدْنَفًا مني يروغكم
إن تُهملوه غدا مَنعاهُ لا راعا
وليس رذُكُم مُحييَايَ يُمكنُكُم
إن أوقعتُ بي أيدي الموتِ إيقاعا
إذا التَّلَافِي أتى من قَبْلِ مَن تَلَفَتِ
أجدي وإن هي جاءت قَبْلَهُ ضاعا
خَدَمْتُ منذُ الصَّبَا الأَدَابَ بينكُم
حتى أتى لِقَوَايَ الشَّيْبُ قَمَاعا
كم أبرزتُ كلماتي العُزُّ أوجُهَهَا
معشوقةَ الحُسْنِ إحسانًا وإبداعا
الزَمَنَ حتى عُداتي أن تُقِرَّ لها
بأنها جَمَعَتُ نفعًا وإمتاعا
إلا الألى أفتتِ الأحقَ قَادُ أكلةُ
منهم قلوبًا وأكبادًا وأضالعا
والحقدُ إمَّا تناهى عاقَ صاحِبَهُ
عن أن يكون بقولِ الحَقِّ صدَاعا
ولم أُرِدْ من بلادي أن تجازيني
بالصَّاعِ كَيْلٍ مُجازٍ مُنصِفِ صاعا
كَلَّا فما أنا ممَّن يبتغون بما
يأتون من خدمةِ الأوطانِ أطماعا
لكن شيخوختي عن حملِ أزمَتِهَا
ضاقَت فأسمعكُم شكوايَ مُتَاعا

وَحَقُّ شَيْخِ وَخَاتِي بَادٍ عَلَى وَطَنِي
وَمَثَلُهُ صَانِ وَجْهَ الْحَقِّ أَوْ رَاعِي
أَقُولُ وَالْكَبِيرُ الْمُوهِي قُوى جَسَدِي
يُعِينُ مِنْ مَرَضٍ مَا فِيَّ قَدْ شَاعَا
شَكْوَايَ إِنْ لَمْ يُصِخْ سَمْعُ الْكُوَيْتِ لَهَا
فِي شِدَّتِي فَمَتَى أَلْقَاهُ سَمَّاعَا
أَبْعَدَ مَا الْمَوْتُ يُفْنِي عَنْكَ يَا وَطَنِي
مَنْي امْرَأً عَاشَ فِي أَهْلِيكَ نَقَّاعَا

العلياء منهاها فيه (١)

رأيتُ قُصورَ شعري عن مَقامِ
تَقِيْمُ به جَلالاً وارتفاعا
فلم أَجسُرُ على تقديم مدح
أُضَمُّهُ قَرِيضِي المستطاعا
وعَجُزِي عن زيارتي لشيبِي
وضعفي الموسعِ القلبِ التِياعا
فصرتُ كما تراني جَلَسَ بيْتِي
خضوعاً للمقابرِ وانصِياعا
وعاقتُ بَعْدَكَ النفسُ البَرَايا
فوالَّتِ عن جَمِيْعِهِمُ انقطاعا
فَعَن عَالِي مَكَانِكَ لا مَكَانُ
به أسلو عُلوّاً وائْتِساءا
مَكَانُ ما رأى غَيْرَ المعَالِي
بعينيه له سَقْفُا وقاعا
مَكَانُ لا بِسُّ عن كلِّ مَــــا لا
إِلَيْهِ المَجْدُ يَرْتاح امتناعا
فلا لَغْوُ الكَلامِ إِلَيْهِ يدنو
ولا النَّابِي يَمُدُّ إِلَيْهِ باعا

(١) بعث بهذه القصيدة إلى سمو الأمير المرحوم عبدالله السالم الصباح، ذلك عندما اعتزل في بيته معتذراً عن عدم زيارته له كعادة.

مُنَى الْعِلْيَاء فِيهِ جُمِعْنَ حَتَّى
حَسِبْنَاهُ لِرَوْعَتِهِ ابْتِدَاعًا
وَلَكِنْ نَكَرْنَا مَا كَانَ فِيهِ
يَحُلُّ أَبُوكَ قَدْ قَالَ انَّبَاءًا (١)
فَقَالَ بُوهُ عَلَيْهِ مَا عَلِمْنَا
لِغَيْرِ مَكَانٍ وَالِدِكَ انطباعًا (٢)
مَتَى أَنْكَرَهُ أَنْكَرُ مِنْكَ أَنْسَا
يُعْمُ الْجَالِسِينَ بِهِ مُشَاعًا
إِذَا حَادَّثْنَا فِيهِه رَأِينَا
لِكُلِّ سَامَةٍ عَنَّا انقشاعًا
أَحَادِيثُ تَطِيبُ فِكْلُ حُرٌّ
لَهَا يَسْعَى التَّذَادًا وَاِنْتِفَاعًا
أَبْعَدَ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ أَلْقَى
فُنُوعًا فِي حَدِيثِ وَاقْتِنَاعًا
أَبْتُ أُنْذِي اسْتِطَابَتَهَا حَدِيثًا
إِذَا لَمْ تُبْدِ مِنْهُ لَهُ اسْتِمَاعًا
إِذَا نَكَرَتْ تَحَدَّثَتْهُ إِلَى مَنْ
نَحَوًا مَنَحَايَ مَجْلِسَهُ الْيَفَاعًا (٣)
أَجَدُّ لَهَا تَذَكُّرُهَا اشْتِيَاقًا
إِلَيْهِ وَاسْتِثَارَ لَهَا نِزَاعًا
فَمَنْ لِي أَنْ أَعْوَدَ إِلَى زَمَانٍ
أَطَابَ لَنَا بِمَوْلَانَا اجْتِمَاعًا

(١) يريد أن تذكر ما كان يحل فيه والدك قد قرر وقال: إن هذا اتباع له وليس ابتداءً.

(٢) فقال له عليه: أي طابعه وسمته وما علمنا أن ينطبع عليه شيء غير مكان والدك.

(٣) اليفاع: المرتفع المشرف.

تَمَنَّ لَا يُبَدِّلُ دَلَّ بِانْطِلَاقٍ
وإن لَذَّ انْطَوَاءً وانْقِبَاءً (١)
وكيف وطولُ عمري لم يدع لي
بطاءً من خطاي ولا سِـرَاعاً
أحسُّ إذا مشيتُ ولو قليلاً
لوهني أن أعرضني تداعي
فمنها الكُلُّ ممليءٌ كلالاً
مبيداً ظلُّ يبايها تباعا
وماذا كُـلُّ ما كبري رماني
به بل زادني كبري صداعاً
فمنذُ كبرتُ لازمني صداعُ
توقعُ هامتي منه انصداعاً
فأسعِفُ بالدعاء فدتك نفسي
مَسُوذاً إن سائدهُ أضاعاً
ولم يملِكهُ قَبْلَكَ غيرُ شيخ
نَمَاكَ فَجئتُ شَرَوَاهُ طِبَاعاً

(١) الانقباع: إدخال الرأس في التراب.

من الجور

ولم يَبْرَحْ بِمَحْضِ النُّصْحِ شِعْرِي
على أَسْمَاعِهِمْ حُبًّا يَطُوفُ
وجورٌ أن يُجَازِيَ الحُبُّ بَغْضًا
وأن يَجْزِيَ الطَّبِيبُ بما يُوَوفُّ^(١)

(١) يُوَوفُّ: يضر.

تهلل^(١)

تَهَلَّلَ مِنْ مُهَلِّهِ الْمُحَايَا
وَرَحَّبَ إِذْ نَزَلْتُ عَلَيْهِ ضَيْفَا
وَأَعْلَى مَنْزَلِي كَرَمًا وَفَضْلًا
وَسَارِعَ لِحَفَاوَةِ بِي وَحَقًّا
وَأَوْسَعَنِي كَمَا أَهْوَاهُ بَرًّا
وَأَوْسَعَنِي كَمَا أَهْوَاهُ عَطْفَا
وَأَكْسَبَنِي رِعَايَتَهُ امْتِنَانًا
وَأَكْسَبَنِي الْعِنَايَةَ مِنْهُ لُطْفَا
فَكَيْفَ عَلَيْهِ لَا يُثْنِي جَمِيلاً
لِسَانِي جَازِيًا نُعْمَاهُ كَيْفَا؟
حَكِي حَمْدًا أَبَاهُ فِي عُلاهِ
وَشَابَهَهُ لِعَمْرُ اللهِ عُرْفَا
فَهَذَا كَانَ لِلْعَلِيَاءِ زَنْدًا
وَهَذَا كَانَ لِلْعَلِيَاءِ كَفًّا
وَلَا بَرِحَتْ ثَغْوَرُ الْمَجْدِ تَلُو
جِهَارًا مِنْ تَنَا هَذِينَ صَفْحَا

(١) قال هذه القصيدة في مهلهل بن حمد آل خالد عندما استضافه في البصرة فآكرمه.

في العزلة

قالوا اعتزلت الناس قلت لأنهم
جَـرُّوا عَلَيَّ المَحـزِنَاتِ صُنُوفَا
لولا مـخـالطـتي البـريَّة لم يكن
قلبي لذؤبانِ الهـمومِ خـروفَا

حكاية غرام

أجملي يا جُمْلُ أو لا تُجْمِلي
واعذلي في الحب أو لا تعذلي
واعملي ما شئتَ به بي وافعلي
ليس عن حُبِّك لي من مَعْدِلِ
بَعْدَ ما جازى دمائي في العروقِ
غَيْرَ أَنِّي أَمِلُّ أن ترحمني
مستهامًا بك لَمَّا يَنْهَمُ^(١)
بسروى وادي هَوَاكِ المفعمِ
من ضلالاتِ ملامِ اللُّومِ
ما على اللُّومِ من صَبٍّ مَشْوقِ
ليتَ من لاموا بأسلاكِ الجوى
كهربتُ أحشاءهم أيدي الهوى
علمهم أن يعذروا من قد طوى
جسمه الحبُّ نحولاً وضوى
فنانثنى أنحلُّ من طيفِ طروقِ
وفؤاد الصبِّ يبريه الغرام
مثما يصنعُ بالجسم السَّقام
ففؤادي ناحلُّ مثلُ العظامِ
فهو لا يحملُ أعباءَ الملامِ
فليدعُ لومي من كان شفيقُ

(١) نهم ينهم: شره وحرص.

أشَفَقُوا أَنْ الهوى يقضي عَلَيَّ
فَمَشَى قَوْمِي بِاللَّوْمِ إِلَيَّ
وَمَلَامِي ضِلَّةٌ مِنْهُمْ وَعَيَّ
بَعْدَ مَا أَخْرَجَ أَمْرِي مِنْ يَدَيَّ
سُكَّرُ حُبِّ مَنْه نَفْسِي لَا تُفِيقُ
قَالَ لِي الْقَوْمُ كَجُمْلٍ فِي الْجَمَالِ
أَلْفُ جُمْلٍ تَتَمَنَّى أَنْ تَنَالَ
حُطُوءَةً مِنْكَ حَرَامًا أَوْ حَلَالًا
قَلْتُ سُلْوَانِي عَزِيزٌ بَلْ مُحَالٌ
بَعْدَمَا مِنْ فَمِهَا نَقْتُ الرِّحِيقُ
فَالَّذِي بِي مِنْ ضَنْئِي جَسْمِي خُمَارٌ
سَكْرَتِي مِنْ رِيْقِهَا الْمُنْسِي الْعُقَارُ
فَدَوَائِي لَيْسَ لَيْلَى أَوْ نَوَارُ
بَلْ دَوَائِي عِنْدَ مَنْ تُرْخِي الْإِزَارُ
فَوْقَ حِقْفٍ تَحْتَ خَيْزُورٍ دَقِيقٍ^(١)
فَاحْتِسَائِي مَرَّةً أُخْرَى اللَّمَى
مِنْ ثَنَائِهَا يَزِيلُ السُّقْمَا
فَدَوَائِي سَاكِنٌ مِنْهَا الْفَمَا
فَصْرِفُوا حَالِي لَدَيْهَا رَبُّمَا
يَنْثَنِي لِي قَلْبُهَا الْقَاسِي رَقِيقُ
فَرَدَدْتِيهِمْ عَلَى مَا يَزْعُمُونَ
عِنْدَمَا جَاؤُوكَ لِي يَسْتَعْطِفُونَ

(١) الخبزور: الخيزران ويريد هنا خصرها.

بمقالٍ بعددُهُ لا يأملونُ
 منك لي القلبَ بشيءٍ أن يلينُ
 فدنا مما رَوَّوا دائي السُّحيق^(١)
 فَنَنَّتْ مِنْهَا عَلَى عُنُقِي يَدَيْنُ
 صِيغَتَا مِنْ عَسْجِدِ شَيْبٍ لُجَيْنِ^(٢)
 وَأَذالَتْ فَوْقَ خَدِّي دَمْعَتَيْنِ^(٣)
 عِنْدَمَا مِنْنا أَصْرُنَا الْفَمَّوَيْنُ
 بِتَدانِينَا فَمَّا رِيْقًا بِرِيْقُ
 ثَمَّ لَمَّا أَنْ قَضَيْنَا مَا الْعِدا
 لَوْ أَحْسَسَّوهُ لَمَاتُوا كَمَدا
 أَوْ أَذابَ الْحَزْنَ مِنْهُمْ أَكْبُدا
 لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ إِلَّا الْحَسَّدا
 لِعَشِيقٍ يَمْنَحُ الْوَصَلَ عَشِيقُ
 أَنْبَأْتَنِي أَنْ رُسُلِي جُهِلَاءُ
 إِذْ أَتَوْهَا وَهِيَ مَا بَيْنَ نِسَاءِ
 فَأَذاعُوا مَا أَعانِي مِنْ بَلَاءِ
 مِنْ نَواها فَتَغَشَّاهَا الْحِيا
 وَبِدا مِنْها لَهم شَيْبُهُ عُقُوقُ
 ثَمَّ قَـالَتْ أَنْتَ لا تُرْسِلِ أَحَدُ
 فَأَنا مَهما أَرى النَومَ عَقْدُ

(١) في أحد الكراسات رواية أخرى لهذا الشطر هي: «وهنا أسكتني دمعي الطليق».

(٢) العسجد: الذهب. اللجين: الفضة.

(٣) أذال الدمع: سقحه وسكبه.

جَفُنَ مِنْ أَخْشَى بَجْفِنٍ فَرَقَدُ
وَحَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا سُبُلُ الْبَلَدُ
جِئْتُ أَطْوِي لَتَلَاقِينَا الطَّرِيقُ
فَغَرَامِي بِكَ يَكْفِي كَالرَّسُولِ
فَارْتَقِبْنِي عِنْدَمَا يُرْخِي السُّدُولُ
مِظْلَمُ اللَّيْلِ وَيُخْلِي لِي السَّبِيلُ
أَهْلُهُ مِنْ عَزَائِرِي أَوْ عَدُولُ
فَالْتَقَانِي بِكَ بِالْكَتْمِ خَلِيقُ
ثُمَّ لَمَّا أَنْ غَدَا دَيْكُ الصَّبَاخُ
يَمْلَأُ الْجَوَّ عَوِيلاً وَصِيَاخُ
نَادِبًا مِنْ لَيْلٍ مَلَقَانَا الْمُتَاخُ
قِصَصَ الْعَمْرِ وَهَمَّتْ بِالرَّوَاخُ
قَلْتُ يَا جَمَلُ اذْكُرِي الْوَعْدَ الْوَثِيقُ
قَالَتْ الْوَعْدُ عَلَى الْخُرَّةِ نَيْنُ
وَهِيَ تُدْنِي لَوْدَاعِي الشِّفْقَيْنِ
فَتَزَوَّدَتْ بِفِيهَا قُبْلَتَيْنِ
لِجِرَاحَاتِ الْحَشَا مُبْرِتَيْنِ
ثُمَّ سَارَتْ وَلَهَا قَلْبِي رَفِيقُ
فَتَوَاصَلْنَا زَمَانًا ثُمَّ عَادُ
ذَلِكَ الْوَصْلُ كَحَلْمٍ فِي رُقَادُ
خَيْلَ الْمَحْبُوبِ يُلْقِي بِالْقِيَادُ
لِحُبِّ بَعْدَ مَا مِنْهُ الْفَوَادُ
شَبَّ بِالْهَجْرِ بِهِ الْحُبُّ حَارِيقُ

أومئى أحسن تصويراً أمل
ساعةً في قلب من مثلي أقل
فتثنى طرباً ثم اضمحل
بيد اليأس رجاءه والجذل
حقة للبطل في الدنيا شقيق

الآثار لا تشفي

إلى ذلك المَغْنَى أجنُّ ولم تَعُدْ
به منذ غابت شمسُ زينبَ تشرقُ
فكيف إذا لو لم تَغِبْ عنه شمسُها
يكون حنيني نحوهُ والتشوقُ
مَحَلُّ به قد كنتُ ألقى التي بها
نثِيرُ مَسَرَّاتِ الفؤادِ يُنْسَقُ
فتاةُ أرثني فيه عيشي صافيًا
ووجهَ حياتي باسمًا يتطَلَّقُ
وما كنتُ فيه أكتفي بترشُّفي
ثنايا لها هُنَّ الرحيقُ المَعْتَقُ
فأصبحتُ استشفي بشمِّي تربيةً
له لم تزل من نشرها بعدُ تعبِقُ^(١)
ومن عَزَّه وصلُّ الحبيبِ فشَمُّه
مَواطئِ رجليه شفاهُ محفَّقُ
وهيهاتَ ما الآثارُ تشفي وكلُّها
على عِلَّةٍ من بعدِ زينبِ مُطَرِّقُ
ولكنْ لنفسي بانكبابي مقبلاً
ومسَّتْ رُوحًا آثارِ الفبي تَعَلَّقُ
فإن كان حُمَّقًا شمُّ آثارِ زينبِ
فإنني ما لم ألقَ زينبَ أحَمَقُ

(١) النشر: الرائحة، وتعبق: تفوح.

فهل من تلاقينا نفوز بساعةٍ
 تظلُّ بنا فيها السعادة تُحْدِقُ
 أطوَّقُها كلتا يديٍّ مُعانِقًا
 لها وهي لي بالساعدين تُطَوِّقُ
 فليس سوى هاذك مني مُسَكِّنًا
 فؤادًا كما شاء التفريقُ يَخْفِقُ
 وليس سِوَاهُ مُمَسِكًا في محاجري
 دموعًا لها من فادح الحزن مُطَلِّقُ
 وكيف التلاقي بعدما حالَ دونها
 من القبر منضودُ الصفائحِ مُطْبِقُ
 فيا ربَّ الحِقني بها أو فَرُدَّها
 فاصْفُؤْ حياتي منذ بانَتْ مُرْتَقُ (١)
 فأصعبُ شيءٍ سهلُهُ إن أردتَهُ
 وأسحقُّ أمرٍ شئتَهُ ليس يسْحُقُ
 وإن تَقَضِ من بَعْدِ التنايِ تدانِيًا
 ففانَتْ بمثائِلنا أبرُّ وأرْفِقُ
 أتَعزِّلُ إن حَلَّتْ دموعي وكاءها
 فظَلَّتْ على حكم الكأبةِ تُغْدِقُ
 رجالٌ إلى أكبادها الحبُّ لم يَجِدُ
 سبيلًا فلم تَدْرِ النوى كيف تُرْهِقُ
 وأعجبُ من فيضِ الدموع وإن غَدَّتْ
 معصِفَرَةٌ من مقلتي تتدَفَّقُ
 بقائِي ولو يومًا وأني لم أكنُ
 بأيدي حِمامي حَسْرَةً أتمزَّقُ

(١) مرثية: مكرر.

ومن لم يَذُقْ طعمَ الصَّبابَةِ لم يُلَمَّ
 إذا لام من في نارها يتَحَرَّقُ
 عَجِبْتُ لِمَن يَحْيَا وَقَد عَن دُونَ مَنْ
 يَهِيمُ بِهِ بَعْدَ التَّلَاقِي التَّفَرُّقِ
 إذا عاش من بَعْدَ الحَبِيبِ مُجِيبُهُ
 فذاك الذي ما كان في الحُبِّ يَصْدُقُ
 وهل من وفاءٍ لامرئٍ زالِ الْفُؤُةُ
 ولم يَكُ بِالْإِلَافِ المَزَايِلِ يَلْحَقُ
 فإن تعهدوني مشفقًا من منيَّةٍ
 يُغَادِي بِهَا المَقْدُورُ أو هو يَطْرُقُ
 فذاك لأنني كنتُ أخشى فراقَ مَنْ
 به كان لي كأسُ المَسْرَةِ تُدْهَقُ (١)
 فأما وقد ماتت فأني بعدها
 أخاف حياتي أن تطولَ وأشفقُ
 فإن تَرَفُّقُوا بي فاحفروا لي بجنبها
 ضريحًا بحيثُ القبرُ بالقبرِ يَلصُقُ
 لعلَّ رفاثينا يَنالان غِيبَةً
 لنا راحُها حَيِّينِ أَمْسِ تُرَوِّقُ
 ولا تُبْعِدُوا من قبرها حفرتي فما
 يليق بكم غيرُ الوفاءِ وَيَخْلُقُ (٢)
 ولا تَنزِجْكم عن ذاك لومــــةً لائمٍ
 فربُّ حمارٍ سَوَّئَةٌ سوف يَنْهَقُ

(١) تدهق: تملأ.

(٢) يخلق: يجدر.

وقولوا له لو عاش صقرٌ لما درى
لسانك خوفًا بالخنا كيف ينطقُ
ولكن خلا الجوّ الذي كنتَ ضمنهُ
حُبّارى وصقرٌ فيه صقرٌ مُحطّق
فإن كنتَ تشفيك المقالة بَعْدَهُ
فقلها فقد غاب الذي منه تَفَرَّق
وقد تدّعي شَوَّلَ النِّيَاقِ فحولةً
إذا لم يكن فيهنَّ فحلٌّ يُشَقِّشِقُ (١)
ولو سمّعتَ أذنّاك منه هديرهُ
ظَلَلْتِ كما قد كنتَ قبلُ تَنُوقُ (٢)

(١) الشول: من النياق: ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخف لبنها. شقشق
الجمال: هدر وشقشقة الجمال: لهاته وهي شيء كالرثة يخرجها إذا هاج.
(٢) تنوق: تانق.

ليسلم ذا الضرير

لَكُمْ بِالذِي أُخْفِيهِ وَجْهِي يَنْطِقُ
صَرِيحًا وَوَجْهِي مَا تَرَوْنَ فَحَدِّقُوا
أَجِيلُوا بِهِ الْأَنْظَارَ بَضْعَ دَقَائِقِ
لَكُمْ يَنْفَتِحُ مِنْ سِرِّ نَفْسِي مُغْلَقُ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فِي التَّفَرُّسِ حَازِقًا
فَوَجْهِي لَهُ عَنْ طَبَعِ نَفْسِي يَصْدُقُ
فَإِنْ كَانَ حُبُّ الْخَيْرِ فِيَّ سَجِيَّةً
فَقُولُوا لَيْسَلَمْ ذَا الضَّرِيرُ وَصَفَّقُوا
وَإِنْ كَانَ حُبُّ الشَّرِّ فِيَّ غَرِيزَةً
فَصُوبُوا عَلَيَّ وَجْهِي الشَّتَائِمَ وَابْصُرُوا

الظواهر الخداعة

ربما تُبصِرُ العيونُ هجيتاً
قد تَرَبَّى بين الجيادِ العِتاقِ
ولَكم شوكَةٌ تُسيءُ وتؤذي
بين خيبرِ الزهورِ والأوراقِ
منبتُ الكلِّ واحدٌ وترى الطَّبَّ
عَ عليها يقضي بكلِّ افتراقِ
لؤمُ طبعِ اللئيمِ أخْرَهُ اليو
مَ كثيرًا عن قومه [في] السُّباقِ
خَدَعَتْنَا منه الظواهرُ حتى
نال ما نالَه بلا استحقاقِ
وسرابُ الفلاةِ كم غرٍّ من قِب
لِ عطاشًا بالمنظرِ البَرِّاقِ
غرٌّ بعضَ الرجالِ بُرِّقُ إخلا
صٍ يغطِّي منه مُخَيِّبًا نِفَاقِ^(١)
فأجلُّوا منه ظواهرَ صِدْقِ
كمنتُ تحتها خوافي اختلاقِ

(١) المحيا: الوجه.

عَذِبْتُ مِنْهُ فِي الْمَسَامِعِ دَعَا
هُ جَمِيلَ الْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ
ثُمَّ أَبَدَى اخْتِبَارَهُمْ مِنْهُ مَا كَا
نَ خَفِيًّا مِنْ فِاسِدِ الْأَعْمَاقِ

العلم أنجع ما يشفى به وطن

ما ضر قومِي غيرُ الجهلِ لِيَتَهُمُ
عنه إلى العلمِ قبلَ اليومِ قد مالوا
لو أنهم عَلِمُوا لم أَلْقَ جُأَهُمُ
أو كَلُّهُمُ منه تبكي مقلتي الحال
يا قوم ما بِسِوَى العلمِ الذي ارتفعتُ
به البِرايا لكم رفعٌ وإجلال
واتتَهُمُ نِعَمُ الدنِيا وما بَرِحَتْ
عليهِمُ بأكفِّ العلمِ تَنهال
هَدَاهُمُ لنعيمِ العيشِ عِلْمُهُمُ
فكلُّ ما طلبوا من نَيْلِهِ نالوا
ونحن عنه كما شاءت جهالتنا
يا للبليةِ حتى اليومِ ضلّال
هم أمسٍ من قبل أن يسموا بعلمِهِمُ
هذا السُّمُّوَلنا في الخفضِ أمثال
فالعلمُ خيرٌ سلاليمِ العُلُوَلن
يشوقُّهُ للعلا بالخطِّ إبدال
إن فاتكم فليكن منكم بنسلكُمُ
على تعلُّمِهِ سعيٌّ وإقبال
لتطمئنَّ على آتي الحياةِ لهم
منا قلوبٌ تَنزِي هُنَّ أوجال

متى أراهم وقد عادوا وكأهم
إلى الأمام له بالعلم إرقال^(١)
فما سوى ذلك يومٌ تستطيرُ به
نفسى سروراً ويصفو منِّي البال



تغدو الكويت إذا جَمَّتْ معارفُها
من كلِّ معنَى جليلٍ وهي محال^(٢)
ضيدُ اسمها تنثني بالعلم إن ظفرتُ
به لكم يا رجالَ اليومِ أنجال
كم كَبَّرَ العلمَ أوطاناً مصغرةً
وعاد بالأكم منها وهي أجال
أوطانُ كلِّ الورى بالعلم حاليَّةُ
أما الكويتُ مغانيها فأنفال
لهفي عليها فلم تنفكُ أريُّعُها
وهُنَّ من شَرَفِ العرفانِ أطلال
ظَلَّتْ تكابدُ داءَ الجهلِ وهو لها
إن لم يُزِلَّهُ دواءُ العلمِ قتال
قد أورثَ الجهلُ منها الجسمَ علَّةُ
والعلمُ فيه لها بُرءٌ وإبال^(٣)
العلمُ أنجِعُ ما يُشفي به وطنُ
قد كان من جهله يُريه إعلال

(١) الإرقال: نوع من السير.

(٢) المحلال: الواسعة الظل التي يكثر حلول الناس تحتها.

(٣) أدبٌ من مرضه: برئ وشفى.

لَمْ يَخْفَ يَا عَلُّمُ مِنْكَ الْفَضْلُ عَنْ أَحَدٍ
حَتَّى يُبَيِّنَهُ مِنِّي لَهُ الْقَالَ
إِلَّا إِذَا الشَّمْسُ عِنْدَ الظَّهْرِ قَدْ خَفِيَتْ
عَلَى سِوَى الْعُمِّيِّ يَوْمًا مَا بِهِ خَالٌ^(١)
لَكِنْ أَيْنُ مَتَى أَذْكَرُكَ مَجْتَنِبًا
مِمَّنْ نَمَانِي إِلَيْهِ الْعَمُّ وَالْخَالُ
وَإِنَّمَا الشَّعْرُ أَنْتَ أَرَدَدَهَا
إِنْ سَاعَنِي فِي الْأَلَى أَهْوَاهُمْ الْفَالُ

(١) الخال: السحاب لا يخلفه مطر.

عليك لشرقي الكويت^(١)

عليك لشرقي الكويت يطولُ
بكاءً وإن لم يُجِدْ دِهْ وَعَـ وَيْلُ
وأنى لشرقي الكويت تجلُدُ
وقد جَدَّ منك اليومَ عنه رحيلُ
تَجَلُّدُنَا لَمَّا فَقدْنَاكَ سَدُّ مَا
له من سببٍ يَلِ لَاعِجٌ وَغَلِيلُ
فليس إلى حُسْنِ التَّجَلُّدِ لِلأُلَى
صَرَمَتَهُمْ يَا بَشْرُ عَنْكَ سَبِيلُ
عليك أذَلْنَا الدَّمْعَ من بَعْدِ صَوْنِهِ
فأصْبَحَ بَعْدَ العِزِّ وَهُوَ ذَلِيلُ^(٢)
وغيرُ كثيرٍ إن غَدونا وكننا
لِما صَانَ من دَمْعِ عَلَيْكَ مُذِيلُ
فإِنَّكَ ظِلٌّ - وَالْحَيَاةُ هَوَا جِرُّ
تَفِيَّأَهُ ضَاحِي العُفَاة - ظَلِيلُ^(٣)
فكم من ضَعِيفٍ نَلَّتْهُ بِمَعُونَةٍ
وَأَسْعَدَتْهُ وَالْمَسْعُودُونَ قَلِيلُ
وكم لضعيفٍ شَهَبُ حَقِّ أَبْنَتِهَا
ولولاك لم يَبْرَحْ بهنَّ أَفْـوَلُ

(١) في رثاء المحسن الفاضل بشر بن يوسف الرومي.

(٢) أذال الدمع: سكبته.

(٣) العفاة: طالبو المعروف.

وكم عاثرٍ منا أَقْلَتَ عِثَارَهُ
 وقد عَزَّ ما بين الأنام مَقِيلُ
 وكم نال منا السائلون رَغَائِبًا
 على حين عَزَّ السائلين مُنِيل
 طُبِعَتْ على حُسْنِ اصطناعِكِ كلِّ ما
 إلى خَيْرِ نفعٍ للضعيف يُؤول
 فكنتَ كَثِيرَ النفعِ فينا عَمِيمَةٌ
 إذا اخْتَصَّ بالنفعِ الخليلَ خليلُ
 إذا راح عنه أو إليهِ من الورى
 سواكَ كما يقضي هواهُ يَمِيل
 فأنتَ عليه قد وجدناكَ عاكفًا
 وعنه لشيءٍ لم نجدك تحوُل^(١)
 وفضلُ حياةِ المرءِ ما كان نافِعًا
 ومَحْيَا الألى لا ينفعون قُضول^(٢)
 كما كنتَ مطبوعًا على تركِكَ الأذى
 وبغضِكَ من يمشي به ويصوُل
 فَرُحْتَ ولم يَرَهَبْ أذاكَ مجاورُ
 ومما بكَ عنه لو أردتَ نُكول
 ولكنه ما زال طبعُكَ آبيًا
 سوى ما به منا يُسَرُّ نُزِيل
 وكلُّ على حكمِ السجِيَّةِ كائنُ
 له حَسَبٌ ما منه اقتضتُهُ نُزول
 فكنتَ وحظُّ الجارِ مما يحبُّهُ
 لديك كما يقضي الجِوارُ جَزِيل

(١) تحول: تتحول وتتنقل.

(٢) الفضول: الزيادة.

فكان على أمنٍ لجارك دائماً
من الباداتِ المؤذياتِ حُصول
إذا ما استمالَ الجارَ كَيْدُ لجارِهِ
ففيكَ عن الكَيْدِ الذمِيمِ عُذول
وما كنتَ لو شئتَ المكيدةَ عاجزاً
ولا كان عنها في شَباكِ فُلول^(١)
ولكنْ أبتَ إلا الوفاءَ وحُسْنَهُ
عليكَ سجايا كلهنَّ جميل
فَرُحْتَ وكلُّ بين فكيه مَقولٌ
عليك كما شاء الثناءُ يَجول
قطعتَ من الحيا الطويلِ طريقَهُ
وأنتَ لمقطوعِ الجميلِ وَصُول
فأنفقتَها تسعينَ عامًا كأنها
لغرسك فيها الصالحاتِ حقول
ولا حقل كالأعوام يُلبسُها الفتى
أزاهِرَ عُرفٍ ما لهنَّ ذُبول
وكلُّ امرئٍ يسعى إلى ذاك لو غَسدا
له جامعُ الأخلاقِ وهو ذُكول
وأية حُبِّ اللهِ للمرءِ تَرَكُّهُ
له وعَرَّ طُرُقِ العُرفِ وهو سُهول
غرستَ جميلاً فاجتنتيتَ ثمارَهُ
محامِداً ممن قال أو سيقول
ومثلك في الدنيا الثناءُ نصيبُهُ
يُرِدُّهُ فَرْدُ بها وَقَبِيل

(١) الشبا: الحد. والفلول: الثلثة في حد السيف.

وفي داره الأخرى لدى الله حَظُّهُ
ثوابٌ إليه يطمئنُّ جليلٌ
وإنَّ اجتماعَ الحمدِ والأجرِ لامرئٍ
لَحَظُّ لأعناقِ الحظوظِ مميلٌ
وهل راقٍ إلا نَينِ شَيءٍ ينالُهُ
فَتَى رأْيُهُ فيمَا يَراهُ أصيلٌ
فَقَرَّ وطِبُّ عِينًا ونَفْسًا فكلُّ ما
حَصَلتْ عليه اليَومَ ليس يَزولُ
أَسألَ غَزيزَ الدمعِ فَقَدُ ابنِ يوسُفِ
وللدمعِ فَقَدانُ الكَريمِ يُسَيلُ
وَحَقُّ لهُ أَنَا نُسَيلُ نَفْسًا وَسَنا
مَعَ الدمعِ لو لم يَبقَ مِنْهُ بَدِيلُ
ولكن مَضَى بَشَرٌ وظَلُّ «مَحمَدٌ»
وهذا لَهذا مَشَبِهَةٌ وَعَدِيلُ
فكان لَنا عَن شَيوخِهِ خَيرَ سَلوَةٍ
ولا غَـرُوانَ أَسأَلِي أباهُ سَليلُ
فيا بَشَرُ إن تَرحَلْ فيوَمُ «مَحمَدٍ»
سَليلِكَ لَم يُدركِ ضُحاهُ أصيلُ
يَحُفُّ بِهِ مِنَ العُـرِّ مَعرِشَرُ
لَهُم حَيتُ حَلَّ الأَكْرَمونَ حُلولُ
فَسِرُّ غَيرَ مَرعوبٍ عليهِم فَكلُّهُم
«قَولٌ لَمّا قال الكَرامُ فَعولُ» (١)

(١) الشطر الثاني ليس للشبيب وإنما ضمنه قصيدته من قول السموال بن عادي التي مطلعها:
إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

عَزَاءَكُمْ يَا آلَ بَشَرٍ فَمَثَلَكُمْ
لَمَّا نَابَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ حَمُولُ
وَكُلُّ أَمْرٍ مَهْمَا تَعَاظَمَ قَدْرُهُ
سَيَخْضَعُ مِنْهُ لِلْمَنُونِ تَلِيلُ^(١)

(١) المنون: الموت. والتليل: العنق.

في بيتي الراحة

إذا كَثُرَتْ أصواتُهُم حول مسمعي
حكيتُ بصيراً سارياً في نُجى ليلٍ
وهل بَصَرُ الإنسان ينفَعُهُ إذا
تغطَّت بداجي الليلِ مسلوكةُ السُّبُلِ
إذا البُصراء استَوْضَحُوا بضياءهم
على الطرق ما تحوي من الوعر والوَحْلِ
ومازوا به مأمونها من مَخوفِها
فليس بغير الصمت مستوضحاً شكلي
فبالنور يستجلي البصيرُ طريقَهُ
وبالصمتِ مكفوفُ البريةِ يستجلي
فكم سببت ضوضاء قومٍ بمنهجِ
عثاري ولولاها لما عثرت رجلي
ولم تخلُ من ضوضائها السُّبُلُ ساعةً
فيسلكها مستهدياً سمعَه مثلي
لذا لم أُطِقُ سياراً بلا قائدٍ إلى
مرامٍ على صعبٍ من الطُّرُقِ أو سَهْلٍ
وتكليفِي الصُّحْبِ القيادةَ خطَةً
تحرَّجتُ منها مذ رجعتُ إلى عقلي
فكم خلتُ بعض الصُّحْبِ لي متفرغاً
وما شغله إذ ذاك عني بالقلِّ

فيا ربُّ مشغولٍ دعوتُ يقودني
 على غيرِ علمٍ أنه كان في شُغلٍ
 وقلت له إن لم تكن في مهمةٍ
 فخذ بيدي فالخِلُّ يحتاج للخِلِّ
 فأخفى حياءً ما عناهُ ملبئياً
 فكنتُ له عن حاجهٍ سببَ الفصل
 فلما بدا لي ما طواه عذلتُهُ
 وماذا - وقد فات - استفاد من العذل^(١)
 وأكره جيداً أن يفوت بحاجةٍ
 قيامٌ نواهُ بعضُ صحبي من أجلي
 فكنتُ ثقيلاً عند نفسي وإن تئنتُ
 مروأته خيفاً على نفسه ثقلي
 وقد كفَّ كفي عن تلمسِ قائدٍ
 بأجرته من فاقتي مُحكِّمُ الشُّكلِ
 لذاك لزمْتُ البيتَ إلا إذا دعا
 لسانُ اضطرارٍ معلنٌ مفتحُ القولِ
 ولم أرَ بأساً في لزومي منزلي
 وإن كنتُ فيه كالسجين أخِي العُلِّ^(٢)
 وكم قد أرتني البأسَ في السيرِ عثرةً
 بها عَقُدُ حُسْنِ الصبرِ عادٍ إلى حلِّ
 ولا غرو إذ بارحتُ بيتي سالماً
 وعدتُ جريحَ الرَّجْلِ منقطعِ النُّعلِ
 وكنتُ غنيّاً عن طبييبٍ وخارزٍ
 لو أني لشخص البيت ما زلتُ كالظِّلِّ

(١) يريد ماذا استفاد من عذلي بعد فوات الأوان.

(٢) العُل: طوق من حديد أو جلد يجعل في اليد أو في العنق.

إذا خرج الأعمى لغير ضرورة
 بلا قائدٍ من بيته فهو ذو جهل
 ولا يُقَلِّ العكازُ يكفي أخا العمى
 إذا ما مشى فوق الطريق على مهل
 وليس بكافٍ حين يملك سمعاً
 عليه اصطخابٌ من ذوي الجدِّ والهزل
 فما اصطخبوا إلا وعُدتْ كأنني
 ومصحوبي العكازُ في قبضتي خَبَلٌ (١)
 إذا بالعصا استرشادي اختلَّ لم أكن
 لألفي إرشادَ العصا غيرَ مختلِّ
 فيا أيها البيتُ الذي قبلُ صانتي
 زماناً ستلفي فيك بعدي كالقَبْلِ
 فلم تَلقَ إلا فيك نفسي راحةً
 وهل من مريحٍ ما عدا الغمِّمِ للنَّصْلِ
 فبوركتَ من بيتٍ كفاني لزومتهُ
 أذى كلِّ نهجٍ يُنهكُ الصَّبْرَ أو يُبلي (٢)
 ويا مَنْ أحبَّوا وصلَ صقرٍ مكانهُ
 لكم بأنَّ منه العذرُ في قلَّةِ الوصلِ

(١) وللبيت رواية أخرى كان الشاعر يريد وضعها بدل هذا العجز ليكون هكذا: «ومصحوبي العكازُ
 مُضطربُ الحبْلِ».
 (٢) ينهك: يجهد ويضني.

فصل الصيف^(١)

أراني في الشهرين «تموز» والذي
يليه عن اللقيا من الحرّ في شغلٍ
فلا تتوقّع أن تراني ولم تعد
تعدّهما من منقضى زمن الحول
ألم تدر أنا منهما في جهنم
وها هي تُصلينا من الحرّ ما تُصلي
أظنك قد أحسست منها بمثل ما
أجسُ فقد أُدخلتْ مكروهاً مثلي
وهل عند سگان الحجيم تطلّع
إلى زورقة من بعضهم وإلى وصل
ولكن لطف الله يأبى خلودنا
بمذهبة الخيل الودود عن الخيل
وعمّا قليل برُد «أيلول» فاعل
بمشبوبها فعل المواطن بالمثل
هناك يعود الصعب - من أمر زورقة
يُسَرُّ بها قلبي الكئيب - إلى سهل
فغرّة «أيلول» الحبيب إلى الوري
لنشر يديه فوقعهم بارد الظل

(١) يعتذر عن زيارة المرجوم عبدالملك بن صالح المبيض في فصل الصيف. ذلك أن بيت الشاعر كان بشرق المدينة وبيت صديقه عبدالملك بغربها، وليست هناك في ذلك الزمن وسيلة للمواصلات غير السير على الأقدام.

هي الوعدُ فيما بيننا لرجوعنا
إلى النَّهْلِ من ماء التواصلِ والعلِّ^(١)
ولا تخشِ إخلافَ الوعودِ ومطأها
فلست بذِي خُلفٍ لهنَّ ولا مَطْلٍ
وكيف وما قابلتُ قَطُّ ابنَ صالحٍ
فأُتيتُ ولم أظفرُ بشيءٍ من الفضلِ
فقد طال ما جالستُ منه مهذبًا
له الفضلُ في تهذيبِ نفسي والعقلِ
ولا تتوهَّم أنني كنتُ ساليًا
فما لي سوى لقياك في الدهرِ ما يُسلي
وأنت لعمُرُ الله تعرفُ جيِّدًا
وتدري حنينَ الشُّكْلِ منا إلى الشُّكْلِ
ولم أرَ لي شكلاً سواك بكلِّ ما
طبعت عليه حَذُوكَ النُّعْلِ بالنُّعْلِ
وأني فتى يسلو حياةً فؤادِهِ
إذا نابهُ صَرفُ الزمانِ بما يُبلي
ولو شئتُ أن أعتاضَ عنك بصاحبٍ
رَمَى عارفونا اليومَ عقلي بالخَبْلِ
ولكنَّ فصلَ الصيفِ ما زال حاكمًا
على كلِّ مشتاقٍ إلى الوصلِ بالفصلِ
فإن كنتَ مسطيئًا تجشمُ زورتي
فشكرًا لحمالِ المشقَّةِ من أجلي
وإني سأبقى في انتظارك مصيِّبًا
وحين تَخَلَّى الشَّمسُ عن طُرُقِ الليلِ

(١) النهل: الشرب الأول، وسكن الهاء للوزن. والعل: الشرب الثاني أو الشرب تبعًا.

ماذا أعتقد (١)

بين جُبُري وَاَعْتزالي
طال تِيهِي وَضَلالِي
فإِذَا قَلْتُ بِجُبُرِ
نَاقِضَ الْعَدَلِ مَقَالِي
ككِيْفِ اضْطَرُّ إِلَى ذنِ
بِفَأْجُزِي بِالْمِثَالِ
جَلُّ أَنْ يَصْنَعَ ككُورًا
غَيْرَ مَسْدُودِ السُّفَالِ (٢)
وَيَسُومُ الْكُورَ صَوْنًا
مَاءً عَنِ عَادِي أَنه مَالِ
ثُمَّ يَجُوزِي الْكُورَ بِالْكَسْ
رِلْتَرِكِ الْإِمْتِثَالِ
وَاعْتزالي مِثْبِتْ عَدُو
لِإِلْهِي ذِي الْجَلَالِ
غَيْرَ أَنِي عَنْهُ مِنْ عَدُو
لِي أُرَانِي فِي عِقَالِ
ككِيْفِ أَتِي بِأَمُودِ
طَوَعَ قَصْدِي وَاحْتِيَالِي

(١) وجه هذه القصيدة إلى الأستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.

(٢) السفال: ضد العلو.

لم يُرِدْهَا طَابِعُ النَّفْسِ
 سِ عَلَى كُلِّ الْخِصَالِ
 كَيْفَمَا شَاءَ كَمَا شَاءَ
 بَدْنِي أَيَّ أَتَّصَالِي
 أَيُّنَا مِنْهُ إِلَى دُنُو
 يَأْهُ يَرْضَى بَانْتِقَالِ
 وَهِيَ أَكْبَادُ وَاحِدًا
 نٌ وَسَاحَاتٌ قِتَالِ
 وَهَوْلٌ نَشْرُ بَشِيءِ
 فِيهِ مِنْ دَاعِي الْمَلَالِ
 فَهُوَ الْعَصْمَةُ مِنْ كُ
 لِّ عِنَاءٍ وَكَغَلَالِ (١)
 لِيَتَنِي مِنْ عَالَمِ اللَّا
 شَيْءَ مَا حُمَّ انْسِيَالِي (٢)
 وَكَذَا تَمَّ عَلَى كِ
 لِّ سَجَايَايَ اشْتِمَالِي
 دُونَ تَخْيِيرِي فِي قُبُ
 حِ السَّجَايَا وَالْجَمَالِ
 أَيُّنَا لَمْ يَأْتْ لَوْ خُيُّ
 رَفِيهَا بِالْكَمَالِ
 فَسَجَايَايَ كَتَكْوِي
 نِي لِلْمُوجِ دِلَالِي
 وَهُوَ أَدْرَى أَنْ صِنْعِي
 كَانُنْ حَسْبَ خِلَالِي

(١) الكلال: التعب.

(٢) حم: قدر.

فإذا حَسَنَ طَبِّعِي
 كنتُ من خَيْرِ الرِّجَالِ
 وإذا قَبَّحَهُ جَا
 نَبَّ بِي طَبِّعِي اعْتِدَالِي
 فإنا رهنُ طبِّعاعي
 في ارتقاءٍ واستِيفالِ
 ما يُطيق التَّمَرُّ إِلَّا
 أن يُرى في الذُّوقِ حِمالِ
 وَعَنِ الحَنْظَلِ مُرًّا
 طُعْمِ مَسْلُوبِ الزَّيَالِ (١)
 ولقد قالوا اختياري
 مطأقٌ دون اعتقالي
 لي طاعاتي وعصايا
 ني ورشدي واختيالي
 وأرى كلَّ اختياري
 لطبِّعاعي في انفِعالِ
 فوليدُ الطبعِ أخذي
 بحرِّامٍ أو حلالِ
 اختياريًا تحمُّلُ السُّ
 مِّ مميَّتاتُ الصَّلَالِ (٢)
 وهي لولاهُ لما كُ
 نت رهيئاتُ الوِبَالِ
 فهيَ مَهْمَا تَبَدُّ تُقْتَلُ
 بَعْصًا أو بالنُّعالِ

(١) الزيال: المفارقة والمباينة.

(٢) الصلال: الحيات.

أُتْرَاهَا أَوْدَعَتْ أَنْتَ
فُسَّهَهَا دَاعِي النُّكَالِ
والذي يحرس مِعْزَا
نَا وَأُمَّاتِ السُّخَالِ (١)
بوففَاءٍ وبِإِخْلَالِ
صِاحْتِفَاءٍ وَاحْتِفَالِ
مِمَّا تَشَكَّتْ قَطُّ مِنْهُ
غَنَمٌ غَفْلَةٌ كَالِي (٢)
لَا وَلَمْ يَخْفِرْ زَمَامًا
لِلغُنَّيْمَاتِ الغَوَالِي
فَفَهِي تَرَعَى أَمْنَاتِ
وَهُوَ عَنْهَا فِي نَضَالِ
بِنَبِيحٍ وَهَرِيرِ
وَسَهَادِ مِتْوَالِ
عَاكِفًا مِنْهَا عَلَى صَوِّ
نِ ضِرْخَامٍ أَوْ ضِرْنَالِ
عَنْ عَوَادِي كُلِّ مَوْهُوَ
بِإِخْتِالِ (٣)
هُوَ لَوْلَا الطَّبَعُ نَائِبُ
مَسْتَطِيرُ الشَّرِّ قَالِ (٤)
وَالغَدُورُ الطَّبَعُ لَوْلَا
طَبَعُ كَلْبٍ مَوَالِ

(١) الأمات: هي الأمهات وتطلق الأمات غالباً على الأمهات من البهائم.

(٢) الكالي: تخفيف الكالي وهو الحارس.

(٣) اختتال: خداع.

(٤) القالي: المبيغض.

وطبعا الكُلُّ من كل
 بٍ وذنبٍ ذي اغتتيال
 لم تكن إلا مُرادا
 ت النذي ل الكُلُّ وال^(١)
 وكذا أخلاقُ سادا
 ت البرايا والموالي
 وإذا كان مريدا
 حسب أخلاقي فيوالي
 فإلى جبري أفضى
 بي منهجُ اغتتالي
 رغم ما قال ذووه
 ضمن مشتدَّ الجدل
 أكذا أم خانني الفه
 م لإبهام المجال
 فأين لي الفرق أعرف
 أي هذين أوالسي
 فلدي الفرق ما بي
 نه ما بادي الزوال
 وأرى ظمآن كسب ال
 أشعرين كال^(٢)
 وردتُه النفسُ لكن
 صدرت دون ابتلال
 هل يصحُّ الكسبُ مادا
 م من التائير خال

(١) الوالي: المالك للأمر.

(٢) الال: السراب.

هل تكون النار ناراً
 وهي بردٌ كالزُّلال
 أو يكون الماء ماءً
 دون إرواءٍ بحال
 من يرى الشيء هو الشيء
 وطبع الشيء بال
 عَيْرُهُ كَلَّ إذا الطبَّ
 عُنْجَلِي عنه لجال
 وإذا ما سُئِمْتُ نفسي
 أَخَذَ جَدَاتِي الخوالي
 باعته قَادِرٌ دون بُرْهَا
 نِ أَبَتْ نَفْسِي قَالِي (١)
 فَبِحَثِي مَخْرِبَاتِ الـ
 كُنْتُبِ مَا زَالَ اشْتِغَالِي
 أَهْبَطُ الوَادِي مِنْهَا
 رِيثَمَا يَدْعُو ارْتِحَالِي
 فَأَنَا بَيْنَ رَحِيلِ
 دُونَ جَدْوِي وَاحْتِلَالِ
 وَعَلَى عُنُقِي ارْتِيَادِي
 عَنْهُ قَلْبِي غَيْرُ سَالِ
 أَيُّهَا القَلْبُ إِلَى كَمْ
 كَلَّ عَنْ جَمَلِي احْتِمَالِي (٢)
 طَالَ مَسَرَّايَ بَالِيلِ
 صَبْحُهُ لَيْسَ بِتَالِ

(١) القال: القول.

(٢) كل: تعب.

نكروا صبِحًا سيُفشي
 سِرَّهُ نكُرُ مُحَال
 وَعَدُهُمْ بِالصَّبْحِ مَطْلًا
 وَعَدُّ ذِي بُحُلٍ بِمَالٍ (١)
 كَلِمَاتٌ قَلَّتْ تَنَاهَى
 كَرَّبِي غَيْرَ مُبَال
 مَظَالِمًا ظَالِمَةً حَظِي
 كَدِيرًا كُدْرَةَ بَالِي
 طَامَسَ الْأَنْجُمَ مَا فِيد
 هِ لِنَجْمٍ مِنْ تَلَالِي
 خَابَطًا تَحْتَ نُجُجَاهُ
 خَبَطَ مَكْفُوفِ الْجِمَال
 بَيْنَ مَنْبَتٍ وَعُورٍ
 مِنْ وَهَادٍ وَجَبَال
 لَيْتَ شِعْرِي أَصَوَابِي
 عَنْ يَمِينِي أَوْ شِمَالِي
 فَإِلَى الْغَايَةِ سُبُلِي
 أَشْكَلَتْ جِدًّا حِيَالِي
 أَيُّهَا أَحْمَدُ غَيْبًا
 يَوْمَ بَعَثْتِي وَمَالِي
 حَرَّتْ فِيمَا أَجْتَبِيهِ
 رَغْمَ أَبْحَثَائِي الطَّوَال
 فَأَنَا أَحْيَايَرُ - يَا يُو
 سُفُّ - مِنْ ضَبِّ الرَّمَال

(١) المطل: التسوية بوعد الوفاء مرة بعد أخرى.

وإذا لم يَهْـدِنِي الرُّشْدُ
 دَا ابْنَ عَيْسَى ذُو الْمَعَالِي
 فَأَنَا مَا دَمْتُ مِنْ إِشْدِ
 كَالِ أُمِّرِي فِي شِكَايِ (١)
 ذَاكَ أَهْدَانَا جُـوَابًا
 عِنْدَ إِشْكَالِ السُّـؤَالِ
 وَهُوَ أَوْلَانَا بِتَّحْـصِيهِ
 حِ مِّنْ أَعْتَلَّ أَعْتِلَالِي
 فَالْكَمُّ وَافِي جُـرُوحِ الـ
 نُفْسِ مَنِي بَانْدِمِـالِ
 وَاقِـتِنَاعِي طَالِمَاهِ
 عِبُّ قِنَاعِي الشُّـمَامِـالِ
 لَا أَصَابْتَ نَجَلَ عَيْسَى
 يَدُ أَحَادِثِ اللَّيَالِي
 مَلَجَأُ الْآدَابِ صُـوْنُ الـ
 عِلْمِ عَنِ كَلِّ ابْتِـذَالِ
 نَخْرُ أَهْلِيهِهَا لَأَيَّا
 مِ الْمَلَمَّاتِ النَّقْـالِ
 شِـمَامُخُ الْقَدْرِ وَلَكِنْ
 نَفْسُهُ دَانِي الْمَنَالِ
 فَهُوَ كَالْمَزْنَةِ تَسْمُو
 وَحَايَاهَا فِي انْهَالِ (٢)

(١) الشكال: حيل تشد به قوائم الدابة.

(٢) الحيا: المطر.

حَسْبُ بَيْتَةٍ لَيْسَ لِشُكْرِ
 أَوْ جِزَاءٍ كَالْبِدَالِ (١)
 حِينَ جُودُ الْبَعْضِ لِلصَّنْفِ
 مَدَّ كَفْحًا أَوْ نَبَالَ
 زَاخِرُ الصَّنْفَيْنِ مِنْ عِلْمِ
 مَمَيِّ أَوْالٍ وَتَوَالِي (٢)
 فَائِضُ الرَّفِيدِينَ مِنْ مَا
 لِي وَجَاهٍ مَتَّعَالِ
 فَبِنَفْسِي مِنْهُ أَفْئِدِي
 بِحَسْرَةٍ عَالِمٍ وَتَوَالِ
 طَالَمَا أَلْقَى إِلَيْنَا
 مِنْهُمَا غُرًّا لَلْأَلِي
 سَاكِنُ الْأَمْوَاجِ مَا لَمْ
 يُرَمَّ حَقٌّ بَانَتِ حَالِ
 سَيِّمَا حَقٌّ ضَعِيفِ
 غَيْرِ مَرْهُوبِ الْمَصَالِ
 وَهُوَ فِي إِرْشَادٍ مِنْ حَا
 رَسْرَاجٍ ذُو أَشْتِ مَعَالِ
 وَمَنْ الْبِدْعِ خِخْضَمُ
 فِي الْهُدَى ذَاكِي الذُّبَالِ (٣)
 فَلْتَدُومِي بَابِنِ عَيْسِي
 يَا بِلَادِي فِي اخْتِيَالِ

(١) البِدَالُ: المِبَادِلَةُ.

(٢) أَوْالٍ وَتَوَالِي: أَي سَابِقِينَ وَتَالِينَ لَهُمْ.

(٣) الْبِدْعُ: الْأَمْرُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ مَثَالٌ. وَالْخِضْمُ: الْبَحْرُ. وَالذَّاكِي: الْمَشْتَدُّ لِلْهَيْبِ وَالذُّبَالُ: الْفَتِيلَةُ.

فَلَاكَ الْفَخْرُ بِهِ الْخَا
لِدُ مَمْدُودُ الظَّلَال
لَيْتَ شَرَوَاهُ كَثِيرُ
بِكَ مَوْصُولُو الْجِبَال
كِي أَرَى سُبُحَانَكَ لَا تَبُ
غِي عَالِي ذَاتِ هُزَال
وَأَرَى لِي سُبُحَانَكَ لَا يُو
قِعُ خَتَمًا بِالْغَزَال
وَأَرَى الْمُكْثِرَ فِي نَفِ
عِ مَقَائِكَ يُغَالِي
وَأَرَى فِيكَ عِرَابَ ال
خَيْلِ قُدَامَ الْبِغَال
فَمِنْ الْمَسْخِ جَبِينُ
نَابِتٌ خَلْفَ قَذَال^(١)
وَأَرَى سِيْفَكَ لِاحَ
دًا مُعَدًّا لَا الصُّقَال
فَمَنْ الْجَهْلِ لِحَسَنِ الصِّق
لِ إِعْدَادِ النَّصَال
وَأَرَى مَنْ بَاعَ بِالْمَا
لِ ضَمِيرًا فِي انْخِذَال
وَأَرَى فِيكَ مَكَانَ ال
عِلْمِ وَالْآدَابِ عَالِي

(١) القذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس.

عتاب مرير^(١)

لو لم يُوظَّفَ في المعارفِ غيرُ مَنْ
أبدى الكفاءةَ لم أكنُ بالعاطِلِ
لكن لحقدٍ أو هوىٍّ كم عالمٍ
فيها يُنحَى عن طريقِ الجاهلِ
وإذا الهوى والحقدُ يوماً صرَّفَا
يُمنى مُـولَى ناصبٍ أو عـازلِ
فقيامُ منصبِهِ وسقطتُهُ سَوَا
إلا لدى غافي الحِجَا والهازلِ
فالحقدُ أكثرُ ما يكون على الذي
بسوى الحقائق لم يكن بالحافلِ
الناصرِ الحَقِّ الصـريحِ برأيه
ما بين كلِّ منافقٍ ومُـخـاتِلِ
وترى الهوى يُعمي الفتى ويُصمُّهُ
عن صـارخِ الحقِ الجليِّ المائلِ
وإذا الضميرُ به أهاب مُناصبًا
ألفاهُ غيرَ سميعِ نصحِ قابلِ
ما مَنْ يميلُ إلى الهوى في أمرِهِ
أبدًا إلى نُصحِ الضميرِ بآيلِ

(١) قال هذه القصيدة بمناسبة طلبه للوظيفة التي لم يحصل عليها آنذاك بسبب تردد المسؤولين في توظيفه لكونه لا يبصر.

حتى يموتَ ضميرةً في جوفِهِ
 فيظلُّ آلةً كلَّ شَرٍّ نازلٍ
 فتراه رغمَ حياةٍ ظاهرٍ جسمِهِ
 بين الألى يَحْيُونَ مَيتَ الداخلِ
 وإذا الكويتُ أبَتْ سوى تقديمِها
 مفضولها ظلمًا أمامَ الفاضلِ
 فمن الحالِ خلاصُها من جهلِها
 في عـاجلِ الأيامِ أو في الآجِلِ
 فإذا بكيتُ على الكويتِ تخوُّوا
 من مظلمِ الآتي الرهيبِ الهائلِ
 فلأنني لا أستطيعُ سوى البُكا
 رَفَعُ احتجاجٍ ضدَّ هذا الباطلِ
 هلاً بحثتم عن مديرٍ مخلصٍ
 مترفِّعٍ عن كلِّ أمرٍ سافلِ
 يَقْظِ النُّهى غافي الهوى متجرِّدٍ
 عن كلِّ شَخْصِيٍّ المنافعِ عادِلِ
 ذي جرأةٍ ماضي العزيمة نابذٍ
 في نصره للحقِّ عذَلِ العاذِلِ
 مهما استغاث الحقُّ مخذولاً رأى
 منه مغيباً رغمَ أنفِ الخاذِلِ
 ودِع يُراعي اللّهَ في أعـمـالِهِ
 خاشٍ لما بعدَ المنيةِ آمِلِ
 فعساهُ يجري بالمعارفِ وُفقَ ما
 يقضي عليه كلُّ نفعٍ شاملِ
 لهـفـي على وطني أُعِلُّ ولم أُطِقْ
 إسعافَهُ إلا بدمعي السائلِ

أو بالمقالِ وليس يَحْسِبُ دَاءَهُ
 جاري الدموعِ ولا مقالُ القائلِ
 ما إن يُفِيدُ سوى الفِعالِ فليت لي
 ما أستطيعُ به فِعالَ الفاعِلِ
 هيهاتَ لا عَضُدٌ ولا كَفٌّ بها
 أقوى على تقويمِ أمرٍ مائلِ
 ما في الكويتِ لمرشدٍ من سامعٍ
 مهما يذعُ نُصْحُ المحبِّ العاقلِ
 فتراه بعد النصحِ يُنكسُ يائساً
 لمضًّ سكتتْهُ سَكوتُ الناكِلِ
 حتى متى فيها أقيم على أذى
 مشتدّةٍ وطأتهُ متواصلِ
 من لي كغيري من ذوي أدابها
 المخلصين لها بِرِحْلَةِ راحِلِ
 فالمخلصون يسوء فيها عيشهم
 ما بين نابِلِ قومهِ والحابلِ
 قومٍ مغبّبةٌ أمرهم مرهوبةٌ
 إلا لدى مفتونهم والغافلِ
 أبداً تراهم رهنَ كلِّ تناقُرٍ
 وتناكُرٍ وتدابرٍ وتخاذلِ
 طَوْعَ الغُـوَاقِ من الذين قلوبهم
 لولا المطامعُ لم تكن بأواهلِ
 مهما أهاب المخلصون بهم إلى
 أن يرعَـووا عن كلِّ رأيٍ فائلِ^(١)

(١) رأي فائل: ضعيف مخطئ.

رُشِقُوا بِبَيْلِ أَذَاهُمْ فَتَقَهَقَرُوا
عَنْهُمْ وَلَمْ يَحْظُوا بِأَمْرِ طَائِلِ
فَكَانَ بَيْنَ مَعَاشِرِي عَهْدًا عَلَى
أَنْ لَا يُرَوَّأَ فِي الْفِئَةِ وَتَوَاصَلِ
أَيُّ الشُّعُوبِ عَصَى ذَوِي إِخْلَاصِهِ
قَدَمًا وَلَمْ يُفَجَّعْ بِمَجِيدِ زَائِلِ



يَا مَنْ يُغَرِّبُ أَوْ يُشَرِّقُ طَالِبًا
مَا شَأْنُهُ إِضْحَاكُ سِنَّ الثَّائِلِ
لَكِنَّهُ يُبْكِي اللَّبِيْبَ مِنَ الْوَرَى
لِمَصِيْرِ أَهْلِيهِ الْمَمِيْتِ الْقَاتِلِ
عَرَّجْ عَلَيْنَا تَلْقَ أَيُّ عَجِيْبَةٍ
تُبْكِي وَتُضْحِكُ دُونَ حَادِّ فَاصِلِ



يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى طَوِيلِ تَشَاوُمِي
إِنَّ التَّشَاوُمَ لَسْتُ مِنْهُ بِوَائِلِ (١)
فَلَقَدْ تَأَبَّى أَنْ يَغَادِرَ سَاعَةً
فِيهَا أَفْتَشُّ عَنْ طَرِيقِ تَفَاوُلِي
أَنْتَى يَرَى طُرُقَ التَّفَاوُلِ مِنْ يَرَى
أَبَدًا مَوْاطِنَةً بِحَالِ حَائِلِ
وَإِذَا أَهَابَ بِهَا إِلَى طُرُقِ الْعُغْلَا
لَمْ تُبَدِّ غَيْرَ تَبَاطُؤٍ وَتَثَاوُلِ
يُلْفِي سِوَاهَا فِي نَشَاطِ مَعْقِبِ
عُرَّرَ الْمَعَالِي وَهِيَ ذَاتُ تَكَاسُلِ

(١) وَال فَهُوَ وَائِلٌ: رَجَعُ فَهُوَ رَاجِعٌ.

أَفَلْتِ كَوَاكِبُ نَحْسِ كُلِّ غَيْرِهَا
لَشُرُوقِ أَنْجُمِ نُصْحِهِ الْمَتَبَادِلِ
وَنَجُومِ أَنْحَسِهَا لَفَقْدِ تَنَاصِحِ
بَيْنِ الَّذِينَ تَضُمُّ غَيْرُ أَوَافِلِ
أَرَأَيْتَ شَعْبًا يَرْتَقِي إِلَّا عَلَى
دَرَجِ أَقِيمٍ مِنَ التَّآخِي الْكَامِلِ
وَأَرَى التَّآخِي بَيْنَ قَوْمٍ فَاتَهُمْ
مَحْضُ التَّنَاصُحِ لِمَ يَكُنْ بِالْحَاصِلِ
لَوْ خَصَّنِي بِالضُّرِّ صُنْعُ مَعَاشِرِي
لَتَجَنَّبْتُ أَيْدِي الْهَمِّومِ تَدَاوُلِي
لَكِنْ أَخَافُ الضُّرَّ يَشْمَلُ مِنْ هُمْ
وَأَنَا أَنْابِيْبٌ نُظْمُنُ بَعَامِلِ
فَعَلَيْهِمْ أُبْكَي وَإِنْ لَمْ يَبْرَحُوا
مَتَحَامِلِينَ عَلَيَّ كُلَّ تَحَامِلِ
فَمَحَبَّتِي لِلْقَوْمِ رَغْمَ أذِيَّةِ
أَشَقَى بِهَا مِنْهُمْ وَطَوَّلِ تَطَاوُلِ
أَغْرَتُ جَفَوْنِي بِالْبُكَاءِ لِلْخَوْفِ مِنْ
مَسْتَقْبَلِ دَاجٍ لَشُعْبِي الذَّاهِلِ
أَنَا لَسْتُ مِمَّنْ يَحْزَنُونَ إِذَا رَأَوْا
أَقْوَامَهُمْ تَحْتَ السَّحَابِ الْهَاطِلِ
مَهْمَا انطَوَتْ مِنِّي الضُّلُوعُ عَلَى صَدْيِ
وَالسُّحُبُ بَيْنَ هَوَاطِلٍ وَهَوَامِلِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ بَدُّ لَهَا ذَا الْغَيْثِ مِنْ
أَنْ لَا يَعْجَمَّ جَمِيْعُنَا بِالنَّائِلِ
فَلَيْسَ سَقِيَهُمْ سُقِيَا تَدِيمِ سُرُورِهِمْ
بِالْخِصْبِ وَلِيَتْرَكَ جَمِيْعَ مَنَارِلِي

وَعَلَيَّْ أَنْ أُثْنِي وَأَشْكُرَ مَنْ يَرَى
لِلْقَوْمِ دُونِي بِاسْطِ يَدِ بَازِلِ
مَهْمَا هَلَكْتُ بِبِخْلِ مَنْ يُحْيِيهِمْ
جُودًا شَكَرْتُ يَدَ الْجَوَادِ الْبَاخِلِ
مَا صَالِحِي فِي جَنْبِ صَالِحِ أُمَّتِي
مَهْمَا تَهَضَّبَتْ بِهَمِّ مَشَاكِلِي
لَوْلَمْ تُكُنْ مِنْهُمْ مِرَاعَاتِي بِهَا
نَفْعٌ لِأَجْلِ أُمَّرِهِمْ وَالْعَاجِلِ
مَا كُنْتُ - مَهْمَا فَرَطُوا بِي ضِلَّةً
شِنَعَاءَ - فِي وَادِي الْمَلَامِ بِجَائِلِ

يا عقل^(١)

قالوا انصرفت إلى المعقول مُتَرْكًا
ما لم يكن وَفَّقَهُ من كلِّ منقولٍ
فقلتُ لو لم يُردْ هذا مكوِّننا
مَنِّي ومن كلِّ معروفٍ ومجهولٍ
لما حَشَا الهامَ بالألِّبابِ قائمةً
بالفرقِ ما بين مسمومٍ ومعسولٍ
لو لم تُلازمِ حواسَ المرءِ حاجتُها
إلى اعتمادِ على عقلٍ وتعويلٍ^(٢)
لم يُدركِ الفرقَ يومًا فهمٌ مدركه
بين الألباءِ مِنَّا والمخابيلِ
إني لأرتاب في المنقولِ يبُلِّغُنِي
حتى يقوم له عقلي بتعليلِ
فكُلِّ نقلٍ تفوتُ العقلَ عاتُّهُ
أعُدُّ إرشادهً منهجًا تضليلِ
مِيلوا بمنقولكم عني لِقَابِلِهِ
عَمَّنْ تَرَوْنَ إذا نافاهَ معقولي
وفيَّ قولوا الذي يوحيه جهلُكم
فلاستُ ممَّنْ يُبالي بالأقوالِ

(١) نشرت في مجلة اللغات العدد الثالث ديسمبر سنة ١٩٦٢ السنة الثانية المجلد الثاني صفحة ٣٠.

(٢) حواس: هنا غير مشددة السين لضرورة الشعر.

ماذا يَضُرُّ إذا إذا أرضيتُ مُوجِدَنَا
ما قد تُشيعونَ من كُفري وتَجْهيلي
أبعَدَ ما بانَ فجرُ الحَقِّ لي وبدا
أعوذُ عنه إلى ليلِ الأباطيلِ
«عليك يا عقل بعد الله معتمدي
وبعده لك تعظيمي وتبجيلي»
فكن دليلي إذا ما حيرةٌ عرَضَتْ
وكن إذا ليلٌ شكٌّ جَنُّ قنديلي
يا عقل أنت سماويُّ الهدى فأبْنُ
ما غاب من وجهٍ تحريمٍ وتحليلِ
وسُدُّ أذني عمَّا القومُ قد أخذوا
فيه يخوضون من قالٍ ومن قيلِ

حدث عن شمائله^(١)

إليك الشوقُ أَلزَمَنِي الوَصَالَا
وكاد إليك يسعى بي خيالَا
لأنَّ طویلَ سُفُؤمي قد تُناني
خييالاً أو لِأَيَاتِهِ هِلَالَا
فَلَوْ يَا أَحْمَدَ العلياءِ ترنو
إليَّ لخلتْ جُثْماني خِلالَا^(٢)
فقلتُ الشوقُ طاعنُكُ وجوبُ
وقمتُ لأمرِ أشواقِي امتثالَا
فصاحَ الضعفُ بي والضعفُ أقوى
من الشوقِ المَبْرَحِ بي مَقَالَا
يقول بملءِ فيه لا تُغادِرْ
مكانك أَيها الأعمى ألا لا
فَقُمْ عني لديك بشرحِ عُذري
تَنَلْ من جَزَلِ شُكراني مَنالَا
أيقعد مستطيع السير عن من
لكلِّ فضيلةٍ أضحي مثالَا
يفوتُ - شذئٌ وحسنًا كلُّ زهرٍ
خِلالَ الروضِ ممطورًا - خِلالَا

(١) بعث بها إلى صديقه الأديب أحمد بن خالد المشاري وهو في (بومبي) سنة ١٣٣٩ هجرية.

(٢) الخلال: العود يوضع في لسان الفصيل لئلا يرضع أمه.

وَأَيْنَ مَطِيرُ زَهْرِ الرُّوضِ عَرَفُوا
 مِنْ الْأَخْلَاقِ تَزَكُّو أَوْ جَمَالاً (١)
 فَحَدَّثَتْ عَنْ شِمَائِلِهِ وَصِفِهَا
 وَلَا تَصِفِ الشُّمُولَ وَلَا الشُّمَالاً (٢)
 فَوَصَفُ شِمَائِلِ الْأَحْرَارِ تُلْفِي
 لِمُعْتَقَلِ الْعُقُولِ بِهِ انْحِلَالاً
 وَوَصْفُكَ شِمْمَالِ الْأَرْوَاحِ مُلْهُ
 بِهِ عَنْ نَافِعٍ تَجِدُ أَشْتَفَالاً
 وَأَوْصَافِ الشُّمُولِ بِكُلِّ رَأْسٍ
 تُضِلُّ الْعُقُلَ أَوْ تَهْدِي الْخَبَالاً
 فَكَمْ أَدْنَى إِلَيْهَا الْوَصْفُ نَاءً
 فَزَايِلَ رَشِيدَةً وَأَتَى الضُّلَالاً
 فَكُلُّ سُحْقًا لِكُلِّ فَتَى إِلَيْهَا
 يَسُوقُ الْمَدْحَ زُورًا وَأَنْتَ حَالاً
 فَلَوْلَا مَا دَجُّوَهَا مَا تَمَشَّتْ
 لَهَا الْأَحْرَارُ أَسْرَابًا تَوَالِي
 فَحَادِثُهُ عَلَى ظَمَائٍ فَتَنْسِي
 لَطِيبِ حَدِيثِهِ الْمَاءَ الزُّلَالاً
 فَإِنْ مُلَّتْ أَحَادِيثُ لَطُولِ
 فَطُولُ حَدِيثِهِ يَنْفِي الْمَلَالاً
 وَإِنْ صَدِئَتْ عُقُولٌ مِنْ حَدِيثِهِ
 غَدَا مِنْهُ الْحَدِيثُ لَهَا صِقَالاً
 بِجَدْعِ الْأَنْفِ يَهْوَى سَامِعُوهُ
 إِذَا اخْتَصَرَ الْقَالَةَ لَوْ أَطَالاً

(١) العرف: الرائحة الطيبة.

(٢) الشمول: الخمر، والشمال: الريح التي تأتي من الشمال.

إذا ما قال ودَّ الكلُّ أن لو
 إلى أذنٍ بجُمَلَتِهِ اسْتَحَالَا
 فإنَّ تَجْهَلَ حَلَالَ السِّحْرِ فاجلسُ
 إليه تعرِفِ السِّحْرَ الحَلَالَا
 وأنت ترى تواضُعَهُ - على ما
 به يمتاز - قد بلغ الكمالا
 ولو أوتيتُ منطِقَهُ رأيتُ لي
 عليها الناس تيهًا واختيالا
 وهل تُكسى الدجاجة ريشَ نسرٍ
 فلم تُصَبِحْ منافِعُها وبالا
 فَحَصُّ جناحِها ما كان إلا
 لكونِ الحَصِّ يُكسِبُها اعتدالاً^(١)
 فَجَلَّ مُوَزَّعُ الأرزاقِ فينا
 لكلٍ مما يُناسِبُ منه آلا
 فَعَنْ حِكْمِ جليلاتٍ وإن لم
 تزلْ تُرخي عن العقلِ الحِجَالَا
 ترى بين الأنامِ بكلِّ شيءٍ
 كبيرَ الفَرْقِ قد ألقى مَجَالَا
 فما همُ مُسْتَوُونَ وَخُلُقِ وَخُلُقِ
 كما لم يستَوُوا علمًا ومالا
 فبعضهم ضئيلُ الشأنِ يبدو
 وبعضُ شأنُهُ لَيْسَ الجَلَالَا
 وذلك غيبرٌ منظورٌ وهذا
 به الأنظارُ أحَدَقَتْ احْتِفَالَا

(١) حص الشعر حصًا: حلقه.

وهذا يعبتلي المنطاد يُسُـرّاً
وذاك لُعُـسـرِه عَـدِـمَ النُّـعـالـا
ومن لم يُرْضِـهِ ما اللّهُ راضٍ
لَهُ بِقَـيْتِ مَـرَاضِـيهِ مُـحـالـا
فتبصرهُ لسِرْخَطَتِهِ دِوَامًا
يُكابدُ داءَ أَحـزانٍ عُـضـالـا
فيا مَنْ قَصُّ أَجـنحتي فجاءت
ضِـعـافًا منذُ تـكويني ضِـئـالـا
فما قَـوِيتَ خَـوافي الرِّيشِ منها
ولا كانت قَـوادمُها طِـوالـا
فمهما سُمِّتْها الطَّـيـرانُ أبغي
فـضـاءَ الرِّزقِ أـبـدتُ لي كـلالـا
أَنِلْ نَفـسي الرِّضـا عن سـوءِ حَظِّي
فـيـكـفـيـني رِضـا نَفـسي نِوالـا
أَنفـسي إنـما دنيـاكِ ظِلٌّ
إذا ما فـاءَ فـوقَ المَرءِ زالـا
وإن هو لم يَزُلْ فـالمَرءُ عنـه
تـزولُ به مـناياهُ عـجـالـا
فليس بدائمٍ لهما وصالٌ^(١)
أَحَبُّـبًا منـه أو كـرِها الرِّوالـا
إذا سـيِّئانِ مَن تُصـليـه نارًا
ومن مَدَّتْ عـلـيـه لـها ظِلالـا
فيا نَفـسي على دنيـاكِ صـبـرًا
ولا تـسـتـبـعـدي عـنـها انـتـقالـا

(١) كتب صدر البيت في إحدى الكراسات: وصالهما إدامته محال.

إلى الأخرى وظنني أن تُلاقيني
بها نسيانك الثوب الثقالا
فعدل الله يابى أن تضيقني
هنا وهناك بالرزق احتيالا

أودُّ بأنني أسطيعُ سيرا
إليك ولو غدت طريقي نصالا
فما أخشى العورة في طريق
إلى شرواك يُفضي بي مالا
ولكن القوي الضعف يابى
عن الأسباب لي إلا انفصالا
فغير مفيد اسم الشيء معنى
عليه ينطوي الشيء اشتمالا

فأجابه أحمد بن خالد المشاري:

سلامٌ كوصولِ الحُبِّ للوالهِ الصَّبِّ
وإلا كرشفٍ من لَمَى ثغره العَذْبِ
تحيةً مشتاقٍ إلى خير صاحبِ
خلائقُهُ تَذَكُّو على المنديلِ الرُّطْبِ
أيا صقرُ أشجيتِ الفؤادَ وزدتَ في
تباريحِ شوقِ أذكتِ النارَ في قلبي
فما أنا من يجفُّو على البُعْدِ خِلَّةُ
ويومِ قه إن كان منه على قُربِ
فكم دموعِ أسبأتها من نَوَّه
وكم زفرةٍ نهَضتُها من لظى الحُبِّ
وكم ليلةٍ أحييتُها من تذكُّرِ
تقلُّبني الأشجانُ جنبًا إلى جنبِ
وكم صاحبِ نبهتُه من جفائه
فضاعَ وما أجدى وقد زاد في كُربي
فأخـتلقِ الأعذارَ للنفسِ دونه
وإن كنتُ مظلومًا أكنُ حامِلَ الذنبِ
فهذي شكاتي قد أثرتُ دفينها
وهذا مُصابي والأسى قاتلُ الصَّبِّ
وما لي بتنظيمِ القصائدِ من يدِ
ولكن إذا جاشتْ يخفُّ بها كُربي

قرأت

إلى الأستاذ الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.. حينما كتب يدافع عن المرأة:

قرأتُ مقالَكَ الحُرَّ الجميلاً
فألزمني لك الشُّكْرَ الجَـزِيلاً
مقالٌ منه حَقُّ الغيـدِ يَلْقَى
وقد طالَ المغيـبُ بهُ قُـفـولاً
سألْتُ به لإرهاقِ التـعـدي
وقتلِ الحَـيْفِ مرهفَةً نُـصـولاً
فلا لَقِيْتُ سـيـوفَ الحـقِّ تُنـضِي
بِئْسَ مَنَى رَأْيَكَ السَّامِي قُـلـولاً
وَحَكَمْتَ العُقـولَ وفـازَ حُرٌّ
يُحَكِّمُ بالذي يَأْتِي العُقـولاً
وأعـجـبـني انتـصـاركُ للواتي
تَكَبُّـنَ الأذى زَمناً طويلاً
فواصلِ لاعـدِـمناك انتـصـاراً
لهنَّ من الأذى حـتـى يزولاً
وأعـمـلُ من يراعِكَ ما أرانا
مُحَيِّياً الحَقَّ وضَّاحاً صقيلاً
فأجـمـلُ باليراع إذا أخوهُ
أزال به عن الحَقِّ السُّـدولاً
فلا تَدعِ انتـصـاركُ يا ابنَ عيسى
يُنْذِرُكَ اللهُ مَقـصـدَكَ النَّبِيلاً

إذا ما قام للإصلاح يسعى
 شبيهُك في الورى رأياً أصيلاً
 فما أحرأه أن يحظى بما قد
 إليه من المنى سَلَكَ السببِ يلاً
 إذا ما الجِدُّ صاحَبَهُ كَرِيمٌ
 رَأَهُ بِالنَّجَاحِ لَهُ كَفِيلاً
 فَجِدُّ ففِي الكُوَيْتِ الغَيْدُ تَرَجُو
 بِوَاجِبِهَا إِلَيْهَا أَنْ تَوُولَا
 لَعَلَّ لَهَا نَجُومَ السَّعُودِ تَبْدُو
 بِجِدِّكَ بَعْدَ مَا اكْتَسَبْتَ الأَفْوَلَا
 تَشْكُكِينَ الحُزُونََ فِي حَيَاةِ
 بِهَا العَادَاتُ أَعْدَمَتِ السُّهُوَلَا
 فَفَقُمْ فِي مَحْوِ عَادَاتِ ثِقَالِ
 فَمَثَلُكَ مِنْ مَحَا العَادَاتِ الثَّقِيَلَا
 فَمَا تَرَجُو سِوَى عَلِيَاكَ غَيْدُ
 تَقَاسِي فِي الكُوَيْتِ عَنَّا وَبِيَلَا
 فَأَنْتِ فَتِي الكُوَيْتِ اليَوْمَ يَا مَنْ
 أَقَامَ لِأَهْلِهَا المَجْدَ الأَثِيَلَا
 فَزِدْ فِي مَجْدِكَ العَالِي عُلُوًّا
 بِحَلِّكَ عَنِ غَوَانِيهَا الكُبُولَا
 تَدَارِكُ رَاحِمًا فِيهَا قُلُوبًا
 بِنَارِ الحُزْنِ تَوْشِكُ أَنْ تَسِيَلَا
 وَلَوْلَا أَنْ فِيهِنَّ احْتِشَامًا
 لِأَسْمَعَنَّ الرَّجَالَاتِ العَوِيَلَا

أَبْنُ حَقِّ النَّسَاءِ الْيَوْمَ يَا مَنْ
أَزَالَ بِأَمْسِيهِ عَنَا الْخُمُولَا
فَمَا إِنْقَاذُهُنَّ مِنَ الْبَلَايَا
إِذَا مَا قَامَ مِثْلَكَ مَسْتَحِيلَا
إِذَا مَا رَامَ مِثْلُكَ أَيُّ أَمْرٍ
وَتَابَرَ عَادَ أَصْغَعَبُ بِهِ ذُلُولَا
فَلَا تَسْجُنْ يِرَاعَكَ وَاتْرِكْهُ
بِمِيدَانِ النَّصِيحَةِ أَنْ يَجُولَا
وَقُلْ وَاجْهَهُرْ وَصِرْحْ تَلْقَ مِنَّا
وَمِنْهُنَّ التَّجِلَّةُ وَالْقَابُولَا
أَنْلُزِمُهُنَّ مَا نَرْضَاهُ قَسْرًا
وَإِنْ لَمْ يُرْضِ مِنْهُنَّ الْمِيُولَا
وَنَزَعُمْ أَنْ هَذَا الظَّلَمَ يَأْبَى
عَلَيْنَا الدِّينُ عَنْهُ أَنْ نَمِيُولَا
أَفِي الدِّينِ الْفَسِيحِ الرَّحْبِ أَنْ لَا
نُبَلَّ لَهَا بِإِنصَافٍ غَلِيُولَا
أُمَّتَعَةٌ خُلِقْنَا لَنَا الْغَوَانِي
فَلَمْ نَرَأْفَ بِهِنَّ وَلَوْ قَلِيُولَا
أَيُرْضِي اللّهُ عَطْفُ الْغَيْدِ قَهْرًا
إِلَى مَا لَا يُرِدْنَ أُمَّ الرُّسُولَا
كَأَنِّي بِالْغَوَانِي حَافِظَاتُ
لِيُوسَفَ شَكَرُهُ جِيلاً فَجِيُولَا
وَلَا مَنْ لَهْنٌ عَلَيْهِ فَيِيهِ
فَقَدْ أَحْيَا لَهَا الْحَقَّ الْقَتِيلَا

وداخ لها يمهّد خير نهج
يَنلُنْ به إلى العليّا وُصُولا
يَنلُنْ به على ما ضاع قِدمًا
بأيدي الجهل من حق حُصُولا

وقاك الله^(١)

وقاك الله ربي كل شراً
وردك كاسمك المحبوب سالم
فقد أصبحت ذا شوقٍ شديدٍ
إلى أوقاتٍ لقيانا البواسم
لئن خَشُنْتُ بفرقتنا أخيراً
وكانت باللقاء لنا نوعم
فما رأيت البرية قط عيشاً
على حالٍ من الأحوال دائم
ومرجو قريباً أن تراه
بأحسن ما عرفنا منه قائم
فلطف الله يقف فوكل خطب
إذا ما خيف منه الطول حاسم

(١) موجهة إلى السيد سالم بن محمد البشر.

فلسطين

«ما أشبه الليلة بالبارحة»^(١)

تَنَحَّوْا أَيُّهَا الْعَرَبُ الْكِرَامُ
فليس لكم بأرضكم مُقَامٌ
وإلا فاشحذوا عَزَمَاتِ صَدَقِ
يَوْمٌ صَالَبَهَا الصُّمُّ الْخُسَامُ^(٢)
فَمَا تَكْفِي فِلَسْطِينَ إِذَا مَا
لهم عن أَخْـذِهَا تَمَّ الْمِرَامُ
ولكن جَسَّ مِنْهَا النَبِضُ فِيهَا
طَمَوْعٌ مَا لِمَطْمَعِهِ خِتَامُ
فإن كنا صَحَاخًا صِينَ مَنْ
لديه رَغَمٌ مَا يَنْوِي الذُّمَامُ
وإن كنا مِرَاضًا عَاجِلْنَا
بِإِجْهَازِ مِظَالْمَةِ الْجِسَامِ
فكونوا كَيْفَمَا شِئْتُمْ فَمَنْهُ
لهذا الْقَصْدُ بَيْنَكُمْ التِّزَامُ
فإن يُعْجِرْ بَعْضُكُمْ أَنْ لَا تُدَاسُوا
بِرَجْلِيهِ كَمَا دَيْسَ الرِّغَامُ^(٣)
فلا تَدْعُوا فِلَسْطِينَ وَدُودُوا
بِكُلِّ قُؤَاكُمُ عَنْهَا وَحَامُوا
فإن لم ترحموا فيها أَيامِي
وَأَيْتَامًا وَأَشْيَاخًا تُضَامُ

(١) نشرت في السجل الأغر ١٢ ذو القعدة ١٣٥٦ (الجمعة) ١٤ كانون الثاني ١٩٣٨.

(٢) صحح عجز البيت إلى رواية أخرى هي: يحقق ما هممن به الحسام.

(٣) الرغام: التراب.

وفتياناً غدواً فيها ضحايا
 لظلمٍ قد دَجَا منه الظلام
 فخافوا أن تُساموا كلَّ خسفٍ
 كما أضحت فلسطين تُسام (١)
 فإنَّ غدوها لكمَّ غدوُّ
 وإن كثر الأثر التَّجْمُلُ والكلام
 وإن دَفَاعكم عنها دَفَاعُ
 إليكمَّ منه للنفعِ انضيمام
 فإن نال اهتِمامكم حِمَاها
 فذلك منكم بكمَّ اهتِمام
 فقصدُ الخَصم - إن طابت وساغت
 ولم يُغْرِصنه مأكُها - الحَرَام
 ولذَّ له عُقُوبُ المَخْضَعِ بَلْعُ
 لكم طُرّاً على الأثرِ التِّهَام
 وإن أعياهُ ذاك خلالِ عامٍ
 فبعدَ العامِ عامٌ ثم عام
 وتدرِجاً سيأكلنا جميعاً
 وذاك مصيرُ مَنْ وهنوا وخاموا
 وإن نَشِبت شَجَى في الحلقِ منه
 فإنَّ مآلَ كُأَكُم سَلام
 رأيتُ القصدَ منه على عمائي
 جليلاً لا سِتَارَ ولا لثام
 فإن فاتَ العيونَ اليومَ منكم
 وليس بها عماءُ أو سَقَام

(١) الخسف: النقصان والهوان.

فَإِنِ الْجُلُ مِنْكُمْ حَسَبَ ظَنِّي
 مَفْتَحَةٌ عُنُوقُهُمْ نِيَام
 وَإِنِ أَبْصَرْتُمُوهُ الْيَوْمَ مِثْلِي
 فَمَا بَالُ الصَّوَارِمِ لَا تُشَام^(١)
 فَمَا لِجُمُوحٍ مَقْصِدِهِ إِذَا لَمْ
 تَرْضُضْهُ سَيُوفٌ ثَوْرَتِكُمْ لِجَام
 فَلَيْسَ لَهُ ضَمِيرٌ مِنْهُ يَثْنِي
 مِظَالِمَةَ الْوِلَاءِ وَلَا احْتِشَام
 وَمَا لَأَقْتِ فِلَسْطِينَ شَهِيدٌ
 بِتَصَدِيقِي لَهُ فَيَكُمُ قِيَام^(٢)
 بِنَفْسِي مَا رَمَتْ أَمْجَادَ قَوْمِي
 هُنَاكَ بِهِ (السَّكَّاسِنَةُ) اللَّئِيمَام^(٣)
 فَكَمْ أَخَذَتْ سَيُوفُ الْبَغْيِ مِنْهُمْ
 وَكَمْ نَفَذَتْ بِهِمْ مِنْهُ سِهَام
 وَمَا نَكَلُوا وَلَكِنْ كَانُوا نَزْرًا
 عَدِيدُهُمْ وَقَدْ كَثُرَ الطُّغَام
 فَلَوْ ثَرْنَا لَهُمْ عَوْنًا وَأَضْحَى
 بِنَا لِمَطَامِعِ الْبِغَاغِي اصْطِدَام
 لِأَعْمِدِ سَيْفِ ذَاكَ الْبَغْيِ قَسْرًا
 وَإِلَّا نَالَ شَفَرَتُهُ انْتِثَام
 وَيُمْكِنُنَا تَلَاغِي مَا أَضْعَفْنَا
 إِذَا مَنَّا لَهُ جَدًّا اعْتِرَام

(١) تشام: تستل.

(٢) شهيد: شاهد.

(٣) السكاسنة: يريد بهم الإنجليز. وهم يدعون: بنو سكسون.

فإن نتلافه يُمِثِّ التُّلافي
أموراً عَيِّشُهُنَّ لَنَا حِمَام
وإن نُهْمِلْ تَلَاْفِيَه هَاكُنَا
وفي أَعْنَاقِنَا إِثْمٌ وَذَامٌ

أَوْ يَشْفِي مِنَ الْكَلُومِ الْكَلَامُ (١)

ليس للعُربِ من فلاحٍ إذا لم
تَكُ للعُربِ وحيدةٌ ووثامُ
فلمَ اذًا انقَسَ اَمُهم؟ أليُذني
للأعداءِ مُرادهمُ الانقِسام
أم على رِغمِ مُوقِظاتِ العِوادي
هُمُ بتنويمِ كِائدِيهمُ نِيام
انتِباهاً فَمَا مَغْبَّةُ تَنوِي
مِ رِكنُهمُ إِلِيهِ إِحِمام
فَجِرُّ لِيلٍ قَدِ جَنُّنا إِذِ تَمادِي
هُوَ مِنا لِكُلِّ مِوتِ زُوام
فَأُنبِادِرُ بِكِشْفِهِ بِنِهارِ
شَمْسِئُهُ وَحِدَةُ سَنَها نِظام
فَرَقونا لِكِي يَسودوا فِسادوا
فَإِلِي كَمُ وَهُمُ لَنَا أَعِمام
إِن يَلِينوا لِلبِعضِ مِنا فِهذا
لِيِنَّ أَفْعَى مِنا اسْتِحْمالِ السَّلام
أَوْ يَنْبِلُوا الحِطامَ مِنا أُناساً
فَسَلَوْهمُ مِنا أَيْنَ ذاكِ الحِطامِ
هُوَ مِنا مالِنا السَّلِيْبِ وَهَلِ فِنا
زَبَضِلِ عَلى البِحورِ العِمام

(١) قالها في ٢٥ من محرم ١٣٥٩هـ / الموافق ٤ من مارس ١٩٤٠م.

أمطري يا غمام ما شئت فالمد
 ل له وبئلك المبير قوام^(١)
 يا بني يعرب الكريم أرانا
 قد غدونا وليس فينا كرام
 أكرام من ليس فيهم إذا ضي
 م ذووهم شراسنة وعرام^(٢)
 يا فلسطين كم شكوت إلينا
 من خطوب صر فارهن عظام
 فبرب الجميع ماذا قضاه
 لك من واجب باتك الأقوام
 وبأي الحقوق يا ليت شعري
 كان مئسا كنك قيام
 فبنفسى ما فيك تلقى الأيام
 من توالي الويلات والأيتام
 ما بغير الكلام نحن أعنا
 أو يشفى من الكلوم الكلام^(٣)
 فسستشكو لله أو قد شكنا
 من شنيع القطيع الأرحام
 وسنجزى ما يترك الكل مئا
 منه يدمى (من عاضه) الإبهام
 فلنا الويل من قطيعتنا الأرا
 حام فالعار غبها والآثم

(١) المبير: المهلك.

(٢) العرام: الشدة

(٣) الكلوم: الجروح.

إِنَّ هَذَا الْحَرْبَ الَّتِي عَادَ يَصْنَعُ
 نَارَهَا الْيَوْمَ ظَالِمُهَا الْيَوْمَ
 انْتِقَامٌ مِنْ ظَالِمِيهَا وَظَنِّي
 أَنْ سَأُردِي جَمِيعَهُمُ الْانْتِقَامَ
 يَا فِلَسْطِينُ وَالْأَمَمَانِيُّ نَوْمٌ
 لَدَفِيهِ لَلنَّائِمِ الْأَحْلَامِ
 لَيْتَ أَنِّي قَد تَمَّ لِي - كَيْفَ مَارُ
 مَتُّ مِنَ الْعَوْنِ حِينَ رُمْتُ - الْمَرَامِ
 لَنَنِي الْمَعْتَدِينَ مِنْ وَحْدَةِ الْعُرُ
 بٍ وَبِذَلِ الْجَهْدِ وَجَيْشِ لُهَا
 لَيْتَ أَنِّي إِذْ عَزُّ ذَاكَ بِصَيْرُ
 يُحْسِنُ الضَّرْبَ فِي يَدِي الصَّمَامِ
 فَتُعَوْدِي لَوْ اسْتَطَعْتَ قِيَامًا
 مَعَكَ عَنْ وَاجِبِ الْجِهَادِ حَرَامِ
 وَحَسْبِي شَهَادَةٌ أَوْ بَقَاءُ
 يَتَّقِينِي فِيهِ الطُّغَاةُ الطُّغَامِ (١)

(١) الطغام: الأوغاد.

ويل للبخلاء

قالوا فلانٌ كثِيرُ المالِ طائِلُهُ
لكنَّهُ سائرُ الأوقاتِ مَغمومٌ
إنا على الفقيرِ أحيانًا يُلمُّ بنا
طَرْفُ المَسَرَّةِ وهو الدهرُ مَهمومٌ
حتى لَنَرَحَمُهُ مِمَّا يَخُطُّ على
جِيبينِهِ الحزنُ فهوَ اليومَ مَرحومٌ
فقلتُ شَروى فلانٌ لا يَرقُّ لَهُ
إلا امرؤٌ من حِجَّا يَهديهِ محرومٌ^(١)
أي الأرمِلِ عن إحسانِهِ رَفَعَتْ
له الدعاءُ وشملُ الليلِ منظومٌ
أم أيُّ أيتامِنا قد عاد مَبتَسِمًا
من بعد ما انتابَهُ والدمعُ مَسْجومٌ^(٢)
ما زال عن فعلِهِ الخيراتِ مَبتَعِدًا
كأنما فعلُها الميمونُ مشؤومٌ
يَصُدُّ عن سائلِ المعروفِ منقبِضًا
كأنما باذلُ المعروفِ مَهْضومٌ
جِزاءُ بُحْلِ يديه في الدُّنَا حَزَنٌ
فَوادُهُ مُتَنَزَّرٌ مِنْهُ مَكْلومٌ
وَيَعْدُ فالِمالُ موروثٌ فغانِمُهُ
عَمَّا قليلٍ سَيَغْدُو وهو مَغْنومٌ

(١) شرواه: مقله.

(٢) مسجوم: مسال.

وكيف يُفْلِحُ في داريهِ خِذْنُ غِنَى
من الأرامِلِ والأيتامِ مَذْمُوم
مِلءُ الزمانِ عِظَاتٌ عن فِوَائِدِهَا
فَوَادُهُ بِخِتَامِ الشُّحِّ مَخْتُوم
دَوَاءُ كُلِّ امْرئٍ - أَعْمَى بِصَيْرَتِهِ
عن المِوَاعِظِ دَاءُ الشُّحِّ - مَعْدُوم
أَشِدَّةُ الرُّكْنِ غَرَّتُهُ وَقُوَّتُهُ
وَكُلُّ رُكْنٍ بِأَيْدِي المَوْتِ مَهْدُوم
أَشَقَى البَرِيَّةِ مُتَّئِرٍ نَفْعُ ثَرَوَتِهِ
بِهِ سِوَاهُ مِنَ الوَرَاثِ مَأْمُوم
الفقرُ مِثْلُ غِنَى مَحْصُولِ صَاحِبِهِ
لِوَلَا المَاتِمِ مَشْرُوبٌ وَمَطْعُوم
يُودِي الفَقِيرُ بِلا ذَمٍّ وَمَأْتِمَةٍ
يَدَاهُمَا بِهِمَا ذُو الشُّحِّ مَلْطُوم
يَمْضِي وَلَا ذَاكِرٌ بِالخَيْرِ حَضْرَتُهُ
وَأَنْفُكُهُ بِعِذَابِ اللّهِ مَخْطُوم
لَا زِلْتُ مَا عَشْتُ إِنْ كَانَ اليَسَارُ كَذَا
وَجَانِبِي عَنْهُ بِالْإِعْسَارِ مَلْزُوم
لَا خَيْرَ فِي ثَرَوَةٍ خَرَطُومٌ صَاحِبِهَا
بِالذَّمِّ وَالْإِثْمِ فِي الدَارِينِ مَوْسُوم
إِنْ كُنْتُ أَغْبَطُ ذَا يُسْرٍ فَمَنْ يَدُهُ
مَعْرُوفُهَا مِنْهُ مَجْهُولٌ وَمَعْلُوم
يُبْدِيهِ كِي يَسْأَلُ المُنْتَرُونَ مَسْأَلَكُهُ
فَالخَيْرُ خَيْرَانِ إِنْفَاقٌ وَتَفْهِيم
أَمَّا إِذَا لَمْ يُؤْمَلْ مِنْ يُتَابِعُهُ
فَبَذَلُهُ فِي فِوَادِ اللَّيْلِ مَكْتُوم

يَرْجُو بِهِ مَنْ جَزَاءُ النَّاسِ عَنْ يَدِهِ
عَلَيْهِمْ حَسَبَ مَا جَاءُوهُ مَقْسُوم
صَنِيْعُهُ مِنْ رِيَاءِ الْكُلِّ أَخْلَصَهُ
لَنْ إِلَيْهِ مَصِيرُ الْكُلِّ مَحْتَم

سمو الشيخ أحمد بن جابر آل الصباح^(١)

إلى ذي المعالي نجل جابر الذي
يُمناهُ من هذي البلادِ زمامُها
أوجَّه من شعري الرُّصينِ مَحامِداً
كساها جَمالاً - إذ كَسَتْهُ - نظامُها
و«أحمد» محمودٌ على كُلِّ مِقْوَلٍ
ففي حَمْدِهِ مثلُ الكهولِ غلامُها
وليست أياديهِ يطاوعُ عَهدُها
وإن جَدُّ من حُسَّابهنَّ قيامُها
ومن خيرِ هاتيكِ الأيادي صنيعةُ
سيشكرُها نَدْبُ الوري وهُمَامُها^(٢)
وأعني بها إيجادهُ نجلَ أحمدٍ
جُهَيَّنةُ أخبارِ الكويتِ حَزامُها^(٣)
وإسعافُ تاريخِ الكويتِ ابنُ جابرٍ
به يعتلي بين البلادِ مقامُها
فلا زلت تُعليها وترفعُ شأنُها
ولا زال مرعيّاً لديك زمامُها

(١) يبدو أنها قيلت بسبب أن سمو الشيخ أحمد بن جابر منح الشيخ عبدالعزيز الرشيد مبلغاً كبيراً إغاثة له وتقديراً لتأليفه كتاب «تاريخ الكويت». وإن كان وضع الأبيات في كتاب «تاريخ الكويت» لا يوحي بهذه المناسبة.

(٢) النذب: السريع إلى الفضائل.

(٣) يشير إلى أن تاريخ الكويت أخباره صادقة تتفق مع ما يقال وعند جبهة الخبر اليقين، وما يقال:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

لا تقترحوا عليَّ

إذا جاشَ صدري بالقوافي نظمْتُها
وإن لم يجشْ لازمْتُ صممتي عن النظمِ
وكيف بإبرازي الذي حالَ دونهُ
من الرفعِ سترٌ معجزُ الرفعِ والجزمِ
وهل جمعت كَفُّ من الزهرِ باقَّةً
ومن دونهِ حُجْبُ الوهادِ أو الأكمِ
فلم أرَ لي من غيرِ نفسي داعيًّا
إلى النظمِ مسموعًا بطوعي ولا رَعْمِي
فكلُّ اقتراحٍ كانَ غيري مَصدرًا
له كانَ عن مَدعاهُ شعري من الصمِّ
فلو طلبتَ ما لَمْ يجشْ خاطرِي بهِ
من الشُّعرِ أمي ما التفتُ إلى أمي
وقد عَلِمْتَ أن المبرَّةَ شيمَةً
لملودها «صقر» على اليُسْرِ والعُدْمِ
ولكنَّ لي عُذري على التُّركِ إن تُردِ
إصابةً ما تُعيي إصابةً سَهْمِي
ومن حُمقٍ أني إلى الغرضِ الذي
تأبَّتْ سِوى إشوائهِ أسهُمي أرْمِي^(١)

(١) أشوى إشواء: أصاب الشوى وهي الاطراف.

وقد ظنَّ بعضُ الناسِ أنَّ قصائدي
 حمامٌ وأنِّي صقرٌ أجوائها كاسمي
 إذا شئتُ أن اصطادَ منها حمامةً
 سمَّتُ بي إلى ما شئتُ أجنحةَ العزمِ
 فإن كان بعضُ الظنِّ وهمًّا فإنني
 أرى فيِّ هذا الظنَّ ضريبًا من الوهمِ
 وهبني كما قد ظنَّ فالصقرُ لم يصيدُ
 حمامًا حمامًا خاطرُ البُعْدِ بالكتِّمِ
 فإيا ربَّ حولٍ ظَلْتُ فيه محاولاً
 من النظمِ ما يسخوبه تارةً يومي
 فمَرٌّ ولم أظفَرُ بما كنتُ طالباً
 كأنني في أثناءِ حَوْلِي من البُكْمِ
 لذاك أراني موقيناً أن كلُّ ما
 أقولُ من الإلهامِ لا قوَّةَ الفهمِ
 فلو كان من فهمي بياني ناشئاً
 لما برحتُ طَوْعي سحائبُهُ تهمي
 ففهمي معي ما زال والشُّعْرُ لم يكن
 ليخلفَ منه عادةَ الوصلِ والصُّرمِ
 فإن شاء وصلاً جاء من غيرِ دعوةٍ
 وإن شاء صرماً كلَّ عن وصلهِ همِّي
 فليس على حُكْمِي القـرِيبُ بنازلٍ
 وإن كنتُ منه قد نزلتُ على الحُكْمِ
 ومن كان مفتوناً بوصلِ حبيبهِ
 يكنُ راضيًّا عن بسطهِ وعن الضمِّ
 وشِعْري إلى نفسي حبيبٌ لذاكُمُ
 يرى مِدْحِي حتى على مقتضي الذمِّ

وأيُّ حبيبٍ لم يَنلْ من مُحبِّه
مُحاباتِه مهما أتقى عادي الإثم
ولو كان شعري لاقتراحٍ ملبئياً
لعدُّ عليه الصمتُ عنكم من الظلم
لأنكم أولى بكلِّ إجابةٍ
لبذلكم الجهودَ في خدمة القوم
ولكنَّهُ طبعٌ له وبقاؤه
على طبعه يكفيه بادرة اللوم
وما هو بالباقي على الطبع وحده
على حالي حربِ الحوادثِ والسُّم
ولكن أرى الأشياءَ طراً بقاءها
على طبعها من حكم خالقها الحتم
فما سلبَ النارَ الحرارة سالبُ
ولا حالَ بين الماءِ والرِّيِّ ذو علم

إليكم عني

يروؤك كلُّ مـــــــــــــــــأكـــــــــــــــــولٍ لذيذٍ
وما تشري سوى جَشِبِ الطَّعامِ (١)
فقلتُ إليكمُ عني فحَـزَمِي
أبى من مسـتطاباتي مَـرامِي
أأنفقُ ما بكفي ثم أغشى
لنيل الزَّادِ أبوابَ الأنامِ
أرى صبري على المجشوبِ أشهى
إليَّ الدهرَ من سُـؤْلِ الكرامِ
وقد قلتُ كرامُ الناسِ حتى
تكاد تُضِلُّهم بين اللئامِ

(١) الجشب: الغليظ الخشن.

العزلة

يلومني الصَّحَابُ وقد رأوني
أصُدُّ عن اجتماعات الأنامِ
فقلتُ مَنَّاكبي قد أوْهَنْتُهَا
وأوْهَنْتُهَا إِطَالَاتِ الرَّحَامِ
فلم أحصِلْ على ما أشتَهيهِ
ولم أسَلِّمْ بهنَّ من اغتِمامِ
فإنَّ أساسَهَا قالَ وقيلُ
وكلُّ وغيِّ نَكَتْ فَعَنِ الْكَلَامِ (١)
فملتُ لعُزَلتِي فوجدتُ فِيهَا
لنَفْسِي مَا تحبُّ من السَّلَامِ
فهل أنا إن قبضتُ على انفرادي
بكلِّ قَوَايِ أَهْلٍ لِمَ لَمَّ لَامِ
خَشِيَتْ الاجْتِمَاعَ وَمَا يُوَدِّي
إِلَيْهِ من مُمِخَّضَاتِ الخِصَامِ (٢)
فصرتُ بحَيْثُ لَا زِيدُ يراني
ولا عمروُ إلى يومِ الجِمامِ
عسى أن يَسْتَتِيبَ به صفائي
وأحظى من سُكُونِي بِالْمَـرَامِ

(١) الوغى: الحرب. ونكت: اشتعلت.

(٢) الممض: المؤلم الموجع.

وبعدَ منيَّتي يا قومُ خُطُّوا
ضـريحـي بالخـليِّ من الرغـام^(١)
بأخلى الأرضِ من حُرٍّ وعمـيدٍ
عسى أن استطيبَ به مُقامي
فلستُ بعزلتي حيًّا وميتًا
أجودُ ولو حُسـِبْتُ من اللُّـام

(١) الرغام: التراب، أو الرمل المختلط بالتراب.

التمويه جين

إذا ما كاتبٌ أضناه حِقْدُ
على قُرْنائِهِ بين الأنامِ
هَجَاهُمْ ثم سَمَى الهَجْوَ نَقْدًا
ليبقى خافيًا سوءَ المرامِ
وتسميةُ الفتى الأشياءَ زورًا
تجر على الفتى ضَعْفَةَ المقامِ
فوجهُ القصدِ يُلفى مجتاهيه
جليًا واضحًا رغم اللثامِ
وعن جُبْنٍ تكشفَ من يُغَطِّي
عن الناسِ العداوةَ بابتسامِ
فيا من شاقَّةُ التضليلِ عمًّا
أرادَ بِرَمِيٍّ مسمومِ السُّهَامِ
دَعِ الدَّعْوَى فقصْدُكَ غيرُ خافٍ
وهل تُخفي الوغى دعوى السَّلَامِ
أبالقصدِ المموهٍ وهو لومٌ
تُؤمِّلُ أن تُعَدَّ من الكِرَامِ
فسالمٍ أو فحاربٍ دون سترٍ
فسنترُ الحربِ من شيمِ اللُّنَامِ
وثيقٌ أن العقولَ مهتكتاتٌ
عن النيئاتِ أَسْتَـتَارَ الكلامِ



وكم من كاتبٍ قد حلَّ حُبًّا
 مَحَالًّا من قلوب الناس سَامِ
 إذا مَرَّتْ بهم ذِكْرُهُ يَوْمًا
 تَلَقَّوْهَا بِحَمْدٍ واحْتِرَامِ
 غدا يهجو ويدعو الهجوَ نقدًا
 لِحَادٍ من تَشَفَّ وانْتَقَامِ
 فعادَ له احْتِرَامُهُمُ احْتِقَارًا
 وأسْفَرَ حَمْدُهُمُ عن شَرِّ ذَامِ (١)
 وكان يُظَنُّ قُبْحَ القصدِ يَخْفَى
 بدعوى حُسْنِهِ عند الخَصَامِ
 ولولا ذاك لم يوقِظ يراعًا
 - ليكتبَ نقدَهُ ذَا - مِنْ مَنَامِ
 خَلَا - في ظنِّ ناقِدِنَا المعَمِّي -
 من العَقْلِ الممَيِّزِ كُلِّ هَامِ
 وهاتا تهمَّةٌ لا صَفْحَ عنها
 إذا صَفَّحَ الكرامُ عن اتِّهَامِ
 إذا ما شئتَ أن تبقى حميدًا
 فلا تَضِعِ اسْمَ حِلِّ لِلْحَرَامِ
 فما ينسى الوريَّ بحثَ المعاني
 إذا ما رَيْنَ تزويرَ الأَسَامِي

(١) الذام: الذم والعيب.

عجل فإني عجول^(١)

لَعَمْرُ فَخَامَةِ الْعَرَبِ الْكِرَامِ
بُنَاةُ شَوَاهِدِ الْمَجْدِ الْخُضَامِ
يَمِينٌ فِي فِئْتِي تَحَلُّوْا تَأْبَى
حَلَاوْتُهُمَا سَوَى صَدَقِ الْكَلَامِ
لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي عَوْنِ عَلَى مَا
دَعَا هَمِّي فَلَبَّى وَاهْتَمَمَامِي
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ سَعِيكَ مِنْ مُعِينٍ
يُعَجِّلُ لِي بِهِ نَيْلُ الْمَرَامِ
وَنِعْمَ الْعَوْنُ مَهْمَا عَنْ أَمْرٍ
يَهْمُ النَّفْسَ سَعِي أَبِي عِصَامِ
أَرَى طَوْلَ انْتِظَارِ الْأَمْرِ سَجْنًا
يَهْدُدُّ تَجَلُّدِي فِيهِ مُقَامِي
فَأَقْصَرَ يَوْمٌ مَنْتَظَرٍ مَالًا
يُقْفَدُ عِنْدَهُ طَوْلًا بِعِصَامِ
وَإِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ الْيَأْسُ قَوْلٌ
وَجِيئُهُ بَيْنَ أَمْثَالِ الْأَنَامِ
فَهَلْ تَعْجِيلُ مَا أَرْجُو يُوَاتِي
لِرَمِّي عُرَا انْتِظَارِي بَانْفِصَامِ^(٢)

(١) قالها يستنجز وعداً من أحد أصحابه.

(٢) الانفصام: التصدع. والعرا: جمع عروة، وهو ما يوثق به وما يعول عليه.

ومـــــــثألك لا يلىق الحأ مئى
له فى بءء أمر أو آآآام
ولكنى آألقأ عآآول طبع
وفى يءه - ولم أآآر - زمأمى

باسم الدين يتصيدون

أَقْلَوْا مِنْ عَمَائِمِهِمْ شِرْبَاكًا
لصَّيْدِ الْمَالِ مِنْ طُرُقِ الْحَرَامِ
وَسَاعَدَتِ الْعَمَائِمُ مِنْ لِحَاهُمْ
طَوِيلَاتٍ فَفَازُوا بِالْمَرَامِ
تَسَمُّوْا بِالِدِيَانَةِ وَهِيَ مِنْهُمْ
عَلَى بُعْدِ النُّجُومِ مِنَ الرَّغَامِ
وَأَيُّ دِيَانَةٍ كَانَتْ طَرِيقًا
لِلسَّيْرِ الْخَادِعِينَ إِلَى الْحُطَامِ
وَقَدْ خَافُوا شُمُوسَ الْعِلْمِ تَبْدُو
فَتُظْهِرُهُمْ كَمَا هُمْ لِلْأَنَامِ
فَرَاخُوا يَزْعُمُونَ بِلَا حِيَاءِ
بِأَنَّ الْعِلْمَ مَجْلَبَةُ الْإِثَامِ
وَلَمْ تَبْرَحْ مَلَائِينَ الْبَرَائِيَا
عَلَيْهِمْ فِي التَّفَافِي وَانْضَمَامِ
فَلَا تَخْدَعُكَ كَثْرَةُ تَابِعِيهِمْ
فَأَكْثَرُ ذَا الْأَنَامِ مِنَ الطُّغَامِ
وَكَمْ غَنَمٍ تَرَاهَا تَابِعَاتِ
مِنَ الْجَارِ أَثَارًا دَوَامِي
وَكَمْ طَيْرٍ تَرَامَتْ فِي فِخْخَاخِ
وَكَمْ نَزَلَ الْفَرَّاشُ عَلَى ضِرَامِ

فَدَعَهُمْ وَأَقْفُ عَقْلِكَ فَهُوَ أَهْدَى
وَأرْشَدُ فِي الْجُلُوسِ وَفِي الْقِيَامِ
فَلَمْ يُوجِدْهُ فَفِيكَ اللَّهُ إِلَّا
لِتَمَيِّزِ الضَّيَاءِ مِنَ الظُّلَامِ
سَيِّئِدْمُ مِنْ عَصَى مَنَا نُهَاهُ
نَدَامَةٌ مُدْمِنِي شُرْبِ المُدَامِ

بكاء على المرحوم سالم المبارك

أقول لمن رأوا دَمْعِي أَخْيِرًا
لذكري الحُرِّ سَالِمِ الْكَرِيمِ
وراموا بالتَّعْزَايِ عَنْهُ حَدًّا
لِمُشْجِي دَمْعِي الْجَارِي السَّجُومِ
وصاغوا من تَأْسِيهِمْ شَكِيمًا
وصَعَبُ الدَّمْعِ يَهْزَأُ بِالشُّكِيمِ^(١)
أخيرا رمتمُ تَغْيِيرَ عَادِ
مَكِينِ بَيْنِ أَجْفَانِي قَدِيمِ
وما العَادُ الْقَدِيمُ وَإِنْ حَرَصْتُمْ
بِمُتُّرِكِ مَدَى الْمَحْيَا لُزُومِي
لَقَدْ قَدُمَ الزَّمَانُ عَلَى بَكَائِي
وَلَا زَمَنِي مَلَا زَمَةَ الْغَرِيمِ
وَأَيَّاسَ كُلِّ مَنْ يَرْجُو سُؤْيِي
مَنْ الرُّفْقَاءُ بِالْقَوْلِ الْحَكِيمِ
بَكَيْتُ وَلَمْ أَزَلْ أَبْكِي عَلَيْهِ
وَلَنْ، حَتَّى أَصِيرَ إِلَى رَمِيمِ
سَلُوا - عَنْ دَمْعِ عَيْنِي حِينَ تَهْمِي
غَمَامَتُهَا لِذِكْرَاهُ - حَمِيمِي
فَكَمْ عَزَى وَأَسَى دُونَ جَدْوِي
يَحَاوُلُهَا لِمَطْعُونِ الصَّمِيمِ

(١) الشكيم: جمع الشكيمة، الحديدية المعترضة في فم الفرس.

يقولُ إلى متى تبكي كما لو
 فـقـدتِ الدَّرَّ من سِنِّ الفَظِيمِ
 وأنتِ اليومَ من كبرِ صَحيحًا
 تكابدُ مثلَ آلامِ السَّقِيمِ
 فلا تجمَعِ عليكِ بُغَاً وشيِبًا
 فجمعهما أخو غِبٍّ وخِيمِ^(١)
 ولم يُمكنْ خَلاصٌ من مشيِبِ
 وأمكَنَ من بُكاءٍ لالفَهِيمِ
 ولم أَرَ كالتصَبُّرِ في الرِّزَايا
 وإن كَرَّ رَيْتُكَ بالوَقْعِ الأليمِ^(٢)
 يليقُ بمثلِكَ الممدودِ عُمُرًا
 إذا ما عَزَّه صَبْرُ الحَلِيمِ^(٣)
 وقد يُفْضي التصَبُّرُ ذاتَ يومٍ
 بصاحبِهِ إلى الصَّبْرِ المَرومِ
 وكم سَأَى التصَبُّرُ عن حَبِيبِ
 فوَادٍ مَحَبِّهِ الأسي الكَظِيمِ
 فـقـلتُ وأدمعي تنهلُ حُرْنَنا
 وقلبي من شجوني في جَحِيمِ
 وهل أسطيعُ لو حاولتُ يومًا
 سَأُو الفيلسوفِ أو البَهِيمِ
 ولو أني استطعتُ أبْتَهُ نفسِي
 فسألواني من الغَدْرِ الذَّمِيمِ

(١) الغب: العاقبة. والوخيم: الثقيل المضر.

(٢) كربه: اشتد عليه.

(٣) عزه: غلبه.

أأسلو من أعاننني لهُهاه
على شيطانِ إعساري الرُجيم^(١)
وأحسَسَ بِنِي الكويتِ لدى يديه
من الجنَّاتِ نافيةِ الهُوموم
فلا هَمَّماً ولا غَمَّماً أراني
زمانِي طولَ مَحِيَاهُ الوَسِيمِ
وضاقت بي الكويتُ فكنتُ فيها
قُبَيْلَ غِيَاثِ بارِقِهِ المَشِيمِ^(٢)
أعاني ما يعاني كلُّ أعمى
قليلِ الحَـوْلِ مَكروبِ عَـدِيمِ
فصارت حَالِي النُّكْرَاءُ حَالاً
من الحُسَّادِ مُكثِرَةً حُصُومِي
لبستُ زمانَ مَحِيَاهُ - لنُعمى
أثارت غيظهم - ثوبَ الشَّـتِيمِ^(٣)
وما وحدي أطابَ نَدَاهُ عَيْشِي
وَرَدَّ نَثِييَ رَـأْسِي لِلنَّظِيمِ
ولكن عَمَّ حَتَّى صَارَ شَكْرِي
حَقِيرًا حَوْلَ شُكْرَانِ العُـمُومِ
يزورُ السَّمْعَ ما أصفى ثناءً
عليه نَتِيجَةَ البِرِّ العَمِيمِ
فكم بمديحِهِ قَد هَزَّ عِطْفِي
رُخِيمُ الصَّوْتِ أَوْ غَيْرُ الرُّخِيمِ

(١) اللها: جمع اللهوة، العطايا.

(٢) المشيم: المنظور إليه، يقال شام البرق: نظر إليه أين يتجه وأين يمطر.

(٣) الشتيم: الأسد.

وأيُّ القومِ لم يَهْزُرْهُ مثلي
 قَويُّمٌ مديحِ ذي الخُلُقِ القَويومِ
 وأيُّ مكارمِ عَظُمَتْ وَجَأَتْ
 بها للقَويومِ لم يكُ بالزُعَيمِ (١)
 وإنِّي بعضُ ما يُمناهُ عادات
 بمرعاهُ لخرَخرَ الهَشِيمِ
 فكان مُقَرَّبَ الأَمالِ مِنِّي
 ومُبعِدَ يَاسِيِ الناميِ العُيُومِ
 ولو لم أعتَرفْ بالفِضْلِ هذا
 لِمُفَضِّلِهِ لِأَنكَرْتِي أديمي (٢)
 تَنى لَدُنَّا رَجائِي النيلَ جَزُلاً
 لديه وكان قَبْلُ مِنَ الهَزِيمِ (٣)
 فَمَحيا سَالمٍ مَحيا الأمانِي
 لَشَتِي أَمليهِ ولِلضَمِيمِ (٤)
 فَقبُلَ حِمَامِهِ لِمَ نُرَمَ طُراً
 لِمَقَعَدِنَا مِنَ [الشَّرِّ] المُقِيمِ
 مَلاذًا كان مِنَ نُوبِ اللِياليِ
 لِمَن مَنهَنَ رُوعَ بالهُجُومِ
 ولا سَيِّما اليتامى والأيامِي
 وكُلُّ مُصابِ نائِبَةِ أَمِيمِ (٥)

(١) الزعيم: الرئيس، وأيضا الكفيل.

(٢) الأديم: الجلد.

(٣) الهزيم: صوت الرعد. والهزيم: المنهزم.

(٤) الضميم: الصاحب

(٥) الأميم: من ضرب على أم رأسه.

فكلُّ يتيمَةٍ ناحتٍ عليه
وأرملةٍ وكلُّ فتيٍّ يتيم
ويُعذَّرُ من ينوحُ على مُحيلٍ
نسيماً ما نهأه من السَّموم
وأما رِفْقُهُ بالحُكمِ فينا
فصنُّعُ أبٍ - بأولادٍ - رحيم
لذا كُنَّا نَفْقِدُنيهِ ونَفْقِدُني
عُـلَّةُ بالجاليلِ وبالعظيم
وإنَّ يَغْضَبُ على أَحَدٍ لأمرٍ
جَلِيٍّ للمواطنِ أو كَتِيم
نظرتَ فلا تَرى منَّا جميعاً
سوى قالٍ لمُغْضِبِهِ خَصِيم^(١)
فلم يَغْضَبْ لغيرِ الحَقِّ يوماً
وما فيها بذاك سوى عليم
وكان البدرُ في قَومِي إذا ما
تَدَجَّتْ ليلَةُ الأمرِ الجَسيم
وكان الكلُّ منَّا مستَضِيئاً
بنورِ هُداةٍ مَعَمِيَّةِ الظُّلوم
فكم منه ظفـرتُ بنصحِ هادٍ
متابعِ نصحِهِ الهادي مُديم
فمن إرشادِهِ أن قال أقبلُ
على أدابِنَا بينَ العُـلوم
فطبِّعُوكَ مستعدًّا للتقوي
بقَومِيٍّ من الأدبِ الفَخِيم

(١) القالي: المبغض. والخصيم: المخاصم.

وباسـتـعدادك البادي إذا لم
 تُحـصـلـه لِعـذـرك بالمُسـيـم
 لعلك أن تُجـدـدَ ذكـرَ مـجـدٍ
 لِقـومِ كـالشُّـموسِ وكـالغـيومِ
 فحسـنُ مـآثـرِ الأـسـلافِ مـمَّن
 نَمَتُّهُمُ مِثْلُ تَغْلِبِ أَوْ تَمِيمِ
 يَزِيدُ جـيـدٌ ذكـرُـهـا وإن لم
 يَزَلْ حَيِّ المـعـالِمِ والرُّسـومِ
 فُـرُوعُهُمُ اغتـبـاطاً حـين يـدنو
 إليهم من يـفـاخـرُ بالأرومِ
 فبعضُ محاسنِ الأجدادِ تخفى
 كما تخفى الأزاهرُ بالجميمِ (١)
 على مَنْ عَن تَتَبُعُونَهُنَّ مَالُوا
 بكيدٍ من أعاديهم مَشُومِ
 وشَروى نُصَـجِهـه هـذا كـثـيـرٌ
 وكم أحيا به مَـيـتَ العُـزومِ
 ونافعُ كلِّ إرشادٍ كـفـيـلٌ
 لِمُسْتَدِيهِ بِحُبِّ كـرِيمِ خـيـمِ
 فإن لم تـلقـني ما عـشـتُ أبـكي
 كـعـادـة كل ذي قلبٍ كـليـمِ
 فـلـسـتُ - كـما يـقـولُ النـاسُ عـني
 ومـنـهـم أنـتَ - ذَا وَدُّ سَـلـيـمِ
 ولا ذاك الوَفِيَّ لـكـلِّ حُـرِّ
 أبى غـيـرَ الوفـاءِ المـسـتـقـيـمِ

(١) الجميم: النبت الكثير.

فلا شَحَّتْ بِأَدْمُعِهَا جُفُونِي
 على جالي نُجَى الخُطْبِ البَهِيمِ
 فَشُحَّ العَيْنِ - إذ يُودِي كـرِيمُ
 كَثِيرُ النَفْعِ - من شَرِيمِ اللَّيْمِ
 فقَالَ لي الحَمِيمُ وَقَد تَرَأَى
 سُؤْيِي عَنهُ فِي بُعْدِ النُّجُومِ
 لَعَمْرُ فَقِيدِنَا مَا أَنْتَ مَهْمَا
 أَسَأْتَ عَلَيْهِ دَمْعَكَ بِالْمَلِيمِ (١)
 ولو كَانَ البِكَاءُ يَفِيدُ لَمَّا
 أَكُنْ لِبُكَاكِ غَيْرَ المَسْتَدِيمِ
 فَأَجْدِرُ من بَكَيْتَ عَلَيْهِ حُرُّ
 أَنَالَ العِزَّ كُلَّ فَتَى مُضْمِيمِ (٢)
 وَمَا تَرَكْتُ حَيَاةَ الشَّيْخِ حَزْنًا
 لِذِي حُزْنٍ عَلَى حَقِّ هَضْمِ
 وَأَلْسِنَةُ المَكَارِمِ مَا دَعَتُهُ
 لوصفِ غَيْرِ يَا قَرْمِ القُرُومِ (٣)
 وَمَا دُقْنَا إلى أن مَاتَ طَعْمًا
 من الأَحْزَانِ يَقتُلُ كَالسُّمُومِ
 وَقَد دُقْنَا طُعُومَ الحُزْنِ شَتَى
 وَلَا كَالطَّعْمِ هَذَا فِي الطُّعُومِ
 إذ أَبْتَنَّا لظى الأَشْجَانِ لَمَّا
 لَهُ خَطُّوا مَنَامًا بِالْقُدُومِ

(١) المليم: الفاعل ما يستحق عليه اللوم.

(٢) المضيم: المقهور.

(٣) القرم: السيد والعظيم.

يَهْوَنُ الْأَفْحُ إِلا حِينَ يُذَكِّي
فَمُ الشُّجَنِ الحَرَارَةَ بِالْأَزُومِ^(١)
أَلَمْ تَرَ لَفَحَهَا يَشْوِي نَفُوسًا
لَهُ ضَاقَتْ بِهَا سَعَةُ الْجُسُومِ
وَكَادَ بِجُلُّهَا يَمْضِي فَتُدْعَى
لِيَالِيهَا بِأَوْقَاتِ الحُسُومِ^(٢)
وَلَكِنْ لَفَحَهَا المُرْدِي تَنَنُّهُ
حَيَاةً بِنِيهِ بَعْدُ إِلَى نَسِيمِ

(١) الأزوم: العض.
(٢) الحسوم: الشؤم.

خير ناد^(١)

شُغِفْتُ بِكُلِّ إِصْلَاحٍ جَلِيلٍ
مَنَافِعُهُ تَعُودُ عَلَى الْعُمُومِ
أَقَمْتَ الْيَوْمَ يَوْسُفَ خَيْرَ نَادٍ
تَقُومُ بِهِ مُذَاكَرَةُ الْعُلُومِ
وَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ هَاجٍ يُؤَدِّي
بَنِي وَطَنِي إِلَى الْخَيْرِ الْعَمِيمِ
وَمَا لِلْعِلْمِ لَا يُثْنِي عَلَى مَنْ
غَدَا لِسَعَادَةٍ أَرْكَى مُقِيمِ
وَبَوَّأَ فِي الْكُوَيْتِ الْعِلْمَ دَارًا
يَشْحُ بِهَا الْحَمِيمُ عَلَى الْحَمِيمِ

(١) قالها في يوسف بن عيسى الفناعي ويشير إلى بعض مساعيه في تاسيس المكتبة الأهلية.

نظرة في السراألزلي

تبــــارك من أدار الخلق طرأ
بحكمته وكاتمها الأناما
فناس في بحور الرزق غرقى
وناس حولهم تشكو الأواما^(١)
وبعض في جحيم العسر يصلى
وبعض في جنان اليسر داما
ولولا أن بالموت اتساء
لأنزنا بأوفرننا حطاما
لكان الانت حار أخف شيء
على البؤساء حزننا واغتماما
فلم تبصر من البؤساء شيئا
يمتع بالحياة ولا غلاما
والأجرردوا حسداً وغيظاً
على المثرين للحرب الحساما
فلم يدعوا براحتيه غنياً
ولم يذروا على أرض سلاما
ولكن جل من أجرى - فأرضى
برايه بحكمته - النظاما
نظاماً أقعد الحكماء ممن
أرادوا علم حكمته قياما

(١) الأوام: العطش.

أَحْبُبُوا عِلْمَ حِكْمَتِهِ قَدِيمًا
فَمَاتُوا دُونَ مَأْقَاهَا هِيَامَا
فَحِكْمَةُ هَذِهِ النُّظْمِ اسْتَسْرَتْ
فَلَمْ يَكشِفْ لَهَا أَحَدٌ لَثَامَا
يَقُولُ بِكُنْهِهَا الْحِكْمَاءُ ظَنًّا
وَعِلْمُ الْكُنْهِ عَنْهُمْ قَد تَرَامِي
وَهَلْ تُبْصِرُ ظَنُونَ الْقَوْمِ أَمْرًا
عَلَيْهِ اللَّهُ أَسْبَغَ الْاِكْتِتَامَا
فَغَايَةُ بَاحِثِي الْأَمْرِ انبَهَارُ
إِذَا جَدُّوا بَبْحَثِهِمْ اعْتِرَامَا
كَمَا بَدَّيْتَهُ بِبَلَا شَيْءٍ تَرَاهُ
يُصَادِفُ بَاحِثَ الْأَمْرِ الْخِتَامَا
أَقُولُ لِمِوَقْظِي وَالْخَطْبُ دَاجُ
بِهِ أَيَقْضَاظَةُ حَكَّتِ النَّيَامَا
لَعَمْرُكَ لَسْتُ لِي خِيَالًا وَفِيًّا
إِذَا أزعجتَ عَن عَيْنِي الْمَنَامَا
فَدَعْنِي فِ الْمَنَامِ الذُّشْيِ
إِلَى أَنْ يَجْلُوَ النُّورُ الظُّلَامَا
هَنِيئًا لِلأَلَى مَنَا اسْتَدَامَا
بَلِيلِ اللّهِ وَنَوْمِهِمْ قَدَامَا
فَقَدْ فَازُوا بِرَاحَتِهِمْ وَلَا قَوَا
كَمَا يَهْوُونَ فِي النُّومِ الْجِمَامَا^(١)
وَبَاتِ السَّاهِرُونَ عَلَى عَنَاءٍ
وَلَمْ يَقْضُوا عَلَى السَّهْرِ الْمَرَامَا

(١) الجمام: الراحة.

لزوم البيت^(١)

لزومُ البيتِ للأعمى سببيلُ
إلى راحاته، وإلى السَّلامَةِ
فلا يسرَّحُ ضريرٌ من ذراهُ
فغايةُ مسرَّحِ الأعمى ندامه^(٢)
يُصادفُهُ فَيَقْصُصُهُ حمارُ
عليه مثلهُ بادي القدامه
وكم تنقطُّ رجلاًه بِروثِ
على الطُّرقاتِ مُلقى، أو قِمامه
وكم ماءٍ مُسْرَقٍ كُلُّ أعمى
يصادفُ فيه - إن يعثُرُ - حِمامه
يُسَحِّسِحُهُ على المنهاجِ وَغَدُ
عليه من غباوتهِ عَلامه
له رأسٌ ولكن ليس فـيـه
مرورٌ للحجا بُلُه الإقامه
يُقَابُ بُلُه خايِّاً من نُهاه
خفيفُ الوزنِ تَرَجَّحُهُ القُلامه
ولكن فيه للعميانِ شَرُّ
دوامًا تشتكى العُمى اضطرامه

(١) قالها وقد عثر بماء حول أحد البيوت.

(٢) الذرا: فناء الدار ونواحيها.

إِذَا هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيحٌ نُصِجَ
فَلَا يَأْمَنُ مَثِيرُهَا احْتِدَامَهُ
فَلَا ظَفِرَتْ يَمِينُ أَبِي شُعَيْبٍ
بِخَيْرٍ يَرْتَجِيهِ وَلَا كَرَامَهُ^(١)

(١) أبوشعيث: هو صاحب البيت المشار إليه.

لا تنس صقراً^(١)

أَوَالِ لِمَ تُكْرِمُ مِنْكَ إِلَّا
جديراً مستحقاً للكرامة
وإن يُبَسِّمُ عَبُوسُ الدهرِ فيها
لشخصك يا ابن أحمد ذي الشهامه
فلا عجبٌ فأهلوها قديماً
أحلّوا كل ذي شرفٍ مَقَامَه
فيا ليت الكويت، وليت ليست
تُنِيلُ من المنى شُروى قُلامه^(٢)
تُقَلِّدُ أَخْتَهَا البحرين فيما
يُبَلِّغُ حُرَّهَا فيها مَرَامَه

(١) أرسلها للشّيخ عبدالعزيز الرشيد مؤلف تاريخ الكويت يوم كان في البحرين وذلك في شهر المحرم سنة ١٣٤٨هـ، وقد أرسل القصيدة مرفقة برسالة هذا نصها: «.. تحية وسلاماً وشوقاً واحتراماً. لله در حوادث الزمان وخطوبه وتقلباته وتصرفاته فلقد تفيد الإنسان من العلم بالأشياء ما لا تفيد إياه مدارس البشر وجامعاته وأجدر ما أنا ضارب لك من الأمثلة وأحدثه في هذا الشأن هذا المثال: وهو أنني كنت أسمع بقولهم المرء شريك صديقه فيما يحصل له من الأُنس والسُرور وفيما ينزل به من الأتراح والأكدار وكنت في شك من هذا لأنني أعتقد أن زياداً لا يشبع إذا حبس عنه الأكل مهما أكل عمرو حتى أخذت الأخبار ترد علي بما أنت فيه من الغبطة والسُرور فإذا بقلبي تجاه تلك الأخبار يكاد يرقص طرباً وسروراً فعلمت صدق ما يقولون. المرء شريك صديقه في كل شيء واللوي يشكي تمام اليقين بأن الشؤون المعنوية لا تقاس بالشؤون المادية. فإتم الله عليك نعمه. عزيزي هذه القصيدة التي كانت ضمن الكتاب الذي أضاعه (...) وإليك معنى ما حواه ذلك الكتاب المضاع باختصار إن وقعت عندك هذه القصيدة موقع الاستحسان فإنت في حل من نشرها وإلا فغير عجيب أن يأتي بالمستهجن من الشعر شاعر يكابد من مضمض الفقر وإرماض الفاقة ما الله به عليم».

(٢) الشروى: المثل.

فَيَلْقَى كُلُّ ذِي نُصْحٍ صَـرِيحٍ
 بِهَا إِنْ أَخْفَقَ النَّصِيحُ السَّلَامَةَ
 وَإِنْ تَنَفَّعَ نَصِيحَتُهُ تَلَقَّتْ
 بِشَكَرٍ فِي نَصَائِحِهِ قِيَامَهُ
 هُنَاكَ يَطِيبُ نَفْسًا عَنْ سِوَاهَا
 بِهَا مَسْتَهْجِنٌ فِيهَا الْإِقَامَةَ
 وَهَلْ يَرْضَى صَـرِيحُ النَّصِيحِ أَرْضًا
 بِهَا تُدْنِي صِرَاحَتَهُ جِمَامَهُ
 تُقِيمُ عَلَيْهِ - مَهْمَا قَالَ حَقًّا
 يَرِيدُ بِهَا مَصَالِحَهَا - الْقِيَامَةَ
 تَشِيلُ بِهَا نَعَامَتَهُ كُلَّ نُصْحٍ
 وَتُسَكِّنُ مِنْ ذَوِيهِ كُلَّ نَامَةٍ (١)
 يَقُولُ بِهَا لِسَانُ الْحَالِ جَهْرًا
 هُنَا يَلْقَى أَخُو النَّصِيحِ اخْتِرَامَهُ (٢)
 وَيَلْقَى كُلُّ ذِي غِيْشٍ وَمَكْرٍ
 كَمَا يَهْوَى مُنَاهُ واحْتِرَامَهُ
 فَلْيَسْتَكْ إِذْ رَحَلَتْ إِلَى «أَوَالٍ»
 جَذَبَتْ إِلَيْكَ مِنْ صَفْرِ زِمَامَهُ
 فَمُنْيَتُهُ التُّرْحُلُ عَنْ بِلَادٍ
 بِهَا مَشَقَاهُ لَمْ يُغْمِدْ حُسَامَهُ
 شَكَافِيهَا الْمَقَامَ وَأَنْتِ دَانٍ
 تُخَفُّفُ عَنْهُ مَا اغْتَمَّ اغْتِمَامَهُ

(١) النامة: مخفف النامة وهي الصوت.

(٢) اخترمه اختراماً: أهلكه، والاخترام: الإهلاك.

فكيف به ونأيك عنه أضحى
يُجَرِّعُهُ لِيَصْرَعَهُ سِمامه
أما يكفيه رامى الدهر حتى
تزيد سهام نايك سِهامه
فذكرُ مالى فاهُ دواماً
وحُبُّكَ مالى حتى عظامه
فإن يكُ جَدْبُ صقْرِ غيرُ سهلٍ
فلا تخفِرُ بنسِيكهُ نِمامه
ومثلكَ ليس ينسى مثلَ صقْرِ
إذا قَيْنُ النوى شَحَدَ اعْتِزامه^(١)
ولكني مُنيتُ بسـوٍ حَظٌّ
يُصادِمُنِي بما أخشى اصطِدامه
وأخوفُ ما أخافُ النَّسِي مَمَّنْ
هواهُ كان لي أذكى عَلامه
إذا هَدَّ الفـراقُ نظامَ حُبِّ
فبُعْدُكَ شَدَّ من حُبِّي نظامه
وإمّا قالَ غيري ذو غرامٍ
«أترعى في الحشى يا ريمَ رامه»^(٢)
فغيرُكُ غيرُ حُبِّكَ ما رِعاهُ
وغيرُ هواكُ لم يسكن خِيامه

(١) القين: الحداد.

(٢) الريم: الظبي. وراماة: مكان. والشطر لعبدالله بن علي بن عبدالقادر، شاعر أحسائي توفي عام ١٩٢٥م وتمامه: وتسكن من محانيه خيامه.

نفسي تحن إلى لقاءك

أراك عَلَيَّ بِالْمَلَقَى بِخِيالاً
وشيمتُكَ السَّمَاحَةَ لِلْمُوَاطِنُ
ألم أعهَدَكَ تَبَذْلُ كُلِّ غَالٍ
لإحياءِ الألى تحوي المَواطِن
فمما لَكَ باللقاءِ وذاك يُحيي
صديقَكَ يا ابن أحمدٍ جِدُّ شاطِن^(١)
أجِلُّكَ أن تَمَلَّ حَيَاةَ خِلِّ
وإدراكٍ منه في الأحشاءِ قاطِن
فتعربُ عن جَفَاءٍ كنتُ أهوى
بجَدِّ الأتفِ أَنْكَ عنه راطِن
تُواصلُ من يودُّكَ غيرَ صَقْرِ
فهل لودادٍ صَقْرٍ لستَ فاطِن
لك الأشعارُ تُظهِرُ بعضَ حُبِّي
وأكثَرُهُ لعمُرُ اللهِ باطِن
تَحِنُّ إلى لقاءكَ العذبِ نفسي
حنينَ العيسِ يَشْتَفِنُ المَواطِن^(٢)

(١) شطنن فهو شاطن بعد.

(٢) العيس: الإبل. والمعاطن: مبارك الإبل.

يضر النصح

يَضُرُّ النَّصْحُ فِي هَذَا الزَّمَانِ
فِيَا لَيْتِي خُفْتُ بِلَا لِسَانِ
إِذَا مَا قَمْتُ أَنْصَحُ بَيْنَ قَوْمِي
لَقُومِي بِالْأَذْيَةِ وَالْهَوَانِ
وَكَمْ قَدْ رُمْتُ غِيْشَهُمْ فَيَأْبِي
عَلِيَّ الْغِيْشَ أَبٍ مِنْ جَنَانِي
وَجَدْتُهُمْ عَلَى النَّصْحَاءِ مِنْهُمْ
يَضُرُّ بَنُونَ الْعَذَابِ بِلَا تَوَانِ
وَأَمَّا مَنْ يَغِيْشُهُمْ فَهَذَا
لَهُ مَا بَيْنَهُمْ أَعْلَى مَكَانِ
فَهَلْ عَدِمَتْ رُؤُوسَهُمْ نُهُهَا
فَمَالُوا لِلْهَجِينِ عَنِ الْهَجَانِ (١)
أَصِيحْ بِهِمْ إِلَى الْعَلِيَاءِ سَيِّرُوا
وَجِدُّوا فَالْعُغْلَا لَيْسَتْ لِيَّوَانِ
وَأَحْسَنُ مَا يُؤَدِّيْكُمْ إِلَيْهَا
مِنَ الْأَسْبَابِ مَا الْعِرْفَانُ بَانَ
فَفِي عِرِّ الْمَعَارِفِ كُلِّ شَعْبِ
يِنَالُ السُّبُقِ أَيَّامَ الرَّهْمَانِ
وَلَوْلَا الْعِلْمُ لَمْ يُنْتِجْ رَجَالًا
تَسْوُدُ الْمَشْرِقِينَ الْمَغْرِبَانَ

(١) الهجين: اللثيم، ومن أبوه أصيل وأمه غير أصيلة. والهجان: الكريم والخيار.

وَخَلُّوا فِي الدِّيَانَاتِ افْتِرَاقًا
 يُوُولُ بِكُمْ إِلَى الحَرْبِ العَوَانِ
 وَدِينُوا مِنْ تَكَاثُفِكُمْ بِدِينِ
 لَكُمْ يَلْقَى التَّقْدُمُ بالعِنَانِ
 فَمَا غَيْرُ التَّفَرُّقِ مِنْ حَسَامِ
 تَبِيدُ بِهِ الشَّعُوبُ وَلَا سِنَانِ
 فَتَسْأَلُنِي بِالسَّنَةِ حِدَادِ
 كَأَنِّي يَا عِبَادَ اللّهِ جَانِ
 يَرُونَ بِأَنَّنِي قَدْ جِئْتُ أَمْرًا
 بِهِ تَخْلُو مِنَ الدِّينِ المَغَانِي
 فَهَلْ يَقْضِي صَاحِبُ الدِّينِ أَنْ لَا
 نَكُونَ مِنَ التَّخَالُفِ فِي أَمَانِ
 إِذَا فَـالدِّينُ إِعْدَامٌ وَإِلَّا
 فَـإِنَّ الدِّينَ لِلْإِعْدَامِ ثَانِ
 يَكَادُ اليَأْسُ يَقْعُدُ بِي وَيَقْضِي
 لِمَا مِنْهُمْ أَرَاهُ عَلَى بَيَانِي
 فَأَعْرِضْ عَن نَصَائِحِهِمْ إِلَى أَنْ
 أَسِيرَ مِنَ الحِمَامِ عَلَى حِصَانِ
 وَلَكِنِّي أَقْوَلُ لَعَلَّ قَوْمِي
 جَمُودِهِمْ - وَإِنْ قَدْ طَالَ - فَنَانِ
 وَإِنْ يَعْقَمُ بِحَاضِرِهِمْ رَجَائِي
 فَنَفِي الآتِي سَتُنْجِي لِي الأَمَانِي

لهفي على الفصحى^(١)

ما زلتُ أسمعُ لحنَ ذا اللُّحَّانِ
حتى لكدتُ أذوبُ من أشجاني
لم يُلقِ من بيتِ علي طُلابِه
إلا وشانَ البيتِ بالألحانِ
تدريسهُ الفُصحى العزيرةَ جانيًا
مما يُعرِّضُ عزَّها لهوان
خَدَعَتْ بني قَومِي شهادتهُ التي
شهِدَتْ له بالعلمِ والعِرفانِ
وإذا بإصغائي إلى تدريسِه
يَعزُّو شهادتهُ إلى البُطلانِ
إن لم يكن نالَ الشهادةَ ذا الفتى
زورًا فافْتَنَّهُ من النَّسيانِ
وعلى كِلا الأمرين ليس بصالحٍ
لسوى تَتَلُمُّنِهِ الجَديدِ الثاني
فليصرفْ من حيثُ جاء فلم يَزَلْ
منه التُّعَلُّمُ بَعْدُ في الإمكانِ
إن تَعَلُّ صَبِيانَ المدارسِ سيئُهُ
فالجهلُ يُدنيهِ من الصَّبِيانِ

(١) زار المدرسة المباركية وجلس على كرسي كان قريباً من أحد الفصول، وسمع مدرس الفصل الذي كان في تلك الساعة يلقي درساً في اللغة العربية، وكان كثير اللحن فقال هذه القصيدة.

لهفي على الفصحى يُدْرِسُهَا امْرُؤُ
 تَدْرِيسُهُ ضَارِبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ
 وَعَلَى تَلَامِيذٍ نُحِبُّ ثَبَاتَهَا
 مِنْهُمْ مَدَى الْأَعْمَارِ فِي الْأَذْهَانِ
 يَا قَوْمِ إِنْ لَمْ تُبْدِلُوهُ بِمُحْسِنٍ
 تَعَالَيْمَهُ الْأَبْنَاءِ ذِي إِتْقَانِ
 عَظُمَتْ نَدَامَاتِكُمْ عَلَى تَفْرِيطِكُمْ
 وَعَلَى التَّسَاهُلِ مُعَقِّبِ الْخُسْرَانِ
 إِنَّا لَنَأْمَلُ فِي بَنِينَا أَنْ يُرَوْا
 وَهُمْ مِنَ الْفَصْحَى بِخَيْرِ مَكَانِ
 كِي يُظْهِرُوا مِنْ حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا
 مَا أَضْمَرْتَهُ حَوَادِثُ الْأَزْمَانِ
 وَيَقَوْمَ كُلُّ مَنْهُمْ بِنَصِيْبِهِ
 مِنْ بَنَاتِهَا مَا اسْطَاعَ فِي الْإِخْوَانِ
 حَتَّى يَتِمَّ ظَهْرُهَا فَظْهُورُهَا
 صِلَةٌ لِقَاصِي قَوْمِنَا بِالْذَّانِي
 الْوَحْدَةُ الْكَبِيرَى الَّتِي تَحْقِيقُهَا
 مَا زَالَ حَتَّى الْيَوْمِ وَهُوَ أَمَانِي
 لُغَةُ الْجُدُودِ أَهْمٌ مَا يَدْنُو بِهِ
 وَيُرَدُّ غَائِبٌ وَجْهَهُ لِعِيَانِ
 فَعَلَامَ نَتْرَكُهَا لِذِي جَهْلِ غَدَتٍ
 مِنْهُ تُكَابِدُ شِقْوَةٌ وَتُعَانِي؟
 أَوْ مَا عَلِمْتُمْ أَنَّهَا مَا بَيْنَنَا
 تُمَسِّي وَتُضْحِي وَهِيَ خَيْرُ لِسَانِ

لم ندرِ لو لم نَسْعَ نحوَ حديثِها
ما مَجْدُ يعرِبَ أو عُلا عدنان؟



يا أيها اللغَةُ الجميلةُ إنني
مُغرَى الفؤاد بحسَنِكَ الفَتَّانِ
لا حُسْنَ إلا حُسْنُ وجهِكِ جامعُ
ما بين قلبي الدهرَ والهَيَّمانِ
ألقى جَناني حُبَّ غيرِكِ مَذرأتُ
سِرُّ الجمالِ لَدَيْكَ عَيْنُ جَناني
ما كان مني القلبُ لولا خَوْفُهُ
من أن تُسائِي دائِمَ الخَفَقانِ
ما عنكِ سلوانُ إليَّ بنافِذُ
فَهَوَاكَ سَدُّ منافِذِ السُّلوانِ
الحُسْنُ والإحسانُ فيكِ تكاملاً
والحُرُّ عبدُ الحُسْنِ والإحسانِ
ما فاتَ وجهَكِ منهما من بعدِ ما
فيه تَجَلَّى معجزُ القرآنِ
فلو اكتفيتِ كفاكِ ذاكِ مزيَّةً
ما عَنَّ بينَ الناسِ ذَكَرُ بَيانِ (١)
لكن أبيتِ سوى متابِعةِ الذي
تُولينَ من معروفيكَ المتداني
كم تَطْلَعينَ وكم طَلَعَتِ مُذِيعَةً
فينا غرائبُ مُغْرِبِ قَنانِ

(١) عن: ظهر.

كم جئتنا من شاعرٍ أو كاتبٍ
 بصنائعٍ تَرَبُّو على الشُّكْرانِ
 ما حَمُّلاكِ حَمَلْتِهِ من كلِّ ما
 جاءهُ حَقًّا أو خيالٍ مَعانِ
 ما اسْتَنجَدكِ لنشرِ ما يُعَيِّي اللُّغى
 يومًا فَعادًا منكِ بالخِذلانِ
 لكِ - بالجليلِ وبالدهقِ - من الذي
 يَطوي على العَجَزِ اللُّغاتِ - يَدانِ
 سَعَةَ المِغاني للمعاني لم تَزَلْ
 لكِ دونِ غَيْرِكِ من لُغى العُمُرانِ
 صَدَقَ المَشَبُّهُ بالفِضاءِ الرَّحْبِ ما
 لا قاهُ عندكِ من رَحيبِ لَبانِ (١)
 ما فَصَلْتَ لُغَةً لِمَعنى مُلَبَّسًا
 مما تَحْييكِ يَلِيقُ بالعُـرِيانِ
 إلا وَجِئْتَ بِسِنَّةٍ أو سَبْعَةٍ
 تَرْهُوهُ بالأَكْمامِ والأردانِ
 إن جاورتكِ ثَقِيلَةٌ فَأَطأ ما
 جَارَ الحِصى بِجِوارِهِ لِجُمانِ
 أو فَاخَرْتِكِ بما أراها بَعْضُنَا
 من رَغْبَةٍ في الوصلِ أو مَيلانِ
 وبِشِركِها لكِ في العِنايةِ عن هَوَى
 قد أَحَدْتُكَ لَهَا يَدُ الحَدَثانِ
 وبِئيلِ ما ظَنَّنْتُهُ نَهْجًا مُفْضِيًا
 بِكُما مَعًا لِضِمامِ الرِولِدانِ

(١) اللبان: الصنوبر.

فلَكُلِّ جِدَّةٍ عَهْدِ شَيْءٍ لَذَّةٍ
 يَجِدُونَهَا لَكِنَهَا لِأَوَانٍ
 فَإِذَا مَضَى هَذَا الْأَوَانُ فَبَعْدَهُ
 مَا اسْتَشَعَرُوهُ مِنَ التَّذَانِ فَإِنْ
 فَتَوَقَّعِي أَنْ يَرْجِعُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ
 يَمْضِي وَلَوْ حِينٌ مِنَ الْأَحْيَانِ
 مَتَمِّتَيْنِ لَدَى الرَّجْوِ بِقَوْلِهِمْ
 مَرَعَى وَلَكِنْ لَيْسَ كَالسَّعْدَانِ (١)
 فَتَجَاوَزِي يَوْمَ الْإِنَابَةِ مِنْهُمْ
 عَنْ سَيِّئَاتِ الصَّدِّ وَالْهَجْرَانِ
 فَلَأَنْتِ أَجْدَرُ حُرَّةٍ وَأَحْقُّهَا
 بِالْعَفْوِ عَنْ ذَنْبٍ وَبِالْغُفْرَانِ
 فَإِلَيْكَ مَرْجِعُ كُلِّ أَقْوَامِي بِمَا
 يُرْضِيكَ مِنْ فَرْطِي هَوَى وَحَنَانِ
 وَأَنَا الضَّمِيمُ وَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنْنِي
 ذَاكَ الْمَحَبُّ فَهَلْ يُرِيبُ ضَمَانِي
 تَأْبَى عَلَيَّ سِوَى الْوَفَاءِ صَبَابَةٌ
 أَلْقَتْهُ إِلَى يُمْنِي يَدِيكَ عِنَانِي
 أَبَدًا سَابِقِي طَوْعَ حُبِّكَ جَادِبًا
 عَنْهَا إِلَيْكَ مَحَبَّةُ الْفِتْيَانِ
 حَتَّى أَرَى مَحْضَ الْهَوَى لَكَ مَطْلَقًا
 فَمِنَا يَدِيكَ بِأَنْقَذِ السَّلْطَانَ
 يَسْلُوكِ أَوْ يَسْلُو الْقِيَامَ بِكُلِّ مَا
 تَسْتَوْجِبِينَ سِوَى فَوَادِي الْعَانِي

(١) السعدان: نبات من أفضل ما ترعاه الإبل ولهذا ضرب به المثل فقيل: مرعى ولا كالسعدان.

لِتَأُونِ غَيْرِي هَوَاهُ عَرْضَهُ
أَمَا هَوَايَ فَغَيْرُ نِي أَلْوَانِ
لَمْ تُبْصِرِي مَنِي سَوَى مَسْتَسْلِمٍ
لَهُوَكَ مَغْتَسِبِطٍ بِهِ جَذَلَانِ
مَسْتَعَذِبٍ خِدْمَاتِهِ لَكَ مَخْلَصٍ
فِي حَالَتَيْهِ السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ
مِقَّةً تَزِيدُ لَكَ اللَّيَالِي قَابِلَهُ
لَوْلَمْ تَعْرِزْ زِيَادَةَ الْمَلَانِ
إِنْ رَثَّ عَهْدُ هَوَاكَ عِنْدِي أَوْ مَشَى
فِيهِ الْفِتْوَرُ فَلَسْتُ مِنْ قَحْطَانِ
تَاللَّهِ يَا لُغَّتِي الْعَزِيزَةَ لَنْ تَرَى
مَنِي سَوَى نِي نَجْدَةٍ مِعْغَوَانِ
فِي حَلْقٍ مِنْ يَجْنِي عَلَيْكَ أَنَا الشَّجَا
فَتَرِيْعِي أَبَدًا بِظِلِّ أَمَانِ
أَقْفُو كَمَا يَقْضِي الْهَوَى مِنْكَ الْخَطَا
بِالطَّاعَةِ الْعَمِيَاءِ وَالْإِنْعَانِ
إِنْ تَسَخَطِي أَسَخَطُ وَإِنْ تَرْضِي يَهَبُ
دَاعِي رِضَاكَ إِلَيَّ بِالرِّضْوَانِ
وَكَذَا سَابِقِي حَافِظًا عَهْدِ الْهَوَى
مَا لَمْ تَغِبْ رُوحِي عَنِ الْجُثْمَانِ



إِنْ يَرْمِنِي لَمَّا انْبَرَيْتُ مَدَافِعًا
عَنكَ الْجَهْلُ بِأَسْهَمِ الْبُهْتَانِ
فَغَدَا وَرَاحَ يُذِيعُ عَنِّي أَنْنِي
مَمَّنْ يَخَالِفُ شِرْعَةَ الْأَدْيَانِ

قاله يعلم كذب ما هو قائل
 واللة أعبد لا بني الإنسان
 وسلاح شرواه على من ذب عن
 حق أهين الرمي بالكفران
 ما انفك ذلك دأب كل مضلل
 نجس السريرة فاسد الوجدان
 يرمون بالكفر البريء ليوهموا
 الدهمَاء أنهم ذوو إيمان
 كم قد رمى بالكفر قبلي مؤمناً
 أمثال هذا المغرض الشيطان
 والذنب عند مكفريه جهره
 بنصائح يأتي بهن جسان
 إذ ربما آلت نصائحهُ إلى
 إظهار ما فيهم من النقصان
 وظهور نقص الناقصين يردهم
 من نيل ما يرجون بالجرمان
 يتظاهرون لدى السوءاء بأنهم
 للدين قد غدوا من الأركان
 ليكون ذاك من السوءاء إليهم
 منهاج سائر الأصفار الرئان
 فإذا اتفقوا من مصلح تنبيهه
 للغافلين رموه بالكفران
 كي تصرف الدهماء عنه وجوها
 طوعاً لسوء الظن والحسبان
 ولكم أشاح بالوجود لإفكهم
 عمّن يريد بها علو الشأن

من يَزْجُرُ الدَّهْمَاءَ عن تصديقها
 دعوى تُساق لها بلا بُرْهان
 من لي بأن أَسْطِيعَ في أَلْبَابِهَا
 إِدْخَالَ أَشْيَاءٍ مِنَ الرَّجْحَانِ
 حَتَّى تَرُدَّ مَكَائِدَ الْمُخْفِينَ فِي
 صُورِ الْأَنَامِ غَرَائِزَ الدُّبَانِ
 مِمَّنْ لَدَيْهِمْ مَوْتُهَا وَحَيَاتُهَا
 فِي سُبُلِ نَيْلِ مَرَامِهِمْ سَيِّانِ
 الْقَائِمِينَ مِنَ الدِّيَانَةِ بِاسْمِهَا
 شَبَّكَ لَصِيدِ فِلَانَةٍ وَفِلَانِ
 يَا مَنْ لَهُمْ حَيْلٌ عَلَى الشَّيْبِ انْطَلَّتْ
 خَافُوا عِقَابَ تَيْقُظِ الشُّبَّانِ
 إِنْ لَمْ تَخَافُوا أَنْ تُحَوَّلَ عَنْكُمْ
 هَذِي الْمَاتَمُ رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ
 لَا تَحْسَبُوا الْإِمْهَالَ إِهْمَالًا لَكُمْ
 فَالْعَدْلُ لَا يَكْفِي جِزَاءَ الْجَانِي
 وَاللَّهُ أَعْدَلُ عَادِلٍ فَتَوَقَّعُوا
 مِنْهُ جِزَاءَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ
 فَلَدِيهِ بَادِ كَيْدِكُمْ مَهْمَا ضَفَّتْ
 مِنْكُمْ عَلَيْهِ مَلَابِسُ الْكِتْمَانِ

موجعات البعد^(١)

أعلمت ما قاسى من الأشجان
مذ غبت يا عبد العزيز جناني
قاسى من الأشجان بعدك والأسى
ما وصف أدناه يفوت بياني
لومات قبل أوان ميته امرؤ
من موجعات البعد والأحزان
لم تترك الألام بعدك ساعة
بله السنين الروح في جثمانى^(٢)
لكن منايا الخلق قبل أوانها
ما للشجون بجلبهن يدان
يا ليبتني أسطيح وصف مظاهر
صرف البعاد بهن أمس رماني
كيلا تعود تجر أمثال التي
أسلفتها يوماً على الإخوان
أنى وألام البعاد توارك
ضعفاً يعوق عن البيان لساني
فكأنهن أردن ألا تنتهي
ما لم تُعن بقر النوى بعوان

(١) أرسلها إلى صديقه المرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد مؤلف تاريخ الكويت وصاحب مجلة الكويت.

وذلك في أحد أسفاره.

(٢) بله: اسم فعل بمعنى دع واترك.

فإذا هممتَ بفعلٍ ذلكَ فانتكُرُ
 مِنِّي مُصَافِحَ كَفِّ خِلِّ فَنانِ
 وإذا أبي ضَعْفُ اللسانِ وعجُزُهُ
 صفةُ الذي زَمَنَ البِعادِ أَعانِي
 أَغنتَكَ عن وصفي شُجُونِي صُفْرُهُ
 أَلَوْتُ بِحَمْرَةٍ لَوْنِ وَجْهِ القانِي (١)
 فانظرِ إلى وَجْهِ يَرُعُكَ شُحُوهُ
 وَيَرُعُكَ عن رَمْيِي بِبُغْدِ ثانِ (٢)
 ولئن تُنَاكَ عن التَّنائِي مَـرَّةً
 أخْرِى صَنِيعُ النَّايِ بِالخِـلَانِ
 فَلَائتَ أَشْفَقْنَا على أَصْحابِهِ
 نَفْسًا وَأَعْطَفْنَا على الأَخْدانِ



أنسى اذْكارُ البينِ لفظَ تحيِّيةٍ
 أعددتَه فاعذُرْ على التُّسيانِ
 وأظنُّ ما أعددتُ أهلاً مَرحَبًا
 سهلاً وإلا فَهُوَ هُنَّ مَعانِي
 وإذا نَسيتُ لذكُرِ أهوالِ غَدَتِ
 مِنِّي كما شاءَ الفِراقُ دَوانِي
 ما اختَرْتُ من لفظِ التحيةِ فالنَوِي
 تذكَّارها يَقضي على الأَذهانِ



(١) ألوى به: ذهب به.

(٢) وزعه يزعاه: كفه ومنعه.

أَمَّا الْكُوَيْتُ فَإِنَّهَا تِلْكَ الَّتِي
ضَاقَتْ عَنِ الْآدَابِ وَالْعِرْفَانِ
لَمْ تَنْحَرْفَ عَمَّا عَلَيْهِ عَهْدُهَا
مِنْ مَقَاتِلِهَا الْأَدْبَاءِ مِنْذُ زَمَانٍ
جُذِبَتْ عَلَى مَقْتِ الْأَدِيبِ وَكُفْرِهِ
فَرَمَتْهُ بِالْإِغْضَاءِ وَالْحِرْمَانِ
فَكَأَنَّهَا فِي كُلِّ ذِي أَدَبٍ رَأَتْ
تَمَثَّلَ مَارِدِ جِنَّةٍ شَيْطَانِ
فَاسْتَنْقَلَتْ أَدْبَاؤَهَا السُّكْنَى بِهَا
فَمَضَوْا إِلَى شَتَّى مِنَ الْبِلْدَانِ
فَانظُرْ تَجِدُ عَنْهَا ذَوِي آدَابِهَا أَفْ
تَرَقُّوا فَكُلُّ مِنْهُمْ لِمَكَانٍ
إِلَّا شَقِيًّا قَيِّدُهُ يَدُ الْعَمَى
فَأَقَامَ مَضْطَرًّا مَقَامَ هَوَانٍ
مَا بَيْنَ عُسْرِ فَارِثٍ مِنْهُ الْحَشَا
وَأَذَى شَمَاتٍ مِنْ قُلِّ وَقُلَانِ (١)
لَمْ يَسْتَطِعْ لِمَعَاشِرِهِ مِنْ حِيلَةٍ
وَعَلَيْهِ لَيْسَ فَوَادُهَا بِالْحَانِي
عَكَفَتْ عَلَيْهِ النَّائِبَاتُ كَأَنَّهَا
عَشَقْتَهُ دُونَ مَعَاشِرِ الْعُمِيَانِ
فَتَنَنَّتْهُ أَحْيَرَ مَنْ تَرَاهُ بِأَمْرِهِ
فِكْرًا يَقْلُبُ رَاحَتِي حَيْرَانِ

يَا مَا أَقَلَّ الْمُحْسِنِينَ بِمَوْطِنِي
إِحْسَانِ رَاجِي رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ

(١) فل: بمعنى فلان، وفرث كبده: ضربها وهو حي.

أو أميل الشُّكْرَ الجَزِيلِ مَثْوِيَةً
 من مُتَبِعِ المَعْرُوفِ بالشُّكْرانِ
 أو طالِبِ هَذَا وَذَلِكَ فَيَفْتَدِي
 وله بما يَسْخُوبُ بِهِ غَرَضَانِ
 وَأَقْلُ مِنْهُمُ فَيَسِيهِ مَنْ يُؤَلِي النَّدَى
 مَحْتَاجَةً عَنْ رِقَّةٍ وَحَنَانِ
 أَرَأَيْتَ فِيهِمْ بَازِلًا مَيِّسُورَهُ
 لِمَجْرَدَاتِ بَوَاعِثِ الوُجْدَانِ
 كَلَّا فَكَدْ فَتَشْتُ عَنْهُ فَلَمْ أَجِدْ
 أَثْرًا لَهُ فِي مُكْثِرِي أوطَانِي
 فَكَأَنَّهُمْ خَلَقُوا بِغَيْرِ مَشَاعِرٍ
 حَسَّاسَةً بِمَحَاسِنِ الإِحْسَانِ
 وَإِذَا اخْتَبَرْتَ ذَوِي الثَّرَاءِ فَلَمْ تَجِدْ
 فِيهِمْ إِلَى الإِحْسَانِ مِنْ مَيَّالَانِ
 فَاعِدُّهُمْ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ وَاحْتَشِمِ
 مِنْ عَدَّهِمْ فَيُنَا بَنِي الإِنْسَانِ
 لَوْلَا سُمُومُ المَيْلِ لَمْ تَرَ فَارِقًا
 بَيْنَ الأَنَامِ وَسَائِرِ الحَيَّانِ

لست له خليلاً

نبذتُ من الإخوان كلُّ مُداهينِ
لَعَيْبِي عَنِّي بالتَّجَمُّلِ دافِنِ
وما خَيْرُ خِلٍّ لا يكون لخلِّهِ
مِرَاةً يَرى فيها جميعَ الشُّوائِنِ
فَيَنهَضُ في إبدالها بمحاسِنِ
فَيُصَبِّحُ ما فيه له غيرُ زائِنِ
وأقَصَيْتُ من صَحْبِي النُّصِيحَ الَّذِي أَتَى
إِلَيَّ بِنُصْحٍ بَيْنَ مُنْتِنٍ وَطَاعِنِ
فهذا كَذُوبٌ في النُّصِيحَةِ مائِنٌ
وما لِي من مَئِيلٍ إِلى كلِّ مائِنِ (١)
فمن كان منكم مثلاً هذينِ فليَبِنِ
فلستُ له يوماً خليلاً بكائِنِ

(١) المائِن: الكاذب.

اعتذار^(١)

أودُّ بأنِّي لا أفارقُ مجلساً
أراه لسيفِ المجدِ منك اغتدى جَفْنَا
ومما لي لا أهوى دُئوي إلى الذي
دُئوي إليه مُكسبي الفضلَ والمنا
ولكن عَمَى العينين ما زال مُلزماً
أخاه - وإن لم يرضَ - من بيته سِجنا
أُعِدُّ ازدياري هالةً أنتَ بَدْرُها
مَراقِي تُعَلِّيني إلى الشرفِ الأسنى
فما كان من رأيي فراقُ مَحَلَّةٍ
تُعِيدُ فصاحاً لُسُنَ مَفخري اللُّكنا
ولكنه رأيُ العَمماءِ وأهلُهُ
إلى رأيهِ بالكُفْرِ أراؤهم تُثني
ولولا عَمَى شيخِ المعرَّةِ لم يكن
لمسكنه حتى قضى نَحْبَهُ رَهْنَا
سَمِيَّي أَقْلُ الطيرِ أُبُنَّا بوَكْنِهِ
ولو ذهبَتْ عيناهُ ما فارقَ الوَكْنا
يُغْلُ عَمَاءُ ما لَهُ من عزائمِ
ويملاً بعد اليأسِ أحشاءُهُ جُبنَا
تعيثُ الحُبَّاري في حِماه مُهينَةً
كأنُ لم تكن تخشى مخالِبَهُ الحُجْنا

(١) من قصيدة قدمها إلى سمو الشيخ عبدالله بن سمو الشيخ سالم بن مبارك الصباح.

ولولا عَماهُ لم يَفُتُّهُ افتراسُها
 وإن هي لم تَقْرُبْ له مَرَّةً مَغْنَى (١)
 تَذَلُّ له قَبْلَ العَمَى الطيرُ كُلُّها
 وبعد العَمَى ليست تُقَيِّمُ له وَزْنا
 فيمكثُ حَوْلَ الوَكْرِ حتى تنالهُ
 يدُ الموت يشكو الذُّلَّ والجوعَ والغَبْنا
 وإن أدركتُهُ رحمةُ الله قَيَّضَتْ
 له راحمًا من نوعه يفعلُ الحُسنى
 فتلقاهُ يغدو أو يروحُ تَعَطُّفاً
 يُشاطرُهُ عَجْفَى الماكِلِ والسَّمْنَى
 وقد يُؤثِّرُ الصقْرُ الرحيمُ بقوتهِ
 - إذا كان لا يكفيهما ذلك - الخِدْنا
 يهونُ عليه أن يجوعَ إذا رأى
 صُوَيْحِبَةَ المنكوبِ قد مَلَأَ البَطْنا

(١) المغنى: المنزل.

البيخلاء

كأنهم مُنِحُوا خُلْدَ الحَيَاةِ فَمَا
تنتابُ منهم عَوادي الموتِ حُسبانَا
أو أنهم أيقنوا أن لا جـزاءَ على
حَسَبِ الأفاعيلِ بعد الموتِ إيقانَا
أو لم يكن منعُهم ما جاء يسألهم
من عَزَّةٍ قُوَّتُهُ ظلمًا وِعُدوانَا
أو أن أكبادهم كانت لقسوتها
تُجاهَ ما تصنعُ البأساءُ صُوانَا
أو لم يكن من بني الإنسانِ مثلهمُ
من باتَ من فقرِهِ جوعانَ عُريانَا
تلقاهمُ عن أنينِ البائسينِ وعنُ
مُشجِي مناظرهم صُمَّاً وِعُميانَا
والشُّحُّ لولاهُ ما صَمَّوا ولا عَمَّها
في مَشْهَدِ البؤسِ أنظارًا وأدانَا
سبحانَ مُغني الألى تآبى غرائزُهُمُ
أن يذخروا نفعَ ما أوتوه سبحانَا
كأنما استُودِعوا أموالهم فغَدَوْا
على الودائعِ حُرَّاسًا وخُزَّانَا
حتى يُؤدِّوا إلى الوراثِ ما ملكوا
قسرًا يَعدُّون رِبْحَ الشُّحِّ خُسْرانَا

يرون شَحَهُمْ عن كلِّ مُعَقِّبِهِمْ
خَيْرَ الْحَيَاتَيْنِ تَعْوِيقًا وَخِذْلَانَا
فَمَا تَقَرُّ لَهُمْ عَيْنٌ بِصَالِحَةٍ
هُنَا يَرُونَ لَهَا أَوْ تَمَّ إِبَانَا (١)
فِي قِظَةِ الْكَلِّ مِنْهُمْ تَمَّ تَرْجِعُهُ
لِفِرْطِ تَفْرِيطِهِ حَسْرَانَ أَسْوَانَا
لَا سَيِّمًا إِذْ يَرُونَ الْمَحْسِنِينَ جُزُوا
فِي عَالَمِ الْخَلْدِ مَا يُعْلِي لَهُمْ شَانَا
مَعَ تَرْكِهِمْ فِي الدُّنَا حَمْدًا تُجَدِّدُهُ
نَكَرَى الْجَمِيلِ مِنَ الْأَعْقَابِ أَرْمَانَا
مَنْ بَعْدَ مَا قَطَعُوا الدُّنْيَا وَكُلُّهُمْ
مَنْ أَهْدَى النَّاسَ فِي دُنْيَاهُ وَجَدَانَا
وَاللَّحْنَ مُضْطَرِبُ الْوَجْدَانِ يَصْبُغُهُ
مَا عَاشَ لِلْعَيْنِ خَوْفُ الْفَقْرِ الْوَانَا
فَأَوْلِيَّاتُ الْجَزَا تَلْقَى الْجَمِيعَ هُنَا
بِهَا الضَّمَامَاتُ جَنَاتٍ وَنِيرَانَا
وَاللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ لَا يُجَازِيَهُمْ
كُلًّا كَمَا جَاءَ إِظْهَارًا وَإِبْطَانَا
وَالْعَدْلُ أَمْرٌ بِهِ الْأَبَابُ حَاكِمَةٌ
وَاللَّهُ أَوْحَاهُ أَنْجِيَالًا وَقَرَانَا
لَكِنَّهُ الشُّعْخُ لَا يَثْنِيهِ حُكْمٌ نُهَى
وَلَا يُرِيكَ لَوْحِي اللَّهِ إِذْ عَرَانَا

(١) ثم: هناك. إبان: وقت وحين.

حتى يُورِّطَ من سوءِ اختيارِهِمْ
أغراهمُ أن يُطيعوا منه شيطانا
فَأَيُّ سِنْفِ الْمَانِعِ الْمَسْكِينِ بُغِيَّتَهُ
وَلْيَعْلُ مَا نَحْنُهَا الْمَسْكِينِ مِنْ كَانَا

على مآدبة شاي^(١)

أَقْدَمُ لَابِنِ أَحْمَدَ كَأْسَ شَايٍ
وَوُدِّي أَنْ أُمِّدَ لَهُ خِرْوَانَا
يَخْضُمُ مِنَ الْمَأْكَلِ كُلِّ صَنْفٍ
بِهِ الطَّاهِي قَدْ أَفْتَنَ أَفْتِنَانَا
لذِيذِ الطَّعْمِ يَتَرَكُ كُلَّ حَلْقٍ
يَحْتُ عَلَى الْمِبَادِرَةِ الْبِنَانَا
إِذَا الْوَانَةُ اخْتَلَفَتْ وَصُفَّتْ
أُوَانِيهِ قِصَاعًا أَوْ جِرْفَانَا
ظَنَنْتَ رِيَاضَ «أَيَّارٍ» عَلِيَّهِ
تَرْفٌ وَأَبْطَلَ الظَّنَّ الْعِيَانَا
فَتَجِرِمُ أَنْ «كَانُونًا» نَفْتُهُ
يَدَا «أَيَّارٍ» وَاحْتَلَّ الْمَكَانَا
كِعَادَةِ كُلِّ ذِي كِرْمٍ وَيُسْرِ
لِزُّوَارٍ عَلَوْا قَدْرًا وَشَانَا
وَلَكِنْ حَسَالَتِي بِالرَّغْمِ مَتِي
ثَنَّتْ عَمَّا وَدِدْتُ لَهُ الْعِنَانَا
وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مَا وَدَّ يُعْذَرُ
مِنَ الزُّوَارِ فَضَالًا وَأَمْتِنَانَا
وَلَا سِيَّيْمَا إِذَا الزُّوَارُ كَانُوا
مِنَ الْفِطَنِ الدَّقِيقَةِ حَيْثُ كَانَا

(١) دعا الشيخ عبدالعزيز الرشيد في بيته على شاي، وقال هذه القصيدة بهذه المناسبة.

ففطنتُهُ الدَّقِيقَةُ كَمَ كَفَّتَنِي
 عَلَى التَّقْصِيرِ لِلْعُذْرِ الْبَيَانَا
 فَوَجَّهُ الْعُذْرَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
 وَإِنْ أَمْسَكَتُ عَنْ عُذْرِي اللَّسَانَا
 وَمَا أَغْنَى الْمَزُورَ عَنْ اعْتِذَارِ
 إِذَا مَا كَانَ زَائِرُهُ هِجَانَا^(١)
 حَكَى عَبْدُ الْعَزِيزِ الْحُرْفَهُمَا
 وَأَخْلَاقًا بِهِ اجْتَمَعَتْ حِسَانَا
 إِذَا مَا زَارَنِي شَرَّ رَوَاهُ الْفَى
 تَخَوَّفَ ذَنْبِ تَقْصِيرِي أَمَانَا
 وَلِمَ لَا وَهُوَ أَرْجَحُنَا حِجَابًا
 وَأَسْمَحُنَا وَأَذْكَانَا جَنَانَا
 قُدُومَكَ سَرَرْنَا حَتَّى أَقَانَا
 - بِهِ مِمَّا جَنَى قَبْلُ - الزَّمَانَا
 إِذَا مَا اشْتَدَّ دَهْرٌ ثَمَّ أَدْنَى
 إِلَيْنَا مَنْ مَحَا خِزَانَهُ هَوَانَا^(٢)
 فَكُلُّ جِنَايَةٍ لِلدَّهْرِ هَانَتْ
 وَكُلُّ شَدِيدٍ مَا أَجْرَاهُ لَانَا
 تَمْتِنُنَا لِقَاكَ وَقَدْ تَأْتَى
 وَإِنْ طَالَ اللَّقَا كَمُلْتُ مُنَانَا
 فَأَهْلًا يَا ابْنَ أَحْمَدَ ثَمَّ أَهْلًا
 وَسَهْلًا يَا أَعَزَّ أَخٍ غَشَانَا^(٣)

(١) الهجان: الكريم الخالص.

(٢) محضه الهوى: أخلص له.

(٣) غشاه يغشوه: أتاه.

نَحَايِي بِالْقَرِيضِ وَلَوْ قَدَرْنَا
جَعَلْنَا مَوْضِعَ الشُّعْرِ الْجُمَانَا
وَإِنْ تَرَفِي الْقَصِيدَةَ وَجَهَ عَيْبٍ
فَبَرِّقْ مَا بَدَا مِنْهُ حَنَا
فَأَنْتِ أَجَلٌ مَحْتَسِبِي التُّغَاضِي
إِذَا عَيْبٌ مِنَ الْإِخْوَانِ بَانَا
وَلَا سِرِّيمَا وَذَاكَ الْعَيْبُ مَمَّنْ
عَلَى إِخْلَاصِهِ جُزِي الْهَوَانَا
رَأَتْ مِنْهُ الْكُوَيْتُ فَتَى صَرِيحًا
فَعَادَتْهُ لِأَفْتَتِهَا الدَّهَانَا
يُصَنَّقِي صَفْوُ بِالِ الْمَرِّ شِعْرًا
لَهُ مِنْ كُلِّ مَا لِلشُّعْرِ شَانَا
وَمَا تَصْفُو قَرِيحَةً مِنْ يِقَاسِي
دَوَامًا بِكَّرَ حَزْنٍ أَوْ عَوَانَا
وَمَنْ لَمْ يَصِفْ مِنْهُ الْبِئَالُ مَمَّا
يُعَانِي مِنْ نَوَائِبِهِ وَعَانَا
فَلَا تَعَجَّبْ إِذَا نَظَمَ الْقَوَافِي
عِجَافًا وَهُوَ يَحْسِبُهَا سِيمَانَا
فَفَهْمُ الْمَرِّ لَا يَهْدِيهِ قَصْدًا
إِذَا رَيْنُ الْهَمِّ مَوْمٌ عَلَيْهِ رَانَا^(١)
وَهَلْ جَلَّتِ الْمَرَايَا صَادَاتٍ
لِنَظَرِهَا خِيَالًا فَاسْتَبَانَا
مَتَى تُنْصِبُ وَعُورُ الدَّرْبِ طَرْفًا
كَرِيمًا يَكْجُبُ أَوْ يُبْدِ الْجِرَانَا^(٢)

(١) الرين: الدنس، وران عليه: غلب عليه.

(٢) الطرف: الكريم، الأب والأم من غير الناس، كالخيل مثلاً.

لَقَدْ مَنُّتَنِيَّ الْآدَابُ حَتَّى
أَضَعْتُ بِدَرَسِهَا الْعُمَرَ افْتَتَانَا
فَلَمَّا أَنْ بَلَغْتُ بِفَضْلِ جِدِّي
وَكِدِّي مِنْ سَمَاءِهَا الْعَنَانَا (١)
رَأَيْتُ الْوَعْدَ مَنْقَابًا وَعَيْدًا
يُرِيكَ مِنَ الشَّجَاعِ فِتْنَى جَبَانَا
فَلَوْلَاهُنَّ مَا حَسَسَدُوا وَشَنُّوا
عَلَيَّ مَغَارَهُمْ أَنَا فَتَانَا
وَلَا أَبْدَى لَهَيْبِ الْحَقِّدِ مِنْهُمْ
عَلَى صِغَرِي بِنَاصِيَتِي نُخَانَا
فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ سَلَخْتُ نَفْسِي
مِنَ الْأَدَبِ الَّذِي مَنَى فَمَمَانَا (٢)
وَلَمْ أَعْجَبْ لَذِي حُمُقٍ مُدْبِّ
إِلَيَّ مِنَ الْمَكَائِدِ عُفْرِيَانَا (٣)
فَإِنِّي أَعْرِفُ الْخُفَّاشَ يَهْوَى
بِجَدْعِ الْأَنْفِ لِلشَّمْسِ اكْتِنَانَا
وَلَكِنَّ اللَّبِيْبَ غَدَا ضَلَالًا
يُجَامِلُ فِي مَسَائَتِي الْهَدَانَا (٤)
فَمَنْ لِي بَانَسِلَاخِي الْيَوْمَ مَمَّا
أَثَارَ عَلَيَّ حَقْدًا وَاضْطِغَانَا
إِذَا فَسَدَ الْمَحِيْطُ فَكُلُّ حُرٍّ
تَوَطَّنَهُ إِذَا لَمْ يَنْأَ حَانَا

(١) عنان السماء: ما بدا لك منها إذا نظرتها.

(٢) مناه بالشيء: جعله يتمناه. ومان: كذب.

(٣) العقربان: ذكر العقارب.

(٤) الهدان: الأحمق.

عدمتك من محيط كل شيء
 رجوت وفاءه لي فيك خانا
 أحتي السئيرُ عنك إلى بلادِ
 سواك بكونه عَجْزي تَوَانِي
 ولو أتِي رحلتُ وجدتُ قومًا
 بمثلي مثأهم غالي وصانا
 فما تخلو بلادُ الضارِ ممَّن
 يشقُّ عليهم كوني مُهانَا
 ويُبْدِلُ عطفُهم ظمَّ أي بري
 ويتركُ برُّهم جَدْبِي جِنَانَا
 ويضنُّمَنُ راحتي الإنصافُ منهم
 فأبقى حامدًا ذاك الضمَّانَا
 وأنسى كلَّ حَيفٍ كنتُ أشكو
 فلانًا من ذويه أو فُلانَا
 إذا الإنصافُ أعوزَ بين قومِ
 فماذا بعدة للقوم زانا

اقتراحات بلا جدوى

يَظُنُّونَ أَنَّ الشُّعْرَ مَهْمَا دَعَوْتُهُ
تُلَبِّي قَوَافِيهِ وَتَأْتِي كَمَا أَهْوَى
وَمَا كَانَ لِي طَوْعًا فَيَحْضُرَ كُلَّمَا
أَهْبَتُ بِدُنْيَا مِنْ قَوَافِيهِ أَوْ قُصْوَى
لِذَلِكَ اقْتَرَحُ الصَّحْبَ فِي إِثْرِ مِثْلِهِ
عَلِيٌّ مَقَالَ الشُّعْرِ يَمْضِي بِلَا جَدْوَى
وَلَوْ كَانَ طَوْعِي الشُّعْرَ لَمْ أَكُ عَادِمًا
عَلَى مَا يَسُوهُ الدَّهْرُ قَلْبِي بِهِ سَلْوَى
فَنَظْمُ قَوَافِي الشُّعْرِ أَحْسَنُ مَا سَلَا
فَوَادِي بِهِ فَيَمَّا أَلَمَّ مِنَ الْبَلْوَى
مِذَاهِبُ أَهْلِ اللُّهُوشَتَى كَثِيرَةٌ
وَمَا غَيْرُ نَظْمِ الشُّعْرِ أَعْرِفُ لِي لَهْوَا
وَلَوْلَا تَأَبُّ فِيهِ أَصْبَحْتُ لَا أَرَى
مِنَ الْعَيْشِ مُرًّا بَلْ غَدَا كُلَّهُ حُلْوَا
وَوَظَّنِّي أَنَّ الشُّعْرَ لَوْ كَانَ دَائِمًا
مَطِيْعِي لِأَبْدَتُ فِيِّي طَاعَتَهُ زَهْوَا
أَحْشِيَةَ أَنْ أَرْهَى بِهِ أُمَّ لَغَيْرِ ذَا
مِنَ الْأَمْرِ أَعْرِى مِنْ تَأْبِيهِ بِي الشُّجْوَا
فَهَلْ مِنْ جَوَابٍ عَنِ يَقِينِ لَدَيْكُمْ
فَسَهْمٌ تَنْظِي غَيْرِكُمْ طَالَمَا أَشْوَى^(١)

(١) أشوى، أصاب للشوا: وهي الأطراف.

أرى الشعرَ نجوى النفسِ والنفسُ حُرَّةً
تَخَيَّرُ ما تهوى من الوقتِ للنَّجوى
أناديه أحياناً فيأبى إجابتي
وما لي من مُعَدِّ عليه ولا عَدوى^(١)
ولا غَرَوَ إن لم يُبصِرِ المرءُ مُعدياً
على ما زَوَّئُهُ نفسُهُ عنه لا غَرُوا
وحيناً يُواتيني ولم أدعُهُ لِكِي
يزيدُ سروراً أو يخفُّ لي شكوى
فيا أيها الشعرُ الذي هو سلَّوتي
إذا رحتُ عمَّا شاقَّ من حُطُوةٍ أُرَى^(٢)
وإن أعتبْتُ يوماً فَيَشْهَدُ فغِبطتي
تَضاعِفُ، لا حَلَّتْ بِساحَتِكَ الأسوا
فحُبُّكَ في حالِكَ صَدِّكَ واللُّقا
عليه ستبقى أضلعي أبداً تُطوى

(١) أعداه: نصره وأعانه. والمعدي: الناصر المعين.

(٢) زواه: يزويه: نحا.

قرعة الجابي

يا رئيسَ البلديِّه
لا أصابُكَ بليِّه
انظُرِ اليَومَ فدتكَ النَف
سُ لي في ذي القَضِيَّه
طابوا مِنِّي ما تُس
ليمُّهُ شَقَّ عَليِّه
خَفِيَّتُ حاليَ عليهم
وهيَ بالفَقْرِ جَليِّه
ما دَرَوْا أَنِّي لرامي الـ
فقرِ ما زلتُ رَمِيَّه (١)
فأَتَوْا يَبغونَ عِندي
ما يدي منه خَلِيَّه
ما رأى الفِلسَ مَقْرَأ
مَسَّسَ تَطابًا في يَدِيَّه
فهِـ ويا تَينِي ولكن
رِثَما يَمضي لِطِيَّه (٢)
لو تَرى حاليَ لَرَقَّتْ
منك لي النَفْسُ السُّرِيَّه (٣)

(١) الرمية: الصيد الذي يرمى.

(٢) الطية: الحاجة والوطن.

(٣) السرية: الكريمة ذات المروعة.

وَلَهُ زَنْتُكَ لِاسْمَاعِيلَ
 دِي وَعَوْنِي الْأَزْجِيَّةِ
 فَلَقَدْ رَكَّبَ فَيْكَ الْ
 جُودَ بَارِكَ سَجِيَّةِ
 أَنْتَ مِنْ قَوْمٍ لَهُمْ فِي الْ
 بَذْلِ أَيْدِي حَاتِمِيَّةِ
 وَنَفْسٍ وَسُّ بَدْوِي الْإِقْدِ
 لَالِ أَمْثَالِي حَفِيَّةِ
 تَرَكْتَ عَيْشَةَ مِنْ يَرِ
 عَوْنَهُ مِنَّا هَنِيَّةِ
 وَقُلُوبُ مَلُوهَالِي
 نُ وَرَفَقُ بِالرَّعِيَّةِ
 وَهِيَ فِي الْحَرْبِ إِذَا الْحَزْ
 بٌ تَلَطَّتْ حَجَرِيَّةِ
 وَخَالِ الْمَزِيَّةِ
 بِالْعَقَّةِ وَدِ الْوَلُؤِيَّةِ
 فَهُمْ مَنِيَّةُ عَافِي
 هُمْ وَلِلْبَاغِي مَنِيَّةِ
 قَرَعَةُ الْجَابِي لِبَابِي
 غَادَرَتْ نَفْسِي شَجِيَّةِ
 وَاثْقًا أَنْ اعْتَذَارِي
 مِنْهُ لَا يَثْنِي أَبِيَّةِ
 فَتَمَلَّمْتُ كَمَا تَفُ
 عَلْ فِي الرَّمْضَاءِ حَيَّةِ

ولزمتُ الصَّامِتَ لَوْ قَأُ
حَصَّ عَنْ بَابِي فَـيَّهِ (١)
وَإِذَا بِالصَّامِتِ قَد زَا
دَمِنَ الْقَرَعِ رُوعِ دَوِيَّهِ
فَأَثَارَ الْقَرَعِ مِنْ نَفِ
سِي وَكَانَتْ أَشْعَبَ رِيَّهِ
طَمَعًا خَبِيلًا لِي الْجَا
بِي رَسْمًا وَلَا بِهِ دِيَّهِ
وَلَقَدْ يَحْسَبُ فِي الْآ
لِ الْفَتَى الظَّمَانُ رِيَّهِ
فَاسْتَبَقْتُ الْبَابَ لِلْفَتَى
حِجِّ وَهَيَّأْتُ التَّحِيَّهِ
فَإِذَا الْجَابِي فَفَتَّتْ
خَيْفَتِي فِي عَضُدِيَّهِ
قَائِلًا دُونَ سَلَامِ
ادْفَعِ الرَّسْمَ إِلَيَّهِ
فَتَنَّتَنِي رِعْدَةُ الدُّعَى
رِ كَلْدَنِ السَّمِّ هَرِيَّهِ
نَفَخَتْهُ فِي الْوَعَى لِي
طَعَنَ كَفًّا عَنِّيهِ
فَرَمَى بِالضَّعْفِ عَن حَمِ
لِي حِذَارِي قَدَمِيَّهِ
فَوَقَّانِي مِنْ سَقْوَطِي
قَبْضُ يَمْنَايَ الْعُصَايَّهِ

(١) الفيء: الظل، والفيء: الرجوع، وهنا الكلمة مخففة الهمز.

وَيَدِي الْيُسْرَى بُوَيْبِي
 خَائِرَ الْجِسْمِ عَيْيُّهُ
 وَتَمَاسَكَتُ مَجِيْبًا
 لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ أَدِيَّهُ
 فَانصَرِفْ عَنِّي إِلَى أَنْ
 يَمَلَأَ الْمَاءُ الرَّكِيَّهُ
 فَمَضَى عَنِّي وَخَوَّفِي
 مِنْهُ لَمْ يَمُضِ مُضِيَّهُ
 لَاعْتَقَادِي أَنْ رُجِعَا
 هُ وَشَيْكَا لِي حَارِيَّهُ
 فَإِذَا عَادَ وَيُمْنَا
 يَ مِنْ الْمَالِ نَقِيَّهُ
 لَمْ تَكُنْ مِثِّي دَعْوَى
 مَرَّةً أُخْرَى رَضِيَّهُ
 فَتَحَايَيْرْتُ وَظَلَّتْ
 حَيَاتِي عَنِّي قَصِيَّهُ
 وَكَذَا ظَلَّتْ نَهَارِي
 كُلُّهُ حَتَّى الْعَشِيَّهُ
 حَائِرَ الْفِكْرِ نَجَاتِي
 سُبُّهَا عَنِّي خَفِيَّهُ
 ثُمَّ أَطْرَقَتْ وَأَعْمَأُ
 تٌ لَتِ خَايِصِي الرَّوِيَّهُ
 وَسَأَلْتُ النَّفْسَ أَيُّ الْـ
 نَاسِ أَدْعُو فِي الْبَرِيَّهُ
 فَأَجَابَتْنِي عِبْدَالِ
 هَذَا الْكُفِّ النَّدِيَّهُ

مَن غدا فينا مِثْالاً
 صادقاً للوطنيِّه
 ورأى كلُّ أخِي عَـيُّ
 ن به كلُّ مَـزِيَّه
 فطنهُ رأْيُ سَـدَادُ
 وتناهي العِـيُّه (١)
 أدبُ عا م د هـ ا
 ك ر م ص ر ن ق ط و ي ه (٢)
 رِقْنُهُ ظَرْفُ إِبَاءِ
 جُـرَاهُ حَزْمُ حَمِيَّه
 راكباً في كلِّ مَجْدِ
 قِمَمًا شُمَّأً عَلِيَّه
 يَعْمُرُ المَجْلِسَ مِنْه
 بالبُحْوثِ الأَدَبِيَّه
 طالما ألقى ارتجـالاً
 خُطْبًا غُرّاً طَلِيَّه
 باعِثاتِ في نفوسِ الـ
 قـومِ هزاتٍ قـويَّه
 كَـهـ رَيْتُ إِلا قلوباً
 خُلِقَتْ غَيْرَ ذَكِيَّه
 فهو سيفٌ تُبَصِّرُ الآ
 دابَّ لا التُّبُّرَ حُلِيَّه
 تتنقى منه الأعـادي
 أسد القاب جـريه

(١) الألفية: الفطنة والذكاء.

(٢) الطوية: النية والضمير.

فاسألِ «الرقعي» عنه
 فهو لا ينسى كميَّه^(١)
 والمُوالي بعدَ وسمِ
 سيّ الندى يرجو وليَّه^(٢)
 فمُواليه سعيدٌ
 وأعداياه شقيُّه
 جابرٌ كاسمِ أبيه
 كسرَ مكسورِ الرزيه
 نظرةً منه تُخالي
 ميتةُ الآمالِ حَيَّه
 كاسيراً جبرَ نفوسِ
 من ذوي الظلمِ عَصِيَّه
 فهو مأمولُ العطايا
 وهو موهوبُ الأذيّه
 حاز لفظيَّ المَعاني
 والمَعالي المعنويّه
 تُعجزُ الأشعارَ أوصا
 فمَعانيكَ السُنِّيَّه
 ومزايكَ على الحَصِ
 ربتَ عدادِ أبيَّه
 فَخُذِ الميسورَ واسمِ
 لي في تَرَكَ البَقِيَّه

(١) الكمي: الشجاع.

(٢) الوسمي: أول مطر الربيع. والولي: المطر يسقط بعد المطر.

القسم الثاني

إضافات جمعها

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

البتيل^(١)

شَبَّ هذا الفُلُّكُ من بعد المشيبِ
وصِباهُ بعد ما شاب عَجيبُ
عاد بعد الشيبِ في عهدِ الصِّبا
إذ كساهُ راشدٌ صنْعاً غريبُ
فارْقُلِ اليومَ (سعيدُ) في الهنا
واسحبِ السُّفْنَ إلى الدرِّ الرطيبِ
مثلما كنتِ بأعوامٍ خَلتِ
تُرشِدُ السُّفْنَ إلى (الهَيْرِ) الخصبِ

(١) هذه أربعة أبيات نشرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد في «تاريخ الكويت» وقد نظمها الشاعر ووجهها إلى السيد راشد بن أحمد الرومي أمير الغوص بعد أن جدد البتيل الذي يستعمل لهذه الغاية، والبتيل نوع من السفن.

في ذكر محمد بن شمالان^(١)

أَذَابَ فـوَادِي مَنكَ هَذَا التَّجَنُّبُ
فَبَاتَ دَمًّا مِّن مَّقَلَتِي يَتَصَبَّبُ
فَإِن كَانَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْكَ جَنِيئُهُ
عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ فَاغْفِرِي الذَّنْبَ (زَيْنَبُ)
وَالَا فـأَبْدِي مَا جَنَيْتُ فـإِنِّي
أَتُوبُ وَقَدْ يُرْضِيكَ إِنْ تَابَ مَذْنَبُ
إِلَى كَمِ أَقَاسِي مِّنْ جَفَائِكَ حَسْرَةً
لَهَا بَيْنَ أَحْشَائِي وَقَلْبِي تَلَهُبُ
أُظُنُّ وَشَاتِي عِنْدَكُمْ قَدْ تَقَوَّلُوا
عَلَيَّ بِمَا لَمْ أَقْتَرِفْ وَتَكْذَبُوا
فَإِن كَانَ يَرْضِيكَ الْيَمِينُ فَوَالَّذِي
حَبَاكَ جَمَالًا عَنْهُ مَا لِي مَذْهَبُ
وَصَاغِكَ مِّنْ حَسَنِ وَسَوَاكِ فِتْنَةً
لِنَفْسِي إِنْ مِّنْ ذُنُوبِي مُجَدِّبُ
بِمَقْدَارِ مَا أَنِي مِنَ الْحَبِّ وَالْهَوَى
وَشَوْقِي وَوَجْدِي وَالصَّبَابَةِ مَخْصِبُ
وَأَيُّ فـوَادِي يُنْبِتُ الذَّنْبَ شَائِئًا
إِذَا كَانَ مِّنْ أَمْوَاهِ حُبِّكَ يَشْرَبُ
فَقَالَتْ أَلَمْ أُخْبِرْ بِأَنَّكَ لَمْ تَزَلْ
بِحَسَنِي مَا بَيْنَ الْأَنَامِ تُشَابَّبُ

(١) عن كتاب الأستاذ سيف مرزوق الشمالان «من تاريخ الكويت» والقصيدة في مدح محمد بن شمالان صديق الشاعر.

وَأَنْتَ لِلأَشْعَارِ مَا زِلْتَ نَاطِمًا
 بوصفي وهذا ما أخافُ وأرهبُ
 أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الوَصْفَ لاسْمِي كَاشِفٌ
 فَمِمَّا لِي عَنْهُ لَا أَرَاكَ تَنْكِبُ
 فَقُلْتُ لَهَا لِي فِي التَّغَزُّلِ رَاحَةٌ
 إِذَا مَا حَوَى عَنِي نَكََا النَفْسَ مَطْرِبُ
 فـإِنْ أَنْتِ وَالِيَتِ الزِّيَارَةِ لَمْ أَكُنْ
 إِلَى غَزَلٍ مَا عَشْتُ أَدْنُو وَأَقْرَبُ
 فَقَالَتْ أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ زِيَارَتِي
 سَوَى مَرَّةٍ «يَا صَقْرُ» فِي الْعَامِ تَصْعُبُ
 فَخَلْفِي وَقَدَّامِي أَسْوَدٌ رَوَابِضُ
 تَغَارُ إِذَا مَرَّ الصَّبَابُ بِي وَتَغَضِبُ
 وَإِنِّي بِهِمْ أَفْدِيكَ يَا خَيْرَ شَاعِرٍ
 لِحُزْنِي لِقِيَاهُ مُزِيلٌ وَمُذْهِبٌ (١)
 فَمَنْ لِي بِأَنَّ تَبْقَى وَيَفْنَى جَمِيعُهُمْ
 فَنَصَبِحُ فِي فُرْشِ الْهَنَا نَتَقَلَّبُ
 نَبِيْتُ وَنُضْحِي مِثْلَ مَا نَشْتَهِي مَعًا
 مِنَ النَّاسِ لَا نَخْشَى وَلَا نَتَرَقَّبُ
 فَمَا لِي سَوَى هَاتِيكَ (يَا صَقْرُ) مُنِيَّةٌ
 إِذَا أَصْبَحْتَ يَفْظِي بِقَلْبِي أَطْرِبُ
 وَإِلَّا فإِنِّي مِنْ سَرُورِي سَوَى الَّذِي
 تُنِيلُ الْأَمَانِي عِنْدَكَ أَنْ كَدْتُ أُسَلِّبُ
 فَعَوَّلْتُ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَلَا تَكُنْ
 جَزُوعًا فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحُرِّ أَسْبَبُ

(١) لِقَاؤُهُ مُزِيلٌ وَمُذْهِبٌ لِحُزْنِي.

وشيمٌ من مُنَاكِ البرقِ مثلي مُشاغلاً
 به النفسَ حتى يسهلَ المُتَصَعَّبُ
 فَشَيْمُكَ من بَرَقِ الأمانِي لموعه
 مريحٌ وما كلُّ البوارقِ خُلبُ
 وكُنْ في ضَمَانِ الله أنتَ وحفظه
 فقد طال بي عن أهلِ بيتي التَّغَيُّبُ
 وإنَّ مغيبِي عنهم بعضَ سَاعَةٍ
 يُعَدُّ جنَاياتِ عليٍّ ويُحَسِّبُ
 أتى بي إليك الشُّوقُ والقلبُ مُوجِسُ
 مخاوفٍ ممن كيدنا يَتَطَّابُ
 وخذ هذه من شعورِ رأسي خصلةً
 فعهدِي بشعوري أنسَ قلبك يَجْلِبُ
 فشتمٌ يَرُدُّ الحزنَ عنك انتشاقُهُ
 وينفي الأسى إن طال بعدي فيُطربُ
 وأخِرُ ما فاهتُ به وهي تَنَنِّي
 (أغالبُ فيك الشُّوقُ والشوقُ أغلبُ)^(١)
 فأجمعتُ أمري أن أُجيبَ فلم أُطقُ
 جوابًا على أتِي القَوْلُ المُذَرَّبُ
 غُلِبْتُ على نُطقي أمامَ وداعها
 ومن شَهَدَ الهولَ الوداعي يُغلبُ
 فَجَمَعَمْتُ عَمَّا جالَ في خاطري لها
 برغمي وعنه مِقْوَلُ الدمعِ يُعربُ
 فإن كان عِيِّي عند (زينب) معجبُ
 فإن بكائي عند (زينب) أعجبُ

(١) هذا الشطر مضمن من بيت للمتنبى هو مطلع قصيدة له، وشطره الثاني: «وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب».

فوالله لم أعهدُ دموعي يُسيأُها
 - سوى ساعةِ التَّوديعِ - يومٌ عَصَبُصَبِّ
 وأعجبُ من دمعي يُسَحِّسِحُهُ الأسي
 مخافةً أن ينأى الحبيبُ المُحَبَّبُ
 خيانةً صبري في الهوى وهو عَصَمَةٌ
 إذا ما بها أعصمتُ أنجتُ ومَهْرَبُ
 فقبلَ هواها كان صبري مُشْبِهًا
 نوال (ابن شمالان) به الخَطْبُ يُشَجِّبُ
 فصبري لأحداثِ سوى العسرِ مُعْطِبُ
 ورقُدُ ابنِ شمالانٍ لعسري معطِبُ
 وأعني به جَمِّ المَزايا (محمداً)
 حليفَ العطايا اللاءِ تَهَمِي وتَسْكَبُ
 «أبو قاسم» من لم أواجههُ شاكياً
 له العسرَ إلا وانثنى العسرُ يَهْرُبُ
 فإن تُبصروا حَمَدي عُلاه مَهْدَبًا
 فما غيرُ جَدواهُ لَحَمَدي مُهَدَّبُ
 وإن تجِدوني لم أزل أبسطُ التُّنَا
 عليه جميلاً فالنَدَى منه يوجبُ
 عليّ تَتالَت من نَداهُ سَحائِبُ
 لها عُدرٌ عندي سِواهُنَّ يَنْضَبُ
 فشعري عن أطارِ كَفِّيهِ مُنْبِتُ
 جميلُ التُّنَا والأرضُ بالغِيثِ تُعْشِبُ
 فنتى طَوقتُ كفاهُ عُنقي بنعمةِ
 تَجَدَّدُ إن يَخْلُقُ سِواها وتَقْشِبُ
 فأعجبني طوقي فرُحْتُ مَغْنِيًا
 بشُكريهِ والورقَاءُ بالطُوقِ تُعْجَبُ

وهل شعراء الناس إلا حمائمٌ
 وأشعارهم سَجَعٌ يَطِيبُ وَيَعْدُبُ
 وأيُّ حَمَامٍ الأيِّكِ يُبَصِّرُ طَوْقُهُ
 كَطَوْقِي يَرُوقُ الناظِرِينَ وَيَخْلُبُ
 فلم تَرَهُ فوقَ الغصونِ بسجعه
 كما شاء منه عاشقُ السَّجَعِ يُطربُ
 على أنني لو لم أُنَلِّ من (محمد)
 رغائبَ إنعاشي بها حين أُكَّبُ
 ولم أَحْظُ من إنعامِهِ بنفائسٍ
 بهنَّ لنفسي ما اشتَهَتْ يَتَقَرَّبُ
 لأوليئْتُهُ حَمِدي لَعُرِّ خلائقِ
 حَواهُنَّ، للآلبابِ تسبي وتسلبِ
 خلائقُ غُرِّ للعقولِ إذا رنَّتْ
 إليها عيونُ العقلِ تلهو وتلعب
 خلائقُ يَخْلُبِينَ النُّفوسَ كأنما
 لها في سبيلِ السَّحَرِ فرغٌ ومنصبِ
 خلائقُ لو فينا يُوزَّعُ بعضها
 لما كان فينا من يُعابُ ويُتَلَبُ
 خلائقُ هُنَّ الروضُ يُوحاهُ داعبَتِ
 أزاهرُهُ من بعد ما باتَ يَهْضَبُ (١)
 ولذَّ لأنفاسِ النسائمِ جرُّها
 عليه ذيولاً فانثنت تَتَسَحَّبُ
 فأضحى ومنه للعلا مُتَصَعِّدُ
 وأضحى ومنه للثرى متصوَّبُ
 وظلٌّ ومنه قَائِدُ لَحْظٍ مُفَضَّضُ
 وظلٌّ ومنه قَائِدُ لَحْظٍ مُذْهَبُ

(١) البوحى: من أسماء الشمس. ويهضب: يمطر.

وإلا فهنَّ الدرُّ في ثغر غادةٍ
 به يطبِّيك التُّغرُ والثغرُ أشنَّب
 بعيني أخي قلبٍ كقلبي يشوقُهُ
 من الثغر معسولُ الثنَّياتِ مُشرب
 له في ثغورِ الغيِّدِ نَظَمَ دُرُّهَا
 مُنظَّمُهَا لا في سِوَاهُنَّ مَأْرَب
 [يحلوه] عنهنَّ ظمَّانَ صَادِيَا
 إذا رامَ منها الورْدَ أسادُ تُنْحَبُ (١)
 فيبقى ومنها الحسنُ يدعو فؤادُهُ
 فإن همَّ أن يدنو ثناهُ التَّهَيُّبُ
 فيدفعُهُ خوفٌ ويجذبُهُ هَوَى
 فيمكثُ مُحْتارًا يُذادُ ويُجذبُ
 وإلا فهنَّ الحمدُ في سمعِ ماجدٍ
 كريمٍ جدودٍ حين يُعزى ويُنسبُ
 يغني به والبومُ يذعرُ صَوْتُهُ
 رهيبًا من الزيرِ الفؤادِ فيَصْحَبُ (٢)
 وإلا فهنَّ النُّورُ في عين تائهٍ
 غشاهُ بقفرٍ موحشِ الأرضِ غيهبُ
 فبات تهاداهُ السَّبَّاسِبُ حائرًا
 إذا ما نجا من سَبَسَبٍ عَن سَبَسَبِ
 حكى كُرةً بين السَّبَّاسِبِ إذ حَكَتْ
 سَبَّاسِبُهُ قومًا عليه تألَّبوا
 وإلا فهنَّ البُرَّةُ في عين مُدَنَّفِ
 على فُرُشِ الأَسْقَامِ بات يُعذَّبُ
 ألحَّ عليه السُّقْمُ حتى لأوشكَتْ
 تنوحُ عليه النَّائِحَاتُ وتندبُ

(١) في موضع أول كلمة من هذا البيت فراغ، ووضعنا ما نتوقعه بين قوسين معقوفين. ويحلوه: يدفعه ويرده. وتُنْحَبُ: تنزع.

(٢) الزير: الذي يخالط النساء ويريد حديثهن لغير شر.

وإلا فهن اليُسْرُ في عين مُعْسِرٍ
 ألحَّ عليه نابُ عسْرٍ ومِخْلَبٍ
 فذاق من الإعسار ما نقتُ فاعْتَدَى
 شبيهي ما بين الورى يَتَذدَبُ
 إذا ما بدا للقوم في ثوبِ عُسْرِهِ
 له عَبَسُوا خوفَ السُّؤالِ وقَطَّبُوا
 يُلَوِّونَ عنه إذا رَأَوْهُ رُوَسًا هُمُ
 فيلمسُ منه الجلدَ هل هو أَجْرَبُ
 وينأوُنَ عنه بالجَـوانِبِ إنْ أتَى
 كأنَّ بطْمَـرِيهِ أراقِمُ تَلْسِبِ (١)
 كأنَّهُم من لؤلؤٍ قد تَكُونُوا
 وكُؤُونُ من طينِ أخو الفِقرِ يَلْزَبُ
 فيرجعُ عنهم شاتِمَ الفِقرِ لاعتًا
 بقلبِ كَسِيرِ ملوهُ ما يُشَيِّبُ
 ويغدو عليهم عاتِبًا مُتَعَتِّبًا
 وليس بهم يُجدي الفِقيِرَ التَّعْتِبُ
 ومن لم يُؤدِّبْهُ نُهَاهُ ودَهْرُهُ
 فليس له حتى المماتِ مؤدِّبُ
 لعلمُ ظنُّوا خلودَ افتقارِهِ
 وحُلْدَ الغِنى والدهرُ بالناسِ قُلْبُ
 ألم يعلموا فَعَلَ الزمانُ وأنَّهُ
 إذا ما طفا يومًا بذِي اليُسْرِ يَرْسُبُ
 وإن غاصَ يومًا بالفِقيِرِ فإنَّهُ
 سيطفو والدهرُ المقاديرُ لولْبُ
 وإن دامَ عُسْرُ في الحياةَ لمُعْسِرِ
 يدُ العسْرِ تلحو العُودَ منه وتَنْجُبُ (٢)

(١) تلسب: تلدغ.

(٢) تنجب: تقشر ساق الشجرة.

ولم يَتَقَوَّضْ فِي الْحَيَاةِ وَلَا هَوَى
 عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِيثَارِ بَيْتٌ مُطَنَّبٌ
 فَبَيْنَ أَلْيِ الْإِعْسَارِ وَالْعَسْرِ مَوْتُهُمْ
 مَسَاوٍ وَمَأْسَاةُ الْمُحْتَمِّمْ أَقْرَبُ
 أَمَا شَاهَدُوا فَعَلَ الْجِمَامِ وَعَايَنُوا
 أَمَا خَبَرُوا فَعَلَ الْجِمَامِ وَجَرَّبُوا
 إِذَا مَا لَنَا مِنْهُمْ نَرَاهَا تَحَجَّجَّرَتْ
 قُلُوبًا عَلَى ذِي الْفَقْرِ تَقَسَّوْا وَتَصَلَّبْ
 غَلَطْتُ لِتَشْبِيهِ السَّجَايَا لِبَيْتِكُمْ
 فَعُذْرًا فَمِنْهَا هُنَّ أَبْهَى وَأَطْيَبُ
 سَجَايَا يَشْفُقْنَ الْمَاجِدِينَ مِنَ الْوَرَى
 وَيَسْمُؤْنَ إِمَّا خَاطِبٌ جَاءَ يَخْطُبُ (١)
 وَمَنْ يَخْطُبُ الشُّهُبَ اللَّوَامِعَ فِي السَّمَاءِ
 فَإِنْ قُصِرَتْ مَتَاعِبُ نُّعُوبِ
 فَقُولُوا لَخُطَّابِ السَّجَايَا حَمِيدَةٌ
 رَوِيْدًا فَمَا أَمْثَالُهَا يُتَكَسَّبُ
 فَتَلِكُ عَطَايَا خَصَّه رَبُّهُ بِهَا
 وَرَكَّبَهَا فِيهِ فَجَلَّ الْمُرْكَبُ
 فَلَا تَطْلُبُوا مَا اللَّهُ إِيَّاهُ وَاهَبُ
 وَإِنْ شَاقَكُمْ مِنْهُ الْمَنَالُ فَتَنْصَبُوا
 فَكُلُّ أَمْرٍ يَغْدُو كَمَا شَاءَ رَبُّهُ
 مِنَ الْمَهْدِ حَتَّى فِي تَرَاهُ يُغَيَّبُ
 فَمَذْ يَنْبُتُ الرِّيحَانُ يَنْبُتُ [نَشْرُهُ]
 إِلَى أَنْ تَرَاهُ لِلْمَوَاقِدِ يُحْطَبُ (٢)

(١) يسمقن: يرتفعن.

(٢) الكلمة بين معكوفتين في الشطر الأول فراغ في الأصل، والكلمة المثبتة مقترحة منا.

وَلَا يُطَلِّعُ الْأَشْوَكَ رِيحَانُ جَنَّةٍ
 وَكُلُّ نَبَاتٍ حَسَبَ مَا هُوَ يُعْقِبُ
 لَكُمْ مَثَلًا هَذَا ضَرِبْتُ وَإِنَّهُ
 لِعَمْرِي كَافٍ لِلَّذِي هُوَ يَأْرَبُ
 فَلَا تَشْرَبُوا طَامِعِينَ بِمِثْلِ مَا
 حَوَى مِنْ خِلَالِ نَجْلٍ (شِمَالَانَ) تَلْفَعُوا
 سَمِيَّ رَسُولِ اللَّهِ خُذَهَا جَمِيلَةً
 تَمْنَى لَهَا شِبْهَهَا مَعَدُّ وَيَعْرَبُ
 أَتَاكَ بِهَا (بِشَارًا) وَقَتِكَ كَاعِبًا
 يُشْحُ بِهَا إِلَّا عَلَيْكَ وَيُرْغَبُ (١)
 أَتَتَكَ تَهَادَى فِي حُلَاهَا وَقُمُصِهَا
 حَيَاءً لَهَا عَمَّنْ عَدَاكَ تَحَجَّبُ
 فَتَاءً لَهَا أُمَّ قَرِيحَتِي الَّتِي
 رَأَتْكَ لَهَا كَفَوًّا وَفَكْرِي لَهَا أَبُ
 وَمَا أَبْتَغِي مَهْرًا لَهَا غَيْرَ أَنْ أَرَى
 عُمْلَاكَ بِهَا عِنْدَ اللَّقَاءِ تُرْحَبُ
 غَرِيبَةً حُسْنٍ شَاقَّهَا مِنْكَ مَا جَدُّ
 سَجَايَاهُ مِنْهَا فِي الْبَرِيَّةِ أَغْرَبُ
 سَجَايَا إِذَا مَا سَارَ مِنِّي لَهَا الثَّنَا
 رَأَيْتَ إِلَيْهَا طُرُقَهُ تَتَشَعَّبُ
 فَلَا بَرِحَتْ طُرُقُ الثَّنَا (لِحَمْدِ)
 تُكَلِّمُهَا أَخْلَاقَهُ وَتُرْحَبُ
 أَمِنْتُ عَلَى أَخْلَاقِهِ عَادِي الْبَلَى
 فَلَيْسَ إِلَيْهَا لِلْبَلَى مُتَسَرِّبُ

(١) شبهه نفسه بالشاعر بشار بن برد.

لأن قريضي في صميم خلودها
كما أشتهي منه لها راح يُوعِب
فأخلاقه والشعرُ مني خالدٌ
إذا لم يغبْ لا غابَ للضَّادِ كوكب
سأنظّم من شعري له كلَّ مِذْحَةٍ
تسير لها الأمثال في الناسِ تُضْرَب
تداولُها بين الأنامِ روائِثُها
فهذا بها يسري وذاك يُؤَوَّب
فليس سوى تخليدِ ذكرِ (محمدٍ)
لقلبي من أشعاره العُرِّ مطَّاب

دعوا العواطف^(١)

دَعُوا العواطفَ لا تقفوا لها أثراً
واقفوا عقولكم سائبا وإجابا
أولا فلا تحفلوا بالمجد منهديما
ولا بوارف ظل العز منجابا
أرجاء عزكم والمجد دائرة
إن اتخذتم لها الألباب أقطابا
ما سار قط حكيماً مع عواطفه
في الخطب إن يعرّه يوماً ولا انسبا
لكن يملك منه العقل موقوده
وعقل ذي العقل أولى ما له آبا
ومخربين أصاروا من عواطفهم
رؤادهم أبدلوا بالخصب إجابا
ومجدين أصاروا العقل رائدهم
أعاد عقولهم الإجاب إحصابا
ليسأل الكتب عن برهان صحة ما
أقول من كان للبرهان طلابا

حَتَّى أَمْ أهواؤنا فينا مُحَكَّمَةٌ
لهن ننقاد أفراداً وأحزابا

(١) عن مجلة الكويت.

إن شئتم يا بني الأوطان نهضتْها
إلى العلالابسات العِزِّ أثوابا
ورمئتم الخيرَ فيها اليومَ فاتخذوا
من العقول على الأهواء أربابا
خُذوا لما يرفعُ الأوطانَ عُدتَّهُ
من التآخي وعُدَّوها لكم آبا
خلُّوا انقسامكمُ فيهنَّ مطرَحًا
إلى انضمامكمُ الحمودِ أعقابا
إن اجتمعكمُ فيهنَّ مُركبُها
نُرى المعالي كما تهوونَ إركابا
أمَّا افتراقكمُ فيها فمُخرِبُها
لا قدرَ اللهُ بالتفريقِ أحزابا
أنى لأسمعُ يا لَلقَومِ من كتبِ
منا لأغربةِ التفريقِ تنعابا
فلتَنفِرِ وحدتنا المثلَى تفرُّقنا
ولنُمسِ في الوطنِ المصبوبِ أحبابا

في شرقي الكويت^(١)

أظَلَّتْني بِشـ____رقيِّ الكويْتِ
خُطوبُ الزمَّتني قَـعْرَ بَيْتي
وما بَيْعِيكَ يا بَيْتي بِسهلِ
ولكن فـيكَ خِفْتُ اليَومَ مـوتي
أيسـهُلُّ أن أبـيَعَ اليَومَ بـيْتًا
وفـيـه أنتِ يا نفـسي رَبَّيتِ
فـذُوبـي من أسـاكِ عـليـه ذُوبـي
وإلا يا لـكـاعُ فـمـا وَفَّـيتِ
أُتـلـزـمـني خـطوبُ الدـهـرِ بـيـعًا
لـبـيتِ فـيـه يا نفـسي نـشـأتِ
وما تقـضـين من جـراهُ حـزنًا
إذا مـني عـليـك الدـهـرِ مـيـتِ
كـأنـك يا جـيـاعُ الخـطـبِ مـيـي
وقـد أفـنيتِ لـحمـي ما اكـتـفـيتِ
رُؤـيـدك إن للـعـليـاءِ حـاجًا
بـمن ظـلـمًا عـليـه قـد أنـختِ
سـتـثـأر لي المـعـالي منـك أن لم
تـكونـي عن جـهـالتـكِ ارعـوتِ

(١) عن مجلة الكويت.

في الغزل (١)

تلوتُ بعينيّ مسمعي صورةَ البَها
بلفظِ له منه تَكُونُ عَـقُودُهُ
فَأَمَّنَ قلبي أَنه أوحَدُ الظُّبَا
جمالاً وإن قد عَزَّ فيهنَّ نِدُهُ
غزالُ صريمٍ في الكويتِ كِناسُهُ
وقيصومُهُ بين الضلوعِ ورندُهُ
تواصلَ منه الوصلُ لي قبلَ علمِهِ
بأنِّي على حكمِ الصَّبَابَةِ (عبده) (٢)
فلما دَرَى أَوْرَى القطيعةَ واغتدى
يُعَدِّبني فيها كَأَنِّي عَبدُهُ

(١) نشرت في كتاب «تاريخ الكويت».

(٢) عبده هنا بمعنى أَنه معبود لي، وفي البيت اللاحق، عبده بمعنى مملوكه.

في رجل كريم^(١)

أغاثَ ولم أستسقِ مُزْنَ نَوَالِهِ
بما زَمْنَا عني به يَطْرُدُ العُسْرَا
فماذا لو اسْتَمَطرتُ سَحْبَ عَطَائِهِ
يُغِيثُ (أبو عوفٍ) به نَفْسِي الحَرِي
فشكراً أبا عوفٍ وحمداً من امرئٍ
كشفتُ له أو كِدْتُ عن صفحِهِ السُّرَا
مررتَ بسكّانِ الكُوَيْتِ مُسْحَسِحًا
نداكَ على مَنْ منهم يشتكِي الفُقْرَا
فأحييتَ مَوْتِي فاقتهِ ونشَرْتَهُمْ
بها نَشَرَ وَسَمِي الحَيَا الرُوضَ والزُّهْرَا
فاضحُوا وكلُّ منهم لك شاكرٌ
كشُكْرِ الألي قد أمحلوا مُزْنَةً غُرَا
أظَلَّتْهُمُ والجَدْبُ غاشٍ فما انجَلَتْ
إلى أن جَلتَ من جَدْبِهِمُ عنهمُ الضُّرَا
أبا عوفٍ المحبُوبُ إن كنتَ لم تكنِ
بأكثرَ أهلِ المالِ في عصرنا وفُرَا
فإنك من أنداھمُ اليومَ راحَةً
وأقربِهِمُ للمُعْتَفِي نائلاً غَمْرَا
وإنك من أعلى بني المَجْدِ مَنزلاً
وأبعدهمُ صبيئاً وأرفعِهِمُ نِكْرَا

(١) نشرت في مجلة الكويت، والشاعر يمدح بها عبدالرحمن بن حسن القصيبي.

وما ينفع المالُ الكَثِيرُ وَرَبُّهُ
به لم يَنْلُ ذِكْرًا جَمِيلاً ولا أَجْرًا
وما إذا بَجَزَلِ المالِ يصنَعُ باخِلُ
إذا ما أَجَدَّ الموتُ عنه به السَّيْرَا
أَطْنُ الألى شَحَّوْا بفضلِ ثرائهم
ببِالهِمُ ذَكَرُ المنيَّةِ ما مَرَا
ألا ليت من لم يُسْعِفُوا بَعْطائهم
فَقِيرًا يكادُ الفَقْرُ يُدْخِلُهُ القَبْرَا
فَقَوْا من أبي عوفٍ إلى كُلِّ مَفْخَرِ
ومَكْرُمَةٍ غَرَاءَ مَحْمُودَةٍ إِثْرَا
فلو كلُّ نبي يُسِرُّ حِكاهُ بَجُودِهِ
وفي حُبِّه للبائسِ النفعَ والخيرَا
لما سَمِعَتْ أُنْزُ الغنيِّ لبائسِ
أنيبًا ولكن تسمَعُ الحمدَ والشُّكْرَا
أكان أنينُ البائسِينَ تَغْدِيًّا
فما يشتهي حَسَمًا له بعضُ من أثرِي
أم الجُودُ طبعُ في الأنامِ ولم يكنِ
ليُوهَبَ منه كلُّ من وُهِبَ اليُسْرَا
فدَاءُ أبي عوفٍ من الناسِ مُكْثِرُ
إذا زاره العافون لاحتَظهمُ شِزْرَا
يُقَطِّبُ منه الوجوهُ حينَ يَراهمُ
وإن سألوه الرِّقْدَ أوسَعهمُ زَجْرَا
أتتُ من أبي عوفٍ إليَّ عطيَّةُ
ولمَّا يُكَلِّفني المَسِيرَ لها شِبرَا
على أنني يا ربِّما سرتُ فرسَخًا
وكابدتُ في سيري الحُزونةَ والوعْرَا

لَنَيْلِ نَوَالٍ مِنْ فَاتِي خَلْتُ أَنَنِي
إِذَا جِئْتُهُ أَمْرِي مَكَارِمَهُ دَرًا
فَلَمَّا رَأَنِي مَقْبَلًا شَاءَ وَجْهَهُ
كَأَنِّي إِلَيْهِ قَائِدٌ عَسْكَرًا مَجْرًا
وَلَجَّجَ فِي رَدِّ التَّحِيَّةِ مِقْوَلٌ
لَهُ مُفْصِحٌ مَا شَاءَ أَنْ يَنْطِقَ الْهُجْرًا
فَرُحْتُ عَلَى طِرْسِ التَّلْجُجِ قَارِنًا
سَطُورًا بِهَا نَظْمُ الرَّجَاءِ انْتَنَى نَثْرًا
وَعُدْتُ وَلَمْ أَنْطِقْ لَدَيْهِ بِحَاجَةٍ
نَظَمْتُ بِهِ مِنْ أَجْلِهَا مَادِحًا شِعْرًا
فَكَانَ حَدِيثٌ عَنْهُ سَاعَةً رَجَعْتِي
يُحَادِّثُنِيهِ قَائِدِي كُلُّهُ نُكْرًا
فَقَدْ وَصَفَ التَّقْطِيبَ مِنْهُ وَتَنَفَّهُ
سَبَائِيهِ حَتَّى كَادَ أَنْ يُفْنِي الشُّعْرًا (١)
وَتَحَدِيقَهُ عَيْنِيهِ فِي بَحَائِرٍ
عَلَى وَجْهِهِ خَطَّتْ لِنَظَرِهِ سَطْرًا
فَلَمَّا أَطَالَ الْقَوْلَ فِي الْوَصْفِ قَائِدِي
وَأَحْرَجَ مِنِّي وَصْفَ لَوْمِ الْفَتَى الصُّدْرَا
عَمَزْتُ بِكَفِي كَفُّهُ قَائِلًا لَهُ
حَدِيثُكَ هَذَا مُلْحِقٌ مَسْمَعِي وَقُرَا
فَدَعَا وَصِفَ مِثْلَ الْفُصَيْبِيِّ عَضْبَةً
مَسَامِيحَ أَحْرَارًا غَطَارِفَةً عُرَا
فَوَصَفَكَ أَرْيَابَ الْمَكَارِمِ شَارِحٌ
لِي الصِّدْرَ مُدْنِي الْأَنْسِ فَامَلًا بِهِ النَّغْرَا

(١) سبأليه: شاربيه.

فـقـالَ وليمٌ لا قلتَ أنتَ قـصـيدَةً
 تَخْصُ أَبَا عَوْفٍ بِهَا الْمَاجِدَ الْحُرّاً
 مِنَ اللَّائِ يَنْمِيهِنَّ فِكْرُكَ غَادَةً
 مَهْفَهْفَةً حَسَنَاءَ مَعْشُوقَةٍ بِكْرًا
 لَهَا مَبْسُومٌ يَفْتَرُّ عَنْ كُلِّ مِيزَةٍ
 حَوَاهَا أَبُو عَوْفٍ وَمَئِيزَةٌ كُبْرَى
 لَعَلَّ أَبَا عَوْفٍ يَمُنُّ بِنَظَرَةٍ
 عَلَيْكَ بِهَا مَا بَيْنَنَا تَعْتَلِي قَدْرًا
 فَـقـلـتُ لَهْ إِنْ يَصْنَفُ بِالْيَ لَيْلَةً
 نَظَمْتُ بِهِ الْأَشْعَارَ تَحْسِبُهَا دُرّاً

في شكر شاعر^(١)

تَفَـخُّـضُـلَ بِنَاءِ القـِـوافي بِزُورَةٍ
عليّ فلن أنسى عليها له الشُّكْرُ
أتاني وصدري من سروري مقفِرُ
فعاد ومنه الأنسُ قد ملاً الصُّدْرُ

(١) عن مجلة الكويت، قالها عندما زاره الشاعر عبدالرحمن البناء في منزله.

في الرثاء^(١)

أبا زيدا عليك اليوم أبكي
بدمع ما لجاريه وقوف
وموالي لا أبكي منك بدراً
عراه من منيته خُسوف
وقد أحببت أن أرثيك لكن
لساني عاقه عسرٌ مُخيف
فأنظرني ليوم اليُسْرِ واعذُرْ
فستنظيمُ الرثاء له ظروف
وأما اليوم والأعسار تُدْمي
فوَادي من بلاياه صُنوف
فما أسطيعُ تنظيمَ المراثي
لمثلك أيُّها البَرُّ الرؤوف
لأنَّ رثاك محتاجٌ لطولٍ
وذاك أبثُّه من دهري الصُّروف
وهل أسطيعُ تطويلي رثاءً
وحالي في الكويتِ كما (تشوف)
ولو أني استطعتُ رثيتُ نفسي
فبني للعسرِ أهدفتِ الحُتوف
فإن أيسرتُ بعد اليوم تسمعُ
رثاءً لا فناءً به يَطوف
رثاءً ما (تُماضِرُ) قبلُ قالتُ
بصخرٍ عنده نزرٌ طُفيف^(٢)

(١) يرثي الشاعر في قصيدته هذه السيد خلف النقيب.

(٢) تماضر هي الشاعرة الخنساء اشتهرت برثاء أخيها صخر.

وعمّا قاله قبلُ (ابن أوس)^(١)
 حبيبٌ في محمّدٍ يُنيفُ
 رثاءً لم تُرجَّعْهُ بنوحٍ
 على إلفٍ مطوقةً هتوف
 رثاءً لو على الأشجار يُتلى
 لكان لها بلا ريحٍ حفيف
 رثاءً ما تمادى الدهرُ يبقَى
 لراويه وتالده طريف
 على جيدِ الدنيا وبمسمةٍها
 قلائدُ منه تبقَى أو شنوف
 لأنك للمراثي الغُرُّ أهلُ
 وأجودُ من رثاك بها (الكفيف)
 لأنك من رسولِ الله فرعُ
 زكيٌّ طاهرٌ حُرٌّ شريف
 لأنك للجَميلِ كثيرُ صنعِ
 لأنك بالعُـمـالِ لا صبُّ أوف
 لأنك للمعالي الزهرِ خِـدْنُ
 لأنك للندى المُرِّ حـايـف
 لأن بنيك أصحـابـي لأنـي
 إلى ما يشتهي صـحـبـي خـفـيـف
 وإن لم ينكشف عُـسـري فـعـذري
 جـلـيُّ لـيـس تُخـفـيـه سُـجـوف
 وأنتى من قـرـيـضـي الـيـومَ تـدنـو
 وعُسـري مُـيـسُّ عـودـي، قُـطـوف

(١) هو الشاعر أبوتمام.

ذكرى الزواج (١)

ذوى منها المٌحيًا فهو يحكي
مرقعةً من القربِ البوالي
وأما لفظها فدويُّ رعدٍ
صواعقُ فيه تُنذرُ بالويل
فإن يُقرعُ لها سمعي مقالٌ
رأيتُ الموت في ذاك المَقال
وما تفصيلُ وصفِ الجسم منها
ولا الإجمال منه لي بحال
عظامٌ نُحِلُّ أودعنَ جلدًا
به شعُرٌ كأشواكِ السَّيال
ولستُ أظنُّ بالنَّسوانِ شِبُهًا
لها فلعلَّها إحدى السَّعالي
ولو لم أُنجِ منها اليومَ نفسي
بتطايقٍ أزارتني زوالي
صبرتُ على أذاها نصفَ شَهْرٍ
فضاق بها اصطباري واحتمالي
ومن لي باحتمالِ أذى عَجوزٍ
تُغصُّ البَـعْلَ بالماءِ الزلال

(١) نشرت في مجلة الكويت، وعلق عبدالعزيز الرشيد عليها بقوله إن البؤس قد لاحق الشاعر حتى في زواجه، وهو يعبر في القصيدة عن ذلك.

(سجاًحاً) أشبّهت كذباً وزوراً
ولم تُشبهه (مسيّلمةً) خِلالِي
فبِبارِكِ يا ابنِ^(١) شِمالانِ وهنئُ
صديقك بالنجاة من الغزال
فقد قالت باني فُقتُ جيداً
وعيناً تُلَعِ غِزلانِ الرِّمالِ
وإني ذاتُ حظٍّ لم تَنأهُ
جميعُ الغانيات من الجِمالِ
فقلتُ لها نصيبِي منك خُصِّي
به رجلاً سِوايِ من الرِّجالِ
فإنكِ ما حَييتِ عليَّ بَسْلُ
وإني للمحاسِنِ منك قالِ
ولو أصبحتِ (مَيِّ) العِصرِ نُطْقاً
و(بِلقِيساً) على عرشِ الجِمالِ^(٢)
وكنْتِ (غِزالَةً) في الحربِ بأَساً
وفُقتِ (الخِيزانَةَ) في النُّوالِ^(٣)
وأوتيتِ الجِمالَ فكنْتِ فيه
له بين الوريِ أعلى مِثالِ
ولو (غَيُّلانَ) كنتُ وكنْتِ ظهراً
ك (صِيدحِ) ما ركبْتُ إلى (بِلالِ)^(٤)
فَوَلَّيْ غَيْرَ شارِحَةٍ جِمالاً
حويتِيه على سَمعِي بِقالِ
لعلَّ اللّهَ يُدركُ جِرحَ قَلبِي
على إثرِ ارتحالِكِ بانِدِمِمالِ

(١) يشير إلى محمد بن شمالان بن علي بن سيف.

(٢) مي هي الأدبية مي زيادة وبلقيس ملكة سبا.

(٣) غزالة هي زوجة شبيب بن يزيد أمير الخوارج وكانت شجاعته مضرِب الأمان. والخيزرانة هي الخيزران أم الخليفة هارون الرشيد.

(٤) غيلان هو الشاعر ذو الرمة، وصيدح: ناقته، وبلال ابن أبي موسى ممدوحه.

ففي قلبي فضولك شَرُّ وقعاً
 وفي أذني من زرق النُّبـال
 وإن لم تذهبي عني سـريعاً
 فخافي من عصاي ومن نـعالي
 ووليت العـجـوزَ ورحتُ أـعدو
 مخافة هـذرها المؤذي قـذالي
 فـولتُ وهي تحسبُ أن سـأبقى
 كـ (قيس) بعد (لبنى) في خـبال
 وإلا فـ (الفـرزـدق) حين شـطـطُ
 (نوار) عنه صاحبـه الدلـال
 وإلا فـ (اليـزيـد) لـدُن رماه
 ردى (حـبـابة) في شـرِّ حال
 وإلا فـ (ابن زيـدون) سـقـنـه
 نوى (ولادة) سـمِّ الصـلال
 ولم تعلم بئني في لقـاها
 بنارٍ من أسى ذاتِ اشـتـعال
 وإني في أساي على اقـتـراني
 بها أفنيتُ في نتفي سـبـالي
 وإني مُذ وصلتُ لها حـبالاً
 (ملئتُ من الحـياة) إلى حـبـالي
 وإن لولم تفـارقني أجـادتُ
 مُقـاصـةً من المـحـيا ظلالـي
 وأودع هيكلي الغـالي أذاها
 ضريحاً فيه ما يحلو احتلالـي

تؤول به مفاصل كل حُرٌّ
وعبد في الأنام إلى انحلال
فصرت بفرقتيها في جنانٍ
لقت بهن أنسي في كمال
قضاء يا ابن شمالانٍ وما لي
بأفضية المليك من احتيال
وهل للمرء فيما الله يقضي
عليه من يمين أو شِمال
وقد أودى نصيبي منه عدلاً
فأصبح وهو في داءٍ عُضال
وقد طال اعتلال الحظ حتى
حسبت شفاه بعض المُحال
لسوء الحظ ما أوصلت خيراً
فخلاني وشأنِي في الوصال
ولم يلح انفصالي عن مُمضٍ
لعينيهِ فأرخاه انفصالي
وما يغفوفاً نَعْمَ قَطُّ إلا
تنبّه مسرعاً لي بالنكال
فها أنا منه أصلى شر نارٍ
من الدنيا ستسرع بانتقالي
وأخوف ما أخاف اليوم ألا
يُغادرني الحِجاءُ بلا اختلال
فكن لي داعياً بالخير علي
أرى حظي العليل بلا اعتلال

فألقى ما تمناه فوادي
من الغيد الكوامن في الجمال
فتاة أوتيت عقلاً ونُبلاً
وحسناً في المُحَايَا والخِصال
تلقاني بوجهٍ ليس فيه
عُيُوسُ الباخلين لدى السُّؤال
وتولج مَسْمَعِي أرقّ لفظٍ
كأحسن صوتٍ مهزوزٍ اللّالي
متى أفضى به سمعي لقلبي
يَقُلُّ: هذا من السحرِ الحلال
فتملاً بهجةً بيتي وأنساً
ويملاً قرئها بالصَّفْوِ وبالي
فليس إلى حقيقتي سواها
يميلُ القلبُ منِّي أو خيالي
وإن يصعبُ عليّ منالُ هذا
لما يشكو من الإقلالِ مالي
وأقصتُ فاقتي عنّي الأمانِي
فسوداءُ الجليدةِ لا الفِعال
تساعدنِي على تنظيفِ بيتي
وتغسيلِ الثيابِ أو اغتسالي
وإن أمرضُ وأمراضِي كِثَارُ
أجدُ منها مُمرضةً حيالي
وإن أحتجُ إليها في فراشي
عنتُ لي غيرَ شاكيةِ الكلالِ

وإلا فالسُّلامُ على حياتي
فمالي بالحياة من اتُّصال
وكيف حياةٌ من فردٍ أسأه
له في قلبه فعلُ النُّصال
فإن يكُ في جفونك لي دُموعُ
فأسبِّلها فقد أزفَ ارتحالي
ولا تبخلْ بدمعك بعد موتي
وشاركُ في بُكاهنَّ المَعالي

وَأَنْ تَجْفُوَ الرِّجَالَ مَوَاطِنِيهَا
وَتَشْهَرَ مَنْ تَخَالَفَهَا نِصَالَهُ
وَيَلْعَنَ بَعْضُنَا بَعْضًا لِأَمْرِ
عَلَيْنَا مَكْرُكُمْ فَارْضَ امْتِثَالَهُ



عَلِمْتُمْ بِاتِّحَادِ الْقَوْمِ فَوْثًا
لَمَا فِيهِ لِمَطْمَعِكُمْ عُلالَهُ
فَأَبْدَلْتُمْ وِثَامَ الْقَوْمِ خُلْفًا
لِتَحْظُوا بِالِدَقِيقِ وَبِالنُّخَالِهِ
وَأَبَسْتُمْ خِدَاعَكُمْ لِثَامًا
مِنْ اسْمِ الدِّينِ مَسْبُوءَةً غَالَالَهُ
أَعْنِدَ أَلِي الْعِمَائِمِ مِنْ كِتَابٍ
بِهِ قَدْ خَصَّصَهُمْ رَبُّ الْجَالَالِهِ
فَهُمْ يَتَلَوْنَ دُونَ النَّاسِ أَيًّا
إِلَى قَبْحِ الشُّقَاقِ بِهِ اسْتِمَالَهُ
لِتُوقِدَ مِنْ جَحِيمِ الْخُلْفِ مَا لَا
يَخَافُ سِوَى الْأَلْبَاءِ اشْتِعَالَهُ
وَتُوهِمَ أَنْ فِي التَّفْرِيقِ رُشْدًا
إِذَا فَالِالرُّشْدُ هُنْكَ لَا مَحَالَهُ
أَيُّودِي بِالشُّعُوبِ سِوَى اخْتِلَافٍ
يَصُولُ عَلَى تَجْمُعِهِمْ مَحَالَهُ
سَلُّوا عَنْهُ أَلِي الْأَلْبَابِ تُرْفَعُ
لَكُمْ عَنْ سِوَى عُقْبَاهُ حِجَالَهُ



فَفِرُّوا مِنْ تَفْرِئِكُمْ فَمِنْهُ
نَفِيسٌ نَهْوَضِكُمْ يَشْكُو اعْتِرَالَهُ
وَإِلَّا فَاحْفِرُوا لِلنَّهْضِ قَبْرًا
وَرُدُّوا فَوْقَهُ مَيْتًا رِمَالَهُ
وَخِرُّوا لِلْعِمَامَةِ إِنْ تَبَدَّى
أَخْوَاهَا خُضْعًا جَهْلًا حِيَالَهُ
وَإِنْ يَمْنَعُ لِهَذَا الْعَصْرِ عِلْمًا
فَبُتُّوا سَامِعِينَ لَهُ حِبَالَهُ
وَنَامُوا مِنْ تَخَالُفِكُمْ بَلِيلُ
عِمَامَةٍ (بَعْضِنَا) تَخْشَى انْتِقَالَهُ
فَإِنْ يَكُ فِيهِ لِلْأَوْطَانِ مَوْتُ
وَفِيهِ لَانْتِبَاهَتِهَا إِزَالَهُ
فَمَطْمَعُهَا الْخَسِيسُ إِذَا تَلَطَّى
لَهُ ظَمَأٌ لَهُ فِيهِ بِلَالَهُ
فَعُذْرُ عِمَائِمِ (الْأَشْيَاخِ) بَادٍ
إِذَا كَرِهَتْ لِمَنْهَجِنَا اعْتِدَالَهُ
أَيْسَمُو بِالشُّعُوبِ سَوَى وَئَامٍ
لَهُمْ يَجْلُو الرِّقْيُ بِهِ هِلَالَهُ
وَهَلْ شُعْبٌ يَنَالُ بِلَا انْتِحَادٍ
لَدَيْهِ مِنْ تَقَدُّمِهِ كَمَالَهُ
فَفِي حُسْنِ الْوَنَامِ لَنَا رُقْيٌ
لِنُورِ جَبِينِهِ تَعْنُو الْغَزَالَهُ
وَقَدْ حَثَّ الْإِلَهُ عَلَى اتْفِئَاتِي
تُضِيءُ نُجَى الْخَطُوبِ لَهُ ذُبَالَهُ



أحذركم بني وطني انشعباً
لهلك الشعب فيه شرُّ آله
فلو كانوا أولي ذوقٍ سليمٍ
وكان لرأيهم بعضُ الأصالة
لما مدوا إلى أحدٍ كُفّاً
لأخذهم بسـُـؤْلِهِمْ نواله



إلى كم فوقفنا العِمَّاتُ تُلقِي
من الأعباء ما نخشى احتماله
وتزعمُ أن دين الله عـسـسـرُ
خلاقاً للذي الرحمنُ قاله
وتنفخُ روحَ شـؤْمِ الخُأْفِ فينا
وتوسعُ بيننا ظُلماً مَجَاله
لتسلبَ كلَّ ذي جهلٍ حِجَاهه
وتسلبَ من يديه بَعْدُ مَاله
ولو قَنَعَتْ بسلبِ فضولِ مُتَّزِرٍ
لقلنا صـيـيـدَ من بَرٍّ غـزـالـه
ولكنَّ العمائمَ قد أسـقَّتْ
إلى ما للأجيرِ من العَمَاله



رويداً يا أولي العِمَّاتِ فيما
أتيتم عامدين من السِّفَاله
فباسم الدين حقاً قد سلبتم
على طمعٍ يُشـيـئُكُمْ جَمَاله

سَأْتُو جِرُّنْ مِنْ خِدَاعِكُمْ بَنُونَا
وَإِنْ رَغِبْتُمْ أَنْ تُؤْفِكُمْ الْإِطَالَه
وَتَطْوِي مِنْ لِحَاكُم مَّا نَشَرْتُمْ
لَصَيِّدِ ثِرَانِنَا مِنْهَا حِبَالَه
فَإِنْ لَمْ تَتَّقُوا فَيُنَا إِلَهًا
يَصِبُّ عَلَى عَمَائِكُمْ نَكَالَه
فَخَافُوا مِنْ سُؤْلَاتِنَا نَكَالًا
فَقَدْ عَلِمْتَ بَغْيَ شَكْمِ السُّؤْلَاه
سَأْتُو سَيْفُ رِيحُ عَدْلِ اللَّهِ عَنْكُمْ
عَمَائِمُ لِلنَّفَاقِ بِهَا دِلَالَه

فتوى^(١)

تقول لقد أفتى بهجرك شيخنا
أناسُ بشـرقِي الكويـتِ تُقـيـمُ
وطاعَتُنَا عبدَ العزیز بنِ صالحٍ
سببـيلُ إلى باب الجنان قـويم
فقلتُ جزاهُ الله خيراً فهجرُكمُ
لنفسـي به لو تعلمـون نـعيم
على راحتـي قد حاتُّكمُ ومُرادُه
شـقائـي وربِّي بالضعيفِ عليم

(١) عن كتاب تاريخ الكويت.

صرخة البائس (١)

قد كسانني أبوك أمس كساءً
من نداءه فابئتُ زنيته الزمانُ
فاكسني يا ابنَ سالم اليوم إنني
من نداءه كما ترى عُريان
واتخذني مكانَ عُرفِكَ تعلمُ
أنَّ صقراً للعُرفِ نِعَمَ المكان
كان لي من أبيكَ في الشهرِ عَشْرُو
نَ فماتتْ إذ ماتَ ذاكَ الهِجان
ورجائي على يمينك أن تحـ
يا فأحيا بها ووجهي يُصان
أنت دُخْري ولارتدادي إليـه
واعتمادي عليه أن الأوان
قد أخافتُ صرُوفَ دهري فوادي
فعمسى لي لديك منها أمان
إن تكن لي فذاك، أو لا فقل لي
من يُرجي الإغاثة اللهم فان

(١) نشرت في مجلة الكويت، وعلق الرشيد عليها بقوله: «قصيدة غراء قدمها الشاعر البائس صقر بن سالم الأديب الكويتي إلى الشيخين الفاضلين الشيخ عبد الله بن سالم آل صباح والشيخ يوسف بن عيسى القناعي مذكراً فيها الأول بما كان رتبته له أبوه المرحوم الشيخ سالم بن مبارك آل الصباح حاكم الكويت سابقاً في حياته ومؤملاً منه أن يصل تلك الصلة التي قطعت بعد وفاته ومستشفعاً لديه بصديقه الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ملجأ العلماء والأدباء والفضلاء أدر الله عليه رزقه ووقاه من كيد الدهر وحوادثه».

أنا بالفقر بعدَ والدك الطا
رد عني مفاقرِي حَيران
طالَ نُلِّي بِفِاقَتِي بَيْنَ قَومِ
شمتوا بي لفاقتي وأهانوا
والمُحِبُّونَ مِنْهُمُ لِي اعْتَرَتْهُمْ
لأفتقارِ أذُنِّي أَشْجان
فأحبابٌ وا إغاثتي وأرادوا
غَيْرَ أَنْ لَمْ يَسَاعِدِ الْوَجْدان
فَقُمِ الْيَوْمَ عَن أْبِيكَ مُعِزًّا
لأديبِ عليهِ طالَ الهوان
أَسْهَبَ الْفَقْرُ حَسْرَتِي وَعَلَى كَفِّي
كَ يَرْجُوا اخْتِصَارَهَا الْإِخوان
حَرَضُونِي بِأَنْ أُوْمَّ جَـوَادًا
مِنْهُ تَنْدَى لِسَانِيهِ الْبَنان
فَأَتَيْتُ بِي إِلَيْكَ تَحْرِيطُ قَومِ
لَهُمُ بِالثَنانِ عَلَيْكَ لِسَانان
ضَمِنُوا لِي الْمَرْجُوْ مِنْكَ فَقالوا
عَنْكَ نَعَمُ الْمَعِينُ وَالْمُسْتَعان
سَأَلُهُ يَرُدُّ عَلَيْكَ خَيْرَ أَبِيهِ
وعلينا أَنْ لا تَخَيِبَ الضُّمان
وَأَبْنُ عَيْسَى لَدِيهِ خَيْرُ شَفِيعِ
يُوسُفُ مِنْ بِنِ الْكُويْتِ تُزنان
مَنْ بِإِرشادِهِ الْعَمَمِيمِ تَرَفَّتْ
لِلْمَعَالِي وَتَرْتَقِي الْأوطان
وَاسْتَحَثَّ الْكُويْتُ لِلْمَجْدِ حَتَّى
صارَ لِلْمَجْدِ فِي يَدَيْهَا عِنان

وهو ما انفكَّ يستحثُّ بنيها
للثَّرْقِي بالنصحِ منه البيان
قد أنارَ العقولَ فيها وغذَى
كلَّ روحٍ هُداةً والعِـرْفان
بثُّ صِرْفِي علومِهِ من قـديـمٍ
كـاد يـلوي بذكـره التَّسـيـان
فثَنَى الدينَ بالقـديـمِ فـتـيـاً
منه تهـتـزُّ بالأغـصـان
وجـديداً به تطيبُ حـيـاةُ
هي لولاهُ كأهـا أحـزان
فَتَلَمَّسُ شـفـاعـةَ الشـيخِ واعلمُ
أن سـيـحـنو عليكَ منه الجـنان
ليس يرضى بأن تَضَيِّعَ ابنُ عيسى
في بلادٍ له بهـا إـمـكان
رَفـرَفـتُ منه فـوق كلِّ أديبٍ
مُـدَقِّعِ الفـقـرِ رَحـمـةً وحنان
لـم يَفُتُّ في الكويـتِ طالِبَ علمٍ
صِرْفُ كَفِّ من يوسـفِ إـحـسان
فـهـو بـالمالِ للأديبِ وطوراً
هو بالجـاهِ مـسـعُفٌ مِـعـوان
فكُنَّ اليـومَ عـندَ ظَنِّ صـحـابي
فـيـكَ لي فـالظنـونُ فـيـكَ حـسان

القسم الثالث

إضافات تكرم بتقديمها
الأستاذ سيف مرزوق الشمالان

ليس في الكويت مثلي^(١)

أفي أهلِ الكويتِ سوايَ أعمى
به عَصَفَتْ أَعاصِيرُ الشَّقَاءِ
تَهَادَاهُ الْبَلَايَا كُلَّ حِينٍ
وَيُسَلِّمُهُ الْعِنَاءُ إِلَى الْعِنَاءِ
لَعَلِّي أَنْ أَعَزِّيَ فِيهِ قَلْبًا
تَخَلَّتْ عَنْهُ أَنْوَاعُ الْعَزَاءِ
وهل من أسوَقٍ فِيهَا لِأَعْمَى
رَمَاهُ الدَّهْرُ مِنْهُ بِالْعَدَاءِ
ومن عَادَاهُ صَرَفُ الدَّهْرِ أَمْسَى
وَأُسْوَتْهُ عَلَيْهِ فِي إِبَاءِ
وَلَوْلَمْ تَرَمْنِي الْأَيَّامُ إِلَّا
بِبُعْدِكَ يَا (ابْنَ شَمْلَانَ) الْعَلَاءِ
لَأَصْبَحَ رَمِيَّهَا بِالْبُعْدِ يَكْفِي
لِتَعْوِذِي بِوَاهِلَاكِ بِدَائِي
وَلَكِنْ قَبْلَ بُعْدِكَ قَدْ رَمَتْنِي
بِنَارٍ مِنْ صَدُوكِ وَالْجَفَاءِ
فَلَمَّا أَنْ خَبَتِ نَارُ التُّجَافِي
وَكَبِدْتُ أذُوقُ لَذَاتِ الْهِنَاءِ
أَعَادَتْنِي فَالْقَاتِنِي بِنَارِ
تُجَيِّدُ وَقَوْدَهَا أَيْدِي التَّنَائِي

(١) موجهة إلى صديقه محمد بن شملان وفيها تعطف، وطلب استمرار العلاقة بينهما.

فها أنا من حجيم البينِ أصلى
 فوا عُمْرَاهُ إن طال اصطِلاني
 فأنقِذْ يا (ابنَ شملانِ) محبباً
 ترَبَّعَ منه حُبُّكَ في الحَشاءِ
 وأخمدِ يا (محمدُ) نارَ بُعْدِ
 لها في قلبِهِ شَرُّ اصطِلاءِ
 وهل يخبِو حجيمُ البينِ إلا
 إذا جادته أمطارُ اللُقاءِ
 فإن يَمْنَعُ لِقَاءَكَ سوءَ حظِّي
 وسوءَ الحَظِّ من طُرُقِ البِلاءِ
 فعَجِّلْ منكَ إحساناً وفضلاً
 كتاباً فيه من دائي شِفائي
 فكَتُبْ يا (محمدُ) خيرُ شافٍ
 ومالي غيرُ كُتُبِكَ من دواءِ
 وأنعمَ يا حبيبُ ولو بسطرٍ
 به أحيا ويحيي لي رجائي
 وإن تُحْيِ الوفاءَ فليس بدعاً
 فقد وُقِّيتَ حَظُّكَ في الحِجاءِ
 ومن يكبُرُ حِجَاهُ في البرايا
 فقل ما شئتَ فيه من الثناءِ
 ولولا ما يُقاسِيهِ فؤادي
 من الأحزانِ والنُّوبِ الولاءِ (١)
 لجتُّ من الثناءِ بكلِّ بيتٍ
 تُصَيِّحُ له الكواكبُ في السماءِ

(١) الولاة: المتتابعة.

وجئتُ من القوافي باللواتي
 تنبيهه على الخرائدِ في البهاء
 ولكنني ولستُ أفوهُ إلا
 لمثلِكَ يا (محمد) باش تِكائي
 وقعتُ من النوائبِ في خِضمِّ
 سواحلُهُ خُلِقْنَ من التَّنائي
 وظنَّي العمرُ مني قد تَقَضَى
 وإلا فهو حَوْلَ الإنقضاءِ
 وهل أرجو امتداداً من حياةٍ
 تحفُّ بها جيوشُ من عناءِ
 وحسبني مهلكاً أني وحيدُ
 وأنني صِفِرُ كَفِّ ذُو عَمَاءِ
 فها أنا خادمي في كلِّ أمرٍ
 تراني منه في أمرٍ عَيَاءِ
 بذا حَكَمَ الزمانُ عليَّ جَوْرًا
 وما زال الزمانُ أخا اعتداءِ

إليك اليوم أشكويًا حبيبي
جفاءً منه في صدري حراب
جفاءً لا تطيقُ له احتمالاً
ولا لأقلِّه الصمُّ الصمُّ صلاب
جفاءً خانني فيه اصطبارُ
وفيَّ في النوائبِ لا يُعاب
جفاءً منه راحاتي تلاشتُ
وأعقبَ فيه نومي الاجتناب
جفاءً منه في الأحشاءِ نارُ
تأكلُ ليس يُخفيها حجاب
ولو أني أطيقُ لها اكتتاماً
لخفَّ عليَّ بالكتمِ المُصاب
وأنى لي أكنتم نار حزنٍ
لها بيدِ الجفا منك احتطاب
وكيف أكنتم الأعداءِ ناراً
ينمُّ بها على الوجه اكتئاب
ووجهه المرءُ للظنِّ يُفشي
سرائرَ في حشاهُ لها احتجاب
فمن وجهي على قلبي مِراءُ
بعكس ضميره فيها انسياب
أحملُ منك هجرًا فيه حتى
لوجهي في أساءاتي انتداب
وأعظمُ ما أخاف شَماتِ قومٍ
يَجِدُّ بهم لكرهِي طِلاب
وإن يطلِّ التجافي منك يظهِرُ
على وجهي بأسراري كتاب

فتقرأ فيه ما تهوى أناسُ
مُناها أن يُغَيِّبَنِي التُّراب
كأني في جُسومِهِمْ سَقَامٌ
كأني في عَقولِهِمْ خَرَاب
كأنَّ مَسَبَّتِي فِيهِمْ قَنَازَةٌ
وَهُمْ لَغَرَامُهُمْ فِيهَا نُباب
ومالي عنهم خَرَسٌ ولكن
عن الجُهَّال في الصَّفْحِ الصُّواب
تَرْفَعُ عَن خَنَاهُمْ فِي طَبَعٍ
كَرِيمٍ لَيْسَ يُعْجِبُهُ السُّباب
أَحَبُّوا كِبَوتِي حَسَدًا ولكن
حَمَانِي اللَّهُ أَنْ أَكْبُو فِخَابِوا
وما أنا يا (ابنَ شَمْلانِ) مُبَالٍ
بِمَنْ نَظَرُوا إِلَيَّ وَهُمْ غِضَاب
أَأْرَهُبُهُمْ وَعَوُّكَ لِي مَلاذٌ؟
وأخْشَاهُمْ وَنَصْرُكَ لِي مَأَب
إِذَا مَا كَانَ لِي مِنْكَ انْتِصَارٌ
وَإِسْعَافٌ فَلِلْأَعْدَا التُّبابِ (١)
تَخِذْتُكَ يَا (ابنَ شَمْلانِ) حَسَامًا
إِلَيْهِ فِي النِّوَابِ لِي إِيَاب
وَنَعَمَ الْعَوْنُ أَنْتَ إِذَا الْبِلايَا
عَلَى رَأْسِي هَمِي مِنْهَا سَحَاب
فَكَمْ لَكَ يَا (مَحْمَدُ) مِنْ أَيَادٍ
يُقَصِّرُ أَنْ يُحِيطَ بِهَا الْجِسَاب

(١) التباب: الخسران.

يُقِرُّ بِهَا وَيَشْكُرُهَا لِسَانِي
إِلَى مَوْتِي وَلِحَمِي وَإِهَابِ
وَجَحْدِي مَا غَدَا جَلْدِي مُقِرًّا
عَلَيَّ بِهِ لَكُمْ أَمْرٌ عَجَابِ
أَيُخْفِي مِنْ نَدَى يَمْنَاكَ شَمْسًا
إِذَا مَا ثَارَ مِنْ جَحْدِي ضَبَابِ
يُصَاحِبُ لِي نَدَى كَفَيْكَ بِشَرًّا
بِهِ تَحْلُو أَيْدِيكَ الرَّغَابِ
فَمَا بَالُ الْبَشَاشَةِ مِنْكَ أَضْحَتْ
عَلَيْهَا مِنْ جَفَائِكَ لِي نِقَابِ
فَلَا تُشْمِتْ بِي الْيَوْمَ الْأَعَادِي
فَلَانِي مِنْ شَمَمَاتِهِمْ أَهَابِ
أَتَرْضَى يَا (مُحَمَّدُ) بِي شَمَاتًا
فَصَدُّكَ لِلشُّمَاتِ بِهِ أَنْتِيَابِ
إِلَى كَمْ يَا (مُحَمَّدُ) مِنْكَ أَشَقِي
بِحَصْدٍ لِلْعِزَاءِ بِهِ اغْتِرَابِ
فَإِنْ يَمْتَدُّ مِنْكَ عَلَيَّ هَذَا
يَكُنْ لِمَنْيَّتِي فِيهِ اقْتِرَابِ
عَهْدُكَ لَسْتَ تَرْضَى لِي بِأَمْرٍ
بِهِ لَسَحَابٍ مَا أَرْضَى انْجِيَابِ
فَمَا لَعَمَامِ هَجْرِكَ وَهُوَ مَوْتُ
عَلَى رَأْسِي لَهُ الْيَوْمَ انْسِيَابِ
فَإِنْ أَكُنْ اقْتَرَفْتُ إِلَيْكَ ذَنْبًا
فَمَحْوُ الذَّنْبِ يُحْسِنُهُ الْمَتَابِ
فَبَيِّنُهُ أَثْبُ مِنْهُ فَصَبْرِي
لَهَجْرِكَ مِنْهُ قَدْ شَابَ الْغُرَابِ
وَعَاتِرْتَنِي إِذَا أَدْنَبْتُ يَوْمًا
فَإِنْ الْوُدَّ يَحْفَلُهُ الْعِتَابِ

بِرِيكَ يَا (محمّد) أَيُّ ذَنْبٍ
 إِلَيْكَ أَتَى بِهِ مَنِي اكَتَسَابِ
 أَفْكَرُ هَلْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَسْبِي
 يَقُومُ عَلَيَّ بِالْهَجْرِ الْعِقَابِ
 فَمَا أَلْقَى سِوَى أَنِي مُحِبٌّ
 صَفَقْتُ مِنْهُ الْمَحَبَّةَ لَا تُشَابِ
 فَإِنْ يَكُ لِي سِوَى حُبِّكَ جُرْمٌ
 فَصَبِّ عَلَيَّ مِنْ رَبِّي الْعَذَابِ
 وَإِنْ تَرْتَبَّ بِصِصَافِي الْوُدَّ مَنِّي
 وَمَا فِيهِ وَحَقِّكَ مُسْتَرَابِ
 فَسَلِّ عَنْهُ ضَمِيرَكَ فَهُوَ يَدْرِي
 وَلَيْسَ بِصَدَقٍ مَا يَرُوي اِرْتِيَابِ
 فَبَيْنَ قُلُوبِنَا سُؤْلٌ وَلَيْسَتْ
 يَمُرُّ بِهِمَا مِنَ الْوُدِّ الْكِذَابِ
 وَهَلْ مَنِي يُرِيْبُكَ مَحْضُ وُدٍّ
 وَفِي مَآ بَيْنِنَا نِسْبُ قِرَابِ^(١)
 فَإِنْ يَكُ بَيْنِنَا فِي الْأَصْلِ بُعْدٌ
 يَقْرَبُ بَيْنِنَا الْأَدَبُ اللَّبَابِ
 وَلَا نِسْبُ كَأَدَابِ سَوَامِ
 إِلَى حَسَنِ الْوَدَادِ بِهَا شِعَابِ
 فَكَمْ مِنْ صَاحِبِيْ أَدَبٍ شَرِيفِ
 نَمَا لِلوُدِّ بَيْنَهُمَا شَبَابِ
 وَكَمْ مِنْ رَاضِيٍّ لِبَنِّ رَأِينَا
 وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْبَغْضَا ضِرَابِ

(١) قراب: قريب.

لي من الصبر ما هو أرحب^(١)

نسيمُ الصَّبَا أشهى إليّ واعذبُ
نسيمُ الصَّبَا عندي ألدُّ وأطيبُ
نسيمُ الصَّبَا يشفي العليلَ من الضنى
نسيمُ الصَّبَا يُنثي الهمومَ ويذهب
فَلِلنَّفْسِ فِي أَنْفَاسِهَا كُلِّ رَاحَةٍ
وللنفسِ فيها ما يسُرُّ ويُطرب
بها تنجلي عني هُمومٌ كثيرةٌ
ويُطفأ بها ما بالحشا يتلَهَّب
فليت الصَّبَا ما زال يجري نسيماً
لعلَّ بها يُشفى الكئيبُ المعذبُ
يَهْبُ هَبوبَ الأَنْسِ عِنْدَ هُبُوبِهَا
وإن لم تجئ فالأنسُ عَنَّا مُغْرَبُ
أبا (قاسم) هل أنت تهوى نسيماً
وترغبُ فيه مثلَ ما أنا أرغبُ؟
أظنُّ جميعَ الناسِ تصبو إلى الصَّبَا
ويشغفُهم منها النسيمُ ويُعجب
فقد وصفوا الأنفاسَ منها بكلِّ ما
يرِقُّ من الأوصافِ مذ كان يعرُبُ
ألم ترَ أهلَ الشَّعرِ ممن تقدّموا
ومَن عاصرونا بالصَّبَا قد تشبَّبوا

(١) من قصائد الشاعر الشبيب الموجهة إلى محمد بن شمالان.

فلا بدَّعَ أن قلَّدتُّهم إذ وجدْتُها
 كما وجدوها للمَسَرَّاتِ تَجَلِّبِ
 وحَقَّقَكَ إنِّي بالصَّبِّبا لمتيِّمٌ
 وما أنا فيما قلتِ واللهُ أكذبُ
 أتعدُّلُ يا ابنَ (الشَّهمِ شمِلان) إن أهِمُّ
 بأنفاسِها حُبًّا بها وتُوْنِبُ
 فهل تَدْرُ أنفاسُ الصَّبِّبا أنني الذي
 (يغالب فيها الشوقَ والشوقُ أغلبُ) (١)
 وأني إذا فكَرتُ فيها تفكُّري
 وعنها إذا حدَّثتُ من كنتُ أصحَبُ
 أميلُ إلى كتمِ المحبَّةِ طاقتي
 وهيَّاتِ والأجفانُ تهْمِي وتَسْكُبُ
 وهل يستطيعُ المرءُ كتمانَ سِرِّه
 وأدمعُهُ في خدِّه تتصَيَّبُ
 أتعجبُ أن أبكي اشتياقًا إلى الصَّبِّبا
 وصبريَ عنها يا (محمدُ) أعجَبُ
 وهل في الوريِّ من ليس يصبو إلى الصَّبِّبا
 ويجزعُ أن عنه الصَّبِّبا تتنكَّبُ
 وقد كان قلبي في المحبَّةِ قُلْبًا
 فما بالهُ عن حُبِّها ليس يُقلِّبُ
 على أنني عاتبتُ قلبي ولمُنْتُهُ
 على الحبِّ لو يُجدي الحبُّ التُّعْتَبُ
 مذهبُ أهلِ الحبِّ شتَّى كثيرةٌ
 وأحرَجُها منها لقلبي مَذْهَبُ

(١) الشطر الثاني من البيت مضمن من قول المتنبي:

أغالب فيك الشوقَ والشوقُ أغلبُ وأعجبُ من ذا الهجر والوصلِ أعجبُ

تَمَذَّهَبَ قَلْبِي مَذْهَبًا فِي غِرَامِهِ
 إِلَى الْخَلْقِ يَدْعُو مَنْ بِهِ يَتَمَذَّهَبُ
 فَمَذْهَبُهُ أَنْ لَيْسَ يُصْغِي لِعَاذِلٍ
 عَلَى حَبِّهِ حَتَّى الْعُرَابُ يُشَيِّبُ
 تَجَنَّبَ قَلْبِي اللَّائِمِينَ كَأَنَّمَا
 مَلَامُ الْأَلَى لَامُوا أَرَاقِمُ تَلْسِبُ
 تَوَهَّمْتُ أَنْ الصَّبْرَ يُسْعِدُ وَالْعَزَا
 إِذَا الْبُعْدُ أَضْحَى لِلْحَبِيبِ يُحَجِّبُ
 وَهَلْ يُسْعِدُ الْإِنْسَانَ يَوْمًا عَزَاؤُهُ
 وَمَحَبُوبُهُ بِالْبُعْدِ عَنْهُ مُغَيِّبُ
 وَهَلْ تَحُلُّ لِلصَّبِّ الْكُنُوبُ مَعِيشَةٌ
 إِذَا لَمْ يَجِئْ ذَاكَ النَّسِيمُ الْمُحَابِّبُ
 نَسِيمٌ إِذَا مَا فَاحَ مِنْهُ عَبِيرُهُ
 عَلِمْنَا بِأَنَّ الْوَرْدَ لَا شَيْءَ يُحَسِّبُ
 فَسَجَسَجَ أَنْفَاسِ الصَّبَا إِنْ نَشَقَّتُهُ
 تَوَهَّمْتُهُ مَسْكًَا بِهِ تَطْيِيبُ
 وَإِلَّا كَأَشْعَارٍ تَضُمَّنْتَ الثَّنَا
 عَلَيْكَ فَأَضْحَى الْعَقْلُ مِنْهُنَّ يُخَابُ
 أَلَسْتَ الَّذِي تَحَلُّو الْقَوَافِي بِمَدْحِهِ
 وَأَضْحَى إِلَيْهِ الْفَضْلُ يُعْزَى وَيُنْسَبُ؟
 أَلَسْتَ الَّذِي تُثْنِي عَلَيْهِ خِصَالُهُ
 فَتُوجِزُهُ طَوْرًا وَأَخْرَ تَطْنِبُ؟
 أَلَسْتَ بِذَاكَ الْفَاضِلِ الْمَاجِدِ الَّذِي
 تُكَلِّمُ مَزَايَاهُ الْحُصَاةَ وَتُنْعَبُ؟
 أَلَسْتَ الَّذِي تَفْتَرُّ زُهْرًا خِلَالِهِ
 كَمَا افْتَرَّ عَنْ رَطْبِ اللَّالِي أَشْتَبُ؟

أَلَسْتَ الَّذِي لَوْ كَانَ يَرْقَى بِمَجْدِهِ
إِلَى النُّجْمِ رَاقٍ كُنْتَ لِلنُّجْمِ تَرْكِبٍ؟
أَلَسْتَ الَّذِي تَحْكِي سَجَايَاهُ رَوْضَةً
تُفَضُّخُهَا أَيْدِي الْحَايَا وَتُذَهَّبُ؟
أَلَسْتَ ابْنَ (شَمْلَانَ) أَلَسْتَ (مُحَمَّدًا)
أَلَسْتَ الَّذِي عَنِ وُدِّهِ لَسْتُ أُرْغَبُ؟
وَهَلْ يَرِغَبُ الْإِنْسَانُ عَنِ وُدِّ مَنْ غَدَا
وَأَخْلَاقُهُ مِنْ زَاهِرِ الرُّوْضِ أَخْضَبُ؟
بِرَبِّكَ سَامِحًا حِنِي إِذَا لَمْ أَكُنْ
أَطِيلُ بِحَسَنِ الْمَدْحِ فَيْكَ وَأُسْهَبُ
فَقَدْ قَيَّدَتْ أَحْزَانُ قَلْبِي مِقْوَلِي
وَقَكَ قَيُودِ الْحَزَنِ وَاللَّهِ يَصْنَعُ
أَبَا قَاسِمٍ مَا زَلْتِ فِي مَظْلَمِ الْأَسَى
إِذَا انْجَابَ عَنِي غِيهَبٌ جَاءَ غِيهَبُ
وَمَا زَلْتِ الْأَيَّامُ تَرْمِي صُرُوفُهَا
فَوَادِي بِمَا مِنْهُ أَخْصَافٌ وَأَرْهَبُ
إِلَى كَمِ وَقَلْبِي لِلشُّوَابِ مَسْرُوحٌ؟
إِلَى كَمِ وَقَلْبِي لِلنُّوَابِ مَلْعَبُ
إِلَى كَمِ سُرُورِي وَجْهُهُ مَتَّجَهُمْ؟
إِلَى كَمِ مُحَايَا رَاحَتِي مَتَّقَطُّبُ؟
إِلَى كَمِ جِهَامٍ مِنْ رَجَائِي سَحَابُهُ
وَحَتَّى مَتَى بَرَقَ الْأَمَانِيُّ خُلْبُ؟
أَقَاسِي مِنَ الْأَحْزَانِ مَا لَوْ أَقْلُهُ
يَمَسُّ نَجُومَ الْأَفْقِ مَا لَاحَ كَوَكَبُ

ولو بعضُ ما ألقى يَمَسُّ رواسِيًا
لَدَكَ الَّذِي مِنْهُنَّ أَقْسَى وَأَصْلَبُ
لماذا يعاديني الزَّمانُ ويعتدي
عليَّ بما منه التَّصَبُّرُ يُسَلِّبُ؟
كأنَّ زَماني عاشقٌ وكأَنني
له عاذلٌ والعذلُ لِلصَّبِّ مُغْضِبُ
أبيتُ إذا مَما بَتُّ مَما أُجِئُهُ
على مِثْلِ مِثْلبِوبِ الغُضا أَتَقَلَّبُ
وَتُصَبِّحُ إن أَصْبَحْتُ نَشْوى مَحاَجري
وليس لها إلا من السُّهُدِ مَشْرَبُ
أما لِلِيالي المُخْرِباتِ بِهُدْنَةٍ؟
فقد أوشكْتَ نَفْسي النَفِيسَةَ تَعْطَبُ
تَصارِبُني حَتى كَأَنِّي مَجْرَمُ
إِلَيْهِنَّ جَرَمًا أو كَأَنِّي مَذِئِبُ
ولم أَجْتَرِّمُ جَرَمًا سِوى أَنْني امْرُؤُ
أريدُ الَّذي تَزْويهِ عَنِّي وَأَطْأَبُ
تريدُ اللِيالي الجَرِيَّ مَني كَما جَرَّتْ
وذلك ما عَنه أَحْيَدُ وَأَهْرَبُ
تَجَنَّبْتُ ما تَرْضى اللِيالي وتَشْتَهِي
ومِثْلي ما تَرْضاهُ قَدِ يَتَجَنَّبُ
ظَمِنْتُ فَحاوَلْتُ الوَرِودَ فلم أَجِدُ
من الوَرِيدِ ما يَصْفو بِهِنَّ فَأَشْرَبُ
فيا لَيْتَ صَدَرَ الغَيْبِ ما زال كاتِمي
كَما يَكْتُمُ الاسْرارَ حُرًّا مَهْدَبُ

فَمَا لِي إِلاَّ اللُّهُ فِي الدَّهْرِ مَطْمَعٌ
وَمَا لِي إِلاَّ اللُّهُ فِي الدَّهْرِ مَأْرَبٌ
هُوَ الدَّهْرُ أَمَّا يَوْمُهُ فَهُوَ أَرْقَمٌ
يَصُولُ وَأَمَّا لَيْلُهُ فَهُوَ عَقْرَبٌ
وَإِنِّي وَإِنْ ضَاقَ الزَّمَانُ بُوْسَعِهِ
عَلَيَّ فَلِي فِي الصَّبْرِ مَا هُوَ أَرْحَبُ

في تقریظ كتاب^(١)

لئن قلَّتْ صحائفُ ذا الكتابِ
أيا (عيسى القُطامي) في الحسابِ
فَمَا قَلَّتْ فَوَائِدُهُ اللَّوَاتِي
أَبْنُ مَنَاهِجِ اللَّجَجِ الصَّعَابِ
فَأَنْجِزْ طَبْعَهُ يَشْكُرْكَ مِنَّا
عَلَيْهِ كُلُّ مَلْتَمِسِ الصُّوَابِ
أَبْنَتْ لِكُلِّ رِيَّانٍ فَهَيْمِ
مَنَاهِجٌ كُنَّ عَنْهُ فِي حِجَابِ
فَعَادَاتِ طُرُقِ مَرْكَبِهِ بَوَائِبِ
جَلِيَّاتِ الْغَوَائِرِ وَالْهَضَابِ
فَلَا عَجَبٌ إِذَا مَا رَاحَ يَشْدُو
بِشكْرِ كِتَابِكَ السُّهْلِ الْخِطَابِ
كِتَابٌ لَمْ يَدَعْ فِي نَفْسٍ حُرًّا
تَلَا أَبْوَابَهُ بَعْضَ ارْتِيَابِ
أَتَيْتَ بِهِ كَمَا يَهْوَاهُ مِنَّا
أُولُو الْأَسْفَارِ مَرْفُوعِ النَّقَابِ
فَلَمْ يَسْتُرْ عَوِيصُ اللَّفْظِ مَعْنَى
عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَانِيهِ الْعِذَابِ

(١) يخاطب بهذه الأبيات خالد بن شمالان، ويذكره بما كان أخوه الشهيد علي يقدمه له من كتب.

سَيُجَنِّيكَ الثَّنَاءَ الحُرَّ مِنْهُمْ
عليه كلُّ محمودِ النَّصَابِ
وأحسَّنْ من ثنائِهِمْ عليه
ثوابُ إلهِكَ الجَمِّ التَّوَابِ
فإنَّ اللهَ غيرُ مُضَيِّعِ أَجْرٍ
لِمَيْبَالٍ لِنَفْعِ النَّاسِ صَابِي
وإنَّ أَجَلَنا في الحُبِّ حَظًّا
لدى مـولاهُ مَنَّا في المآبِ
مُطِيلٌ سـوعِيَهُ في كلِّ نَفْعِ
يَعْمُ ألي النُّوى والإقـتـرابِ
وقد أَلْفَتَا يا (عيسى) كـتابًا
سحائبُهُ عَمِيماتُ المَصَابِ
فثِقْ واقطَعْ متى تَقُدُّمُ عليه
بِنَيْلِ مـثـابِ مِنْهُ رِغَابِ

(١) هذه القصيدة قالها الشاعر في تقريرض الكتاب الذي ألفه عيسى القطامي تحت اسم: «المختصر الخاص للمسافر والطواش والغواص»، وطبعه في سنة ١٩٢٤.

أخوك أخو الأفضال^(١)

أ(خالدٌ) ما هذا اقترافٌ قرفتُهُ
وإن (عدّها) غيري من القَرَفاتِ
ولكنها يا (خالدُ) الشهمُ روضَةٌ
بها اكتظت الأشجارُ من كبتات
وأشجارُها كُتِبَ تفوح فوائداً
وتُبصرُ فيها ناضِرَ الزُّهراتِ
وهل كثمارِ العلمِ عند ألي النهى
إذا ما جَناها الفكرُ من ثَمَراتِ
فلا زال للكُتُبِ النفيسةِ جالبًا
أخوك أخو الأفضالِ والحَسَناتِ
ففي قِنِيَةِ الكُتُبِ المفيدةِ شاهدُ
على أنه في الخيرِ نورٌ رَغَباتِ

(١) يخاطب بهذه الأبيات خالد بن شمالان، ويذكره بما كان أخوه الشهيد علي يقدمه له من كتب.

عليك سلام الله

(أبا قاسم) والله ما زلتُ طاوياً
على حُبِّكم بين الضلوعِ فؤادي
ولكنها الأيامُ أشعَلْنَ فِكْرَتِي
وباعَدْنَ ما بَيْنِي وبين مُرادِي
وأبدَلْنَ بالحُزنِ الشَّدِيدِ مَسَرَّتِي
وقرَّيْنَ من جفني أليمَ سُهادِي
ومن يَكُ ذا حالٍ كحالي فَعذْرُهُ
ولا ريبَ كالشَّمسِ المنيرةِ بادِ
فإن تَكُ من عِينِكَ والرأسِ تشتكي
فقد مَلَكْتَ أَيْدِي الهَمومِ قِيادِي
كأنَّ على دَهْرِي يمينًا بَأْتُهُ
لمثلي من بين الأنامِ يُعوادِي
إذا ما نجوتُ اليَوْمَ من بأسِ شِدَّةِ
رمانِي بشِدَاتِ عَلِيٍّ شِدَادِ
عليك سَلامُ اللهِ ما نَاحَ طائِرُ
على إلفِهِ في الساجعاتِ يُنادِي

وخير المجد في الدنيا المخلد^(١)

سأشكرُ (صالح المُلأ) حياتي
على إسعافه الحُرَّ (ابنَ أحمد)
وأولى الناس بالشُّكرانِ شـهمُ
حميدُ السَّعيِ مثلُ (أبي محمد)
سأشكرُهُ وأحمدُهُ وأثني
بأشعاري عليه بكلِّ مشهد
مكارمُ (صالح) تأبى علينا
لكثرتها بشيعرٍ أن تُعدد
فأيجازُ الثُّنا عنهنَّ عَجْرُ
على أن لا شببيه لهنَّ يُشهد
مكارمُ لا تبـيـدُ وليس تَفْنَى
وخيرُ المجدِ في الدنيا المُخلد
فَدُمُّ في أهنا العيشاتِ واسلمُ
وطرفُ عُداك البُعْداءِ يُشهد
فإنك في الكويتِ اليومَ شمسُ
أشعَّتُها فضائلُ ليس تُجدد

(١) في شكر الملا صالح بن محمد الملا المتوفى في سنة ١٩٥٨م وكان سكرتيراً للشيخ أحمد الجابر الصباح. وقد استحق هذا الشكر لوقوفه إلى جانب الشيخ عبدالعزيز الرشيد عند تأليفه لكتابه تاريخ الكويت.

ومن ذا يستطيعُ جـودَ فضلٍ
له منه عليه الدهرُ يشهد
سأنظّمَ واصفًا فيك المزايا
قصائد دونها الدرُّ المنضد

الدسمة^(١)

سَقَى (الدسمة) الغراء منهمرُ القَطْرِ
ومَدَّ بها أطنابَهُ مُذْهَبُ الزُّهْرِ
وجادتُ أخاها (الشَّعْبِ) كُلُّ غمامةٍ
إلى أن يكون (الشَّعْبِ) أُنْدَى من البَحْرِ
ولا زال يسقي (البِدْع) منهمرُ الحَيا
وصافَحَ (رأسَ الأرضِ) بالأتملِ العَشرِ
مَواضِعُ فيها للسُّرورِ مَواضِعُ
فلم أُلْفَ فيها ساعةً غيرَ مُسْتَرِّ

(١) ذكر الشاعر في هذه الأبيات الأربعة بعض الأماكن التي كان الكويتيون يرتادونها في أوقات الربيع.

كجدكم شمالان كونوا أماجداً^(١)

بَنِيَّ بِكُمْ رُوحِي تُحِسُّ وَتَشْعُرُ
وَتُبْصِرُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَتَنْظُرُ
فَلَا تَتْرَكُوا مَا كُنْتُ أُوصِي بِفَعْلِهِ
فِرُوحِي - إِمَّا تَتْرَكُوا ذَاكَ - تَضَجَّرُ
وَلَا تَحْسَبُوا مِنْ مَاتَ مَاتَ شُعُورُهُ
وَأَحْسَاسُهُ وَالْمَيْتَ لَا يَتَّصِرُ
فَمَا مَوْتُنَا إِلَّا حَيَاةٌ خَفِيَّةٌ
وَنَحْنُ بِمَا تَأْتُونَ نَدْرِي وَنَخْبُرُ
فِيَا (خَمْسَتِي) أَفَلَاذُ كَبْدِي أَنْتُمْ
وَأَنْتُمْ لِعَمْرِي خَيْرٌ مَا كُنْتُ أَنْخَرُ
فَلَا تَفْعَلُوا غَيْرَ الْجَمِيلِ فَإِنَّنِي
بِفَعْلِكُمْ السَّامِي أُسْرُّ وَأُجَبَّرُ
كَجَدِّكُمْ (شِمْلَان) كُونُوا أَمَاجِدًا
وَسِيرَتُهُ سِيرُوا إِلَى الْمَجْدِ تُكْبَرُوا
وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا وَجْهَهُ وَالِدِ
لَكُمْ لَمْ يَزَلْ يُبْدِي الْحَنَانَ وَيُضَمِّرُ
فَفِي صُورَتِي وَجْهِي تَمَثَّلُ بَارِزًا
فَهَا هِيَ عَنِ وَجْهِي كَمَا كَانَ تُسْفِرُ

(١) أبيات قالها عندما مرض صديقه محمد بن شمالان.

وما غاب عنكم من يُطِلُّ عليكمُ
من الغيبِ عنكم روحهُ المتسائر
ففي رسمِهِ الزاكي ملامحُ وجهِهِ
تلوح لكم في كلِّ وقتٍ وتظهِرُ

(١) وجه الشاعر هذه القصيدة إلى أولاد الشهيد علي الشمالان وهم خمسة أولاد: يوسف وأحمد وإبراهيم
وعبدالله وجاسم. وقد قالها على لسان والدهم.

رثاء عزيز^(١)

هو الدهرُ بالإنسان لا بد يَغْدِرُ
ومهما صَفَتْ منه المواردُ تَكْدُرُ
فليس امرؤُ يبقى على الدهرِ سالمًا
ولو كان ذاك المرءُ كِسْرَى وقِيصَرَ
أما كَسَرَتْ كِسْرَى يَدُ الدهرِ بعدما
تَصَدَّرَ صَدْرَ الدُّسْتِ يَنْهَى ويأمر
وقِيصَرَ قد نالَتْهُ إِبَانُ مَلِكِهِ
ولم يُجِدْهُ شيءٌ من النفعِ عَسْكَرُ
وعادي الردى لم تَنْجُ منه بغابِها
لُيُوثُ الشُّرَى هَبَّها تَصُولُ وتَزَارُ
مَالُ الورى لِلتُّرْبِ والتُّرْبُ أَصْلُهُمْ
وليس مَالُ الفَرْعِ للأصلِ يُنْكَرُ
فَخَفُّ رِعاك الله وطَأْكَ في الثرى
فليس ترابًا ما به تَنْخَطِرُ
فإن لم يكن هذا الترابُ جَمِيعُهُ
أناسًا فإن الناسَ بالتُّرْبِ أَكْثَرُ

(١) قالها في رثاء الشهيد علي بن شمالان، وأكملها الشيخ عبدالله الخلف الدحيان ببيتين فيهما تاريخ الاستشهاد وهما:

وَسَجَّتْ عَلَى النَجْلِ الكَرِيمِ سَحَابَاتُ
مِنَ العَفْوَ والرِضْوَانِ تَهْمِي وتُمَطِّرُ
وَحَقَّقَتْ مِمَّا قَدِ أتَى مِنْ مَوْجِ
لِعَلِّي بَجَنَاتِ النِّعَمِ مُبَشِّرُ

وأقبحُ شيءٍ أن تُهينَ جُـدودنا
فنمشي اختيالاً فوقهم نتبختر
فإنَّ جزاءَ المرءِ مثلُ صنيعِهِ
وعمَّا قليلٍ سوف نوری فنُقبر
صباحَ مَساءٍ يعدوننا الدهرُ جهدهُ
ليُحرقنا من القبرِ تسننوا
فليست ليالي الدهرِ إلا سَفائنا
بهنَّ إلى دار الإقامَةِ نُقبُر
فما بالنا نبكي لدى فُقْدِ بعضنا
ونجزعُ من هذا المماتِ ونضجر
إذا لم يكن بُدٌّ من الموتِ للفُتَى
فأحسنُ شيءٍ أننا نَتَصَبَّر
وهيهاتَ أنِّي بالتصَبُّرِ بعدما
تولَّى (عليُّ) طاهرُ الرُّدنِ أظفَر
عزائي وعقلي والتجدُّ بعدهُ
مهاهِنٌ دمعي والأسى والتَّحَيُّر
فعقلي محتارٌ، ودمعي مطلقٌ
وقلبي من أحزانِهِ يتفطَّر
وقلُّ لذاك الشَّهْمِ دمعي أذيلُهُ
ولو أنه مثلُ اليواقيتِ أحمر
فتى لا أرى أنِّي أقومُ بحقوقِهِ
ولو أنني إياهُ ما عشتُ أشكر
ولو أنني نظمتُ فيهِ مراثيًّا
كـواكبَ هذا الأفقِ تزهو وتُرهِر
فتى كان أفقَ المجدِّ لكنْ نجومُهُ
شمائلُ تلهو بالعقولِ وتُبهر

فَتَى كَفُّهُ بَحْرٌ يَمْدُ رَغَائِبًا
 فَيَا لَيْتَ ذَاكَ الْبَحْرَ مَا كَانَ يَجْزُرُ
 فَتَى كَانَ لِلْعَافِينَ فِي لَيْلِ عُسْرِهِمْ
 إِذَا مَا دَجَا بَدْرٌ يَضِيءُ وَيُسْفِرُ
 فَيَا لَيْتَ ذَاكَ الْبَدْرَ لَمْ تَنْشَ دُونَهُ
 سَحَابٌ مَوْتٍ بِالْمَصَائِبِ تَقْطُرُ
 (أبا يوسف^(١)) شَوْقِي إِلَيْكَ يَشُبُّهُ
 وَيُسْعِرُهُ بَيْنَ الضُّلُوعِ التَّنْذِرُ
 وَهِيَ هَاتِ أَنْ أُنْسَاكَ يَوْمًا وَلَمْ يَزَلْ
 يُمَاتُّ لِي ذَاكَ الْجَنَابَ التَّفَكُّرُ
 أَيَا (يُوسُفِ) نَفْسِي فِدَاكَ لَوْ أَفْتُدِي
 مِنْ الْمَوْتِ إِنْ سَاكَ أَنْ يَجِلُّ وَيَكْبُرُ
 وَلَكِنْ هَذَا الْمَوْتُ شَيْءٌ مَقْدَرٌ
 وَمَا حِيلَةُ الْإِنْسَانِ فَيَمَا يُقْدَرُ
 وَمَا ذَاكَ مَوْتٌ بِلِ حَيَاةٍ نَفِيْسَةٌ
 يَوَدُّ وَيَهْوِي مِثْلَهَا الْمُتَبَصِّرُ
 وَقَتَلَى سَبِيلِ اللَّهِ أَحْيَا بِلَا مِرَا
 وَذَلِكَ شَيْءٌ فِي الْكِتَابِ مُسَطَّرُ
 لَهُمْ عِنْدَ رَبِّ الْعَرْشِ رِزْقٌ وَفَرَحَةٌ
 وَهُمْ عِنْدَهُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ خُطَّرُ
 أبا (يُوسُفِ) تَهْنِيكَ دَارٌ دَخَلَتْهَا
 وَيَهْنِيكَ فِيهَا سَلْسَبِيلٌ وَكَوْثَرُ
 تَحْفُكُ حَوْرَ الْعَيْنِ فِيهَا مَنْعَمًا
 تُسَرُّ بِهَا كُلُّ السُّرُورِ وَتُخْبَرُ

(١) أبو يوسف: كنية علي بن شملان، ويوسف هو اسم أكبر أولاده.

أبا (يوسف) تا الله أفتأ دائبًا
أنظّم فيك الشعْرَ مَدْحًا وأنثُر
فإني أرى نظمَ القوافي ونثرها
بمدحك يحلويَا (علي) ويَجْدُرُ
ألسْت سليلَ الشَّهمِ (شملان) مَنْ غدا
به يزدهي رَبُّعُ المعالي ويفخَرُ
ربيعُ اليتامى والأراملِ غيْتُهُمُ
إذا تارَ للأمحالِ في الجَدْبِ عَتِيرُ
ألم تَرَ أَنَّ الكُلَّ يذكُرُ فضلهُ
وذو الفضلِ بين الناسِ بالخيرِ يُذَكِّرُ
فيا سيّدي (شملان) صبرًا فإنهُ
يُثابُّ الفتى بالصّبرِ خيرًا ويؤجِرُ
وفي فضلِ حسنِ الصبرِ كم آيةٍ أتتْ
فتوصي الذي تلقاهُ منا وتأمُرُ
فلا زلتَ توصينا بما فيه نفعنا
ولا زلتَ بدرًا للعُفَّةِ فإِنَّهُ

كما يزهو لصقر فيك شعر^(١)

يُديمُ لكَ الهناءَ فيَسْتَمِرُّ
إلهي إنك الشَّهْمُ الأبرُّ
بتزويج الذي قد كنتَ جَدًّا
لَهُ ولهُ بذلكَ منك فَحُرُّ
فيا (شملاًن) لا زال التَّمَشِّي
إليكَ مَسَرَّةً وَعَدَاكَ شَرُّ
ملكتمُ بالنَّوَالِ الجَزَلِ قَلْبِي
فجسمي لا فَوَادِي اليَوْمِ حُرُّ
لكم منِّي الفَوَادُ اليَوْمِ (عَبْدُ)
وخدمتُهُ لكم حَمْدٌ وشُكْرُ
يصوغُ لكم قَوَافٍ باهراتِ
فَتُحَسِبُ أَنهَا فِي الطَّرْسِ دُرُّ
أضَمَّنَّهَا مَعَانٍ رَائِعَاتِ
على الأيَامِ تَخْلُدُ وَهِيَ عُرُّ
فلا بَرِحَتْ بِكَ الأيَامُ تَزَهُو
كما يزهو (لصقر) فيك شِعْرُ
لشَرْقِيِّ الكُوَيْتِ إِذَا نَزَحْتُمْ
مُحَايَا مُدْلِهِمْ مَكْفَهْرُ

(١) تهنئة أرسلها الشاعر للمرحوم شملان بمناسبة زواج أحد أحفاده.

فإنك فيه يا (شملاًن) شمسُ
وإنك فيه يا (شملاًن) بدرُ
وإنك فيه للفقراء غيثُ
مُحـ ولهُمُ به عنهم تفرُّ
فكم نَفْسَت كـ رَبَّة من توالى
عليه من جـيوشِ العُسـرِ كـرُ
وكم يومٍ جـبـرتَ أـخـا انكسارِ
فعاد إليه بعدَ الكسرِ جـبـر
فكان جـزـاؤكم منه ثناءُ
وعند الله يا (شملاًن) أجر

فمن لي كالقصيبي المرجى^(١)

أبا عوفٍ لقاؤك خيرٌ ما قَدُّ
تَمُرُّ به على مِثلي الدهورُ
ففي لقياك لي درسٌ مفيدٌ
وفي لقياك لي نفعٌ كبير
أحبُّ عُلا أبي عوفٍ فوادي
فأنعشته وكان به فتور
وحبُّ الحُرِّ أحسنُ كلِّ شيءٍ
عليه ينطوي مني الضَّمير
بِمَقْدَمِهِ (الكويت) قد استنارت
وربُّ المجد مَقْدَمُهُ يُنير
فليت مَقَامَهُ فينا سنيًا
يَمْتَنُّعُنَا فما تكفي الشُّهور
فمن لي ك(القُصَيْبِيِّ) المُرْجَى
به ينجابُ عني ما يُضير
عجبتُ لعبدِ رحمنِ البرايا
وتُعجبُ من غرابتها الأمور
تَعَنَّى لاشـتراءِ الدرِّ مِنَّا
وفي فَمِهِ لجوهرنا نَظير

(١) عبدالرحمن القصيبي أحد تجار اللؤلؤ البارزين وقد زار الكويت في سنة ١٩٢٤، حيث حل ضيفاً على الحاج شمالان بن علي، وفي ديوانية هذا الأخير قدم الشاعر قصيدته للضيف.

أما يكفـيـك أن الدرّ قـوـل
تفوّه به فتلقّطه الحُـضـور
وقـوـلك لو تجـسّم ما أرادت
عقوداً غير لؤلؤه البحور
سَمّت لك يا أبا عوفٍ خـلال
فهامٍ بحُسنها حتّى الغرير
ولا عجبٌ إذا ما اليوم أضحي
يُنازعُ حبّها الأعمى البصير
فطيبٌ خـلالِ ذي العلياءِ أمرٌ
له تهفو بأجموعها الصُّدور

مداعبة

هذه مداعبة تمت بين الشاعر صقر الشيبب والشيخ يوسف بن عيسى القناعي

يقول صقر موجهاً أبياته إلى الشيخ:

إليك (ابن عيسى) الشهم (يوسف) أشتكى
شقيقك (سلطاناً) فهل أنت زاجرُه؟
يريقُ على مسكوكنا حول بيته
من الماء ما الأعمى شبيهي يُحاذرُه
ولكن حذارُ العُمي ليس يُفِيدهم
على الدربِ إن أضحت كثيرًا مخاطرُه
ولو لم يُرقُ إلا صريحَ مياهاه
لكنّا وإن أذى وشقُّ نصابرُه
ولكنه قـد أتبع الماء بالذي
به اتسختُ أثوابُ من هو عابِرُه
ولو لم أخفُ تقذيرَ شعري بوصفه
ذكرتُ بشعري منه ما أنا ذاكِرُه
عفا الله عنه أين كان حنؤه
على كلِّ من تغلو عليه ما أزرُه
أخاف عليه من دعاء ذوي العَمي
إذا وقَعوا يوماً بما هو ناثِرُه
أما يزرعُ الحُرَّ الكريمَ من الأذى
- إذا لم ترعه المالكونَ - ضمائرُه

وقد ردُّ عليه الشيخ يوسف بقوله:

سمعتُ لك الشكوى وكلُّ شكَايةٍ
تكون على حَقٍّ يؤيِّدُ ناصِرُهُ
ولا خَيْرَ في من لا يساعِدُ مسلماً
لدفعِ أذىٍ أو ظالمٍ هو قَـاهِرُهُ
وتَبَّأ لمن لا يرحمُ الناسَ بالورى
ولا سيِّما الأعمى الذي قَلَّ ذاكِرُهُ
فيا (صقرُ) ذي شكواك سهلُ زوالها
فهل من فتى أشكوه وأخابره
تُحَنِّدُ عني في كلِّ يومٍ مظالمُ
تُخالِفُ ديناً عادلاً وتُكابِرُهُ
وقومٍ إذا ما قُلتُ حَقّاً تَقَوَّلُوا
عليّ بزورٍ كالسبيوفِ بواتِرُهُ
وإن قلتُ قوموا أيِّدوا الحَقَّ حَوَقَلُوا
وإن غببتُ قالوا أحمقُ لا نوازِرُهُ
قد اتَّخَذُوا هذا النفاقَ شعارَهُمُ
وليس لهم من طيبِ الذِّكْرِ عاطرُهُ
يقينيني بأن اللةَ ليس بغافلٍ
وما ظالمٌ إلا سيُّ قطعُ دابرُهُ

هذا الجفاء (١)

بي من جفائك ما لو كان بالحجر
لفاء فوه بشكواه من الضجر
وكان لي ماجاً صدري إذا نهمت
نفسي حوادث هذا الدهر بالغير
لكن قواعيد صبري هدها فهوت
منك الجفاء فما للصبر من أثر
وبعدما انهد صبري من جفائك
أصبحت أخشى الجفا منكم على عمري
ولم أزل يا ابن (شملان) وحقكم
مما يُثيرُ تجافيكم على حذر
فكيف داهمني الصد المَخوفُ ولم
أعلم بموجبه منكم على غرر
فما رأيت موجبات الصد جاهدة
في البحث عنهن مُد قاطعتني فكري
لكن أظن ويعض الظن يصدقني
أن العداة الألى أخشى من البشر
أثار غيظهم منا تنازعنا
من المودة أصفهاها من الكدر
فانشأوا يقبلون القول إن سمعوا
أو لا فيأتون محض الكذب في الخبر

(١) قالها مستعظماً صديقه محمد بن شمالان، وراثاً على الافتراء الذي نقل إليه عن الشاعر.

وأنت تعرفُ ما يأتون من كَذِبِ
عَنِّي لِإيقاعهم إِيَّايَ بِالضَّرَرِ
فكيف صدقتهم يا ابنَ الألى ارتفعت
أقدارُهم بيننا من صادقِ النَّظَرِ
إن بَلَّغْتُكَ أَعاديَنا مُرْخِرَةً
من الأَقاويلِ من كِذْبِ ومن أشرِ
فأسألُ ضميرَكَ عن قولِ أَتُوكَ بِهِ
إن الضمائرَ تجلو كلَ مستتيرِ
واسأله عن كاشحي ذاك الذي انطمست
منه البصيرةُ فوقِ الطمسِ لِلْبَصَرِ
يُخْبِرُكَ أَنَّ الفتيَ هَذاكَ أَكْذَبُ مَنْ
يمشي على الأرضِ مِن بدوٍ وَمِن حَضَرِ
وسأله عَنِّي وعن صَافي مودتِكُمْ
عندي لِتُبصِرَها من أَجْمَلِ الصُّورِ
وبعدَ ذا كُلِّهِ فالرأيَ مرجِعُهُ
إلى حِجَاكَ الموقى الحظِّ في الكِبَرِ
فإن تجِدني مَحِبًّا مخلصًا لَكُمْ
فَاعطِفْ عَلَيَّ وخَلِّصني من الخَطَرِ
فصدُّكَ المُرُّ أدَّى بي إلى خَطَرِ
قد التقى منه في الظُّفْرِ بِالظُّفَرِ
واخلَع عَلَيَّ الرِّضَا السَّامِي فَخَلَعْتُهُ
فيها وحَقَّكَ بينَ الناسِ مَفْتَخَرِي
أدركَ (محمَّد) محروقًا بجفوتِكُمْ
بباردٍ من رضاكَ العَدْبِ مُنْتَظَرِ

فليس يطفئ ما في القلب من لهبٍ
 سوى نميرِ رضاك المشتهى الخَصيرِ (١)
 ولا تُطلِّ يا (ابنَ شملان) الجَفَاء على
 قلبِ امرئٍ من جفاك المُرِّ منكسِرِ
 إن ترضَ عني فكَسُرُ القلبِ منجِبِرٌ
 أو لا فكَسُرُ فؤادي غيرُ منجِبِرِ
 عاقِبٍ بما شئتَه غيرَ الصُّدودِ ولو
 رميتَ بي من ذُرَى رَضوى على إِبْرِ (٢)
 ففي سوى الصُّدِّ حسنُ الصبرِ يُسعدُنِي
 حتى ولو أنني أُلقيتُ في سَقَرِ
 أما صدودُك يا ابنَ الاكرمين فقد
 وُلِّي إلى حيثُ لا أدري بمصطَبَـري
 فأين عفوُكم عن ذنبِ وامِقِكم
 ولم يكن جاء ذنبًا غيرَ مغتَفَرِ
 إني عهدتُ من الغفرانِ عندكم
 ما لستُ أحسبُهُ عدًّا بمنحصِرِ
 أني أعـوـذُ بما أوتيتَ من فِطَنِ
 ألا تُقيل امرءًا إن يَهذِرَ يعتَـذِرِ
 لا يا (محمد) ما أصبحتُ مقترفًا
 ذنبًا ولو لم يَبْنِ للعين من صِـفَرِ
 لكنَّ سَـيِّئَ بَخْتِي اليومَ أبرزني
 لديك في ثوبِ ذنبِ غيرِ ذي قِـصَرِ (٣)

(١) النمير: الصافي العذب والخصر البارِد.

(٢) رضوى: اسم جبل قرب مدينة ينبع.

(٣) بختي: حظي.

وسوءُ حظِ الفتى للناسِ يعكسُ ما
 يقولُ من حُكْمِ مسعاهُ إلى هَدَرِ
 تلقاهُ عن قُوْتِهِ الأقدارُ تُبْعِدُهُ
 لنحسِ طالعهِ إبعادَ مقتديرِ
 يبيتُ منطويَ الأحشاءِ مَخْمَصَةً
 وقد حشا مسمعي دنياهُ بالغررِ
 تَعَزُّهُ لقمَةٌ في فيه يمضُ غُها
 وجُرْعَةٌ عذبةٌ تخلو من العُكرِ (١)
 لم تقتنع منه دنياهُ بمنطقهِ
 ومنه أحشاؤها فاضت من العِبرِ
 حتى أقامتهُ بالتضييقِ معتبرًا
 يُحَيِّرُ الأمرُ منه كلَّ مُعْتَبِرِ
 أمّا وسوءُ نصيبي اليومِ البَسَنِي
 ثوبًا من الذنبِ حاكتهُ يدُ القَدَرِ
 فإنني أرتجي عفوًا ومغفرةً
 وحسنُ عفوِكِ لم يتركْ ولم يذرْ
 متى يضيءُ صباحُ الوصلِ منك فتى
 في ليلِ حزنٍ من الإيعادِ معتكِرِ
 متى انتظامُ مسرّاتي فما تركتْ
 نواكٍ منهنَّ عقداً غيرَ مُنتَثِرِ
 متى عَلَيَّ غمامُ الوصلِ هامِيَّةٌ
 فإنَّ قلبي إليها جدُّ مفتقرِ
 فما سوى مطرِ الإدناءِ يطفئُ ما
 أذكته فيه يدُ الإقصاءِ من سُعرِ

(١) تعزّه: تصعب عليه.

أشبهتُ تسميةً لَيْثَ الطيورِ وقد
أحكيه في سعيه بُعدًا عن الخَوَرِ
لكنْ أَكْفُ القَضَا أودتْ بأجنحتي
ودونهنَّ صقورُ الطيرِ لم تَطِرْ
وأنتَ أنتَ الذي أفياءَ نعمتهِ
عليّ لم تنتقل عني وتنحسر
فما لشمس جفاك اليومَ قد لعبتُ
فوقِي بظلِّ نعيمٍ منك منتشر
لِمَ يا (محمدُ) لم تزجرْ محبُّكمُ
عن الخطاءِ وإن تزجره ينزجر
ألم أقل لك فيمَا مَرَّ من كَلِمِي
إن تترك العتَبَ زَاكِي الوُدِّ يندثر
فهل رضيتَ - وحاشاك - أندثارَ هوى
كالماءِ بين السما والأرض في الطُّهرِ
يا مَنْ ودادي إليه غيرُ متَّئِدِ
في سَيَرِهِ مُذْ رَأهُ فاضلَ السَّيَرِ
مفصلاتٍ بشكرٍ من غيومِ ندَى
منكم إذا استمطرثها الناسُ تنهمر
فاحرص على ما يضمُّ القلبُ من (درر)
تبقى أنيساتها إلا بمنفطر
وليس يَفْطُرُ قلبي غيرُ صدِّكُمُ
وقد أطالته كفُّ الدهرِ فاخترِ

صقر كان صقرا (١)

أتخشى أن يُذيعَ الشعورُ يوماً
- إذا ما جئتُكَ - الهفواتِ جَهرا
إذْ فتخَلَّ عَمَّا أنتَ فيه
وإلا قلتُ فيكَ الشعورَ حُرّاً
وتندمُ حيثُ لا ندَمُ مفيداً
وتعلمُ أنْ صقراً كان صقرا
وأنْ مخالبِي كانت حِداداً
وأنِّي منك بالصدمات أدري
فإنْ يَحْلَوْلِ طعمِي المُوالي
فطعمِي للمُعادي كان مُرّاً
ألينُ لمن يُلاينُنِي وأغـدو
كأصلبِ نبعوةٍ إنْ رُمْتَ كَسرا
لقد أسمعْتَنِي قولاً غليظاً
ومما أسأفتُ قَطُّ إليك شَـرّاً
وليس جزاءُ شَرِّكَ غيرُ شَرِّ
كما يأتي جزاءُ الخيرِ خيراً
أتأبى غيـرَ ذلِّي أو سكوتي
وتُبدي أنتَ عِجرفةً وِكبُرا
وإنِّي صنتُ نَفْسِي وهي نَفْسُ
تعدُّ خضوعَها للناسِ كُفرا

(١) قصيدة في هجاء شخص غير معلوم لدينا.

رَأَيْتَ تَبَاضِعِي فَظَنَنْتَ أَنِّي
لِحُمُوقِكَ لَمْ أَكُنْ أَعْلُوكَ قَدْرًا
أَهَنْتَ بِشَخْصِي الْأَدَابَ طَوْعًا
لَأَحْقَادٍ أَضَاقَتْ مِنْكَ صَدْرًا
فَلَا تَعَجِبْ إِذَا مَا قَمْتُ ذَبَابًا
وَذَوْدًا عَنْ كِرَامَتِهَا وَنَصْرًا
وَلَسْتُ بِذَائِدٍ عَنْهُمْ وَحَسْبِي
إِذَا مَا عُدْتُ تُلَجِفُهُنَّ ضُرًّا
وَلَكِنْ فِي الْكُوَيْتِ رَجَالٌ صَادِقٌ
أَبَوْا أَنْ تَشْكُوَ الْأَدَابُ جَوْرًا

إلى النادي الأدبي^(١)

لكم مني ألي الإصـلاح شُكْرُ
فإن الشُّكْرَ فرضٌ في مِثالي
وجهدُ المملِـقِـن من البرايا
تَشْكُرُهُم لَطْلَابُ المَعَالِي
وأهوى أن أعاونكم فيأبى
قيامي بالمعونة نَزْرُ مالي
أقمتم (نادياً) فخبّت بصدري
ممراتي وزار الصـفـوفـو بالي
لعلمي أن في أمثال هذا
حياة الفاضلات من الخلال
ليستلم من يـجـودُ اليـوم منكم
لإيجاد النوادي بالنوال
وما إنفاقكم يا قوم فيما
يؤول بكم إلى خـيـر المـال
سوى سبيل بها قد سار قديمًا
ألوا الأبواب من صيد الأوالي
فسيروا راشدين مسير قوم
يُجَدِّدُ ذِكْرَهُم مَرُّ الليالي
لقـد بادت عظامُهُم وأما
محامدُهُم فليست بالبوالي

(١) قالها الشاعر بمناسبة افتتاح النادي الأدبي في سنة ١٩٢٣.

ومن أحياءه حُسْنُ الذِّكْرِ أَمْسَتْ
 مَسَاعِيَهُ وَأَضْحَتْ فِي نَوَالِ
 وَحُسْنُ الذِّكْرِ لِلْعَقْلِ كَنْزٌ
 يَرُدُّ الدَّهْرَ عَنْهُ يَدَ الزَّوَالِ
 يؤول إلى الزوال ســـــــــــــــــواه ممَّا
 تهيم به العيون من الجَمَالِ
 فمرحى للذي يسعى إليه
 بعزمٍ حَادَّةٍ حَادُّ النَّصَالِ
 لَعَمْرُكُمْ شَبَابَ الْقَوْمِ إِنِّي
 لمسرورٌ بهذا الإحتفالِ
 فهذا الإحتفالُ أراه بآبًا
 إلى مجدٍ يؤدِّي القومَ عَالِ
 أكادُ أطيْرُ من فرحي بما قد
 أتيتُم يا بني وطني الأعْـمَالِي
 فقد جنئتم شبابَ القومِ أَمْرًا
 به تنجو الشعوبُ من الضُّلالِ
 لتحيَوا يا بني وطني فمنكم
 يتمُّ بأفْقِ آمـــــــــــــــــالي هِلَالِي
 بدا فيه صغيرًا غيرَ أني
 وثقتُ بأن أراه باكتِمالِ
 ولكن ذلك لي إن لم تكفــــــــــــــــوا
 عن المسعى (لعاقبة) الكلالِ
 فسيروا للأمام ولا تُبالوا
 ولو دُسُّتُم على شوكِ السَّيَالِ
 فعُشِّاقُ الأمامِ كما علمتُم
 تخوضُ له الخطوبَ ولا تُبالِي

أرى أوطان كل ألي نهوض
تصبح وما سواها في اعتلال
فلا تدعوا النهوض الدهر تسلم
بلادكم من الداء العُضال
شباب القوم مبدؤكم أراه
سيوغل في السموف في الجلال
وذلك إن يكن منكم عليه
ثبات الراسيات من الجبال
وظني فيكم حسن أستم
سُلالة أثبت الأمم الخوالي
بلى أنتم بنو من لم تُزعزع
ثباتهم مخيفات النزال

دليل المحتار^(١)

دليُّكَ للمُحْتَار خَيْرُ دليْلِ
وأحْسَنُ ما يَهْدِي بِكُلِّ سَبِيلِ
بأنوارِ إرْشادِ حَواها سيَهْتَدِي
جَمِيعُ فَتَى يَغْشَى البَحارَ نَبِيلِ
فَشكْرُكَ يا (عِيسَى القُطامي) واجِبُ
على كلِّ ذِي عَمَلٍ رَأهُ جالِيلِ
ولِمَ لا وَقَد سَهَّلْتَ فِيهِ مَطالِبًا
تَبْلُغُ مِنَ المَحْتارِ كُلِّ غالِيلِ
وأوضَحْتَ لِلرُّبَّانِ مَنّا سَبِيلَهُ
بِالطَّفِ أبوابِ بهِ وفِ الصَّوْلِ
سَيَجْزِيكَ أربابُ العَقولِ إذا رَنُوا
إِلَيْهِ بِشكْرِ لا يَبِيدُ جَزِيلِ
وعندَ لِقاءِ اللّهِ يُرضِيكَ جازِيًا
وربِّي بما يَرْضِيكَ خَيْرُ كَفِيلِ
فليس يُضِيعُ اللّهُ من أجزِ مُحْسِنِ
شَبِيبِهِكَ يا (عِيسَى) أَقَلُّ قَلِيلِ
ومن نال شُكرانَ الألباءِ مُحسِنًا
ونال لَدَى مَولاهُ كُلَّ جَمِيلِ

(١) وهذه القصيدة قالها الشاعر بعد صدور كتاب عيسى القطامي «دليل المحتار في علم البحار» الذي صدر في سنة ١٩٢٣، وأعيد طبعه مرارًا.

فـذاك جـديراً أن يـجـرُ ذيوـلُهُ
 على كلِّ سـامٍ في الفـخـار طـويل
 وما أولُ الإحـسان منكَ دليـلُ من
 عـراهُ لهـولِ البـحرِ كلُّ ذُـهول
 ولكن أياديكَ اللواتي بيـاضُها
 يضيءُ لعـيـنِي مـبـغـضٍ وخـليل
 إذا شئتُ أحـصـيها بـقـيـلي فإنه
 يبيدُ ولم يبلـغ مُرادِي قـيـلي
 فكن عانـري يا خـيرَ من قد تـرـكـنُهُ
 فضائـلُهُ فينا بـغـيرِ مـثـيل
 ومثـلُكَ من يلقى اعتـذارَ مُقـصـرٍ
 شـبـيـهِي يا (عـيـسـى) بـكلِّ قـبـول

معاذير^(١)

(أبا قاسم) والحُرُّ يعفو إذا جنى
عليه أمرؤ ثم انتننى يَنَنْصَلُ
وأنت لعمري خيرُ حُرٍّ صَحِبْتُهُ
وهذي معاذيري فهل أنت تقبل؟
أتاني بأسبابِ الصدودِ (ابنُ أحمد)
وبيِّنَ لي ما كنتُ منهنَّ أجهل^(٢)
فأقسمتُ لا عاودتُ منهنَّ واحداً
وكننتُ إذ أقسستُ لا أتأولُ
ولست أريدُ اليوم منك سوى الرضا
فإنَّ الرضا عندي أجَلُّ وأفضلُ

(١) هذه أبيات يسترضي بها الشاعر المرحوم محمد بن شمالان بعد عتاب.

(٢) ابن أحمد هو المرحوم راشد بن أحمد الرومي صديق الطرفين.

خليل في منام^(١)

أُنْسَاكَ يَا رَبَّ الْفَضَائِلِ وَالْعُلَا
إِذَا لَا حَوَانِي لِلْفَضِيلَةِ مَنَزَلُ
أُنْسَاكَ يَا أُنْدَى الْبَرِّيَّةِ رَاحَةً
إِذَا لَا حَالًا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ مَنَهَلُ
وَلَا طَابَ لِي عَيْشٌ إِذَا أَنَا لَمْ أَتُحْ
عَلَيْكَ بِأَشْعَارٍ تَرِقُّ وَتَجْزُلُ
أَلَسْتُ (عَلِيًّا نَجَلًا شِمْلَانًا) مَنْ بِهِ
وَجُوهُ الْمَعَالِي وَالْعُلَا تَتَهَلَّلُ
أَلَسْتُ ابْنَ (شِمْلَانًا) الَّذِي بِخِلَالِهِ
يُفَاخِرُ شَرْقِيًّا (الْكُوَيْتِ) وَيَجْمَلُ
فَإِنْ كُنْتَ فِي جَنَاتِ عَدْنٍ مَنَعَمًا
عَلَى كُلِّ مَا تَهَوَّاهُ فِيهِنَّ تَحْصُلُ
فَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ نَوَاكٍ جَهَنَّمُ
وَذِكْرُكَ يُذَكِّيهِهَا دَوَامًا وَيُشْعِلُ
فَمَا مَنبَتُ الرُّوحِ الْأَنْيَقِ مِنَ الرَّبَا
عَلَيْهِهِ أَتَى مُزْنٌ يَسُحُّ وَيَهْطَلُ
فَأَصْبَحَ فِيهِ النَّبْتُ يُثْنِي بِالْأَسْنِ
تُصَاغُ مِنَ الزَّهْرِ الْبَهِيِّ وَتَعْمَلُ

(١) رأى صقر الشيبب في المنام صديقه الشهيد علي بن شملان بعد استشهاده، وكان يقول له: أنسينني يا صقر؟ وهنا كتب هذه الأبيات، وأرسلها إلى والد الشهيد.

بأحسنَ من حَمدي وشكري على الندى
وكفُّك أُندي كلَّ كفٍّ وأسبَل
ولكن أكفُّ الحُزنِ والعسرِ أصبحت
تصدُّ قوافي الشعرِ عني وتعضُّل
فإن ينكشف عني نُجى الهم والأسى
ويصبحُ إيساري بيسرٍ يُبدل
أتيتُ بما عنه يُقصرُ رائياً
(حبيبُ بن أوسٍ) و(الوليدُ) و(جرول)^(١)

(١) حبيب بن أوس هو أبو تمام، والوليد هو البحتري، وجرول هو الحطيئة، وهم من خيرة الشعراء.

آية الإخلاص^(١)

أُملي في العيشِ قد كان قليلُ
فَشَفاهُ نجلُ (شَملان) النبيلُ
ذو الحجا أعني (أبا القاسم) مَنْ
قلتُ فيه صادقًا نعم الخليل
اسمه وَفَقَ مسمَّاهُ أتى
وتَوافِي ذَيْنِ في الناسِ قليل
أنا لو قلتُ بصحبي لم أجِدُ
له في أخلاقه الزُّهرِ مَثيل
لم أخَفُ تكذِيبَ ما قلتُ ومن
سعيه المشكورِ لي ألفُ دليل
وجمالُ السعي لا يُنتجُهُ
غيرُ حُسْنِ الخُلُقِ السامي الجليل



بزواج (ابنِ عليٍّ يوسفِ)
لك ربِّي بالهنا خيرُ كفيل
زادك الله سرورًا وهنا
والتقاك الأُنسُ في كلِّ سبيل
أنا مسرورٌ كَثِيرًا بالذي
سُرَّ منه مجدُّك العالِي الأثيل

(١) تهنئة بزواج يوسف بن علي بن شمالان.

وسروري أن أرى مجدك في
نعمة تنمو وفي خيرٍ جزيل
فما بق في ظلِّ نعيمٍ وارفٍ
تحت ظلِّ من مزاياك ظليل

وقتك عناية الله^(١)

وقَتُّكَ عنايةُ الملكِ السَّلامِ
(محمدٌ) ما اشتكيتَ من السَّقَامِ
وجازَكَ كلُّ سُقْمٍ منه نخشى
عليكَ إلى عِـــدَاكَ من الأنامِ
فما إلا نجاتُكَ للمعالي
نجاتاً يا (ابنَ شملان) الهُمَامِ
وما إلا بصحتِكَ المزايا
لها مَنجى من النُّوبِ الجِسامِ
فان تَسَلَّمَ من الأسقامِ تظفَرُ
يمينُ أثيلٍ مــــجــــدك بالمرامِ
وتبتسمُ العُلا فرحاً ويبدلُ
قُطوبُ وجوهِ ناسٍ بابتسامِ
فمذ حُبُّرْتُ سُقْمَكَ وجهُ أنسي
غدا لي بالتجهمِ ذا التئامِ
فِدَى لكَ يا (ابنَ شملان) ضريراً
تَغْلَغَلَ منه حــــبُّكَ في العظامِ
أحــــبُّكَ لا لأنك ذو ثراءِ
ومــــثلي لا يُحِبُّ على الحُطامِ

(١) قصيدة أخرى قالها عندما مرض صديقه محمد بن شملان.

ولكن للسُّجَايا اللَّاءِ تصبُّو
إليها أنْفُسُ القَومِ الكرامِ
فلا زارتك بعدَ اليومِ حُمَى
ولا أبقتَ عِندَكَ يدُ الحِمامِ

وشملان لي منه أياد^(١)

يقولون لي يا (صقر) مالك نادم
كأنك طفلٌ قد دهاه فِطام
تجنّبتُ ما قد كان منّي من الخطأ
وبين ضلوعي لله موم ضيرام
أسأتُ إلى (شملان) بالقولِ غرّةً
و(شملان) لي منه أيادي عظام
وإني لأرجو فيه غفران زلتني
وقد تغفّر الذنبَ الكبيرَ كرام
فهل لك في غفران ذنبي سيّدي
لينجاب عني من أساي ظلام
ولا ريبَ من يعفو ويصلح أجره
على ربّه يومَ الجزاء يُقام
ولو كان منّي الذنبُ مع غيرِ والدي
لهان، ولكن معهُ فهو جسام
وئحك مثلُ الشمس لكن جهالتي
غمامٌ وقد يُخفي الشمسَ غمام

(١) وجه الشاعر هذه القصيدة إلى المرحوم شملان بن علي يعتذر عن هفوة لسانية صدرت منه في مجلس شملان.

حال محزن

سَهَرْتُ أُرَاعِي النَجْمَ وَالنَّاسُ نُومٌ
وَبِتُّ أَعَانِي الهَمُّ وَالْهَمُّ مَسْؤَلٌ
وَمَا هَمَّنِي شَوْقٌ وَمَا بِي صَبَابَةٌ
وَمَا كُنْتُ ذَا وَجْدٍ وَمَا أَنَا مُغْرَمٌ
وَكَيْفَ وَذَاتُ الدَّلِّ وَالْحَسَنِ غَاذَةٌ
تَغَا زَلَنِي طَوْرًا وَطَوْرًا تُنَادِمُ
فَتَاةٌ يَحَارُ الطَّرْفُ عِنْدَ جَمَالِهَا
فَلَا يَنْتَنِي عَنْهَا وَلَا يَتَقَدَّمُ
وَقَدْ رَاعَهَا مَا بِي مِنَ الهَمِّ فَاَنْتَنَتْ
إِلَيَّ تَجَرُّرُ الدَّيْلِ وَاللَّيْلُ مَظْلِمٌ
فَصَارَتْ تُوَاسِينِي وَتَمْسَحُ مِفْرَقِي
كَأَنَّي طِفْلٌ بِالِدَّلَالِ يُنْعَمُ
تَقُولُ وَقَدْ مَالَتْ إِلَيَّ مِنَ الْأَسَى
حَنَانِيكَ مَا هَذَا الَّذِي تَتَأَلَّمُ
فَقُلْتَ دَعِينِي إِنَّ فِي الْقَلْبِ لَوْعَةً
وَإِنَّ مُصَابِي فَوْقَ مَا أَتَوَّهُمُ
أَوْلَيْكَ قَوْمِي خَيْمَ الْجَهْلِ فَوْقَهُمْ
وَأَيُّ مُصَابٍ بَعْدَهُ أَتَعَاظَمُ
أَوْلَيْكَ قَوْمِي فَرَّقَ الْجَهْلُ شَمْلَهُمْ
وَمَا فِيهِمْ فَزَرْدٌ يُحِسُّ وَيَأْلَمُ

وما فيهم إلا الكلام مُرَدَّدٌ
وما منهم شهمٌ يقولُ ويُقَدِّمُ
فهمٌ بعد ما كانوا ذواتًا أَعَزَّةً
واسموا وهم بين الأنام تُعَظَّمُ
هوى فيهم دَرَكُ الشقاءِ فحَطَّهمُ
وأعقَبَهم ذُلًّا وعيبًا يُلازمُ
أرى كلما سارت إلى المجد أمةٌ
يكون سرأة القوم فيها القوائدِ
فهل يا ثرى قومي إلى أين قصدنا
إلى المجد يومًا أم إلى الخزي نُقَدِّمُ
هوى معهد للخير وانهد ركنه
فخابت أمانينا وما نتوسمُ
وها معهد للعلم بات خرائبًا
فيا ويلنا إن الشقاء يلزمُ
بنوه وشادوه بفضل ذوي العطا
وسعي كرام للفضيلة سُلِّمُ
فصار من الإهمال بالجهل عامرًا
وأنى يدومُ الفضلُ والجهل هادِمُ
فيا أيها النوامُ بالله يقظةً
أما فيكم حُرٌّ يُفِيقُ ويندمُ
أيجملُ أن نبقى على الجهل والأذى
وبين يدينا من سنا الفوزِ صارمُ
كتاب من الرحمن حاز فضائلًا
وعمَّ البرايا نوره فتقدموا
فما بالنا يا قوم والنور بيننا
نخوض ظلامًا والأذى متراكمُ

أُعْمَّ عَلَيْنَا أَمْ بِصِائِرُنَا عَمَّتْ
أَمْ الْعِقْلَ مِنَّا أَنْهَبَتْهُ الْمَأْتِمُ
فَمَا هَذِهِ حَالٌ تَكُونُ لِأُمَّةٍ
يَكُونُ لَهَا هَذَا الْكِتَابُ الْمَعْظَمُ
فَدُونَكُمْ يَا قَوْمٌ حَالًا حَزِينَةً
إِلَى الْحُرِّ مِنْكُمْ نَشْتَكِي نَتَطَلَّمُ
إِلَى كُلِّ ذِي فَضْلٍ إِلَى كُلِّ ذِي نُهَى
إِلَى كُلِّ ذِي سَعْيٍ مَجْدٍ وَحِزَامِ

البرد والشاعر^(١)

أما والله لولا البَرْدُ بيني
يحولُ وبين تنظيمي الكلاما
لجئتُك يا (ابن شمالان) بنظمٍ
يُريك بأحرفِ السطرِ ابتساما
ولكن جَـوُزُ حكمِ الطقسِ وافى
ببردٍ لا أطيعُ له لِمَامَا
ظلمتُ بزمنهـريرٍ منه أشكو
كما يشكو المحبُّون الغراما
فلو أضحى بصدرِ الطقسِ قلبُ
ولو حاكت صلابتُهُ الرُخاما
لأوجدتِ الشكَاةُ به انعطافًا
على من عنه لم يجِدِ انهزاما

(١) وجه هذه القصيدة إلى المرحوم محمد بن شمالان وقد سقطت الأبيات الستة الأولى من الديوان الذي طبعه الأستاذ أحمد بشر الرومي، هذا والمثبت من مجموعة الأستاذ سيف الشمالان.

فيا ابن شمالان كم أتحتفتني كرمًا

أني أعوذ ببُردِ منكِ يَدْفِينِي
من سَكُورَةٍ عَظُمَتْ فِي البَرْدِ تُوذِينِي
فإن تُعِذْنِي ببُردِ منكِ يَدْفَعُ مَا
أَمَسَى مِنَ البَرْدِ مَرهُوبًا يُعَنِّي
فيا (ابنَ شَمالان) كم أتحتفتني كرمًا
قَدَمًا ببُردِ لَطِيفِ الصُّنْعِ يُرِضِينِي

ديوان شمالان^(١)

محلُّ الشَّهْمِ شِمْلَانِ الْمَفْدَى
به لذوي المفاخر أي حُظْوَه
به كانوا يُدْفِي فـي كفي
فتى لم يلق في مَشْتَاهُ فَرُوَه
يؤججُ ناره فـيـه إلى أن
يُغادِر في حَسَامِ الْقُرَّ نَبُوَه
وحول النارِ قد صُفَّتْ دِلَالُ
بهن لشاربيها خيرُ قَهْوَه
وهل كالنار في المشتى إذا ما
بها صُفَّتْ دِلَالُ البُنِّ شَهْوَه
بشريقي الكويتِ اليومَ أمسى
لشـمـلـانٍ من العلياء نَدُوَه
حَذا بالمجد حَذُوَ أَبِيه قِدمًا
وخيرُ بنيهِ يحذو اليومَ حَذُوَه
فلا انقطعتْ لشـمـلـانٍ حَيَاةُ
ولا انتقضتْ به للمعمرِ عُرُوَه

.....

ومـا شـكـرانُ أهـلِ المـالِ دأبـي
ولكن شـكـرُ نـبي كـرمٍ ونـخـوَه

(١) هذه الأبيات في وصف ديوان الحاج شمالان بن علي.

إِذَا لَمْ يَرُقْدِ الْبُؤْسَاءُ مُتُّرٍ
فَلَا أَبْقَى لَدَيْهِ اللُّهُ نَرُوه
فَأَبْقَاءُ التُّرَاءِ لَدَى الْأَشِحَّا
بِأَفْنَدَةِ الْمَكَارِمِ شَرُّ جُنُوه

واشينا كذوب(*)

هل أتى زينبَ ما بي قد نزلُ
لِنَواها من سَـقـامٍ وعِـلَلُ
ما بأدناها لجسـمي من قِـبَلُ
واقـفـاتِ بي على سُبُلِ الأجلِ
فـجـمـامـي عاثرُ بي عن قـرِيبُ
خَبَّرُوا زَيْنَبَ أَفـدي زَيْنَبَا
أَنْ مـوتـي حَلَّ بي أو كـرِيبَا^(١)
وطـبـيـبـي كـاد أن يـنـقـلـبـا
يائسًا مني، عسى أن تُقْرِبَا
قَبْلَما كوكبُ محياي يَغِيبُ
ليس لي إلا تدانيهـا نوا
مُـبـرِّئًا قَـتـالَ أدواءِ النوى
مخمدًا نارَ تـبـاريحِ الجوى
عائدًا حلواً به مُـرُّ الهوى
فلِقاها - لا سواها - لي طبيبُ
أخـبـرُوا زَيْنَبَ أَنـي مُـدْئِفُ
لـجـمـامـي نائِها بي يَدْلِفُ^(٢)

(*) في هذه القصيدة (١٩) خماسية زيادة عن نفس القصيدة التي حذفناها من القسم الأول تجنبًا للتكرار.

(١) كرب: دنا وقرب.

(٢) يدلّف: يمشني ويقارب الخطو متقدمًا.

وإذا ما استحلفْتُكُمْ فاحلفوا
 ربما ترحمني أو يعطفُ
 قلبُها مني على صبِّ كئيبِ
 لم تحملي نواها زينبُ
 وهي تدري أنه لي مَعْطَبُ
 قبلما الواشي لذيها يَقْلِبُ
 كاذبًا أمرَ غرامي فانهبوا
 خبِّروها أن واشينا كذوبُ
 قد أتاني أن واشينا روى
 عاكسًا أخبارَ ما جرَّ الهوى
 لفؤادي من مبيداتِ القُوى
 ضلَّ واشٍ عندها بي وغوى
 ماله عن زوره ليس يُنيبُ
 صدقت زينب من واشٍ غرورُ
 قوله وهو لعمرُ الله زورُ
 أزرِ اللهم واشينا الغدورُ
 حفرةً يشقى بها حتى النُشورُ
 ماله فيها سوى نارٍ تُذيبُ
 قد أتاه قائلًا صقرُ سلا
 عنك يا زينب يبغني بدلًا
 منك غيذاءً له منها حلالًا
 منطقُ شَبَّهَ بهُ لي بالطلا
 عصرتها الفُرسُ من عهدِ غريبِ
 بعد ما شُبِّهَ منها برحيقِ
 خبَّأته الفُرسُ من عهدِ سحيقِ

منطَقًا يَزْعُمُهُ جِدًّا رَقِيقٌ
 قال منه لست أصحو أو أفيقُ
 بعدَمًا أو غَلَبِي منه دَبِيبٌ
 أترَعَتْ منه يمينُ السَّمْعِ كاسٌ
 فغداً قلبي لتسيك الكاسِ حاسٌ
 فانثنى يرقصُ نشوانًا وماسٌ
 ناسيًا زينبَ فهو اليوم ناس^(١)
 من هواها كلُّ ما كان يطيّبُ
 فانبرى صقرٌ يصوغُ الغرلاً
 بالتي عنك هواها شَغَلَا
 منه قلبٌ لم نخَلُهُ أوْلا
 منك يا زينبُ يرضى بدلا
 رشاً خمرياً ألفاظِ ربيبُ
 قلتُ إذ قال لسعدى انقأبا
 وانثنى قلبي لها عن زينبا
 وأطاب القولَ فيها مُسَهِّبا
 واصفاً أطيّبَها فالأطيّبا
 إن هذا منك يا «صقر» عجيبُ
 كيف عن زينبَ هاتيكَ التي
 طالما بالوصلِ منها أحسيتِ
 لك نفساً من سرورٍ ميّتِ
 مِفْؤدَ الحُبِّ إليها نثتِ
 منك سعدى فانبرى «صقرٌ يجيبُ»
 ملكت زينب من حبي العنانُ
 قبل أن تقرَّع حوراءُ الجنانُ

(١) من النسيان.

مسمعي منها بلفظ كالجُمان
 فليستُ عدى لا سوى سُعدى الجنان
 والنُّهى منِّي وروحي والنسيبُ
 فليستُ اني ليس والله يقولُ
 بسواها غزلاً يسبي العقولُ
 رِقَّةٌ حتى منايَايَ تحوّلُ
 بين نُطقي وقـريض لي ذلُول
 هكذا قال لها الواشي الدُّبُوبُ
 قَطَعَ اللهُ لسنا كـذبا
 فثني بالكذبِ غَضِبَ زينبا
 فرمتُ قلبي بسهم ما نبا
 من نواها ردَّ قلبي شُعُوبا
 ونوى زينب لي شرُّ شعُوبُ
 أبلغوا زينب عني أنني
 لست عن حبي لها بالمنثني
 قبل أن ألبسَ مئيتاً كَفَنِي
 بل وحتى يوم يحوي مدفني
 أعظمُا مني بها الحُبُّ رَسُوبُ
 فهوى زينب مني في العظامُ
 راسخُ ما لم تَبْدُ تحت الرِّغَامُ
 أعظمُ مني تَرَوْتُ بالهُيَامُ
 في هوى مُلبسستي ثوبَ الغرامُ
 ضافياً زينبُ مولاةُ القلوبُ
 رُبَّما أدكُرُ سُعدى أو سُعادُ
 في نسيبي وهَيَ والله المُرادُ
 خـوفَ واشٍ لم يزل صَبَّ الفـؤادُ
 بشتاتِ الشـمْلِ أو نقضِ الودادُ
 لا تَخَطَّتْ قلبَ واشينَا الكُروبُ

فأتت زينبَ رُسُلِي مُبْطِلِينَ
 ما روى عني لها الواشي اللعينُ
 فالأنوها وما كادت تلينُ
 بيمينٍ أتبعوها بيمينِ
 أنه مالي سواها من حبيبِ
 فانثنت زينبُ عني سائلَةً
 فأجابوا بدموعِ سائلَةٍ
 حالُهُ منذ التناهي حالُهُ
 ومناياهُ لديه مائلُهُ
 يتهَيَّأُ أن عاييه للوثوبِ
 لو رأيتيه على فُرْشِ السُّقَامِ
 يشتكى داءَ تنائكِ العُقَامِ^(١)
 لحسبت أنه نجلُ حزامِ
 عروةٌ أو قيسُ لبني حينَ هامِ
 قلبُهُ في حُبِّ لُبْنَاهُ العَرُوبِ^(٢)
 فاتَّقَتْ زينبُ أن يغشى المَنُونُ
 عاشقًا صبًّا لها وافٍ أمينُ
 فاذالت غاليَ الدَّمْعِ المَصُونِ^(٣)
 وانبرت تلعنُ واشينا الخَوُونُ
 نائراً منها على الواشي عَكُوبِ^(٤)

(١) الداء العقام: الذي لا يبرأ.

(٢) عروة بن حزام: من عشاق العرب عشق عفراء وكذلك قيس بن زريح عشق لبنى والمرأة العروب العاشقة لزوجها المتحبة له.

(٣) اذالت الدمع: اهانته بأن أرسلته.

(٤) العكوب: الغبار.

ثم أعطتهم قميصاً مُعَلِّماً
مَسُّ من زَيْنَبَ جِسْمًا نَعْمًا
وأعادتهم به لي مفعوماً
من شَذَا زَيْنَبَ يَجْلُو السُّقْمَا
وأَتَت زَيْنَبُ إِذْ نَامَ الرَّقِيْبُ
فَتَعَاتَبْنَا عَتَابًا لَوْ خَطَرُ
بِفِؤَادِ النَّذْلِ وَاشْتِيْنَا أَنْفَطَرُ
وَتَعَاهَدْنَا عَلَى أَنْ لَا نَنْدَرُ
لِوَشَايَاهُ بِسَمْعَيْنَا مَمَرُ
فَهِيَ لِلْحُبِّ هِيَ الْمَوْتُ الرَّهِيْبُ
وَتَنَازَعْنَا كَمَا نَهَوَى مَقَالُ
يُشْبِهُ الدَّرُّ أَوْ السَّحَرُ الْحَالُ
أَوْ قَسْدِيْمَ الرَّاحِ بِالْمَاءِ الرُّؤَالُ
بَلْ حَكَى فِي الْحَسَنِ مِنْهُ وَالْجَمَالَ
شَكَرَ (صَقْرٌ) لِابْنِ (شَمْلَانِ) النَّجِيْبُ
فَأَبُو (قَاسِمِ) النَّدْبِ الْمَجِيْدُ
فِيهِ يَحْلُو مِنْ قَوَافِي النَّشِيْدِ
مَوَدِّعَاتٍ فِيهِ شَكَرًا لَا يَبِيْدُ
خَالِدًا مَا دَامَ لِلضُّبَارِ خَلُودُ
فِي شَعَوِبٍ مِنْ شَعَوِبٍ عَنِ شَعَوِبِ
طَابَ فِيهِ الْحَمْدُ مَنِّي حِينَ طَابَ
مِنْهُ نَيْلٌ عَزَّنِي فِيهِ الْجِسَابُ
رَدُّ مَحْطَوْمًا بِهِ عَنِّي نَابُ
فَمِ دَهْرٍ عَنِ عِضَاضِي مَا أَنَابُ
قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَنِي مِنْهُ السُّيُوبُ

يا لها مني سُيُوبًا لم تَزَلْ
تُشْبِهُ الغَيْثَ إِذَا الغَيْثُ انْهَمَلَ
زارني منها سروري وارتحل
كلُّ همٍّ في فـــــــــــــــــؤادي لو نزل
بالصَّفَا فَنَتَّته وهو صليب
قد كسباني من عطاياها زرد
قَدَّرَ السَّرْدَ بها حين سَرَدَ
فأنت يعشقُها كلُّ أَحَدٍ
بددت عَنِّي ما كان حَشْدُ
من همومِ حولي العُسرِ تُشيبُ
لم تشب منه عطاياهُ اللُّواتِ
عَلَّمَتْنِي كيف تحلوي الحَيَاةُ
بين أقـــــــــــــــــوامي بِمَنْ أو أذاهُ
فات منها صَفْوُها كلُّ قَذَاهُ
والعطايا من أهاليها عُيوبُ
فَفداهُ مُتَّبِعِ المَنْ بِمَنْ
إنما المَنْ موعيدُ كلِّ مَنْ
هَبَّه سلوى ما به مَنْ وَمَنْ
مِحْنَةُ كبرى بعيني كلِّ مَنْ
يَدُهُ تحويه إن كان لبيبُ
وَقَدَّاهُ كلُّ ذي يســــــــــــــــرٍ ثنى
مِقْوَدَ الإحسان عن مثلي أنا
شاكياً من عسره كلُّ عَنَا
لاعِنًا مما يقــــــــــــــــاسي الزمنا
زاهدًا فيه من العيشِ النُصيبُ

قائلاً يا ربُّ ما الحكمةُ في
عيشِ ذي العسرِ المُضيقِ المقتفي
في زمانٍ مكثَّ روهُ لا تفي
لقلَّيبه بشيءٍ يذت في
عن مقأيه به الجوعُ المَهيبُ
أرني يا ربُّ وجهَ الحكمةِ
إنني في حيرةٍ قد أعمت
مقاتتي عيني وعيئي فكرتي
مذ ألت فوق رأسي عسرتي
كلكلاً أوسعَ أحشائي ندوبُ
ربما حين أرى تلكَ الجِكمُ
في ليالي عيشي الداجي الأحمُ
ينثني لي من عزائي ما انهزمُ
نافياً عني ولو بعض الألم
ماسحاً من أدمعي كلَّ صبيبُ
وأتح يا ربُّ لي اليومَ جَوادُ
متبرعاً منه الأيدي بالأيدُ
مفرماً منه بإنعاش الفؤادُ
مغدقاً إغداقَ مُنهلِّ العهادُ
ساكباً حلتَّ عزاليه جنوبُ
مثلما قد كنت يا ربُّ مُتبيحُ
لأخي (صقر) وقد كاد يروحُ
عسرُهُ يحدو به نحو الضُّريحُ
نجلَ (شملان) أخوا البذل السَّموح
واسعِ الفضلِ بموهوبٍ رَغيبُ

فانثنى (صقر) وقد كان الحمام
مُنِيَّةً كبرى له بين الأنام
قبل أن يُسعدَه هذا الهمام
إذ رأى العيش هو الموت الزؤام
لْمُقِلِّ أَقْفَرَتْ منه الجيوبُ
يتمنى أن مَحِيَاهُ يطولُ
إذ ثناهُ نجلُ (شمالان) الجليلُ
بالذي أدّى من النّيلِ الجَزِيلُ
رائقًا عذبًا خفيقًا وجميل
صافيًا خلوا من الرئقِ المَعِيْبُ
فإذا ما ردّ لي منه الندى
من سروري كلّ ما قد فُقدَا
فأمدني مثل (صقر) إذ غدا
منشداً من شكره ما أنشدا
لأبي (قاسم) المعطي الوهوبُ
فوعسى أتى إذا ما سَكَبَا
من نداءه في جيوبِي سُحْبَا
هُمُّعًا أوفيه شكرًا وجَبَا
تاليًا منه عليه كَتَبَا
كلُّها ليس إلى مَحْوِ يُوْبُ
قلت إذ قال كذا ذاك الفَقِيرُ
أوجِرِ القول فذا ما لا يصيرُ
فمحالٌ لابنِ شمالانٍ نظيرُ
في نداءه المخجلُ الغيثُ الغزير
ومحالٌ لي في الشكرِ ضريبُ

ثم أني بعد ذِيَاك المَقَالُ
قلتُ لا بأسَ فَالْحِفُّ بالسُّوَالُ
أنه ليس على الله مُحَالُ
ربما يعطيك ما كان اسْتِحَالُ
منك قلبًا غَبَّتْ فِيهِ الخُطُوبُ

خاتمة

هكذا انتهى بنا المطاف مع شعر شاعر الكويت صقر الشبيب، الذي ترك لنا ذخيرة من شعره صورت حاله، وعرفتنا بأوضاع البلاد في وقته، كما وجدنا ذكر عدد من رجال الكويت وقد ذكرهم في قصائد تدل على صلته بهم وتقديره لهم.

بقي أن نقول إننا أخذنا على الشاعر بعض الملاحظات التي تعتبر طفيفة بالنسبة لشاعر مثله، وبالنظر إلى المقدار الكبير من الإنتاج الشعري الذي جاد به طوال حياته. ولعل أهم ما كان القارئ يتوقف عنده ذلك التقديم والتأخير الذي يربك الصياغة ويؤخر فهم الشعر، أضف إلى ذلك صعوبة سبكه لبعض الأبيات وبخاصة تلك التي لها جانب فكري يستعصي على الشاعر التعبير عنه بالسهولة المطلوبة في أشعار الشعراء.

ولئن كان ذلك كذاً فهو معذور معذرة تامة لأنه لا يكتب شعره بيده، ولا يقرؤه بعينه، ولكنه يحفظ ما يكتب ثم يمليه، ولذلك فإنه يصعب عليه القيام بتنقيح ما يكتب كما يفعل غيره من الشعراء، ومنها برزت بعض الملاحظات التي يجدها قارئ شعره في بعض الأبيات. صحيح أننا نجد في الديوان بعض الأبيات وقد جاءت في الهامش برواية مختلفة تدل على المراجعة إلا أن هذه الحالات قليلة جداً، وكانت بقدر ما سمحت به ظروف الشاعر.

لكل ذلك فإننا نجد له كل العذر في الأبيات التي سقنا بعضاً منها على سبيل المثال وذكرنا أن فيها بعض تقديم وتأخير أو جملاً معترضة تؤثر على فهم القارئ للقصيدة.

ويبقى صقر بن سالم الشبيب شاعراً كبيراً لا يشق له غبار. ويبقى ديوانه سجلاً لزمناه. ففي شعره تتجلى ثقته بخالقه الرحيم، وتساميه على نوازع الشر، والدعوة إلى

التآلف بين الناس واليقين بأن الله وحده هو واهب النعم في الدنيا والآخرة ولا فضل لأحد من خلقه في توزيع الرحمات على العباد، وفيه إيمان بالرسول الأعظم، وتقدير لدوره في هداية البشر، وشكوى إليه من كل مدع مغرور أو ضال مضل لغيره، وأمل في زوال الجهل والفساد.

كما تتجلى في شعره يقظة الضمير، ويتبين الإحساس بمعاناة الناس وآلامهم، وهذه لا يستشعرها إلا من عانى مثلهم آلام الفقر والمرض، وشدة الحاجة إلى المساعدة، إنها الإنسانية في أعلى معانيها بل هي الحساسية المفرطة تجاه ما تفرزه الحياة يوميًا من آلام. نراه أحيانًا زاهدًا في الحياة، أملًا في الراحة الكبرى، يفضلها على أيام حياته الطويلة العامرة بالقسوة، وقد يكون ذلك مخالفًا لما نهى عند الإسلام من تمنُّ للموت، ووجوب طلب الاستغفار.

ونراه يتحدث عن أثر الإيمان في التربية الإنسانية القادرة على مواجهة الشدائد، وعن دورها في البناء المتتابع لسلوك الإنسان.

وهو مؤمن بالأجل، وأن لكل أجل كتابًا، وهو غير مؤمن بالأنكار المستوردة المبنية على الحلول أو تناسخ الأرواح مما يتناقض مع صريح الدين الإسلامي.

والشاعر وهو يواجه عددًا من المهاجمين، الذين لم يتورعوا عن إلقاء التهم عليه يؤمن بأن الشر لا بد وأن يلاقى بمثله، وأن البادي أظلم. ولكنه يؤكد أن ما قاله من شعر تجاه أولئك المناوئين لم يكن هجومًا عليهم ولكنه دفاع عن نفسه، ودفعه إليه يقينه بصحة مواقفه. ومع إقراره بذلك فإنه يرى أن الهجاء خطيئة فادحة مشتركة يكتوي بناها الطرفان، لأنهما في الحقيقة طرف واحد ينتمي إلى أرومة واحدة وأصل واحد.

وصقر الشبيب يدرك ببصيرته أن الدنيا سراب يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يدرك منه شيئًا، ولذا فهي لا تستحق اختلاف الناس على امتلاك ما فيها من ماديات.

ومن أجل ذلك فهو يعيب على قومه الأخذ بالمظاهر البراقة، وتماديهم في إلقاء التهم على بعضهم. لأنه يؤمن بأن من الواجب معايشة متغيرات الحياة، وتحديدها، مع الاستمساك بحبل العلم، لأنه وسيلة التقدم المضمونة، وهو بذلك ينظر إلى الحياة نظرة متقدمة وكأنه يعيش في يومنا هذا، وهو يرى أن العاقل هو من اتعظ بأحداث الأيام والليالي وما صاحبها من خطوب، لأن ما يعرض للإنسان من أمور في حياته ومعايشه يُحيي في قلبه قيمة العدل الإلهي، ويدعوه إلى إعمال عقله في كل ما يفعل من أمور.

وإذا استكملنا آراءه التي بثها في قصائده، وهي آراء تؤكد قيمة الإنسان وضرورة استقامته وحسن معاملته لغيره. كما تحث على الصدق وحسن المعاملة، وتدعو إلى الرقي في أساليب التعامل مع الغير، فإننا سوف نجد كنزاً من الأفكار التي تنير الطريق أمام السالكين، وهي في الوقت نفسه تثبت ما لهذا الشاعر من قيمة، وتؤكد أنه وإن كان معتزلاً، لا يخرج من بيته ولا يختلط مع أحد وبخاصة في سنواته الأخيرة، إلا أنه شديد الإحساس بقضايا الناس وبحاجات البلاد التي أكد أنه لا يمكن أن يقضيها إلا المتنورون.

فهرس القوافي

| ص | قافية الهمزة |
|-----|-------------------------------------|
| ٦٩ | عطفت عليّ البصرةُ الفيحاءُ |
| ٧٤ | ما بعد فقدك للكويت عزاءُ |
| ٨٥ | أتحب أن تلقى الإهانة مـرّة |
| ٨٦ | أكذا يكون تواضعُ الكُبراءِ |
| ٨٩ | الجهلُ داءُ الشُّعرِ عندي وحده |
| ٩٠ | ليأمننْ لُدْعُ هجوي كلُّ قاصٍ |
| ٩٥ | حَسَدت بك الزوراءَ غيرَ ملومةٍ |
| ٩٧ | يَجِدُ خصامُهم فيها سَفاهاً |
| ١٠٤ | أبا عيسى أراك أَجَلٌ من أن |
| ١٠٧ | غَلَاءُ أَهْلِكَ الفقراءَ جوعاً |
| ٦٤٣ | أفي أهلِ الكوِيتِ سوايَ أعمى |
| | قافية الألف المقصورة |
| ١١١ | كسَوْتُ أَخاك ثيابَ الثُّنا |
| | قافية الباء |
| ١١٣ | يقولون لي يا «سقر» مالك عاطلاً |
| ١١٧ | أراك لحبل الوصلِ أصبحتَ قاطعاً |
| ١١٩ | قالوا سقامك كاد يذهبُ أو ذَهَبُ |
| ١٢١ | رُبُّ بَيْتٍ وحدهُ في أُمَّةٍ |
| ١٢٢ | أَسِنَّةُ أَعوامٍ تدمين يا حربُ |
| ١٢٨ | لقد طال مني المُكثُ في مظلمِ الأسي |
| ١٣١ | ما دمت في أبناءِ يعرُبَ سالماً |
| ١٣٦ | لقد كان الحليبُ لنا إليه |
| ١٤٠ | يعاني الغرُبُ ما تنبو الجنوبُ |
| | وقد وظَّفوا من لم يقاربك في الأدبُ |
| | بلا موجبٍ يدعو إلى القطعِ أو سَبَبُ |
| | فشعرتُ باستخذاءِ ما بي من وَصَبُ |
| | قَلَبَ الحِمالَةَ رأساً لَعَقِبُ |
| | وأكلُك أجسادُ البريَّةِ والشُّرْبُ |
| | إذا انجاب عني غيهبُ جاءَ غيهبُ |
| | مما عليك من الحوادثِ نُرْهَبُ |
| | طريقُ واضحٍ سهلٌ رحيبُ |
| | به ووليدُهُ منه يشيبُ |

- سَتَبَقَى عَلَى الْأَحْقَابِ حُقُبًا إِلَى حُقُبٍ
لَقَدْ أَنْعَشْتُمْ مَصْرُورَ رَجَاءِ بَنِي الْعُرْبِ
يُخَيِّلُ لِي أَنِّي ثَقِيلٌ عَلَى الْأَلَى
أَثْنَى عَلَيْكَ مُحِقًّا مَقُولُ الْأَدَبِ
نَشَأَ الْكُوَيْتِ صِلُوا بِالْجَدِّ وَالِدَادِ
ذَكَرْتُمْ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ مَقْتَضِيًّا
بَيْنَ (شُكْرِي) وَ(جَمَالِ) الْعَرَبِ
أَعْبَدَ الْمُحْسِنِ الْقَاضِي بَعْدَ
لِعَبْدِ الْمُحْسَنِ الْحُرِّ اللَّبَّابِ
عَلَيْكَ أَثْرَتُ رِيحًا مِنْ عَتَابِي
أَحَاوَلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْكِتَابِ
أَبُوحُ بَعِيْبٌ مَحَبُوبِي وَلَكِنْ
بَنِي يَعْزِبُ مِنْ فَاتِهِ أَمْسِ سَلُهُ
يُرِيدُ الَّذِي فِي الْغَرْبِ أَنْ يَفْنِيَ الْعُرْبَا
كَلُوا عَزْرَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُفْنِيَ الْكُتُبَا
دَعُوا الْجَزَائِرَ تَلْقَى الْوَيْلَ وَالْحَرْبَا
مَا زِلْتُ أَشْكُو مِنْ زَمَانِي نُوبَا
وَشَرُّ أَعْرَبِيَّةِ التَّفْرِيقِ مِنْ جَعَلُوا
أَرْضِي وَأَغْضَبَ تَصْرِيحُ الْمَقَالِ كَمَا
شَبَّ هَذَا الْفُلْكَ مِنْ بَعْدِ الْمَشِيْبِ
أَذَابَ فَوْادِي مِنْكَ هَذَا التَّجَنُّبُ
دَعُوا الْعَوَاطِفَ لَا تَقْفُوا لَهَا أَنْرَا
لَهْجَرَكَ يَا (ابْنَ شَمْلَانَ) التَّهَابُ
نَسِيْمُ الصَّبَا أَشْهَى إِلَيَّ وَأَعَذُّ
لَنْ قَلَّتْ صَحَائِفُ ذَا الْكِتَابِ
- ١٤٥ خيالاً على رغم المنى وحدة العُربِ
١٥٠ فائتني عليها منهم كلُّ نبي لبِّ
١٥٧ أزور من الصَّيْدِ الألى وَدَهْمُ قلبي
١٥٩ يا من نماه لخيرِ الرُّسُلِ خيرُ أبِ
١٦٣ ما يَسْتَجِدُّ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْحِقَبِ
١٦٦ إِصْلَاحَكُمْ وَنَسِيْتُمْ خَادِمَ الْأَدَبِ
١٦٧ خَيْرُ حِلْفٍ مَوْصِلٌ لِلْأَرْبِ
١٧٢ وَفَصَلِّ فِي الْقَضِيَّةِ وَالْخِطَابِ
١٧٧ تَحْمَلُ مَا تُطِيقُ مِنَ الْعِتَابِ
١٨٧ لَتَمْرِي مِنْكَ أَخْلَافَ السُّحَابِ
١٨٩ مِنَ الْمُنْتَشُورِ مُشَبِّهَهُ جَوَابِي
١٩٠ إِلَيْهِ حِينَ أَخْلُو بِالْحَبِيبِ
١٩١ حَسَامًا بِهِ عَنِ قَوْمِهِ يُحْسِنُ الذَّبَا
١٩٥ جَمِيْعًا وَلَكِنْ الَّذِي فِي السَّمَآ يَأْبَى
١٩٦ وَتُحَدِّثُ أَمْرًا ثَانِيًا يُسْخِطُ الصَّحْبَا
٢٠٩ ثُمَّ ادَّعُوا أَنْكُمْ مَا زِلْتُمْ عَرَبَا
٢١٦ تُغَادِرُ الطِّفْلَ الرُّضِيْعَ أَشْيَبَا
٢٢٤ لِلارْتِزَاقِ مِنَ الْعِمَّاتِ أَسْبَابَا
٢٢٦ تَقْضِي الصَّرَاحَةَ إِرْضَاءً وَإِغْضَابَا
٦٠٣ وَصِيبَاهُ بَعْدَ مَا شَابَ عَجِيْبُ
٦٠٤ فَبَاتَ دَمًا مِنْ مَقْلَتِي يَتَصَبَّبُ
٦١٤ وَأَقْفُوا عَقُولَكُمْ سَلْبًا وَإِجَابَا
٦٤٦ بِقَلْبٍ مِمَّا لَهُ عَنْكَ أَنْقِلَابُ
٦٥١ نَسِيْمُ الصَّبَا عِنْدِي أَلْدُّ وَأَطْيَبُ
٦٥٧ أَيَا (عَيْسَى الْقُطَامِي) فِي الْحَسَابِ

قافية التاء

- على غيرِ صافي الهوى ما انطويتُ
عَرَّتْنِي وَحَشَّةٌ مِنْ كُلِّ حُرٍّ
٢٢٩ وطوعَ سِوَى أَمْرِهِ مَا جَرَيْتُ
٢٣٤ وَعَبِدَ فِي الْبَرِيَّةِ فَمَا نَفَرْتُ
إِنْ كَانَ لَا يَطْفُرُ بِالْجِنَّةِ
٢٣٥ إِلَّا أَمْرُؤُ مِمَّا تَلُكُ ذَوْجِنَةَ
وَتَجَارَتْ لَذِكْرِهِ عِبْرَاتِي
٢٣٦ مَا تَذَكَّرْتُ سَالِمًا قَطُّ إِلَّا
كَسَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الشَّهْمُ أَضْفَى
٢٣٨ ثِيَابِ الْفَخْرِ مِوْطِنَهُ الْكُوَيْتَا
أَطْلَأْتَنِي بِشِشْرِ قِيِّ الْكُوَيْتِ
٦١٦ خُطُوبُ الْأَزْمَتَيْنِ قَعْرَ بَيْتِي
أُخَالِدُ) مَا هَذَا اقْتِرَافٌ قَرَفْتُهُ
٦٥٩ وَإِنْ (عَدَّهَا) غَيْرِي مِنَ الْقَرَفَاتِ

قافية الثاء

- أرى خيرَ ساعاتِ المسرَّةِ ساعةً
لكلِّ سهامٍ موجعةٍ فؤادي
٢٤١ يكونُ بها حولي صديقٌ أحاديثُهُ
٢٤٥ أراهُ في الكُوَيْتِ غداً نَجِيثًا

قافية الحاء

- دَعَّتْنِي حَاجَاتِي إِلَى مَدْحِ مَعْشَرٍ
٢٤٧ فَجِئْتُ إِلَيْهِمْ طَوْعَ حَاجِي أَمْدَحُ

قافية الدال

- ما كنتُ أغبِطُ مِذَّ أَرَيْتُ سِوَى الَّذِي
لو كنتُ مِمَّنْ فِي طَبِيعَتِهِ الْحَسَدُ
٢٤٨ مَا كَانَ قَطُّ وَلَنْ يَكُونَ مَدَى الْأَبْدِ
٢٥٣ لِحَسَدَتِ دُونَ النَّاسِ شَاعِرْنَا فَهَدُ
أَتَتْرِكُنِي مَا بَيْنَ يَأْسِي وَالرَّجَا
٢٥٦ وَمَنْ أَحَدِ الضَّيْدَيْنِ عِنْدَكَ لِي بُدُّ
مَا فِي الصَّفَاةِ لِذِي عَمِي
٢٥٧ مِثْلِي أَمْوَرٌ تُحْمَمُ
إِذَا نَجَمَ الصَّرِيحُ بِأَرْضِ قَوْمِي
٢٥٨ فَمِنْ جَزَاءِهِ مِنْهُمْ نَادُ
أَيْرِفَعُ رَأْسَهُ الْعَرَبِيُّ يَوْمًا
٢٥٩ إِذَا امْتَلَكَتْ فَلَسْطِينَ الْيَهُودُ
إِنْ شَجَاكُمْ مَنِّي الْأَتْنِ الْمَدِيدُ
٢٦٧ فَعِذَابِي بِالْفَقْرِ جِدًّا شَدِيدُ
كَنتُ لو لم أَعْلَلِ النَّفْسَ مِمَّنْ
٢٧٦ غَيَّبَتْ مِنْهُمْ الْجِسْمَ اللَّحُودُ
يَرُوعُ فؤادي بِالْجَفَا مِنْ أَوْدِهِ
٢٨١ إِذَا لَمْ يَرُعْ مِنْهُ فؤادي بَعْدَهُ
رَفَعَ اللَّهُ مَجْدَ بَيْتِ الضَّادِ
٢٨٣ وَذَوِيهَا مِنْهُ بِخَيْرِ عِمَادِ
كَلَّمَا زَرْتَكُمْ أَمَرْتُمْ بِشَيْءٍ
٢٩١ مِثْلُهُ يَقْتَضِي مَزِيدَ الْوِدَادِ

٢٩٤ تَذَكَّرُ بِي صِحَابِي وَالْأَعَادِي خيال حقيقتي بعدي ستبقى
 ٢٩٦ بمجتمع الورى أو بانفراد إذا وجد الفتى يوماً سروراً
 ٢٩٨ فملت بجمعتي للإنفراد وجدت الإنفراد يُريح نفسي
 ٢٩٩ فعليّ منه اليوم فضلُ يادِ شكري أكرره لعبد الهادي
 ٣٠١ إليك مسلماً لولا قيودي أحافظ وهبة قد كدت أتى
 ٣٠٦ سالكيه أو بعضهم للسعادة ليس في الأرض من طريق يؤدى
 ٦١٧ بلفظ له منه تكون عقوقه تلوت بعينيّ مسمعي صورة البها
 ٦٦٠ على حُبِّكم بين الضلوع فؤادي (أبا قاسم) والله ما زلت طاوياً
 ٦٦١ على إسعافه الحرّ (ابن أحمد) ساشكر (صالح الملاء) حياتي

قافية الرء

٣١٠ من المدهشات الحائرات بها الفكرُ أَمَنْ كَوْنُ الْكُونِ الْعَظِيمِ بِمَا بِهِ
 ٣١٢ إلى الصبر تدعو كل من أحزن الدهرُ يقولون لي إننا عهدناك يا صقرُ
 ٣١٦ وما زال في أحبابه هكذا صقرُ أتيتك مما أنت جانيه تائباً
 ٣١٩ وفيه لنا لاح التضجُرُ يا «صقر» يقولون لي في وجهك الحزن قد بدا
 ٣٢٠ وأوشك أن ينبت منه به العُمُرُ ألماً عصى «صقراً» على الظمِ الصبرُ
 ٣٢٢ له ظمأً يوماً فلا مرّ بي القطرُ لننّ زاد عني صاحبي مُعديماً شكى
 ٣٢٦ أنى وقد سمقت تثير فتبهرُ ما في العراق لشمس فضلك منكرُ
 ٣٢٩ أثنى عليها النثر والأشعارُ يا نجل سالم الذي أخلاقه
 ٣٣١ قُرب منكم سعادةً وافتخارُ أنا من لا يزال يعلم أن الـ
 ٣٣٤ وما ضاقت بأمثالي الديارُ فإن تَضِقِ الْكُوَيْتُ الْيَوْمَ عَنِّي
 ٣٣٥ وليس به على عينيهِ خيرُ أصيح بمن له عَيْنٌ وَعَيْنٌ
 ٣٣٨ من أذاها يكاد فيها يبورُ كلُّ طفلٍ بكفِّهِ عصفورُ
 ٣٤٧ وهل يا صقرُ فيه له حُبورُ أَللَّاعْمَى بِمَحْيَاهُ سُرورُ
 ٣٥١ ومالك وافر جم كثيرُ أيشكو حولك الفقر الفقيرُ
 ٣٥٥ عليّ له فضل يجل عن الشكرُ لئن لم أزر في كل يوم محل من

- يقولون لي يا صقرُ ما لك واقِعاً
بنِي يعربٍ من كُلِّ ذِي نَجْدَةٍ حُرٌّ
ألا ليت سُلْطَانًا سَلْطَانِي بَيْنَنَا
لُومِي فِلَسْطِينُ الْعَزِيزَةُ أَوْ ذُرِّي
يَا خَالِدَ الْفَضْلِ فِي أَشْعَارِهِ الْغُرِّ
عَابُوا كَمَا الْحَسَدُ الْمَذْمُومُ شَاءَ لَهُمْ
لَعَمْرِي أَوْ لَعَمْرُكُمْ أَرَانِي
أَرَى عَقْلِي يَخَالِفُ مِنْ رِفَاقِي
وَكَمْ لِي فِي الْكُوَيْتِ أَوْلُو عَادَاءٍ
وَمَا لِلْعُمِّيِّ فِي الْعَرَضَاتِ أُنْسُ
قَدْ انْتَصَرْتَ مِصْرَ فَرَاذَ انْتِصَارِهَا
يَعْرِزُ عَلَيْنَا فَقَدْنَا ذَلِكَ الْحَبْرَا
عَجِبْتُ لِمِصَّتِ الصَّامِتِينَ عَنِ الْغِذَا
عَذَلُونِي عَلَى انْدِفَاعِي مَعَ الْحُ
كَلَمَا زَارْنَا مَعَمُّمٌ سَوْءٍ
نَمَاذِجٌ هَذِي مِنْ قَرِيضِي أَزْفُهَا
أَغَاثٌ وَلَمْ أُسْتَسْقِ مُزْنَ نَوَالِهِ
تَفْضُلٌ بِنَاءِ الْقَوَافِي بِزَوْرَةٍ
سَقَى (الدَّسْمَةَ) الْغِرَاءَ مِنْهُمْ الْقَطْرُ
بَنِيَّ بِكُمْ رُوحِي تُحِسُّ وَتَشْعُرُ
هُوَ الدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ لَا بَدَّ يَغْدِرُ
يُدِيمُ لَكَ الْهِنَاءَ فَيَسْتَمِرُّ
أَبَا عَوْفٍ لِقَاؤُكَ خَيْرٌ مَا قَدَّ
إِلَيْكَ (ابْنُ عَيْسَى) الشَّهْمُ (يُوسُفُ) أَشْتَكِي
بِي مِنْ جِفَانِكَ مَا لَوْ كَانَ بِالْحَجَرِ
- ٣٦٣ من الكَفِّ عن طَيْرِ الْقَرِيضِ عَلَى وَكْرِ
٣٦٤ فِلَسْطِينِ مَسْتَهَا يَدُ الْعَسْفِ وَالْجَوْرِ
٣٦٨ لِكَيْمَا يِعْمُ الْعَطْفُ مَنَّا ذَوِي الْفَقْرِ
٣٧٤ مِصْرًا عَلَى هَذَا السُّكُوتِ الْمُنْكَرِ
٣٨١ رَغْمَ الْأَوَاتِي مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْغِيَرِ
٣٨٧ يَا صَقْرُ مَا قَلْتَ مِنْ نَثْرِ وَأَشْعَارِ
٣٨٩ لِتَعْدِيلِ الرَّوَيْتِبِ فِي اضْطِرَارِ
٣٩٣ عَقْوَلًا حِينَ تَنْظُرُ فِي الْأُمُورِ
٣٩٥ بَلَا ذَنْبٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرِ
٣٩٦ فَاُمْدَحُهَا بِنَظْمٍ أَوْ نَثِيرِ
٣٩٧ مَفَاخِرَ شَعْبِ الضَّادِ يَوْمَ فَخَارِهِ
٣٩٨ وَإِيدَاعُنَا جِثْمَانَهُ الطَّاهِرَ الْقَبْرَا
٤٠٤ يُعَلِّبُ مِنْ تَارِيخِ تَعْلِيْبِهِ صِيفْرَا
٤٠٩ بَّ كَائِي انْدَفَعْتُ مَعَهُ اخْتِيَارَا
٤١٣ رَدَّ مَنْظُومَ شَمْلَانَا مِنْثُورَا
٦٧ هَدِيَّةٌ مِنْ لَمْ يُقَنَّ شَيْئًا سَوَى الشُّعْرِ
٦١٨ بِمَا زَمْنَا عَنِي بِهِ يَطْرُدُ الْعُسْرَا
٦٦٢ عَلِيٌّ فَلَنْ أُنْسَى عَلَيْهَا لَهُ الشُّكْرَا
٦٦٣ وَمَدَّ بِهَا أَطْنَابَهُ مُذْهَبُ الرَّهْرِ
٦٦٤ وَتُبْصِرُ مَا أَنْتَمَ عَلَيْهِ وَتَنْظُرُ
٦٦٦ وَمَهْمَا صَفَّتْ مِنْهُ الْمَوَارِدُ تَكْدُرُ
٦٧٠ إِلَهِي إِنَّكَ الشَّيْءُ هُمْ الْأَبْرُ
٦٧٢ تَمُرُّ بِهِ عَلَى مِثْلِي الدُّهُورُ
٦٧٤ شَقِيْقَكَ (سُلْطَانًا) فَهَلْ أَنْتَ زَا جِرْهُ؟
٦٧٦ لِفَاهَ فَوَهُ بِشِكْوَاهُ مِنَ الضُّجْرِ

- أَتَخَشَى أَنْ يُذِيعَ الشَّعْرُ يَوْمًا
قافية الزاي
- يا من له جِدَّةٌ عن حاجةٍ فَضَلَّتْ
قافية السين
- أَمَعَنْتُ فِي النَّفْرِ عَنِي ظَلِيمَةٌ
لحى الله دنيا لا أراها وفِيَّةٌ
تأملت أديان البرية كَأَهَّاهَا
بالرغم مني كنتُ أمسٍ مُقْصِرًا
إني هممتُ بأن أقبلَ أنْمُلًا
هذا وبين جوانحي ما بئسُهُ
ما في «أوال» ولا في الساكنين بها
ما كنتُ أحسبُ قريةً بجمالها
وظنَّي أن الله عنك مَفْرُجٌ
أَقْطَعُ بَرهَةً خِبالًا، ودادي
يا بائعَ الغازِ رُبْعَ الرُّبْعِ من مئةِ
قافية الشين
- رَمَوْا عَن قَوْسِ كِذْبِهِمْ سَهَامًا
قافية الصاد
- حَبِيبِي قَسِدْ وَأَعِدْتَنِي بزيارةِ
ولو علموا أن القنوعَ هو الغنى
قافية الضاد
- نهاري وليلي لم أزلْ لك ذاكرًا
قافية العين
- طُبِعْتُ عَلَى غَيْرِ الَّذِي قَدْ طُبِعْتُمْ
هذا خيالٌ أمرى مذ شَبَّ ما اشتملت
يومَ الخميسِ لبستُ ثوبَ خَسَدِوعِ
- ٦٨١ - إذا ما - جئتُك الهفواتِ جَهرا
٤١٦ ألا تُغَيِّثُ بشيءٍ شاكيَ العوزِ؟
٤١٨ كان بالأمس لها جِجري كِناسُ
٤٢٢ لنوعٍ من الأحياء فيها ولا جِنسِ
٤٢٤ فما رَكَنتُ إلا لإسلامِها نفسِي
٤٢٨ في واجبي نحو الزعيمِ التونسي
٤٣٢ رُكِّبَنَ في يَمْنَى الزعيمِ التونسي
٤٣٣ إِيَّاكَ عَنِّي الآنَ خَيْرٌ مُنْفَسِ
٤٣٤ من موضعٍ لهجا الهاجي ولا باسِ
٤٣٨ تُنْسِي الحبيبَ مُجِبَّهُ في الناسِ
٤٤٠ وشيكًا فلا تُنْزِلُ جوانحكِ اليأسا
٤٤٢ عليه قبلُ كادَ يَكُونُ حَبْسًا
٤٤٦ مما تَقُومُ به من دَقِّكَ الجَرَسا
- ٤٤٩ بريش سَفاهمِ كانت تُراشُ
٤٥٢ فهل لك حتى الآنَ لم تَسْنَحِ الفُرْصُ
٤٥٣ وأني منه مالُكُ أوفَرَ الحِصْصُ
٤٥٥ ولكنْ جَرِيضِي حَالٌ دونَ قَرِيضِي
٤٥٧ عليه فما طولُ اعْتزالِكُمُ بَدْعُ
٤٥٨ على المَسْرَةِ حتى شابَ أَضاعُهُ
٤٥٩ حتى حَسَبْتُكَ غُرَّةَ الأَسْبِوعِ

- لا يدفعُ الجوعَ والعُرْيَ اللَّذِينَ هُمَا
رَأَيْتُ قُصُورَ شِعْرِي عَنْ مَقَامِ
- قافية الفاء
- ولم يَبْرَحْ بِمَحْضِ النَّصِيحِ شِعْرِي
تَهَلَّلَ مِنْ مُهْلَلِ الْمُحَايَا
قالوا اعتزلت الناسَ قلتُ لأنهم
أبا زَيْدٍ عَلَيْكَ الْيَوْمَ أَبْكَي
- قافية القاف
- أجْمَلِي يَا جُمْلُ أَوْ لَا تُجْمَلِي
إِلَى ذَلِكَ الْمَفْتَى أَحِنُّ وَلَمْ تَعُدُّ
لَكُمْ بِالذِي أَحْفِيهِ وَجْهِي يَنْطِقُ
رَبِّمَا تَبْصِرُ الْعَيُونَ هَجِيئًا
- قافية اللام
- ما ضَرَّ قَوْمِي غَيْرُ الْجَهْلِ لِيْتَهُمْ
عَلَيْكَ لِشَرْقِي الْكُوَيْتِ يَطُولُ
إِذَا كَثُرَتْ أَصْوَاتُهُمْ حَوْلَ مَسْمَعِي
أُرَانِي فِي الشَّهْرَيْنِ «تَمُوزَ» وَالذِي
بَيْنَ جَبْـبَرِي وَاعْتِزَالِي
لَوْ لَمْ يُوظَّفْ فِي الْمَعَارِفِ غَيْرُ مَنْ
قَالُوا انصرفت إلى المعقول مُتْرَكًا
إِلَيْكَ الشُّوقُ أَلْزَمَنِي الْوِصَالَا
قَرَأْتُ مَقَالَكَ الْحُرَّ الْجَمِيلَا
ذُو مِنْهَا الْمَحْيَا فَهُوَ يَحْكِي
أَنْنَعَمُ فِي الْكُوَيْتِ وَنَحْنُ فِيهِ
لَكُمْ مِنْ أَلْيِ الْإِصْلَاحِ شُكْرُ
- ٤٦٤ شَرُّ النَّوَائِبِ إِيْلَامًا وَإِيْجَاعَا
- ٤٦٧ تَقْسِيمُ بِهِ جَلَالًا وَارْتِفَاعَا
- ٤٧٠ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ حُبًّا يَطُوفُ
- ٤٧١ وَرَحْبَ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ضَيْفَا
- ٤٧٢ جَرُّوا عَلَيَّ الْمَحْرَزَاتِ صُنُوفَا
- ٦٢٢ بَدَمَعِ مَا لَجَارِيهِ وَقُوفُ
- ٤٧٣ وَاعْذَلِي فِي الْحَبِّ أَوْ لَا تَعْذَلِي
- ٤٧٨ بِهِ مِنْذُ غَابَتْ شَمْسُ زَيْنَبَ تَشْرِقُ
- ٤٨٢ صَرِيحًا وَوَجْهِي مَا تَرَوْنَ فَحَدِّقُوا
- ٤٨٣ قَدْ تَرَبَّى بَيْنَ الْجِيَادِ الْعِتَاقِ
- ٤٨٥ عَنْهُ إِلَى الْعِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ قَدْ مَالُوا
- ٤٨٨ بَكَاءً وَإِنْ لَمْ يُجِدْهُ وَعَـوِيلُ
- ٤٩٣ حَكِيْتُ بِصَيْرًا سَارِيًّا فِي نَجَى لَيْلِ
- ٤٩٦ يَلِيهِ عَنِ اللَّقْيَا مِنَ الْحَرِّ فِي شُغْلِ
- ٤٩٨ طَالَ تَيْبِيهِ وَضَمَّ لَلَالِي
- ٥٠٨ أُبْدَى الْكِفَاءَةَ لَمْ أَكُنْ بِالْعَاطِلِ
- ٥١٤ مَا لَمْ يَكُنْ وَقَفَقَهُ مِنْ كُلِّ مَنْقُولِ
- ٥١٦ وَكَادَ إِلَيْكَ يَسْعَى بِي خِيَالَا
- ٥٢٢ فَالزَّمَنِي لَكَ الشُّكْرَ الْجَزِيلَا
- ٦٢٥ مَرَقَّةً مِنَ الْقَرَبِ الْبِوَالِي
- ٦٣١ غِرَاقُ تَحْتَ سَكِينِ الْجَهَالِه
- ٦٨٣ فَإِنَّ الشُّكْرَ فَرَضُ فِي مِثَالِي

- دليلك للمُحْتار خَيْرُ دَلِيلٍ
(أبا قاسم) وَالْحُرُّ يَعْفُو إِذَا جَنَى
أَأْنَسَاكَ يَا رَبَّ الْفَضَائِلِ وَالْعُلَا
أَمَلِي فِي الْعَيْشِ قَدْ كَانَ قَلِيلُ
هَلْ أَتَى زَيْنَبَ مَا بِي قَدْ نَزَلُ
قافية الميم
- وَقَالَكَ اللَّهُ رَبِّي كُلُّ شَرٍّ
تَنَحَّوْا أَيُّهَا الْعَرَبُ الْكِرَامُ
لَيْسَ لِلْعُرْبِ مِنْ فَلَاحٍ إِذَا لَمْ
قَالُوا فَلَانَ كَثِيرُ الْمَالِ طَائِلُهُ
إِلَى ذِي الْمَعَالِي نَجْلٍ جَابِرِ الَّذِي
إِذَا جَاشَ صَدْرِي بِالْقَوَافِي نَظْمَتُهَا
يَرُوقُكَ كُلُّ مَسَاكِينٍ لَذِيذِ
يَلُومُنِي الصَّحَابُ وَقَدْ رَأَوْنِي
إِذَا مَا كَاتَبْتُ أَرْضَانَهُ حِقْدُ
لَعَمْرُفِ خَامَةِ الْعَرَبِ الْكِرَامِ
أَقَلُّوا مِنْ عَمَائِمِهِمْ شِبَاكًا
أَقُولُ لِمَنْ رَأَوُا دَمْعِي أَخْيِرًا
شَغِفْتُ بِكُلِّ إِصْلَاحٍ جَلِيلِ
تَبَارَكَ مَنْ أَدَارَ الْخَلْقَ طُرًّا
لَزُومُ الْبَيْتِ لِلْأَعْمَى سَبِيلُ
أَوَّلُ لِمِ تَكْرَمُ مِنْكَ إِلَّا
تَقُولُ لَقَدْ أَفْتَى بِهَجْرِكَ شَيْخُنَا
وَقَاتَكَ عَنَايَةَ الْمَلِكِ السَّلَامِ
يَقُولُونَ لِي يَا (صَقْرُ) مَا أَلَكْ نَادِمُ
- وَأَحْسَنُ مَا يَهْدِي بِكُلِّ سَبِيلِ
عَلَيْهِ أَمْرُؤُ ثُمَّ أَنْتَنِي يَتَنَصَّلُ
إِذَا لَا حِوَانِي لِلْفَضِيلَةِ مَنَزَلُ
فَشَفَاهُ نَجْلُ (شَمْلَانِ) النَّبِيلُ
لِنَوَاهَا مِنْ سَقَامٍ وَعِلُّ
- وَرَدَّكَ كَأَسْمِكَ الْمَحْبُوبِ سَالِمُ
فَلَيْسَ لَكُمْ بِأَرْضِكُمْ مُسَقَامُ
تَكُ لِلْعُرْبِ وَحِدَةٌ وَوِثَامُ
لَكِنَّهُ سَائِرَ الْأَوْقَاتِ مَغْمُومُ
بِيَمْنَاهُ مِنْ هَذَا الْبِلَادِ زِمَامُهَا
وَإِنْ لَمْ يَجِشْ لَازِمْتُ صَمْتِي عَنِ النَّظْمِ
وَمَا تَشْرِي سِوَى جَشْبِ الطَّعَامِ
أَصُدُّ عَنْ اجْتِمَاعَاتِ الْأَنَامِ
عَلَى قُرْنَائِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ
بُنَاةٌ شَوَاهِدِ الْمَجْدِ الضَّخَامِ
لِصَيِّدِ الْمَالِ مِنْ طُرُقِ الْحَرَامِ
لِذِكْرِي الْحُرِّ سَالِمِ الْكَرِيمِ
مِنَافِعُهُ تَعُودُ عَلَى الْعُمُومِ
بِحِكْمَتِهِ وَكَاتَمَتِهَا الْأَنَامَا
إِلَى رَاحَاتِهِ، وَإِلَى السَّلَامَةِ
جَدِيرًا مَسْتَحِقًّا لِلْكَرَامَةِ
أَنَاسُ بِشَرْقِيِّ الْكُوَيْتِ تُقِيمُ
(مُحَمَّدُ) مَا اشْتَكَيْتَ مِنَ السَّقَامِ
كَأَنَّكَ تَظُنُّ قَدْ دَهَاهُ فِطَامِ

سَهَرْتُ أُرَاعِي النُّجْمَ وَالنَّاسُ نُومٌ
وَبِتُّ أَعَانِي الِهْمَّ وَالْهَمُّ مَوْلِمٌ ٦٩٦
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا الْبَرْدُ بَيْنِي
يَحُولُ وَبَيْنَ تَنْظِيمِي الْكَلَامَا ٦٩٩

قافية النون

أَرَاكَ عَلَيَّ بِالْمَلْقَىٰ بَخِيلاً
وَشَيْمَتُكَ السَّمَا حَةً لِلْمُوَاطِنِ ٥٦٦
يَضُرُّ النُّصْحُ فِي هَذَا الزَّمَانِ
فِيَا لَيْتِي خُلِقْتُ بِلَا لِسَانِ ٥٦٧
مَا زِلْتُ أَسْمَعُ لِحْنَ ذَا اللَّحَّانِ
حَتَّىٰ لَكِدْتُ أَذُوبُ مِنْ أَشْجَانِي ٥٦٩
أَعْلَمْتُ مَا قَاسَىٰ مِنَ الْأَشْجَانِ
مَنْ غَبَتْ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ جَنَانِي ٥٧٧
أَوْدُبْتُ بَأْتِي لَا أَفَارِقُ مَجْلَسَا
أَرَاهُ لِسَيْفِ الْمَجْدِ مِنْكَ اغْتَدَىٰ جَفْنَا ٥٨٢
نَبَذْتُ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُدَاهِنِ
لَعَيْبِي عَنِّي بِالتَّجْمُلِ دَاغِنِ ٥٨١
كَأَنَّهُمْ مَنَحُوا خُلْدَ الْحَيَاةِ فَمَا
تَتَنَابُ مِنْهُمْ عَوَادِي الْمَوْتِ حُسْبَانَا ٥٨٤
أَقْدَمُ لِابْنِ أَحْمَدَ كَأْسَ شَايِ
وَوُدِّي أَنْ أُمُدَّ لَهُ خِوَانَا ٥٨٧
قَدْ كَسَانِي أَبُوكَ أَمْسَ كِسَاءً
مَنْ نَدَاهُ فَايْتَرُنِّيهِ الزَّمَانُ ٦٣٧
أَنْيَ أَعُوذُ بِبُرْدِ مَنْكَ يَدْفِينِي
مَنْ سَوْرَةَ عَظُمْتَ فِي الْبَرْدِ تُوذِينِي ٧٠٠

قافية الواو

يَظُنُّونَ أَنَّ الشُّعْرَ مَهْمَا دَعَوْتُهُ
تُلَبِّي قَوَافِيهِ وَتَأْتِي كَمَا أَهْوَىٰ ٥٩٢
مَحَلُّ الشُّهْمِ شِمْلَانُ الْمَفْدَىٰ
بِهِ لَذْوِي الْمَفَاخِرِ أَيُّ حُظْوَةٍ ٧٠١

قافية الياء

يَا رُبَّيْسَ الْبِلْدِيِّهِ
لَا أَصَابَتْكَ بَلِيَّةٌ ٥٩٤

المحتوى

- ٣ التصدير/ الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين
- ٧ التقديم/ الدكتور يعقوب يوسف الغنيم
- ١١ المدخل - الفرع الأول/ كتبه الأستاذ أحمد البشر الرومي
- ٣٩ المدخل - الفرع الثاني/ كتبه الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الديوان

- ٦٥ * القسم الأول: ما ورد في الديوان الذي أصدره الأستاذ أحمد البشر الرومي
- ٦٧ الإهداء إلى روح الشيخ سالم المبارك الصباح
- ٦٩ الإيمان عون لتخفيف الأعباء
- ٧٤ دموع على عبدالله الخلف الدحيان
- ٨٥ الحر من يأبى الهوان
- ٨٦ إلى الزعيم عبدالعزيز الثعالبي
- ٨٩ العلم أصل الخير
- ٩٠ ألجؤوني إلى نظمه دفاعاً لا هجوماً
- ٩٥ الكويت وبغداد
- ٩٧ دنيانا سراب
- ١٠٤ إنها الدنيا
- ١٠٧ غلاء وعلاجه
- ١١١ صنّ قوافي القريض

- ١١٣ لا راحة بلا تعب -
- ١١٧ لحظي لا لحظك -
- ١١٩ شفاؤك يشفيني -
- ١٢١ قيمة الكلام -
- ١٢٢ على العلم عولوا -
- ١٢٨ فلي في الصبر ما هو أرحب -
- ١٣١ للحق عاقبة الأمور -
- ١٣٦ مصيبة الحرمان وعظ -
- ١٤٠ الخطب هو الخطيب -
- ١٤٥ بلا وحدة ضياع -
- ١٥٠ حققوا بثورتهم الآمال -
- ١٥٧ حبي يجذبني -
- ١٥٩ المرء حسب السجايا -
- ١٦٣ العلم العلم -
- ١٦٦ بين العري والسغب -
- ١٦٧ اتحاد مصر وسوريا -
- ١٧٢ شهر آب -
- ١٧٧ نب يا شعر عني -
- ١٨٧ ريح من عتاب -
- ١٨٩ عذرك يكفيني -

- ١٩٠ - كن لي هكذا
- ١٩١ - صرخة ثانية بعد إنهاء فلسطين الإضراب
- ١٩٥ - الله يأبى
- ١٩٦ - بين الجد والهزل - عنز تأكل الكتب
- ٢٠٩ - يا أشقائي العرب
- ٢١٦ - لن يراني القوم إلا مذنباً
- ٢٢٤ - لنمسي في الوطن أحباباً
- ٢٢٦ - السباب سلاح العاجزين
- ٢٢٩ - خير من تخيرت
- ٢٣٤ - العزلة
- ٢٣٥ - إلى محتكر الجنة
- ٢٣٦ - ذكرى كريم
- ٢٣٨ - الحرُّ يثني على تاريخ الكويت
- ٢٤١ - من عاداتي وشيمي
- ٢٤٥ - لن يعيث
- ٢٤٧ - حالهم أدهى وأبرح
- ٢٤٨ - أمع الحياة سعادة
- ٢٥٣ - يا فهد القوافي
- ٢٥٦ - عليك بإحدى الحسنين
- ٢٥٧ - زحام

- ٢٥٨ - لا تؤذوا الصريح
- ٢٥٩ - الأعمال لا الأقوال
- ٢٦٧ - أفي الصحيفة دُر
- ٢٧٦ - تَسْلِيَّ يا نفسُ
- ٢٨١ - أوحد الأطباء
- ٢٨٣ - ذكرى مولد الرسول (ﷺ)
- ٢٩١ - كلاهما في ازدياد
- ٢٩٤ - يا خيالي
- ٢٩٦ - إلى لوأمي في العزلة
- ٢٩٨ - العزلة
- ٢٩٩ - الفضل فضل البادي
- ٣٠١ - قيوده عماء
- ٣٠٦ - لحكمة أتينا الدنيا
- ٣١٠ - أَدِمَّ بك إيماني
- ٣١٢ - يقولون
- ٣١٦ - هكذا صقر
- ٣١٩ - أندر شيء الحُر
- ٣٢٠ - متى تنجز الوعد
- ٣٢٢ - كلمة البركة
- ٣٢٦ - إلى السيد طالب باشا النقيب

- ٣٢٩ - فهد الكريم فرع خير
- ٣٣١ - جنة لا دار
- ٣٣٤ - قومي العرب
- ٣٣٥ - أصيح
- ٣٣٨ - أنقذوا الحيوان من أذى الصبيان
- ٣٤٧ - من أعمى إلى عميان
- ٣٥١ - فرق كبير
- ٣٥٥ - إلى سمو الأمير الشيخ عبدالله بن الشيخ سالم الصباح
- ٣٦٣ - في اسمه
- ٣٦٤ - صرخة في العرب في أثناء جهاد فلسطين
- ٣٦٨ - سلطان بن إبراهيم الكليب
- ٣٧٤ - مصر وقضية فلسطين
- ٣٨١ - بين الأناش والحزن
- ٣٨٧ - السكوت جواب
- ٣٨٩ - ردوا بي منهل الإنصاف
- ٣٩٣ - حكمة الله في كل شيء
- ٣٩٥ - هل أبصرت ذلاً في الصقور
- ٣٩٦ - العرضات
- ٣٩٧ - عبرة
- ٣٩٨ - رثاء عبدالله بن خلف الدحيان

- ٤٠٤ - معليات الأغذية
- ٤٠٩ - نشوة الحب
- ٤١٣ - الدين من دعوهم بريء
- ٤١٦ - دعوة إلى الإحسان
- ٤١٨ - جنون الحب
- ٤٢٢ - دنيا
- ٤٢٤ - ولو قطعوا رأسي
- ٤٢٨ - عفواً وصفحاً
- ٤٣٢ - لِمَ لا أفعل
- ٤٣٣ - إن بحث أخلب
- ٤٣٤ - الأحدث ينسي الأقدم
- ٤٣٨ - برؤك يصرف همي
- ٤٤٠ - ظُنَّ جميلاً بالله
- ٤٤٢ - إلى صديق الأمس
- ٤٤٦ - شكوى على باعة الغاز
- ٤٤٩ - لماذا يجسدونني
- ٤٥٢ - حقق ما وعدت
- ٤٥٣ - القُنوع هو الغنى
- ٤٥٥ - حق بغير غموض
- ٤٥٧ - إلى لُوّامي في العُزلة

- ٤٥٨ هذا خيال -
- ٤٥٩ يوم الخميس -
- ٤٦٤ حق شيخوختي على وطني -
- ٤٦٧ العلياء مناها فيه -
- ٤٧٠ من الجور -
- ٤٧١ تهلل -
- ٤٧٢ في العزلة -
- ٤٧٣ حكاية غرام -
- ٤٧٨ الآثار لا تشفي -
- ٤٨٢ ليسلم ذا الضرير -
- ٤٨٣ الظواهر الخداعة -
- ٤٨٥ العلم أنجع ما يشفى به وطن -
- ٤٨٨ عليك لشرقي الكويت -
- ٤٩٣ في بيتي الراحة -
- ٤٩٦ فصل الصيف -
- ٤٩٨ ماذا أعتقد -
- ٥٠٨ عتاب مرير -
- ٥١٤ يا عقل -
- ٥١٦ حدث عن شمائله -
- ٥٢٢ قرأت -

- ٥٢٦ - وقاك الله
- ٥٢٧ - فلسطين
- ٥٣١ - أو يشفي من الكلوم الكلام
- ٥٣٤ - ويل للبخلاء
- ٥٣٧ - سمو الشيخ أحمد بن جابر آل الصباح
- ٥٣٨ - لا تقترحوا عليّ
- ٥٤١ - إليكم عني
- ٥٤٢ - العزلة
- ٥٤٤ - التمويه جبن
- ٥٤٦ - عجلّ فإني عجول
- ٥٤٨ - باسم الدين يتصيدون
- ٥٥٠ - بكاء على المرحوم سالم المبارك
- ٥٥٨ - خير ناد
- ٥٥٩ - نظرة في السر الأزلي
- ٥٦١ - لزوم البيت
- ٥٦٢ - لا تنس صقراً
- ٥٦٦ - نفسي تحن إلى لقاءك
- ٥٦٧ - يضر النصح
- ٥٦٩ - لهفي على الفصحى
- ٥٧٧ - موجعات البعد

- ٥٨١ - لست له خليلاً
- ٥٨٢ - اعتذار
- ٥٨٤ - البخلاء
- ٥٨٧ - على مآذبة شاي
- ٥٩٢ - اقتراحات بلا جدوى
- ٥٩٤ - قرعة الجابي
- ٦٠١ - القسم الثاني: إضافات جمعها الدكتور يعقوب يوسف الغنيم
- ٦٠٣ - البتيل
- ٦٠٤ - في ذكرى محمد بن شمالان
- ٦١٤ - دعوا العواطف
- ٦١٦ - في شرقي الكويت
- ٦١٧ - في الغزل
- ٦١٨ - في رجل كريم
- ٦٢٢ - في شكر شاعر
- ٦٢٣ - في الرثاء
- ٦٢٥ - ذكرى الزواج
- ٦٣١ - المتلبسون
- ٦٣٦ - فتوى
- ٦٣٧ - صرخة البائس

- القسم الثالث: إضافات تكرم بتقديمها الأستاذ سيف مرزوق الشمالان
- ٦٤١ - ليس في الكويت مثلي
- ٦٤٣ - إلى كم يا محمد منك أشقى
- ٦٤٦ - لي من الصبر ما هو أرحب
- ٦٥١ - في تقرّظ كتاب
- ٦٥٧ - أخوك أخو الأفضال
- ٦٥٩ - عليك سلام الله
- ٦٦٠ - وخير المجد في الدنيا المخلد
- ٦٦١ - الدسمة
- ٦٦٣ - كجذكم شمالان كونوا أماجداً
- ٦٦٤ - رثاء عزيز
- ٦٦٦ - كما يزهو لصقر فيك شعر
- ٦٧٠ - فمن لي كالقصيبي المرجى
- ٦٧٢ - مداعبة
- ٦٧٤ - هذا الجفاء
- ٦٧٦ - صقر كان صقرًا
- ٦٨١ - إلى النادي الأدبي
- ٦٨٣ - دليل المحترار
- ٦٨٦ - معاذير
- ٦٨٨ - خليل في منام
- ٦٨٩ - خليل في منام

- ٦٩١ آية الإخلاص -
- ٦٩٣ وقتك عناية الله -
- ٦٩٥ وشملاق لى منه أىاد -
- ٦٩٦ حال محزن -
- ٦٩٩ البرد والشاعر -
- ٧٠٠ فىا ابن شملان كم أتحفتنى كرمأ -
- ٧٠١ ديوان شملان -
- ٧٠٣ واشىنا كذوب -
- ٧١٣ خاتمة -
- ٧١٦ فهرس القوافى -
- ٧٢٥ المحتوى -
